

جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الإلحاد

وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير)

من الطالب :
صالح اسحق بابا صالح



بإشراف الأستاذ :
محمد الغزالي

١٤٠٠ - ١٤٠١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ .

ابراهيم ١٠،

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ .

البقرة ١١٨،

أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ .

المائدة ٥٠،

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ان الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا ‥ من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له‥

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له‥ واشهد ان محمدا عبده ورسوله ‥ اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين نصبوا انفسهم للدفاع عن بيضة هذا الدين الحنيف ‥

أما بعد : ان من اعظم فضل الله ـ عز وجل على الأمة الاسلامية أن ارسل فيها افضل نبي وافضل دين ‥ دين كان ابرز صفاته ، أنه من صنع بارئ هذا الكون ‥ ومنشئ نواميسه وقوانينه ‥ والعالم بما يجد فيه وما يتطور ‥ دين وجّه الفكر الانسانى الى العلم بالله ، وملأ القلب الانسانى بالخشوع لله ، ثم عن طريق العلم شرح قضية الوجود ‥ ووظيفة المرء في الحياة ، شرحا عامرا بالصدق والجمال ‥

لقد كان في علمه ـ سبحانه وتعالى ـ هذا التطور التاريخي ، وما يترتب عليه من تطور اجتماعي واقتصادى وفكرى عام ،

ولذا وضع الخطوط الثابتة

والقواعد الشاملة

والمبادئ العامة ‥ التي لا تخرج اطوار الانسان في النهاية عن حدودها وترك التطبيقات لتطور الزمان ، وبروز الحاجات في حدود مبادئه العامة ‥‥ وقواعده الشاملة ‥

لا لشيء الا انه يريد ان نكون دائما في المقدمة ،

قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

وقال ايضا ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾

ولا يريد أبدا ان ننطلق الى التشريع الفرنسي البائس المنكود تارة مع اليمينيين وتارة مع اليساريين نستمد منه القانون ..

أو الى النظريات السياسية الغربية الظالمة الثعلبية ، نستمد منها نظام الحكم

أو الى الفكر الغربي الملحد الحائر .. نستمد منه التصور لمعرفة الله والكون والانسان .. كلا ! وانما جعل لنا مبادئ وقيما .. نسير على ضوئها . في ظلمات الالحاد والمادية ..

بهذه المبادئ السامية وهذا الفهم العميق لمدلول " لا اله الا الله " قامت دولة الاسلام يانعة الحضارة ، واسعة السلطة ، عظيمة الهيبة ، ظلت في المجال العالمي ، الدولة الأولى بين أترابها ... لا عشرات السنين بل مئات من السنين قاربت الألف عام .

وهذه الدولة الاسلامية انفردت بالصدارة دهرا طويلا ، ثم شاركتها في هذه المكانة المرموقة ، بعد قرون طويلة دول أخرى ...

واذا كانت الولايات الامريكية ترى في عصرنا هذا اعظم دول الأرض ينازعها في ذلك الاتحاد السوفيتي .. فان الدولة الاسلامية ، في عصرها الطويل المديد ، كانت أشرف مكانة وأعز نفرا ..

وقد ظلت أمدا غير قصير لا يجرؤ أحد على مطاولتها ...

ولم يكن هذا السبق العالمي ، كسبق هاتين الدولتين اللتين تتسابقان الى التسلح لتدمير الجنس البشري ـ كلا ـ بل كانت احوال المسلمين العلمية والخلقية والمدنية والعسكرية ، ترجح كفتهم في كل موازنة .. وتعلي رايتهم في كل سباق ..

ولم يكن هذا الرجحان وليد حضارة قديمة انتفع الاسلام بها ، أو نتيجة ارتقاء محلي مشى الاسلام على قمته .. لا هذا ولا ذاك !

بل جاء بمبادئه السامية واخلاقياته الفذة التي بذل فيها فقهاء هذا الدين ومفكروه جهدهم الضخم المشكور في تطبيق تلك المبادئ على تطورات الأمور ، لكي تلبي حاجات المجتمع المتجددة في ذلك الزمان ، الذى كان المجتمع فيه محكوما بشريعة الاسلام ..

* * *

ثم وقف هذا الجهد ـ مع شديد الأسف ـ منذ أن غلب الاستعمار الصليبي دار الاسلام في الشرق والغرب وفي كل مكان ..

فاذا بالأمة الاسلامية تأخذ في الانحطاط ، وحضارتها تأخذ في الذبول ..

فقامت اوربا وتقدمت ونجحت في دراسة الانسان من زوايا كثيرة ..

لقد تقدمت علوم النفس والاجتماع والاخلاق والاقتصاد والسياسة تقدما غير منكور .. وسار معها على الدرب تقدم آخر في علوم الطبيعة والكيمياء وسائر الدراسات الكونية ..

وبدأ كأن الانسان يتبوأ مكان السيادة المطلقة في عالم دانت له عناصره ، واستكانت قواه ..

والحقيقة : لنعترف بأن علماء الدين في الأعصر الأخيرة لم تحسنوا بسط هذه القضية ولا انارة الأفئدة بتوضيحها ...

دراستهم

وقد انكمشت او انهزمت امام التيارات المناوئة لأسباب عديدة ، ان هذا البحث معنى بدراسة تلك الأسباب وآثارها ، حتى لايكون المبطلون الملاحدة ، أقدر على اقتياد العالم من المؤمنين .. وحتى لا يحرم العالم خيرا هو أفقر ما يكون اليه ..

ومع هذا التقدم الصناعي والسياسي والفكري .. ان اوربا ، قد جرت فلسفتها وعلومها واخلاقها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها .. وبالجملة كل ما يتصل بها .. قد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة .. وهي الالحاد وانكار الغيبيات والنبوات ..

وبقيت تخطو وترتقي في وجهة غير صحيحة حتى انتهت الى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة وهي الهلاك ..

لذا اصبح الانسان غريبا في العالم الذي ابتدعه .. لا يستطيع أن ينظم دنياه بنفسه .. لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته وجهله به مطبق ..

ان الحضارة العصرية ، تجد نفسها في موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية .. وشهوات الملحدين .. وأوهامهم .. ونظرياتهم .. ورغباتهم ..

وعلى الرغم ، من انها انشئت بمجهود الانسان الا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمه وشكله ..

ومن ثم كان التخبط .. وكانت الشقوة .. وكان خط الدمار الذى تنحدر فيه البشرية الى الهاوية في هذا الزمان ، وكانت هذه الأزمة الحادة التي يواجهها " الوجود " الانساني ..

* * *

لقد وقعت اوربا الجاهلة في الحاد لا مثيل له في التاريخ ثم عمت

بلوته الأرض كلها فيما بعد ..

وكان الالحاد فيما غبر من الزمان يوجد فيكون مزاجا شخصيا أو غفلة عامة اوعوجا فكريا .. ولكن الالحاد الأوربي الحديث ليس كذلك . لأنه ثورة على الايمان تبغي قطع دابره .. واجتياح اهله ..

ان هذا الالحاد ، ليس شبهة توشك ان تلحقها الأدلة فتتلاشى .

لا ! انه الواقع وغيره الباطل !

.... انه الجد وغيره الهزل !

.... انه الجدير بالحياة وغيره الجدير بالفناء ...

* * *

أما في العالم الاسلامي ، فما زال الصراع قائما بين الدين والالحاد .. لأن الدين ـ من ناحية ـ ما زالت له قبضته على نفوس الجماهير كعقيدة وفكرة .. رغم الجهد الضخم الذى بذله " المثقفون " لتفتيت العقيدة وتحطيمها .. ليقودوا الجماهير المسلمة الى سوق الالحاد الرائج ، في هذه الآونة الأخيرة .. ومن ثم فما زالت هناك معركة ..

بعضهم يكتبون في اخلاص عن وجوب تطوير الدين حتى لا يفوته الركب الحضارى الأوربي ولا يبقى في الرجعية والجمود ..

وبعضهم لا يذكر اسم الدين على الاطلاق .. وانما تراه يهاجم المفاهيم الدينية .. كقولهم : " أن هذا الأمر لا علاقة له بالدين .. وانما هو قضية سياسية ، اوقضية اقتصادية "

وبعضهم يقول : ان الدين كان في السابق أفكارا سامية ولكن تشريعاته وتوجيهاته ، قد نزلت بعصر معين ، وظروف معينة .. ونحن اليوم في القرن العشرين ، قرن غزو الفضاء وقرن النزول فوق سطح القمر .. فقد تغيرت الأمور ، وتغيرت احوال الناس اقتصاديا وسياسيا وفكريا ..

فيجب علينا الغاء هذه الخلافة الاسلامية .. لقد شاء الله ان يتم ذلك

على يد الشيطان الكبير والطاغوت العاتي — مصطفى كمال الذى ألغى الخلافـــة الاسلامية المجيدة في ٢ مارس سنة ١٩٢٤ م الخلافة التي طالما كانت خنجرا في صدر أعداء الاسـلام ٠ فصارت الجماهير في عالمنا الاسلامي ، تتشرب هذه الايحاءات المختلفة التي يرددها هؤلاء ، ادعياء الثقافة بمختلف وسائل الاعلام :

التحقيق الصحفي ٠٠٠ والسينما ٠٠

القصـة ٠٠٠ والمسرحيـة ٠٠

والمقالات ٠٠ والأخبار

الكتاب ٠٠٠ والتلفيزيون ٠٠

يقولون لهؤلاء البسطاء : هذه هي اوربا ٠٠٠ او العالم المتحضر ٠٠ أو الأمم الراقيـة ٠٠ قد تقدمت بدون ديانة ٠٠

ويتحتم علينا ايضا ، ان ننبذ ديننا نبذ النواة لكى نلحـق بالركب الحضارى ٠٠ لأن التمسك بالتقاليد الباليـة هي التي تعرقل خط سيرنـــا الى قمة التقدم في دنيا العلم والصناعة ٠٠ بل هي التي جعلتنا منعزلين فـــي زاوية النسيان ٠٠

من هنا وقع الجماهير (في الانبهار) بهذه الحضارة المادية الأوربية ٠٠ مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ٠٠

" لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع حـتى لو أن احدهم دخل حجر ضب لدخلتم ٠٠ وحتى ان احدهم جامع امرأته بالطريـق لفعلتموه ٠٠ رواه مالك وأصله في مسلم ٠

فجاءت على الأمـة الاسلامية تيارات فكرية مختلفة :

جاءت القومية والوطنية والديمقراطية والحرية وتحرير المرأة اقتصاديا وسياسيا وجاء مذهب النشوء والارتقاء الداروينى ومسألة الجنس بقيادة فرويد اليهودى ٠٠ وخرافة العقل الجمعى تحت سيادة دوركائم الملحد اليهودى ٠٠٠

واخيرا جاءت الاشتراكية والشيوعية باشراف كارل ماركس الملحد الطاغـي اليهودى ايضا ٠٠

وجاءت أشياء أخرى لا تعد ولا تحصى من الشعارات البراقة الفارغة ..

فاندفع اليها البسطاء اندفاع الفراش الى النار حتى سر اعداء الله

على ان هذه الأمة ستلفظ انفاسها الاخيرة دون ما تأخير ..

ولكن الله القائل ﴿ نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ رد كيد الكائدين

في نحورهم .. وأنبت في وسط هذه التخبطات والتخرصات ، رجالا مخلصين

﴿ صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾

فأعادوا باقلامهم المؤمنة الشريفة — راية " لا اله الا الله " من جديد ..

وخرجوا للناس بفكر اسلامي اصيل بعيد من شوائب الشرك .. الذى

قد غشي التصور الاعتقادى والشعائر التعبدية ، والحاكمية والطاعة ..

ان هذا الفكر المخلص يستمد — بادىء ذى بدء — من كتاب

الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

فبينوا للناس ان الجفوة المفتعلة بين الدين والعلم في أوربا كانت

لأسباب تاريخية — سنذكرها في هذا البحث — ولا نظير لها في تاريخنا

الاسلامي ..

وفهموهم ايضا ان الاسلام لا كهانة فيه ولا وساطة بين الخلق والخالق

فكل مسلم في اطراف الارض ... وفي فجاج البحر ، يستطيع بمفرده ان يتصل

بربه ... بلا كاهن ولا قسيس ..

والامام المسلم لا يستمد ولايته من " الحق الالهى " ولا من الوساطة

بين الله والناس .. انما يستمد مباشرة السلطة من الجماعة الاسلامية ..

كما وضحوا للناس مرة اخرى .. ان الدين الاسلامي لا يعتمد على الخوارق

والمعجزات انما قام على التأمل والنظر في ايات الله في الأنفس والافاق ..

ثم ﴿ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى

في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض

لايات لقوم يعقلون ﴾ البقرة ١٦٤

فلا جفوة – اذن – بين الدين الاسلامي والعلم الصحيح المؤدى الى معرفة الله عن طريق آياته في الأنفس والآفاق ..

فاذا اضطرت اوربا الجاهلة لتنحية الدين عن حياتها العامة فلسنا بمضطرين ان نجاريها في هذا الطريق .. لأن طبيعة دينهم ليست كطبيعة ديننا ولا تاريخهم كتاريخنا ..

كما اشاروا لهؤلاء " المثقفين " الى ان سبب انحطاط هذه الأمة في هذه الغربة الثانية هو انحرافها عن حقيقة كلمة " لا اله الا الله " وأن الطريق الى استعادة عزتنا ومجدنا يبتدئ من تصحيح مفهوم " لا اله الا الله " كما صححه الرسول صلى الله عليه وسلم في الغربة الاولى للاسلام الذى يقول : بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس .. اوكما قال النبي صلى الله عليه وسلم *

ولم تكتف هذه الاقلام المؤمنة بتصحيح مفهوم "لا اله الا الله " بل بدأت ايضا تكشف عن المذاهب الهدامة الأوربية ، امام أعين الناس مخافة ان تتكرر المأساة وتحقيقا لقوله تعالى :

* وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين *

ومما لا شك فيه ان علمائنا الافاضل قد اتخذوا شتى الوسائل للوقوف امام الخطر الالحادى . وقد تختلف الاساليب بين مفكر ومفكر .. ولكنه اختلاف كاختلاف الابرة المغناطيسية في السفن التي تعبر المحيط المجهول ..

هذه الى اليمين ..

وهذه الى الشمال ..

وهذه مترددة ..

وهذه عائدة بعد التردد .

وكل ابرة في كل سفينة لها حركاتها ولها رجعاتها ولكنها لا تختلف الا لأنها تحاول جميعا ان تصل الى قطب واحد .. هو قطب الشمال ..

وهكذا كان مفكرونا في دحض خرافات الالحاد .. بعضهم كانوا يكتبون ... وبعضهم يلقون الخطب ... وبعضهم يؤسسون دراسات اسلامية تخصصية .. تدرس العقيدة الاسلامية .. كما تدرس العقائد الالحادية على ضوء المنهج الاسلامي النبيل .. وقصدهم جميعا اخراج فكر اصيل للناس من الكتاب والسنة ودحض الافكار الالحادية ..

وكان من بين هؤلاء المؤسس للدراسات الاسلامية شيخنا المرحوم المخلص " محمد الامين المصرى " اسكنه الله في فراديس جناته ... الذى كان رئيسا لقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة .. ولم يدخر جهدا الا بذله حتى ادخل مادة " المذاهب الفكرية المعاصرة " في برنامج الدراسات العليا لفرع العقيدة ..

وكان من توفيق الله ان أسند تدريس هذا الفرع ، فرع العقيدة ، الى أعلام من اعلام الأمة الاسلامية .. منهم الاستاذان الشيخ محمد الغزالي ، والشيخ محمد قطب ..

اما الاول فقد اسند اليه تدريس مادة (الكتاب المقدس) الجامع للمعلومات المضللة والاخبار المتناقضة ، ندرسه لكي نعرف الفرق الجوهرى بين هذا الكتاب المحرف وبين القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم .

وأما الاستاذ الثاني فقد اسند اليه تدريس مادة المذاهب الفكرية المعاصرة .. ندرسها ايضا لنتبين سبيل المجرمين والملاحدة ..

وقد ايقنت بعد موافقة اللجنة على الموضوع انني — لامحالة — مقتحم في لجج بحر لأنني بدأت اخوض في ميادين بعيدة عن مجال دراستي الشرعية البحتة التي تلقيناها في رحاب الجامعة الاسلامية شرفها الله بطيبة الطيبة .

فلذا خصصت جل" اوقاتي في مطالعة الفكر الغربي ، وقد استغرق ذلك

نصف المدة المحددة للرسالة - تقريبا - .. وكنت في ذلك استرشد بالتوجيهات القيمة والاراء المستقيمة التي كان استاذي الفاضل والمشرف على هذه الرسالة الشيخ محمد الغزالي ، يزودني بها فاطلعت على اكثر امهات النظريات والاتجاهات الأوربية في مختلف الميادين .. في العلم والسياسة .. والاقتصاد والاجتماع والأدب والفن ..

هناك كلمة يجب أن اسجلها شكرا لله تعالى الذى ابتلاني ثم عافاني .. فقد ابتلاني الله تعالى باندلاع نار كبيرة في العمارة التي كنت اسكنها فذهب ضحيتها جل من كان عندنا من ممتلكات .. فبقيت انا وعيالي في تلك الليلة وهي ليلة ٢٧ من شوال سنة ١٣٩٩ هـ بدون مأوى .. والحمد لله على ذلك ..

ثم ابتلاني ايضا في اثناء اعداد هذه الرسالة بشرود اكبر اولادي الذى غاب عن البيت اكثر من ثلاثة اعوام .. فكم من وقت استغرقناه في البحث عنه .. والشكر لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ..

ولكن كل ذلك لم ينقص شيئا من همتي ولا من عزمي الذى لا يعترف باليأس والقنوط ..

وكان من توفيقه تعالى ايضا لكاتب هذا البحث ان يلتحق بفرع العقيدة وان يختار رسالته لنيل درجة التخصص الأولى " الماجستير " في هذه المادة على يد ذلك الاستاذ الشيخ محمد الغزالي حفظه الله ..

وان كان يطيب لي ان اختار موضوعا فكريا ، ولكنني ما كنت اهتدى الى هذا الموضوع بالذات الا بتوفيق الله اولا ثم بتوجيهات هذا الاستاذ الذى كان يحرص دائما على ان نختار موضوعا فكريا للوقوف على تفاهة الالحاد والملحدين ..

ولذا اخترت هذا الموضوع : " الالحاد وأثرها في الحياة الأوربية " الغربية

وقد آثرته على غيره لعدة أسباب :

١ — تفهيم المثقفين الذين يريدون تعبيد امتنا الاسلامية للمغرب . ان ظروف اوربا التي ساعدت على ظهور الالحاد تختلف عن ظروفنا وعن طبيعة الاسلام وطبيعة تاريخنا .

٢ — تحذير الاجيال القادمة من خطورة الالحاد على الانسانية بأسرها ، وما يترتب عليها من آثار سيئة .. فأوربا — اليوم — هي الدليل ..

٣ — غموض المعنى الحقيقي لهذا الاصطلاح .. فقد غاب عن حس كثير من الناس ان الانحراف في التصور الاعتقادى وفي الشعيرة والشريعة لا يدخل في مسمى الالحاد .. انما الالحاد عندهم انكار وجود الله فحسب ..

واخيرا احمده تعالى الذى أرانى الفكر الالحادى الغربى على حقيقته حتى علمت ان هذه الافكار ليست فحسب ، مجردة من السند العلمى ، ولكنها ايضا تافهة وحقيرة ..

والذى أتمناه — بعد هذا البحث — ان يوفق الله كل شاب من شباب العالم الاسلامي ان يقف على تفاهة هذه الافكار الالحادية وعلى تخبطات رجالها التائهين الحائرين ... ويقف ايضا على طغيان الكنيسة وحماقات رجالها .. الذين جعلوا الناس — في اوربا — يشردون من ظل الكنيسة .. ومن ظل كل الدين — شرودا لا عقل فيه ولا وعى ، ولا مجال لتحكيم العقل والوعي ..

* * *

ثم بدأت الكتابة مقسما الموضوع الى ثلاثة ابواب .. ثم قسمت تلك الابواب الى جزئين :

أما الجزء الأول فيشتمل على الموضوعات التالية :

أ — التعريفات

ب — ظروف عامة ساعدت على ظهور الالحاد الحديث ..

جـ — الباب الأول

أما التعريفات فقد اثبتنا فيها ان الالحاد لفظ عربي موضوع للميل والازوار عن الوسط حسا ومعنى . وأيدنا هذا القول بشواهد من القرآن الكريم والمعاجم اللغوية ..

ثم تحدثنا عن كلمات ثلاث قد استغلها الملاحدة ابشع الاستغلال للوصول الى غرضهم الخبيث .. لانها تعبر عن المقصود دون صدام للمشاعر والاحاسيس وهي كلمة : الحضارة والتطور والعلمانية . فبينا نوايا هم الخبيثة ..

وأما الظروف .. قد تحدثنا فيها ان هذا الالحاد الأخير لا مثيل له في التاريخ فأيدنا ذلك بشواهد من التاريخ ابتداء من العصر اليوناني فالعصر الروماني — والعصر الجاهلي واخيرا العصر الكنسى .. فكل ذلك أثبت بشكل واضح ان هذا الالحاد فريد في نوعه وشكله ..

وفي نهاية هذا الفصل سيجد القارئ ان الملاحدة اتخذوا العلم الحديث سندا لاثبات الحادهم والعلم برئ من ذلك..

ثم قدمنا فكرة عامة عن أوربا الحديثة .. لأنه من المستحيل ان نقدم اكثر من موجز بسيط لقارة تضيق عنها الاسفار الكبيرة فاكتفينا بثلاث نقاط رئيسية ..

(١) — متى بدأت العصور الحديثة

(٢) — الصراع بين الدين والعقل والحس في التاريخ الأوربي

(٣) — أوربا في النهضة العلمية ... وقد اثبتنا بشواهد كثيرة من قلب اوربا نفسها ، كلها تؤكد بصورة جازمة ان الحضارة الغربية لم تأت بشيء من المجالات العلمية الا ويمكن ارجاع اصله الى مؤثرات الثقافة الاسلامية ..

وأيدنا ذلك أيضا بصور فوتوغرافية ، لتثبت أن العلم كان أهم ما جادت به الحضارة الاسلامية على العالم الحديث ...

الباب الأول : لماذا ألحد الناس في أوربا الحديثة ؟

وسيرى القارئ ان هذا السؤال قد اجيب عنه باسلوبين :

أولا : اسلوب الملاحدة الذين يرون ان سبب الالحاد هو : معارضة العلم مع الدين المبنى على الخرافة ..

ثانيا : اسلوب المفكرين الاسلاميين وغيرهم . فهم قد ذكروا في كتبهم أسبابا كثيرة فاستطعنا ان نجمع هذه الأسباب المنتشرة في ثنايا كتبهم ونقسمها الى قسمين أساسيين :

أ — أسباب ظاهرة ..

ب — أسباب خفية ..

وأما الاسباب الظاهرة وقد ذكرنا منها خمسة اشياء فهي تعتبر بحق اكبر الاسباب التي اقترنت بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر .. والتى كان لها شأن قوى في اضعاف العقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع .

وقبل ان نتحدث عن تفاصيل هذه الاسباب الخاصة بالالحاد الحديث قد تعرضنا أولا إلى السمات المشتركة بين جميع الملاحدة قديما وحديثا .. وأثبتنا ان هذه السمات توجد لدى جميع الملحدين رغم اختلاف الصور الالحادية .. ذلك ان الالحاد ليس شيئا لا يوجد الا في فترة من الزمن محدودة في ثنايا التاريخ وليس هو الشيء الذى يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادى كما يقولون .

لقد اثبتنا ان الالحاد هو رفض الاهتداء بهدى الله ، ومحاولة اقامة الحياة بمعزل عن الدين .. فهذا لا علاقة له بالبيئة والتطور الاقتصادى والاجتماعي والسياسي ..

فقد أجملنا هذه الملامح في خمسة أشياء :

(١) — كراهة ما انزل الله

(٢) — البحث عن الله عن طريق الحس فقط

(٣) — اتباع الهوى

(٤) — الانجراف في الشهوات

(٥) — وجود الطواغيت في الأرض

ثم بينا الاسباب الخاصة باوربا الحديثة فقلنا :

السبب الاول هو : الدين الذى كفرت بها اوربا وثارت عليه ٠ قد بدأنا الحديث بالتوراة المحرفة حيث اثبتنا تحريفها بعدة طرق :

١ — بالاخبار التاريخية

٢ — بالمعلومات المتناقضة المضللة

٣ — برواية الطوفان ٠٠

وقد اوضحنا ان عقيدة اليهود في الههم (يهوه) عقيدة فاسدة وكذلك عقيدتهم مع انبيائهم الذين صورهم اليهود في صور قطاع الطرق والفسقة ٠٠

وسيلاحظ القارئ وقوفنا الطويل عند طغيان الكنيسة وحماقات رجالها ٠٠ وما ذاك الا لعلمنا بأن السبب الأكبر في انحراف اوربا من صنع الكنيسة ٠٠ كما بينا ان الاسلام كما يحارب الالحاد ، يحارب ايضا الخرافات والخزعبلات ٠

السبب الثاني : قوانين المادة ٠٠ واثبتنا ان الملاحدة اتخذوا هذه القوانين التي نسميها بالسنن الربانية — سندا لتوطيد أركان الالحاد ٠٠

وتتبعنا تطورات هذه الفكرة في التاريخ ٠٠ منذ ايام علامة الفلك الفرنسي (لابلاس) المعاصر للأمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت — وأثبتنا كلمته المشهورة التي يقول فيها :

" انني لم اجد في نظام السماء ضرورة القول بتدبير اله "

ثم ذكرنا نظرية كوبرنيق ونظرية نيوتن ٠٠ واثبتنا اخيرا ان هذه القوانين لا تدل على الالحاد لو وجدت في بيئة صالحة لأنها آية تدل على وجود

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام فى حياة الجماعة نفسها وفى نداء القرآن للرسول بقوله :

﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورئيسا للجماعة المؤمنة مما يؤيد أن الاسلام لم يكن وقفا على تبليغ رسالة بل كان رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها ، سواء في وقت الرسالة أو بعده أى هو دين ... ودولة معا ...

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذى يجب أن تعلن الجهاد ضده وبين غيره الذى نكتفى فيه بالموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ..

واذا رجعنا الى كتب التفاسير ، نجد أن الراغب قد أشار الى هذه التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد الى الشرك بالله

الثانى : الحاد الى الشرك بالأسباب

---

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم : ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا ج ص

واما دور اليهود في افساد اوربا فسيجد القارئ اننا اثبتنا ان هذا الدور كان خطيرا جدا وانه كان في شيئين اثنين :

دور عملي ودور نظرى .

فالعملي يمثل الثورة الفرنسية والثورة الصناعية : قد اكدت بروتوكولات اليهود انهم كانوا وراء كل ثورة قامت في اوربا وفي مقدمتها الثورة اليهودية التي نسميها — خطأ — بالثورة الفرنسية ..

وقد اثبتنا علميا ان اليهود كانوا هم الممولين لهذه الثورة كما اثبتنا ان اليهود ايضا كانوا وراء الثورة الصناعية التي افسدت اخلاق اوربا . وقد وقفنا عندها طويلا .. وسيرى القارئ اننا اوضحنا كيف استغلت اليهودية العالمية النظريات والمنظمات السرية لنشر الالحاد في أوربا ..

ولم نكتف بما يخص اوربا فحسب بل تحدثنا عن اليد اليهودية الخفية التي كانت سببا لالغاء الخلافة الاسلامية .. وقد بينا الوسائل التي اتخذوها للوصول الى هذا العمل الاجرامي الخطير ... كاستغلالهم هذا الشيطان الكبير مصطفى كمال واستغلال الصليبية واستغلال القومية العربية ..

وأما السبب الثاني من اسباب الالحاد الخفية هو : رجوع أوربا الى ارثها الوثني اليوناني القديم ..

وقد بينا ان الملاحدة لم يكونوا يريدون الخير للانسانية والالرجعوا الى الدين الاسلامي بعدما رفضوا المسيحية الظالمة ..

الى الاسلام الذى يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم .

ولكن الالحاد منعهم من كل ذلك..

وبهذا انتهينا من الجزء الأول من هذا البحث .

الجزء الثاني : يشتمل على الباب الثاني والباب الثالث

الباب الثاني :
موضوعه مناقشة الملحدين •

ان هذا الباب من اهم الابواب في الموضوع وقد رأيت أن اقسمه الى ثلاثة فصول ولكن قبل ان ادخل في تفصيل ذلك مهدت له تمهيدا وقلت : اننا عندما نحاول مناقشة الملحدين في انكار وجود الله لا لكونها ادلة قائمة على الحق : وانما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة •• والا لا يوجد احد على الاطلاق أن يثبت انكاره لوجود الله بدليل • كما لا يستطيع احد ان ينفي فكرة الله بدليل •• ولكن لما تسربت هذه الافكار الى عقول بعض الناس فألحدوا ، كان واجبا على أن نقوم — بدورنا — لتحطيم هذه الأفكار الخبيثة في القلوب ••

الفصل الأول :
تحدثنا في هذا الفصل عن بعض مستندات الملاحدة •• واكتفينا بمناقشة ثلاثة منها لانها تعتبر اهمها واشهرها وهي :

(١) اصل الكون ونصيب الصدفة منها

(٢) نشأة الحياة وتنوعها

(٣) الدين يتعارض مع العلم الحديث

وقد ناقشنا أولا اصل الكون وسيرى القارئ ان الملاحدة ليس لديهم برهان يقيني في اصل الكون وانما قدموا للناس ثلاثة فروض كل واحد منها ينقض الاخر •• وما اكتفينا بنقض هذه الفروض فحسب بل أبرزنا لهم وجهة نظر القرآن في هذا الباب •

الفصل الثاني :
ناقشنا الملاحدة في نشأة الحياة وتنوعها • وأبطلنا جميع ادلتهم فيه حتى تبين انهم يهربون من الأمر الواقع وهو وجود الله •

وتحدثنا ايضا عن روسيا في محاولتها امكانية نشأة الحياة كيماويا كدليل تثبت به مذهبها الالحادي •• وسيرى القارئ انها فشلت في ذلك فشلا ذريعا ••

وناقشناها مناقشة هادئة حتى لم يبق امامها أى مخرج أو منفذ ..

وفي النهاية قررنا ان نشأة الحياة شيء استأثر الله بعلمه . وايدنا ذلك بآيات قرآنية واقوال بعض العلماء المنصفين من الأوربيين ..

الفصل الثالث :
موضوعه الدين يتعارض مع العلم الحديث .. وسيرى القارئ اننا سقنا أولا ما يعتبره الملاحدة كدليل يثبت مزاعمهم هذه ، ثم ناقشنا هذه الأدلة واحدة اثر واحدة حتى لا يستطيع ملحد مهما كان بلغ عتوه أن يتفلت منا .

وبينا ان مصدر الضلال عند الملاحدة هو طريق الاستدلال العلمي وذلك ان هذا الطريق لا يعتبر شيئا علما الا اذا كان كيلا اوموزونا ، أو ما يدخل تحت التجارب الحسيّة .

وقد فندنا هذا الادعاء بالعلم الحديث نفسه وبالقرآن أيضا .

* * *

الباب الثالث :
موضوعه : اثار الالحاد في الحياة الاوربية .

لقد رأيت منذ وضع خطة الموضوع انه لا ينبغي بحث الالحاد بصفته مذهبا فكريا تافها دون التعرض لاثارها في الحياة الاوربية ..

والحق ان تتبع اثار الالحاد جدير برسالة مستقلة لكنني ارجو ان اكون قد وفقت لعرض نماذج منها مع مراعاة حجم هذه الرسالة ومدتها ..

ان الذى يتبع آثار الالحاد في أوربا ، يجد انهم يعيشون في ضنك شديد لأنهم قد سلموا قيادتهم للغريزة الجنسية حين قصروا غاياتهم في الاشباع المادى .. فصاروا أضل من الأنعام ..

وقد قسمت هذا الباب الى ثمانية فصول .. لأنه هو الباب الرئيسي في

الموضوع .. ذلك ان صلاحية المذهب لا تتبين لكل الناس الا بالاثار .. فسيرى القارئ الويلات التي جلبتها الافكار الالحادية الى اوربا ثم عمت مصائبها العالم بأسره ..

الفصل الأول : قد مهدت له بالحديث عن فساد اخلاق اوربا وان حضارتها قد انشئت على قواعد خاطئة .. ولكنها لا تدرى ان الفساد من اصل حضارتها .. فتجدها — دائما — تحاول معالجة الفروع .. وأيدنا هذا التقرير بشواهد من الواقع المؤلم ومن القرآن الكريم .

وقد تحدثنا في هذا الفصل عن آثار الالحاد في الفكر الغربي وأثبتنا أن هذه الافكار جاءت عن طريق عدد من فلاسفة أوربا منهم ديكارت صاحب المذهب الاستنباطي وفرنسيس بيكون صاحب المذهب التجريبي .. كما تحدثنا عن آثار الالحاد في فكر عمانويل كانت وأوجست (كانت) وفكر هيوم الملحد ..

ثم وقفنا وقفة يسيرة مع رواد الفكر الغربي هم :

دارون وفرويد ودوركائم وكارل ماركس

واختتمنا هذا الفصل بالمذهب البراجماتزمي الذى تتبناه اليوم الولايات الامريكية .

الفصل الثاني : آثار الالحاد في الحكم والسياسة .

اثبتنا فيه ان اوربا لم تعرف دين الله الحق وان شريعة المسيحية لم تطبق في عالم الواقع . فجاء عصر التنوير للقضاء على البقية الباقية وايدت هذا التقرير باقوال بعض المفكرين كامثال ابي الحسن الندوى .

ثم قررنا اول من دعا الى عزل الشئون الاجتماعية عن فكرة التدين هو " ميكيافللى " ثم تحدثنا عن مظاهر الالحاد في المذاهب الجديدة ..

ثم لم نكتف بذلك ولكننا تحدثنا ايضا ان المساواة التي تدعيه

الديمقراطية حبر على ورق ودليلنا في ذلك الدول الديمقراطية نفسها حيث انقسم الناس هناك الى فقراء واغنياء ..

وبينا هنا ان الحرب الفيتنامية التي دخلتها امريكا تتنافى مع الديمقراطية والمساواة .

واخيرا اثبتنا ان مما يتنافى مع المساواة والحرية والاخوة التوسع في بيع العبيد الذى قامت به أوربا وامريكا ..

الفصل الثالث :
موضوعه : الخمر وعجز القوانين الوضعية

وقد اثبتنا في هذا العجز ان الانسان عاجز ان يجعل لنفسه منهاجا يسير في ضوئه في حياته .. واستدللنا على ذلك ان امريكا قد فشلت في ذلك بحيث منعت شرب الخمر لمدة لا تقل عن اربعة عشر سنة ثم عادوا لشربها بشكل فظيع ثم قارنا بين التجربة الامريكية وبين التجربة الاسلامية فتبين ان الانسان عاجز ان يضع لنفسه منهاج حياته وان أصر على ذلك فهناك اضطراب وتيه .. وشقاوة وأيدنا هذا التقرير بقول الدكتور الكسيس كاريل القائل : ان جهلنا مطبق .

الفصل الرابع :
مشكلة العقوبات في القوانين الوضعية .

قمنا بالمقارنة بين نظرية العقوبات الشرعية الاسلامية وبينها في القوانين الوضعية .. سيجد القارئ ان الفرق بينهما بون شاسع ..

ثم استشهدنا بالمملكة العربية السعودية التي لم تزل تنفذ العقوبات الشرعية واثبتنا ان معدل الجرائم فيها اقل بكثير من الدول المتحضرة ..

الفصل الخامس :
ظهور اثار الالحاد في الدول الكبرى .

وقد اتينا بتقارير صارمة تبين ان فوضى الجنسية هي التي بدأت تهلك أمم الغرب .. أتينا بشواهد من فرنسا وبريطانيا وروسيا وامريكا وغير ذلك ..

الفصل السادس : اسباب تدنير الأمم والشعوب .

قد اثبتنا ان جريمة الشعب أو الأمة هي سبب هلاكها ..

واستشهدنا على ذلك بآيات كثيرة من القرآن الكريم .

كما اثبتنا انه ليس المراد بهذا الهلاك والتدمير ان تقلب طبقات البلاد بل من صور الهلاك ان يشتت أمر الأمم وتكسر قوتهم الاجتماعية وتضرب عليهم الذلة والعبودية والخزى ..

الفصل السابع : عقوبة الفطرة .

فقد اتينا بتقارير صحيحة ما يجرى في عروق الملاحدة من عقوبة .. وسيجد القارئ ما تكبدته البشرية في الحرب العالمية الاولى .. وما يجرى في فرنسا حتى اصبحت بعض النساء تنتحر .. وذكر ما في سائر الدول الغربية وما اشتق منها من امبريكا وروسيا ..

وتعرضنا على الاستعدادات الحربية التي توجد اليوم في أمم الغرب انتظارا للحرب العالمية الثالثة .

الفصل الثامن : موضوعه : حضارة لا تلائم الانسان .

تحدثنا عن الشروط اللازمة للمجتمع المتحضر .. ثم قارنا بين المجتمع الغربي والمجتمع الاسلامي فاتضح ان المجتمع الغربي مجتمع متخلف .

وأيدنا هذا التقرير بشواهد من العلماء الأوربيين وغيرهم .

وأخيرا تحدثنا عن كيفية الخلاص من الالحاد ..

وسيرى القارئ اننا اثبتنا ان الايمان العميق الذى لا يعترف بشك ومعرفة صفات الله تعالى كما أخبر بها القرآن من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف .. هما طريق الخلاص من الالحاد ..

كما سيرى القارئ اننا اثبتنا بالأدلة الصارمة ان الملحد والنافي لصفات الله يلتقيان في النهاية على نقطة واحدة فالملحد يؤمن بقوة مطلقة

سماها الطبيعة . والنافى كذلك يؤ من باله قد جرد من جميع صفاته حتى صار قوة مطلقة .. وأيدنا هذا التقرير بشواهد عديدة من القرآن ومن أقوال العلماء المحققين .. فكان هذا نهاية هذا البحث .

والحق ان تضخم حجم الرسالة مع انتهاء المدة المقررة لها قد حالا دون الافاضة والتفصيل في بعض الموضوعات لا سيما ما يتعلق بآثار الالحاد في العالم الاسلامي المعاصر ..

كما حالا دون الاسترسال في الخاتمة .

وحرصا على ان يستفيد القارئ من شرح بعض الكلمات وأعلام الانسان والبلدان استعملنا الرقمين : العربي والافرنجي . أما العربي فللاشارة الى المراجع في الهامش وبعض الاعلام تارة ...

وأما الافرنجي فللاشارة الى الحواشي التي سيجدها القارئ بعد كل باب .

وكل ما أرجوه هو ان يتقبل الله مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .. وأن يسهل الطريق لكل من يريد ان يسلك هذا الطريق من بعد لنصل الى تحطيم جميع الأفكار الالحادية والنزيل الغبش عن هذه الشريعة الاسلامية الغراء .

(شكر وتقدير)

واني اذ اشكر الله تعالى على توفيقه وكرمه لأشكر من بعده فضيلة الشيخ العباد الذى كان نائبا في الجامعة الاسلامية وفضيلة الشيخ النائب الحالي في الجامعة المذكورة الشيخ (زائد) وسعادة وكيل جامعة أم القرى الدكتور راشد الراجح ، وسعادة عميد الكلية الدكتور عليان محمد الحازمى وفضيلة المشرف على هذه الرسالة الشيخ محمد الغزالي وكل من أسهم بجهده المشكور في شيء منها

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

نحب في مطلع هذا البحث ، القاء الضوء على الأصل اللغوي لكلمة (الحاد) التي شاع استعمالها في العصر الحديث .. اذ الوضع المنطقي السليم في ترتيب أعمالنا العقلية يقتضينا أن نبدأ - أولا - بمعرفة عناصرها العامة ، قبل أن نأخذ في البحث عن مميزاتها ومشخصاتها .. (١)

فمن أحب - مثلا أن يتعرف كنه الالحاد أو المذاهب الهدامة التي ظهرت في الوجود ... يجمل به أن يوفر همته - قبل كل شيء - على تعرف المعنى الكلّي الذي يجمعها ، والقدر المشترك الذي تنطوي عليه في جملتها .. اذ أنه من الواضح أنه وان تفاوتت أنواع الالحاد ومظاهرها في جميع الحياة الأوربية . فلا بد أن تكون هناك وحدة معنوية تنتظمها ، ويعبّر عنها بهذا الاسم المشترك ..

فما هي تلك الوحدة ؟

ما الالحاد ؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا ، ونحن على عتبة باب البحث في الالحاد وآثارها المدمرة في الحياة الأوربية .

---

(١) راجع كتاب الدين ، دكتور محمد عبدالله دراز ص٢٨ ط : دار القلم .

من العقيدة والحكم والسياسة ... والاجتماع والأخلاق .. والعلم وطريقة الاستدلال العلمي . والأدب والفنّ وكل شيء ..

وللاجابة على هذا السؤال يتطلب منا الرجوع الى معاجم اللغة العربية للنظر في كل من الاشتقاق ، والمعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحي:

أولا : الاشتقاق :

بيانه أن كلمة (الالحاد) تؤخذ تارة من أصل رباعي (ألحد يلحد الحادا) وتارة من فعل ثلاثيّ (لحد يلحد لحدا). (١)

والمعلوم من القواعد الصرفية ، أن الصور المعنوية التي تعطيها صيغة من الصيغ ، تختلف باختلاف الاشتقاق . ولكننا من الموافقات العجيبة نجد الوزنين (الرباعيّ والثلاثي) هنا يؤديان معنى واحدا بصرف النظر عن اختلافهما في الوزن ...

وعلى هذا الأساس ، اتفقت كلمة المفسرين واللغويين على صحة قراءتي الضم والفتح في قوله تعالى (٢) : ﴿ لسان الذى يلحدون اليه ﴾ .. فقالوا : ان (الالحاد واللحد) بمعنى واحد في هذه الآية . ان هذا لغريب جدا في اللغة العربية .. (٣)

---

(١) راجع لسان العرب ج ٣ ، ص ٣٨٩ مطبعة دار صادر ، راجع تاج العروس من جوهر القاموس ج ٢ ص ٩٣ مطبعة منشورات دار كتب الحياة ، يراجع أيضا قطر المحيط بطرس البستاني ج ٢ ص ١٩٣٠

( ) يراجع أيضا أساس البلاغة للزمخشري ج ١ ص ٥٦٠ مطبعة دار صادر بيروت.

(٢) الآية في سورة النحل ١٠٢

(٣) الكشاف للزمخشري ص ١٣٢ ج ٢

ولكن ليس معنى ذلك أن الوزنين في درجة واحدة في الاستعمال،
فلفظ (الالحاد) أكثر استعمالا في كلامهم من لفظ (اللحد) لقولهم :
(هذا ملحد) ولا تكاد تسمع العرب يقولون : (هذا لاحد) بمعنى الانحراف
عن الايمان [1] ... وأما الوزن الخماسي : (التحد) ان كان يستعمل
أيضا في معنى (ألحد ولحد) ولكنه يزيد عليهما أنه يستعمل في
معنى (اللجوء) كما في قوله تعالى : ﴿ ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ [2]
أي ملجأ .

فتلك هي أهم ما تؤخذ منه هذه المادة ..

ونستخلص من ذلك الى القول : ان هذه المادة لها ميزة فريدة
وهي عدم وجود اختلاف في معانيها رغم اختلاف أوزانها واشتقاقاتها
وعلى هذا نستطيع أن نقول : (ألحد فلان ولحد والتحد) بمعنى
واحد وهو الانحراف عن الوسط والعدول عن الحق أو الميل
عن القصد ...

ثانيا : المعنى اللغوي :

(الالحاد) لفظ عربي موضوع للميل والازورار عن الوسط حسا
ومعنى ولا بد من توضيح ذلك بضرب أمثلة بسيطة :

---

(١) تفسير المنار ، رشيد رضا ج ٩ ص ٤٤١

(٢) في سورة الجن الآية ٢٢

(٣) وراجع تفسير البحر المحيط تاليف محمد بن يوسف ج ٤ ص ٤٢٨

ح

وأمّا الحسيّ ، منه قولهم : " لحد القبر للميت "

أوقولهم : " ألحد السهم الهدف " أى مال فى أحد جانبيه ولم يصيب وسطه (١) .

المعنوى :

وأما المعنوى فهو: لما كان خيار الأمور أوسطها ، كان الانحراف عن الوسط مذموما ومنه أخذ التعبير عن الكفر والتعطيل والشك فى الله تعالى بالالحاد وسمى ذووه الملاحدة أو الملحدون وذلك على حد قول أبى عمر الذى يقول : " ان الالحاد هو العدول عن الاستقامة والانحراف عنها " (٢)

وانطلاقا من نفس هذا المفهوم المعنوى يرى الأعمش أن المعنى الحقيقى للالحاد ، هو التكذيب ، وأما قتادة يرى أن معناه هو: الاشراك ..

هكذا رأينا أن الالحاد يطلق لغة على الميل الحسيّ أو المعنوى اذ المعنى العام هو الميل عن القصد والهدف ومنه قوله تعالى :

﴿ ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾

أى العدول عن القصد والاستقامة المعنوية ، وهى تشمل جميع الآثام وجميع أنواع الظلم حتى احتكار الطعام فى الحرم (٦) .

---

(١) تفسير النسفى الجزء الأول ص ٦٦

(٢) راجع تفسير المنار - رشيد الرضا - ج ٩ ص ٤٤١

(٣) المرجع السابق ص ٤٤٢

(٤) المرجع السابق

(٥) الاية من سورة الحج ٢٥

(٦) للحديث الشريف " احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه) رواه أبو داود باب مناسك ص ٨٩

٥

يقول ابن جرير الطبرى (١) (أصل الالحاد فى كلام العرب : العدول عن القصد والاعراض عنه ثم استعمل فى كل معوج غير مستقيم) وهذا هو المعنى الواسع الذى فهمه الصحابى الجليل ، عبدالله بن عمر رضى الله عنهما الذى كان يعتبر كلمة " لا والله " الحادا فى الحرم . فاتخذ لنفسه فسطاطين : أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم . فاذا أراد أن يصلى صلى فى الذى فى الحرم ، اذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الذى فى الحل ، فقيل له : فقال : " نحدث أن من الالحاد فيه ، لا والله ، بلى والله " (١).

مثال آخر يؤكد أن هذا الفهم العميق لمعنى الالحاد لم يكن مقتصرا على ابن عمر وأمثاله ولكنه كان فهما شائعا عند جل الناس . منهم (عبد بن حميد (٣)) الذى صح أن معنى الالحاد هو الذنوب كلها بدون استثناء فقال : " ما كنا نشك أنها الذنوب ، حتى جاء أعلاج من أهل البصرة الى أعلاج البصرة الى أعلاج من أهل الكوفة فزعموا أنها الشرك " (٢).

وهذا الفهم كان شائعا أيضا حتى عند الشعراء فلنسمع الى حميد بن ثور :

قدنى من نصر الخبيبين قدى (٤) ليس الامام بالشحيح الملحد

أى الجائر في مكة . والمراد بالامام هنا عبدالله بن الزبير (٣).

---

(١) الطبرى ج ٩ ص ١٣٤
(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩
(٣) تفسير روح المعانى الآلوسى ج ١٧-١٨ ص ١٤٠
الخبيبان : عبدالله بن الزبير وابنه خبيب راجع فاكهة البستان ص ١٣٨
(٤) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

وأنشد الأزهري (4) في المعنى نفسه :

لما رأى الملحد حين ألحما   صواعق الحجاج يمطرن الدما (١)

فاطلاق الالحاد هنا على ابن الزبير (5) دلالة واضحة على أن كلمة الالحاد تستعمل في جميع المعاصي ، لأنه لم يعرف أن ابن الزبير كان ينكر وجود الله تعالى ..

وكما يدل على أن الوحدة المعنوية التي تربط جميع أصناف الالحاد وأشكاله هو الميل عن القصد .

فالالحاد لغة : يتناول التحريف في أسماء الله كما فعل ذلك المشركون في مكة حيث حرّفوا اسم الجلالة " الله " باللات (6)

و " المنان " بالمناة (7)

و " العزيز " بالعزى .. (٢) (8)

كما يتناول كل من يلحدون في تصورهم لحقيقة الألوهية (على الاطلاق) والذين يدعون له الولد ، وكما ينسحب على الذين يدعون أن مشيئة الله ـ سبحانه ـ مقيدة بنواميس الطبيعة الكونية .

وكالذين يدعون له كيفيات أعمال تشبه أعمال البشر وهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ..

---

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

(٢) في كتب التفسير الآتية :

تفسير الطبري أبي محمد بن جرير المتوفى (٣١٠هـ) ج ٩ ط ٢ ص ١٢٣

تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوي الجزء الرابع ص ٢٣٩

وكالذين يدعون أنه ـ سبحانه وتعالى ـ اله في السماء وفي تصريف نظام الكون وفي حساب الناس في الآخرة ولكنه ليس الها في الأرض ولا في حياة الناس ويقولون (أعط لقيصر ما لقيصر وما لله لله) • أو يطالبون بفصل الدولة عن الدين ... (١)

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾ (٢)

فكل هذا الحاد في الله وفي اسمائه وآياته وصفاته وأحكامه يقول تعالى :
﴿ ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾ (٣)

والمسلمون مأمورون بالاعراض عن هؤلاء كلهم واهمال شأنهم لأنهم موعودون بجزاء الله لهم ما كانوا يعملون •

يقول الله تعالى : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ (٤) .

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب ج ٧ ـ ٩ ص ٦٣ طبعة اولى
و تفسير القرطبي الجامع لاحكام القرآن ، الى عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ج ٧ ص ٣٢٨
و التفسير الكبير الفخر الرازي ج ١٥ ص ٧١
(٢) الاية في سورة المائدة / ٥٠ .
(٣) فصلت / ٤٠ .
(٤) الاعراف / ١٨٠

تحديد معنى الالحاد الاصطلاحي

وفي الاصطلاح عرّفه الباحثون بتعريفات كثيرة متقاربة ، تدور حول الغرض المبدئي منه الذي هو العدول عن الحق والاستقامة فمن قائل بأن الملحد : " هو العادل عن الحقّ المدخل فيه ما ليس منه " (١)

ومن قائل : انه : " هو الذي أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين الى دين ... " (٢)

ومن قائل : الملحد : "هو الذي يشك في الله" (٣)

وأما صاحب المعجم الفلسفي فهو يرى أن أحسن تحديد لهذا اللفظ اطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله تعالى لا على المذهب الذي ينكر بعض صفات الله أو يخالف معتقدات دينية أو رأيا اجتماعيا مقررا :

فلذلك يقول : " فالفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان المادة وجودا مطلقا ، وانما هو علة الحركة والحياة والفكر .

والدهريون ملاحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه بما فيه مبني على الاتفاق ولكن اذا قال الفيلسوف :

" ان الأجسام لا تحشر أو قال : ان الله لا يعلم الجزئيات كان كافرا بأصل من أصول الدين لا ملحد " .

---

(١) راجع تفسير الكشاف للزمخشري ج ٢ ص ١٣٢

(٢) راجع لسان العرب ص ٣٨٨ ج ٣ والتفسير الكبير للفخر الرازي ج ١٥ ص ٦٧

(٣) راجع لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٨ .

" وكذلك اذا قال : بوحدة الوجود ، فان هذا القول لا يستلزم انكار وجود الله ولا يجعل صاحبه ملحدا " (١)

ومن تأمل فى هذه التعريفات يجد بينها تقاربا شديدا ولا منافاة بينها . وبيان ذلك : ان بعضهم عرف (الملحد) بالمعنى العام للالحاد والبعض الآخر عرّفه بالمعنى الخاص المشهور فى العصر الحديث " .

ولكننا نستطيع أن نوضح أقوالهم على النحو التالى :

ان الالحاد يطلق على كل ظلم وكل جور ، ثم شاع استعماله فى انكار وجود البارى حتى أصبح عند اطلاقه لا يفهم منه الا ذلك المعنى بعد أن كان يستعمل فى كل انحراف وتحريف .

فلذا نجد الشيوعيين يعرفون الالحاد بالتعريف التالى :

الالحاد عبارة " أن لا اله والكون مادة " . (٢)

ان هذه الخرافة ليست عندهم شعارا مجردا بل مادة دستورية فى قانون الاتحاد السوفييتى ..

فيه أنكروا جميع المبادئ السامية والعقائد الدينية ..

فهذا البحث معنيّ – اذن – بهذا التعريف الخاص الذى غيّر وجه التاريخ الانسانى . وله فى كل شئ من الشئون الأوربية مظهر ، مظهر فى الحكم والسياسة .. مظهر فى العلم وطريقة الاستدلال العلمى ..

---

(١) المعجم الفلسفى :

(٢) بؤس الفلسفة كارل ماركس ص ١١٢

مظهر فى الانحلال الخلقىّ والتفكك الأُسرى • مظهر فى الاقتصاد والبنوك •• مظهر فى الأدب والفن •• وفى كل شىء ••

فمهمتنا — اذن — فى هذا البحث ليست يسيرة ، لأن علينا أن نخوض معركة ضارية شرسة مع الملاحدة فى تصوراتهم الخاطئة نحو الأديان ونحو الانسانية التى أصبحت عندهم لا فرق بينها وبين الديدان والفئران بل جعلوها حيوانا اقتصاديا أو حيوانا ماديا على حدّ زعمهم •••

موقف البشرية اليوم من الالحاد

ان هذه الرؤية الصادقة لمعنى الالحاد ، تفيدنا من معرفة موقف البشرية اليوم من الالحاد الذى يتمثل فى الدينونة لغير الله — سبحانه وتعالى من الأرباب المتفرقة — . لا فى الشعائر التعبدية وحدها ولا فى الاعتقاد القلبى وحده ولكن فى الحاكمية والاتباع والطاعة أيضا ...

وقعت البشرية اليوم فى الحاد — حسب المفهوم اللغوى السابق ، يتمثل فى صور شتى ...

بعضها يتمثل فى الحاد بالله سبحانه وتعالى ، وانكار لوجوده ... فهو الحاد اعتقاد وتصور كالحاد الشيوعيين ...

وبعضها يتمثل في اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه وانحراف في الشعائر التعبدية ، وفي الدينونة والاتباع والطاعة :

كالحاد الوثنيين من الهنود وغيرهم من عبادة الأصنام فى أفريقيا وكالحاد اليهود والنصارى كذلك .

وبعضها يتمثل فى اعتراف صحيح بوجود الله تعالى وأداء للشعائر التعبدية ، مع انحراف خطير في تصور دلالة شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مع استيراد القوانين الوضعية من الشرق أو الغرب لتطبيقها في بعض قطرنا الاسلامى ...

وذلك كالحاد بعض من ينتسبون الى هذا الدين العظيم (الاسلام) مع سوء فهم لمعنى الشهادتين ...

وكلها الحاد فى الله تعالى

وكلها كفر بالله تعالى

وكلها شرك به سبحانه وتعالى

ان رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح ، تؤكد لنا أن البشرية اليوم — الا ما شاء الله — قد ارتدت الى جاهلية شاملة ان صح التعبير ، وأنها تعانى رجعية نكدة الى الجاهلية التى أنقذها منها الاسلام مرات متعددة ، على يد سيدنا نوح ومن تبعه .. كان آخرها/الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم .

فعلى المسلمين اذن — أن يبدؤا فى دعوة البشرية من جديد الى الدخول فى الاسلام كرة أخرى والخروج من هذا الالحاد الشامل النكد الذى ارتدت اليه .

فعليهم أن يحددوا للبشرية مدلول الاسلام الأساسى :

" وهو الاعتقاد بألوهية الله وحده

وتقديم الشعائر التعبدية لله وحده

والدينونة والاتباع والطاعة والخضوع فى أمور الحياة كلها لله وحده ...

وأنه بغير هذه المدلولات كلها لا يتم الايمان الحقيقى بالله ... وان تخلفت احدى هذه المدلولات كتخلفها جميعا ، يخرج الناس من الايمان الحق الى لوثة الالحاد .. والى الشرك والكفر ...

انها دورة جديدة من دورات الالحاد

التى تعقب الاسلام — بمعناه العام

فيجب على المتخصصين — كما قلنا — أن يقوموا لتعرية زيفها والوقوف

أمامها ويواجهوها بدورة من دورات الايمان ليخرجوهم من عبادة العباد الى عبادة الله وحده •

ان هذا الحديث يقودنا الى تبيين موقف الاسلام من الالحاد ليعلم المؤمنون أن أول عدو للمسلمين هم الملاحدة المعاصرة ••

موقف الاسلام من الالحــــاد

ان (الالحاد) خطر على البشريـة كلها ، وليس خطرا علــــى (الجماعة الاســلامية) وحدها • من هنا كان موقف الاسلام منـــه عدم المهادنـة •••

ان عدم مهادنة(الالحـاد) دعـوة لدفـع الخطر المحدق بالانسانية كلها ،طـاب الاسلام من المسلمين القيام بها •

وفي دفع هذا الخطـر ، اقرار للسلم :واستقرار للجماعة الاسلامية وكفالة اقرار السلم العالمى جانب من رسالة الجماعـة الاسـلامية فى نظـر الاســلام ••

ومن هنا كان دفع هذا الخطر فرضا ملازما لقيام الجماعة الاســلامية فـــى أطوار حياتها وفى كل أجيالها • وعليها أن تكون متهيئــة بصفـــة مستمرة للقدرة على دفعــه ••

وفى ذلك يقول تعالى :

﴿ كتب عليكم القتال وهو كـره لكم وعـسى أن تكرهوا شيئا وهـــو خـير لكم وعـسى أن تحبوا شـيئا وهو شرٌ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (١)

هذا التهيؤ والاعـداد لدفـع خطر (الالحاد) الذى يتمثل فى الكفر بالله وعدم الايمان واليوم الآخر • وهو ذلك المبدأ المعروف فى الاسـلام بمبـدأ (الجهاد) •

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام في حياة الجماعة نفسها وفى نداء القرآن للرسول ﷺ بقوله :

* يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير * (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورئيسا للجماعة المؤمنة مما يؤيد أن الاسلام لم يكن وقفا على تبليغ رسالة بل كان رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها ، سواء في وقت الرسالة أو بعده أى هو دين ... ودولة معا ...

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذى يجب أن تعلن الجهاد ضده وبين غيره الذى نكتفى فيه بالموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ..

واذا رجعنا الى كتب التفاسير ، نجد أن الراغب قد أشار الى هذه التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد الى الشرك بالله

الثانى : الحاد الى الشرك بالأسباب

---

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم : ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا ج ص

فالأول ينافي الايمان ويبطله .. (وهو الذى يجب على المؤمنين أن يقاوموه بالجهاد والتضحية).

" والثاني يوهن عراه ولا يبطله .. هو النظر في الأسباب مع الغفلة عن كونها من خلق الله وتسخيره .. "

اذن هذا النوع من الالحاد — وان كان يتناوله مسمى الالحاد — لا يجب فيه الجهاد في سبيل الله .. ولكنهم داخلون في التهديد الرباني المخيف ﴿ ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾ (١)

كلمات مزيفة

هناك كلمات قد استغلها الملاحدة أبشع استغلال .. استغلوها للوصول الى أغراضهم الالحادية ، لأنها تعبّر عن المقصود دون صدام للمشاعر والأحاسيس .

وتحت شعارات هذه الكلمات تجرى وسائل الاقناع المختلفة لتحقيق نشر الأفكار الالحادية المسمومة في العالم ، في الشرق والغرب ، في كل مكان .. (٢)

---

(١) الآية في سورة فصلت/٤٠

(٢) أساليب الغزو الفكرى في العالم الاسلامي ، تأليف الأستاذين د. على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق ص (٥٩) .

فمن واجبنا — اذن — أن نقوم لاستبانة تزييفهم ومخططاتهم المنحرفة عملا بقول الله تعالى الذى ذكرناه سابقا .

﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾

فما هى — اذن — هذه الكلمات ؟

انها كلمة الحضارة والعلمانية والتطور ، فلنحط ..

كلا .. كلمة ..

أولا : كلمة الحضارة : / La Civilization

الحضارة لغة : الاقامة فى الحضر بخلاف البداوة (١) ، قال القطامى :

فمن تكن الحضارة أعجبته فأى رجال بادية ترانا (٢)

والحاضر خلاف البادى . وفى الحديث : " لا يبيع حاضر لباد " (٣)

فالحاضر هو : المقيم فى المدن والقرى . والبادى هو : المقيم بالبادية .

---

(١) راجع لسان العرب المجلد الرابع ص ١٩٦

(٢) المرجع السابق راجع ايضا قاموس الفرنسي العربي سترى الياس ١٩٧٥

(٣) الحديث أخرجه البخاري في باب الشروط

الحضـارة فى الاصطـلاح :

ان الحضارة عند الاجتماعيين الأوربيين ، تعنى الحالة الراقيـــة التى توجـد عليها الأمـم تحت العلوم العالية والفنون الجميلة والصنائـــع المناسبة "(١).

فعلى هذا نعلم ، أن معنى الحضارة عندهم ، غـاية تتدرج الأمم فى الوصول الى أوجها الأعلى تحت تأثير العلوم والفنون والصنائـع . وتكــــون آصرة التجمع فيها هى الأرض والجنس واللون فحسب .

ان هذا المعنى — وان كان هزيلا — لا يدل — بادئ ذى بدء — على رفض الايمان وانكار وجود الله تعالى .

فالمسلمون قد عرّفوا هذا المفهوم من الحضارة قبل أو ربما بل هم الذين نقلوا كنوز القدامى الى بلاد الغرب .. وقد أجمع المؤرخون المنصفـــــون على أن أول من عـرّف الحضارة بمفهوم يقارب المفهـوم الحالى هو رجـــل مسلم قد عرّفـه العالم حتى الأعداء بعمق آرائه وصحـة اتجاهاتـــــه فى تقرير القواعد العلمية وخاصة فى علم الاجتماع والتاريخ . ذلك الرجـل هـو " ابن خلدون "(٢).

وقد أدرك هذه السمة المميزة في تاريخ الاسلام ، كل باحث فى هذا التاريخ حتى المستشرقون الذين نصبوا أنفسهم لهدم هذه الركيـــــزة الكبرى .

---

(١) راجع مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام : يوسف كمال ص ١١

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون .

وهذا المستشرق " جب " يقول فى كتابه : " الاتجاهات المعاصرة فى الاسلام " :

" أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبى الى أوربا فى العصور الوسطى " (١).

ويقول " بريفولت " فى كتابه " بناء الانسانية " :

" لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ... ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد الى أوربا الحياة ، بل مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة أشعتها الى الحياة الأوربية .

ولكن على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة .

فان هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون ، وأهم ما تكون ، فى نشأة الطاقة التى تكون ما للعالم الحديث من قوة متميزة ثابتة ، وفى المصدر القوى لازدهاره : أى فى العلوم الطبيعية وروح البحث العلمى ".

---

(١) راجع كتاب هل نحن مسلمون للأستاذ محمد قطب ص ٦٢

(٢) راجع الكتاب السابق .

بهذه الشهادات ندرك أن الحضارة - كما عرفه الاوربيون الاجتماعيون - قد سبق اليها المسلمون ومع ذلك ظلوا مؤمنين بالله سبحانه . ذلك ان الاسلام "دين لا يسمح لمطالب الروح أن تطغى على مطالب الجسد وبالعكس أيضا . " دين يجعل كل دقيقة من دقائق هذه الحياة متصلة بعضها ببعض برباط الدين"(١) على حد تعبير المستشرق ويقول جرونيباوم (Von Grunebaum) في كتابه (الاسلام) ..

اذن ان الحضارة بهذا المفهوم السابق لا يتعارض مع الدين الاسلامي وسيأتي تفاصيل ذلك ، وبعد هذا ننتقل سريعا الى تعريف الحضارة عند الملاحدة الماديين لكي نضع أيدينا على نقطة الضلال فيها .

---

(١) بناء الانسانية تأليف بريفولت ، ص ٢٠٢

(٢) راجع المرجع نفسه ص ١٩٠

وراجع أيضا الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص٣٣

مفهوم الحضارة عند الماديين المعاصرين

ان أصحاب الحضارة المادية في أوروبا وغيرها ، يرون أنهـــا نفى للدين من تلقاء نفسها لأنها جاءت لتطهير الانسان من دنس الأديان والمعتقدات القديمة .

هذه هي نظرية " أوجست كونت "(١٥) . فقد ذهب هذا الفيلسوف الى أن الحضارة الانسانية قد مرت بأدوار ثلاثة :

أولا : دور الفلسفة الدينية . أو المرحلة اللاهوتية

ثانيا : دور الفلسفة التجريدية . أو المرحلة الميتافيزيقية (Positive Stage)

ثالثا : دور الفلسفة الواقعية . أو المرحلة الوضعية .

وهذا الدور الثالث — في نظره — هو آخر الأطوار وأسماها ، وفي هذه المرحلة ، على حد زعمه لا تذكر الأرواح والالهة و القوى المطلقة .

---

(١) ترجمة أوجست كونت ولد سنة ١٧٩٨ وتوفى سنة ١٨٥٧ م هو فيلسوف فرنسي شهير أسس الفلسفة الوضعية أو الحسية ثم هو واضع علم العمران البشرى على القواعد العصرية . وله تعزى ديانة سماها (الديانة الانسانية) التى أبدل فيها الخالق بالنوع الانساني ، والمعابد بالمجامع العلمية والكهنة والقساوسة برجال العلم . Loide Troisage هذه الديانة عدل على أن أوجست كونت لا يؤمن بالله ولا باليوم الاخر وهي غفلة تأدت به الى هذه الحال نعوذ بالله من شر الفتن .

راجع دائرة معارف القرن العشرين فريد وجدى (ج ١) ص ٧٥٢ — ٧٥٣ .

" لقد أثبت نيوتون (11) انه لا وجود لا له يحكم النجوم . وأكد لا بلاس (12) بفكرته الشهيرة أن النظام الفلكى لا يحتاج الى أسطورة لا هوتية ".

" وقام بهذا الدور العالمان (دارون) (13) و (باستور) (14) في ميدان البيولوجيا وقد ذهب كل (15) من علم النفس المتطور والمعلومات الثمينة التى حصلنا عليها في هذا القرن بمكان الاله ، الذى كان مفروضا أنه هو مدبر شئون الحياة الانسانية والتاريخ " (١)

ويؤكد ذلك الملحد العاتى البروفيسار جوليان هكسلى بقوله :

" تعتبر التطورات العلمية التى حدثت فى القرن الماضى " انفجارا مصرفيا " فى وجه الأساطير الانسانية من الالهة والدين كما تفجرت الأفكار القديمة عن المادة و نسفت بمجرد تفجير الذرة " (٢).

هكذا يرى أصحاب هذه الحضارة المادية أن الناس بعد ما أن كانوا يعللون الظواهر الكونية بقوة أو بقوة ارادية خارجة عنها انتقلوا الى تفسيرها بمعان عامة وخصائص طبيعية كامنة فيها .. ثم انتهوا الى رفض كل تفسير خارجى او داخلى ، واكتفوا بتسجيل الحوادث كما هى .

وعلى هذا في نظر هؤلاء الماديين تكون الحضارة الدينية يمثل الحالة البدائية التى لعبت بها الانسانية فى مرحلة طفولتها ، فلما كبرت أخذت ثوبا وسطا في دور مراهقتها حتى اذا بلغت أشدها واكتمل رشدها أخذت حلتها الأخيرة من العلوم التجريبية.

---

(١) راجع الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان ص٣٤ ـ٣٥ نقله عن كتاب :

(٢) راجع الاسلام يتحدى ،وحيد الدين خان ص ٣٢ ط السابعة ، المختار الاسلامى نقله عن كتاب :

Hisbstantimes Sunday Magzie,
Spet. 24 (1961)

تلك هى مفهوم الحضارة عند الملاحدة المعاصرين • وبهذا المفهوم الهابط ساقوا الجماهير السذّج الى سوق الالحاد • فأفهموهم بأن معنى الحضارة هو رفض جميع الأفكار القديمة التى منها الدين والقيم الأخلاقية والمبادئ السامية •

من هنا — فقط — أصبحت كلمة الحضارة تستعمل في محاربة الأديان فاذا قالوا مثلا " ان الغرب متحضر " معناه : انه رفض الأفكار الدينية والأخلاق والمبادئ السامية •

واذا قالوا أن الشرق متأخر مثلا معنى ذلك انه متمسك بدينه وتراثه المجيد ••

اذا كان هذا هو مفهوم الحضارة عند الماديين فلا شك أنه يصطدم بالدين وقد اصطدم — فعلا — مع الدين في أوربا — لأسباب سنتكلم عنها ان شاء الله •

ثانيا : كلمة العلمانية : Secularisme

ان هذه الكلمة من الكلمات التى استعملها الملاحدة لضرب الأديان في أوربا الا أنها فى حد ذاتها — لا تدل على الالحاد • ولا علاقة لها بالالحاد ، لا من قريب ولا من بعيد ••• ويتضح لنا ذلك فى التعريفات الآتية :

تعريف العلم :

العلم فى اللغة هو : فى اللغة نقيض الجهل • وهو من أشيع

الكلمات المستعملة قديما وحديثا • وهى في كل دور من أدوارها تطلق على ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف • ومثال ذلك :

كانت هذه الكلمة ـ عند العرب في الجاهلية ـ تطلق على ما ينافى الجهل بمعارف الجاهليين المحدودة • وكانت لا تتعدى الشعر والكهانة والقيافة والخطابة •• والانساب ••

فلما ظهر الاسلام كان يراد من العلم ما ينافى الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة : وهى الكتاب والسنة وأخبار الملاحم وغيرها ••

ولما زادت معارف العرب صارت تطلق على ما ينافى الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات رواة الحديث والنحو والبلاغة وغير ذلك ••

ثم انتشرت العلوم الكونية فيهم وتشعبت المعلومات لديهم فصار يستعملها كل فريق بما يناسب ما لديه من العلم • فاتسع مدلولها اتساعا يناسب اتساع مجالات المعارف الجديدة •• (٢)

وبهذا يتضح لنا أن كلمة العلمانية التى تعنى رفع شعار العلم لا تعارض بينها وبين الاسلام بل هى احدى وسائل الاسلام وبعض أهدافه

واذا عرفنا هذا فلننتقل الى تعريفات للكلمة عند الغربيين الماديين لنضع أيدينا على نقطة التحول من المعنى الايجابي الى المعنى السلبى الالحادى ••

---

(١) راجع كتاب لسان العرب ج ١١ ص ٤١٧

(٢) راجع عرضا دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدى الجزء السادس ص ٥٨٣ مع تغييرات طفيفة •

العلمانية في تعريفات الغربيين الماديين :

لقد ذهب دعاة العلمانية الى القول بأن العلمانية هى : " الدعوة الى الاعتماد على الواقع الذى تدركه الحواس ، ونبذ كل ما لا تؤيده التجربة ، والتحرر من العقائد الغيبية التى هي عندهم ضرب من الأوهام ومن العواطف بكل ضروبها .. وطنية كانت أو دينية ، بزعم أنها تضلل صاحبها ، وتحول بينه وبين الوصول الى أحكام موضوعية محايدة " (١) .

ويقول المعجم الدولى الثالث الجديد " مادة "

" العلمانية " اتجاه فى الحياة أو فى شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادا مقصودا فهى تعنى مثلا :

السياسة اللادينية البحتة فى الحكومة ..

" وهى نظام اجتماعى فى الأخلاق ، مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعى دون النظر الى الدين " (٢) .

---

(١) اتجاهات هدامة فى الفكر المعاصر ، د . محمد محمد حسين

ايضا كتاب سقوط العلمانية ، أنور الجندى ص ٣٩ نقلا عن المرجع السابق .

(٢) We Bster's Third New International

ويقول قاموس (العالم الجديد) لو بستر شرحا للمادة نفسها :

" والروح الدنيوية أو الاتجاهات الدنيوية ، ونحو ذلك وعلى الخصوص نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أى شكل من اشكال الايمان والعبادة .

" الاعتقاد بأن الدين والشئون الكنسية لا دخل لها في شئون الدولة وخاصة التربية العامة " .

ويقول معجم اكسفورد شرحا للكلمة :

دنيوى أو مادى " ليس دينيا ولا روحيا : مثل التربية اللا دينية : الفن او الموسيقى اللا دينية السلطة اللا دينية الحكومات المناقضة للكنيسة .

الرأى الذى يقول (١) : انه لا ينبغى أن يكون الدين أساسا للأخلاق والتربية ... "

وعلى ضوء هذا التعريف المزيف : اتخذ الماديون في أوربا ، العلم سلاحا لمقاتلة الدينيين والنعى عليهم . فلم يجئ القرن التاسع عشر حتى كان أنصار الدين في ضعف مطلق أمام خصومهم وظهرت المبادئ المادية ظهورا لا مزيد عليه ، وتذرعوا بهذا السلاح ينكرون الخالق والروح والخلود لخروج هذه العقائد عن دائرة اختصاص " العلم " الحديث .. والعلم الحديث برئ من هذه الفرية ...

---

(١) نقلا عن رسالة العلمانية وأثره فى الحياة الاسلامية : تأليف سفر ص ٢

وهكذا صرّح الماديون أن معنى (العلمانية) هو انكار لوجود الله واقامة الحياة بمعزل عن الدين ولكن المترجمين الذين نقلوا هذه الكلمة الى العربية كانوا خبثاء وخونة حيث قالوا : ان (Secular معناها : العلمانية . بينما صرح الماديون بأن معنى العلمانيه هو اللادينيه فلنستمع الى تصريحاتهم .

ويقول المستشرق " اربرى " فى كتابه (الدين في الشرق الأوسط) عن الكلمة نفسها :

" ان المادة العلمانية والانسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلها اشكال اللادينية .. واللادينية صفة مميزة لأوربا وأمريكا .. ومع أن مظاهرها موجودة في الشرق الأوسط فانها لم تتخذ أى صبغة فلسفية أو أدبية محددة .. والنموذج الرئيسى لها هو فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية " (١).

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة " (Secular هى حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة الى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها .."

ذلك انه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر ، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ (Secularism) تعرض نفسها من خلال تنمية

---

(١) Religion in The Middle East A. J. Abber Vol. 2, P. 606-607

(٢) Ency. Britannica Vol. IX P. 19

راجع رسالة العلمانية وأثرها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، سفر ص٣

النزعة الانسانية ،حيث بدأ الناس في عصر النهضة لظهور تعلقهم الشديد بالانجازات الثقافية البشرية ، وبامكانية تحقيق خالهم في هذه الدنيـــا القـــريبة ..

وظل الاتجاه الى ال (Secular) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين و مضـادة للمسيحية ".
(16) ثم إن العلم الحديث لا يعني إلا جانبا يسيرا من العلم المطلوب، هذا ما أكده (جون)
الذى يقـــول : " ان الفكر الحديث من ناحية ثانية يتصف بنزعة من الشك في احكامـــه واستنتاجاته ، ينتـــج عنهما ميل الى الحريـــة والانطلاق في امتحان مختلف الفرضيات وتمحيصها . فـــالكون كما يبدو لنا نحن المحدثين ملىء بالغموض والأسرار الخفيـــة خلافا لنظرة القرن التاسع عشر لقـــد أصبحـــنا نشـــعر بضآلة معارفنـــا على أنـــه كلما ضاقـــت حدود المعرفة المقررة ، اتسعت ميادين النظر الى الاحتمالات الممكنة وأوغـــل الخيال فى تصورها ، ولا تتعلق شكوكنا في الأحكام التى تقررها فحسب ، بل تتجاوز ذلك الى أساليب البحـــث فى الوصول اليها .

" ومن هنا تستولى على الناس رغبة ملحة في ارتياد مختلف السبل لفهم طبيعة الكون في جوانبه المتعددة ،سواء عن طريق العلم أو الفن أو عـــن طريق النشرات الدينية في حالات العبادة . وليس ذلك فقط ، بل هناك رغبة ضمن نطاق الدراسات العلمية نفسها في التجريب بمختلف مناهج البحث ، مع استخدام أدوات جديدة لهذا الغرض ، فنحن نسعـــى الى فهم الكـــون من جوانـــب متعـــددة وأساليب متباينـــة ".

" ويبـــدو لدى المتأمل أمـــرا لا مفرّ منـــه ،ذلك أنه كلما اتسعـــت دائرة معارفنا مسّـــت أمورا لا تزال خافيـــة علينا ، ولذلك يزداد شعورنا

بالجهل .. و شبيه بذلك ما حصل في ميدان الدين ، فان الشك" في العقائد الدينية التقليدية يقترن بالاهتمام الذى يتزايد شيئا فشيئا بالنظرة الدينية للكون عامة ، وبالاعتقاد بأن العلم لا يلزم أن يكون قد قال كلمته الأخيرة بعد " (١).

وبهذه الشهادة وأمثالها ، نعلم أن العلم على النحو الذى حددته المفاهيم المستحدثة لا يمثل الا جانبا صغيرا من العلم الأوسع الذى سبقت الأديان الى اضاءة الطريق فيه . ورسم منهج واضح له ، لأنه يتصل بعالم الغيب الذى لا يستطيع العقل أو العلم في خطواته بعد الوصول الى حقيقته .

وكما قال جود في تقريره السابق من أن الفكر الحديث " من ناحية ثانية يتصف بنزعة من الشك" في أحكامه واستنتاجاته " فهذا (مارتين ستانلي كونجون) يصل في بحوثه الى النتائج نفسها فهو يقول :

ان نتائج العلوم تبدأ بالاحتمالات ، وتنتهي بالاحتمالات وليس باليقين والنتائج بذلك تقريبية ، عرضة للأخطاء في القياس والمقارنات ونتائجها اجتهادية وقابلة للتعديل والحذف ، وليست نهائية . وقد أضطر العلم منذ أجيال أن يترك البحث في كنه الأشياء بعد أن تبيّن أنه لا سبيل الى معرفة الكنه المغيب عن الحواس واكتفى بدراسة ظواهرها .(٢)

---

(١) جود ، منازع الفكر الحديث ، عرّبه عبّاس فضلى خماش ، ونقح الترجمة عبد العزيز البسام ص١٦ــ١٧ ــ طبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥هـ ــ ١٩٥٦م .

(٢) راجع كتاب سقوط العلمانية (أنور الجندى) ص ٤٧

ونود أن نختتم هذا الفصل بكلمة (رسل تشالز أرنست)[١] التـــى تعتبر بحــق الكلمة الفاصلة في هذا الباب فلندعه يتكلم :

" ان كل الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحيـــة ، قد باءت بالفشل والخذلان الذريعين ، ومع ذلك فان من ينكر وجــود اللـــه لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر المتدالع ، على أن مجرد تجـمع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفـة ، يمكن أن يؤدى الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التى شاهدناها في الخلايا الحيـة " .

وبعد هذه الجولة نستطيع أن نقول انه من الخطأ المحـض أن تشتق العلمانية من العلم ، فالتجربـة نفسها كذّبت دعواهـم الكاذبـة القائلة : ان العلوم وحدها ستنقذ الانسانية " أو العصر الذى يسود فيه العقل ، يصل الانسان الى الكمال " تلك كانت دعواهم التى أصارتها التجربـة الى وهـم وجهــل مريــر .

وبعد هذه الجولة نصل الى الحقائق التالية :

ان كلمة (Secular) معناه اللاديني أو غير عقيدى ولكن الذى قاموا به بترجمة هذه الكلمة الى العربيـة دسوا هذا المعنـى السخيف . فقالوا معناه : العلمانية لأنها كلمة محبوبـة لدى الجميع .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على خبث هؤلاء المترجميـــن الملاحـدة .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧

ثالثا ــ (كلمة التطور) :

الـطور في اللغة : التارة . تقول : طـورا بعد طور . أى تارة بعد تارة وقال الشاعر في وصف السليم[(١)]

﴿ تراجعه طورا و طورا تطـلق ﴾[(٢)]

وتطلق هذه الكلمـة ويراد بها (الحـال) كما فى قولـــه تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾[(٣)] معناها : ضروبا وأحوالا مختلفة .

كما رأيت ، ان هذا المفهوم لا يتعارض مع الدين الاسلامى . ولكن الملاحـدة اخترعوا من عند أنفسهم مفهوما آخر خبيثا للـطور ،فهو لا بد أن يتعارض مع الأديان لأنهم يستعملون مفهوم الـتـطور في مقابل الجمـود ، جمود العقيدة وجمود العبادة .. وجمود القيم .. وجمـود المفاهيـم .. وجمود التقاليد ، وجمود الحياة .. فهم يرون ان المقياس الحقيقي لعظمـة الانسان وتطوره هو جهاز الراديـو أو التلفزيون أو السيارة التي يركـبهـا أوجهـاز الغسيل الآلى أو القـنبلة التي يدمـر بها الحـياة على وجـه الأرض .

وعلى هذا المفهوم قامت الثورة الفرنـسية باسم التـطور . حتى صارت " الموضـة " هى التطـور . وما لا يتطور بذاته ينبغى أن يتطـور بالقـوة !

---

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٥٠٧

(٢) البيت للنابغة الذبيانى . وهو بكامله :

تناذرها الراقون من سوء سمّها   تطلقه طورا وطورا تراجع

انظر المرجع السابق .

(٣) سورة نوح الاية رقم ١٤ .

انه لا ينبغى ان يظل شيء على الاطلاق ثابتا في كل الأرض . لا الدين ولا فكرة الله . ولا الأخلاق . ولا التقاليد . ولا القيم . ولا الروابط الاجتماعية . لا شيء ... لا شيء على الاطلاق .

تسمع فى كل أنحاء أوربا : (دعه يمرّ) ! (دعه يفعل) ! ينبغى أن نحطم قيود الأخلاق فهى قيد يعوق التطور . فينبغى اليوم أن نطرحها في المجتمع الصناعى المتطور الذى يتطور بتطور وسائل الانتاج ...

بل ينبغى أن ننشيء أنفسنا فى المجتمع الجديد ... المتطور ... المتحرك ... الوثّاب ... وتركزت الفتنة كلها فى " تحرير المرأة " لكى تخرج الى الطريق فتنة للرجال . (١)

فبدأ الكتاب يكتبون ... والصحافيون يزينون التبرج ... والقصاصون يقصون القصص الماجنة والمصورون يصورون الصورة الخليعة . كل ذلك باسم التطور ... كأن السبيل الى تحقيق هذه الرغبات هو :

السينما والأفلام الداعرة العارية الداعية الى الفساد .

كان السبيل هو بيوت الأزياء .

كان السبيل هو صناعة أدوات الزينة .

كان السبيل بكل السبيل والوسيلة . (٢)

---

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص (١٢ـ ٢٥)

(٢) المرجع السابق ص٣١

وكان أهم شيء عند هؤلاء المتطورين أن ينفخوا في الصور المادية " المتطورة " . ومن حصيلة هذا كله حدثت حركات ضخمة في المجتمع الغربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وهي حركات التطور الفريد لأنهم تجاوزوا عن عالم الغيب الذي لا يرونه ودخلوا في عالم المحسوس الذي يعاملونه بالكيل والوزن والمسافة ..

هذا هو مفهوم التطور عند الغربيين وقد ساعدهم على ترويج هذه الفكرة الشنيعة ما أعلنه " داروين " في كتابه (أصل الأنواع سنة ١٨٥٩) وفي كتابه : أصل الانسان سنة ١٨٧١ م أن الانسان أصله حيوان وبتعبير عصري أوضح ان الانسان نهاية التطور الحيواني .

لقد رحب الماديون بفكرة (دارون) لأن عقيدتهم تقوم على العنف وصراع الطبقات ولم يكن الدافع لتبني هذه الفكرة هو الأدلة العلمية وانما المذهب السياسي الأعمى . لذلك أحلوها المقام الأول بين جميع العلوم . واذا ذكرنا هؤلاء الملاحدة ، نذكر أيضا تلك اليد اليهودية الخفية التي كانت تعمل دائما في خفاء لبث مثل هذه الأفكار الالحادية . تقول بروتوكولات حكماء صهيون : " لقد رتبنا نجاح دارون وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم . وان الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد " (١) . ولقد حدثت بالفعل ذلك الأثر الهدام للأخلاق باسم التطور . .

---

(١) راجع البرتوكول الثاني ص ١٢٣ ط . الرابعة : دار الكتاب العربي بيروت - لبنان

وهكذا رأينا جزءا من مفهوم التطور عند الغرب ،وسنعود الى ذلك ان شاء الله في (باب النشوء والارتقاء) الذى سنعقده فيما يأتي من الصفحات.

تلك هي الكلمات التي استعملها الملاحدة كالسلاح لضرب الأديان متسترين وراء المعنى اللغوى الظاهر لسوق السذج البسطاء الى سوق الالحاد . والحمد لله الذى أيدنا للكشف عن هذا الزيف وهذا الخبث والضلال .

فكرة عامة عن أوروبا الحديثـــــة

لما كان عنوان هذا البحث هو : الالحاد وأثره في أوربا الحديثة، يجمل بنا أن نعطى فكرة عن كل من الكلمتين " الالحاد " و" أوربـــــا الحديثة " ، وقد تحدثنا عن كلمة الالحـــاد لغة واصطلاحا . والآن نود أيضا أن نقدم فكرة موجـزة عن " أوربا الحديثـة ".

وكيف لا ! ان أوربا هي التي تصارع فيها " الايمان " و " الالحاد " ورجال الدين مع رجال المادة ... والتطور مع الثبات . والحـق مع الباطل .. ولو مضينا بالبحث دون أن نعطى أيـة فكرة عن أوربا الحديثة ، كأنننـا تحدثنا فـى عماية ، وقديما قيل : " الحكم على الشيء فرع تصوره ".

وفوق ذلك ان معرفة شيء من بداية العصر الحديث تساعدنا على معرفة تطور الأحداث الالحادية هناك ولكن من المستحيل أن أقدم هنا أكـثر من موجز بسيط لقارة تضيق عنها المجلدات الضخمة . ولذا سوف نكتفى بثلاث نقاط . وكـفى .. وهـى :

(١) متى بدأت العصور الحديثـة ؟

(٢) كيف بدأت النهضة العلمية في أوربا الحديثة ؟

(٣) الصراع بين الدين والعقل والحسّ في تاريخ الفكر الغربي ...

وقبل أن نتحدث عن أوربا الحديثة . يحسن بنا أن نقدم صـــورة صغيرة عن القرون الوسـطى التي تابعتها العصور الحديثـة لأن التاريخ متصل الحلقات لا يمكن أن يعرف فترة انتقال من عصر الى عصر الا بدراسة شاملة للفترتين معا . اذن متى بدأت العصـور الوسطى ؟

أولا ــ بداية العصور الوسطى :

ان كان أبناء المدرسة القديمة من المؤرخين قد أصرّوا دائما على اتخاذ سنة ٤٧٦ ــ وهي السنة التي سقطت فيها الأمبراطورية في الغرب ــ حدا فاصلا بين العصور القديمة والوسطى ، وسنة ١٤٥٣ ــ وهي السنة التي سقطت فيها القسطنطينية في أيدى العثمانيين ،وانتهت فيها حرب المائة عام (١) بين انجلترا وفرنسا حدا فاصلا بين العصور الوسطى والحديثة الا أننا لا نستطيع أن نسايرهم باطمئنان في هذا الاتجاه ..

ذلك ان اختيار سنة بعينها أوحدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أو بداية عصر آخر يبدو في نظرنا ــ كما سبق ــ أمرا بعيدا عن الحقيقة ، لأن التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها في بعض ، أشبه شيء بنمو الكائن الحي .

وكما أننا لا نستطيع اتخاذ لحظة بعينها نقول : ان الفرد ينتقل فيها من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب أو من هذه المرحلة الأخيرة الى مرحلة الشيخوخة . فكذلك من المبالغة التاريخية أن نختار سنة محدودة لنقول : ان العصور الوسطى توقفت فيها عن السير تماما لتفسح المجال للعصور الحديثة .

هذا ما ورد في كتاب التاريخ الأوربي الحديث مؤكدا لما قلنا :

---

(١) راجع أوربا العصور الوسطى ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ،ج الأول ص ٣ ط : مكتبة الأنجلو المصرية .

" عندما ندرس للتاريخ ، نجد التطور الانساني يسير في تيارات فكرية تتغير معها نظرة الانسان الى الحياة وادراكها لمفاهيمها وتصرفه بازائها .
ومن العسير أن نحدد تاريخا محدودا لظهور هذه التغيرات الهامة في مجرى التاريخ أو الانتقال من العصور القديمة الى العصور الوسطى أو من الوسطى الى الحديثة "(١).

وليس معنى ذلك أن نترك الأمر دون أى بحث ، واذا لم يكن التحديد الدقيق في استطاعتنا . نستطيع أن نتخذ بعض السنوات الهامة أو الأحداث التاريخية الكبرى لتكون فواصل بين العصور التاريخية .

وعلى هذا الأساس اتخذ المؤرخون القرن الرابع الميلادى بداية للعصور الوسطى لكثرة الحدوث العظيمة التي لها كأثر في تغيير وجه التاريخ القديم .

نوجز بعض هذه الأحداث فيمايلى :

(١) اعتراف الامبراطورية بالديانة المسيحية سنة ٣١٣ م

(٢) نقل عاصمة الامبراطورية الى القسطنطينية سنة ٣٢٣ م

---

(١) راجع كتاب التاريخ الأوربى الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا . تاليف الاستاذين : الدكتور عبد الحميد البطريق ، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس والجامعة الأردنية .
والدكتور عبد العزيز نوار ، استاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة عين شمس وجامعة بيروت العربية ص (١١) ط : دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ب ٧٤٩ .

(٣) ازدياد خطر الجرمان على كيان الأمبراطورية عقب موقعة " أدرنة " سنة ٣٧٨

(٤) اتخاذ المسيحية ديانة رسمية للأمبراطورية سنة ٣٩٢

(٥) تقسيم الأمبراطورية الرومانية الكبرى الى قسمين : شرقى وغربى سنة ٣٩٥ (١).

فالقرن الرابع ، اذن ــ يمثل العصر الذى اجتمعت وتفاعلت فيه مختلف العناصر الأساسية التى كيّفت تاريخ اوربا فى العصور الوسطى : وهى (الكنيسة المسيحية ، والجرمان ، والامبراطورية) (٢).

---

(١) راجع أوربا العصور الوسطى . ج الأول ــ د . سعيد عبد الفتاح عاشور ص٤ ، أستاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى كلية الآداب ــ جامعة القاهرة .

(٢) المرجع السابق ص٤

راجع دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى

ج ص .

بداية العصر الحديث

ومما هو جدير بالذكر ، أن الكثير من الآراء التي سادت في العصور الوسطي عاشت أيضا بعض الزمن في العصر الحديث . فمن الصعوبة أن توجد حدًا فاصلا بين عصر وآخر كما قلنا سابقا . ولذا يعتبر عصر النهضة من دلائل الانتقال من العصور الوسطى الى العصر الحديث .

واليك أهم ما اعتبره المؤرخون بداية لتاريخ العصر الحديث :

سقوط القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣ م لأنه قد ترتب على هذا الحادث قيام حركة احياء العلوم في أوربا عندما غادر القسطنطينية عدد كبير من العلماء اليونانيين الى أوربا حاملين معهم مخطوطاتهم الثمينة التى انبثقت منها دراسات جديدة أضاءت الطريق لظهور النهضة الأوربية وحركة احياء العلوم .(١)

(الناحية الثقافية) :

أما الناحية الثقافية ،فهي سمة بارزة في الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة . وذلك ان الكنيسة كانت وحدها ملاذ الثقافة والتعليم ولذا اصطبغت الثقافة في العصور الوسطى بالصبغة الدينية فقد كان العلماء في تلك العصور هم أنفسهم رجال الدين ، وما يقوله رجال الدين حينئذ يتقبله الناس وما يرفضونه يرفضه الجميع(٢) .

---

(١) التاريخ الأوربى الحديث الدكتور عبد الحميد البطريق ود. عبد العزيز نوار ص ١٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

وكل تعاليم مسلّم بها لا تقبل النقض ولا تحمل النقاش العلمى وكانت اللغة اللاتينية هى اللغة الأساسية التى يجب على كل فرد أن يتعلمها ويتقنها . أما اللغات القومية فكانت للتخاطب المحلي .

ومن أراد المعرفة فلا سبيل اليها الا عن طريق اللغة اللاتينية التي كانت اذ ذاك لغة الجامعات يتفاهم بها الطلبة مع أساتذتهم لذلك نصّت لوائح الجامعات الأوربية في العصور الوسطى على عدم اجازة من يثبت أن لغته اللاتينية غير سليمة .

ثم تطورت الدراسة حتى اتجهت في العصور الحديثة الى الناحية القومية ولم تعدّ اللغة اللاتينية وحدها هى لغة الثقافة والأدب .

ولم تلبث الجامعات أن تصدت لسيادة الكنيسة البابوية وناهضت المبدأ بخضوع الكنائس في البلاد الغربية خضوعا تاما للبابوية وكان على رأس الجامعات المعارضة ، جامعة باريس التى أيدت مبدأ استقلال الكنيسة الفرنسية .

وقد تحقق فعلا للكنيسة الفرنسية هذا الاستقلال واكتسبت صبغتها القومية في عهد لويس الحادى عشر (١٤٦١ ــ ١٤٨٣) (١) .

فلذا عدّ المؤرخون الناحية الثقافية فترة انتقال من العصور الوسطى الى الحديثة .

---

(١) المرجع الأول مع تغييرات طفيفة ص (١٥) .

(الاكتشافات الجغرافية) :

ومن المظاهر الثقافية لانتقال أوربا الى العصور الحديثة ، عناية بعض الشعوب الأوربية بجغرافية العالم واكتشاف أبعاده .

وقد كان احتلال البرتغاليين (سبته) على الساحل الافريقي عام ١٤١٥ بمثابة الحلقة الأولى في سلسلة المغامرات البحرية التي أدت بدوران (فاسكو دا جاما) حول افريقيا سنة ١٤٩٢ م وتأسيس الامبراطورية البرتغالية والاستعمار البرتغالي في الشرق ثم أدت تلك المغامرات الى اكتشاف أمريكا .

النا حية الاجتماعية والاقتصادية :

أما من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، فقد تميز العصر الوسيط بالنظام الاقطاعي الذي بدأت تتلاشى مظاهره في العصور الحديثة فقد كانت الأرض موزعة بين أشراف يمتلكونها بما عليها من انسان وحيوان ، ويحكمون اقطاعاتهم بمطلق ارادتهم . يقضي بين الناس بما شاء له حكمه ، وبذلك كانت الأرض هي عماد الثروة الاقتصادية لذلك انعدم وجود الطبقة الوسطى التي تعتبر عماد الحياة .

الخلاصة : كان المجتمع طبقتين : أشرافا يتمتعون بكل شيء

وفلاحين يعتبرون أرقاء للأرض .

ولما كان أكثر الأحداث وقعت في القرن الرابع عشر اعتبره المؤرخون بداية العصور الحديثة . وهي الفترة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها باسم عصر النهضة (Renaissance) بمعنى البعث الجديد أو بالمعنى الحرفي (الولادة الجديدة) .

وقد ظهرت حركة النهضة في بدايتها في ايطاليا وكان ذلك في منتصف القرن الرابع عشر . اذن ان العصور الحديثة تبدأ من القرن الرابع عشر والله أعلم .

(١) المرجع السابق ص ١٦

(ثانيا) ـ أوربا في النهضة العلمية والأدبية :

نحاول في هذا الجزء من البحث أن نتعرف على أثر الحروب الصليبية ونتائجها في النهضة الأوربية في مجالات العلم والأدب والحضارة . الا أننا ـ نحاول ـ أن نتحاشى عن التعصب والمزايدات . سواء أكانت من تلك الأفكار التى تبالغ في تأثير هذه الحروب على أوربا من حيث استفادتها من حضارة الاسلام أم كانت من تلك الأفكار التى تهون من شأن تأثير هذه الحروب . اعنى أفكار المثقفين الذين وقعوا في الانبهار من هذا الابداع المادى للحضارة الغربية المعاصرة .

ذلك أن الأصالة قدر مشترك بين الحضارات جميعا . فكل حضارة أبدعت ونقلت وكانت لها سمة تميزها بين الحضارة العالمية . ولم توجد حضارة تفردت بالابداع أو تفردت بالنقل أو خلت من السمة التي تميزها بين سمات الحضارة (١) .

والحق الذى ينبغى أن يتمسك به كل باحث في تاريخ أوربا العلمى ، هو أن أوربا قد مرت بثلاث مراحل :

الأولى منها كانت مظلمة حقا وهى تقع في الفترة ما بين نهاية القرن الثالث ونهاية القرن التاسع الميلاديين ، وكانت معبرا انتقل عليه القديم الى ما بعده .. (٢)

---

(١) عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربية ص٢٨ ط : دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

(٢) الغزو الصليبى والعالم الاسلامي ،تأليف الدكتور عبد الحليم محمود، ص١٢٧

(٣) هل نحن مسلمون ، محمد قطب ص٧٥

والثانية منها : كانت تشهد تدفق العلوم والدراسات العلمية الاسلامية على أوربا الغربية وهى تقع بين بداية القرن العاشر ونهاية القرن الثاني عشر الميلاديين ، وهى مستغرقة أكثر من قرن في زمن الحروب الصليبية .

والثالثة منها : وهى المرحلة التي أدت الى ازدهار العلوم والدراسات العلمية تمتد من بداية القرن الثالث عشر الميلادى . من نهاية العصور الوسطى وهى التى أفادت تماما من اتصال دول أوربا الغربية بالعالم الاسلامى عن طريق الحروب الصليبية . (١)

ولقد أفادت أوربا من علوم المسلمين وطبهم في هذه المراحل الثلاثة جميعا وليس بين الباحثين المنصفين من ينكر أن المسلمين قد فاقوا في الطبّ والعلوم من عاصروهم من سكان أوربا منذ ظهور الاسلام الى أن كان عصر النهضة العلمية في أوربا .

وفي الوقت الذى كانت الكنيسة تحرم صناعة الطبّ لاعتقادها أن المرض عقاب الهىّ لا ينبغى للانسان أن يصرفه عمن يستحقه وهو الوقت المسمّى عندهم بعصر الايمان . في هذا الوقت ، عند استهلال القرن الثانى عشر الميلادىّ ، كان المسلمون يمارسون الطبّ منذ زمن مبكّر عن ذلك . (٢)

وتأييدا لما قلنا نسوق اليك شهادات من قلب أوربا قد أداها رجال منصفون أربيون .

---

(١) الغزو الصليبي والعالم الاسلامى ، تأليف دكتور عبد الحليم محمود ص ٢٧١
(٢) المرجع السابق ص ٢٧١ .

(شـــهادة من النمســا) :

وهى شهادة يؤ ديها (محمد أسد النمساوى) المسلم في كـتابــه القيّم : (الاسلام على مفترق الطرق) يقول فيها :

" ان تحرير العقل الأوربي من القيود العقلية التى فرضتهـــا عـليه الكنيسة المسيحية قد اتفق في أثناء النهضــة التي كانت مدينــة الى حــدّ بعيد لذلك العامل الثقافي الذى كان العرب ينقلونه الى الغرب •

وكل ما كان خيرا في الثقافة الاغريقية القديمة ثم في العصر الهيلاني التالي ،فان العرب بعثوه فى علومهم وزادوا فيه في القرون التى تلـــت تأسيس الامبراطورية الاسلامية الأولى • أنا لا أقول ان تقبل العرب والمسلمين لنتائج الفكر الهيلانى كان على وجــه العموم فائدة لا شك فيها لهم — اذ أنه لم يكن كذلك•

ولكن مع كل العقبات التى يمكن أن تكون الثقافة الهيلانية قد خلقتهـــا في سبيل تقدم المسلمين بالمعنى الاسلامي الصحيح ، فان تلك الثقافـــــة نفسها كانت باعثـا قويا عن طريـــق العـــرب أنفسهم في سـبيل نهضــــة أوروبـــة •

ان العصور الوسطى قد اتلفت القوى المنتجة في أوربة : كانت العلوم في ركود وكانت الخرافات سائدة ، والحياة الاجتماعية فطرية خشنة الى حدٍّ من الصعب عـلينا أن نتخيله اليوم • في ذلك الحين أخذ النفــوذ الاسلامى فى العالم — فى بادىء الأمــر ، بمغامرة الصليبيين الى الشرق ، وبالجامعات الاسلامية الزاهرة في اسبانيا المسلمة في الغرب ، ثم بالصلات التجارية المتزايدة التى أنشأتها جمهوريتا جنوه والبندقية — أخذ هذا النفوذ يقرع على الأبواب الموصدة دون المدنية العربية• (٢)

(١) راجع كتاب الاسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ص ٤٢ ، ترجمة د /عمر فروخ
(٢) المرجع السابق ص ٤٢

" وأمام تلك الأبصار المشدوهة ، أبصار العلماء والمفكرين الأوروبيين ظهرت مدنية جديدة – مدنية مهذبة راقية خفاقة بالحياة ذات كنوز ثقافية كانت قد ضاعت ثم أصبحت في أوربة من قبل نسيًّا منسيًّا .

ولكن الذى صنعه العرب كان أكثر من بعث لعلوم اليونان القديمة ، لقد خلقوا لأنفسهم عالما علميًّا جديدا تام الجدة .

لقد وجدوا طرائق جديدة للبحث وعملوا على تحسينها ، ثم حملوا هذا كله بوسائط مختلفة الى الغرب . ولسنا نبالغ اذا قلنا ان العصر العلمي الحديث الذى نعيش فيه لم يدشن في مدن أوربة النصرانية ، ولكن في المراكز الاسلامية ، في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة .

وان أثر هذا النفوذ فى أوربة كان عظيما . لقد بزغ ، مع اقتراب الحضارة الاسلامية نور عقلي فى سماء الغرب ملأها بحياة جديدة ويتعطش الى الرقى . ولم يأت التاريخ الأوربى بأكثر من اعتراف عادل بقيمة الحضارة الاسلامية حينما سمى عصر التجديد الذى نتج من الاحتكاك الحيوى بالثقافة الاسلامية " عصر البعث " (١) فانه كان فى الحقيقة ولادة لأوربة ، ولم يكن أقل من ذلك .

هذه هي شهادة رجل أوربى نمساوى ، قد أتيحت له فرصة الاطلاع على الثقافتين ، الاسلامية والعربية فهداه الله تعالى الى الاسلام الحنيف فهو يدلي بهذه الشهادة بدون أى تعصب أو تحيز . (٢)

---

(١) عصر النهضة (Renessance) كما يقال في التاريخ الحديث ولا ريب ان انصراف المسلمين في الأندلس . في العصور الوسطى الى العلوم والفنون جعلهم الى حد يهملون الناحية العسكرية الحربية في حياتهم فشجع ذلك الكنيسة على تأليب الأوربيين على العرب فكان ذلك سببا من أسباب ضياع الأندلس .

(٢) راجع هامش كتاب " الاسلام على مفترق الطرق " محمد أسد ص ٢٠٣ .

شهادة من فرنسا :

ومن الجدير بالذكر ان نتائج الأبحاث العربية الفريدة التي تتعلق بعلمي الطبيعة والفلك ، قد تمتعت هي أيضا في العالم قاطبة بأهمية واهتمام زائدين .. وقد شهد بذلك كثير من الباحثين الأوربيين .. فاليوم نختار شهادة رجل كاتب غير متعصب ... فمن هو ذلك الرجل ؟؟

هو رجل من فرنسا وهو الأستاذ سيديو (Sedillot) ان هذا الاستاذ رغم كون فرنسا تعتبر أم الحضارة المادية الحالية ـ لم يتحيز اليها ، بل صرح بالحق .

فشهادة فرنسا في مثل هذا الموطن مقبولة لمكانتها بين دول العالم لما قامت به من الثورة الفرنسية المشهورة وما نادت به من حقوق الانسان . فلنستمع الى هذه الشهادة [1] :

" لقد توصل " فلكيو بغداد ، في نهاية القرن العاشر الى أقصى ما يمكن أن يتوصل اليه انسان في رصد السماء وما دار فيها من كواكب ونجوم بالعين المجردة دون اللجوء الى عدسات أو منظار .

ولكن لم يجد جميع فلكي العرب مترجما لا تينيا فلذا لم تدخل علومهم جميعا الى بلاد الغرب .

---

(١) عن كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرقة الالمانية زيغريد هونكه ص ١٤٥ .

ومن بين العرب الذين وصلت آثارهم الى مواطن العالم الغربي بطريق مباشر نجد العالم (الفرغاني)[1] (Al Farghani) الذى كان يعمل فى بغداد أيام أبناء موسى . اذ قام الفرغاني بقياسات طول خط الأرض المستقيم ..

وكان أول من ادرك ان مدار الشمس والكواكب على مر الزمان يجرى فى اتجاه خلفي . وكتاب " جوامع علم النجوم " " للفراجانوس " (Al Fraganus) ثم ترجم كتاب الفرغاني الى اللاتينيه ، وأصدره مالانشتون : (Melanchton) فى طبعه جديدة عام ١٥٣٧ م فى نورنبرغ كملحق لكتاب " راجيمومنتانوس " — (Regiomntanus) وبهذا يعترف هذا الرجل الغربي بتفوق العرب على الغرب — آنذاك — فى جميع المجالات العلميه ...

---

(١) الفرغاني : فلكى أرسله الخليفه المتوكل الى الفسطاط (القاهره) لينظر ببناية مقياس النيل (٨٦١) . له : جوامع الكلم والحركات السماويه ... نقل الى اللاتينيه والعبريه ... وله أيضا كتاب فى الأسطرلاب : المرجع السابق ص ١٩٥ .

شهاده أخرى من فرنسا : يؤديها بكل أمانه الاستاذ (موريس بوكاى) الفرنسى :

يقول :(١)

" ولكن علينا أن نتذكر أن فى عصر عظمة الاسلام ، أى بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر من العصر المسيحى ، وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمى فى بلداننا المسيحيه ، انجزت (الحضاره الاسلاميه) كمية عظيمه من الابحاث والمكتشفات بالجامعات الاسلاميه .

فى ذلك العصر كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافيه عظيمه .. ففى قرطبه كانت مكتبة الخليفه تحتوى على اربعمائة ألف مجلد . وكان ابن رشد يعلم بها . وبها أيضا كان يتم تناقل العلم اليونانى ، والهندى والفارسى . لهذا السبب كان الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد اوربا للدراسه بقرطبه مثلما يحدث فى عصرنا أن نسافر الى الولايات المتحده لتحسين وتكميل بعض الدراسات . ولكم هى كثيره تلك المخطوطات القديمة التى وصلت الينا بواسطة الأدباء العرب ناقلة بذلك الثقافة الى البلاد المفتوحه ....! ولكم نحن مدينون للثقافه العربيه فى الرياضيات (فالجبر عربى) وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النبات وطب (ابن سينا)(21) و(الرازى)(22) الى غير ذلك ، لقد اتخذ العلم لأول مره صفة عالميه فى جامعات العصر الوسيط الاسلاميه . فى ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرا بالروح

---

(١) راجع كتاب دراسة الكتب المقدسه فى ضوء المعارف الحديثه ، موريس بوكاى ص ١٤٠ ط : دار المعارف .

الدينيه ، مما هم عليه فى عصرنا ... ولكن لا يمنعهم من أن يكونوا فى آن واحد مؤمنين وعلماء . كان العلم الأخ التوأم للدين . لكم كان ينبغى على العلم ألا يكف عن أن يكون كذلك ...

" كانت البلاد المسيحيه ، فى تلك الفترة من القرون الوسطى ، فى ركود وتزمت مطلق ، توقف البحث العلمى ، ليس بسبب التوراة والانجيل وانما ، وعلينا ان نكرر ذلك ، بأيدى هؤلاء الذين كانوا يدعون أنهم خدام التوراة والانجيل . وبعد عصر النهضه فى أوربا ، كان رد الفعل الطبيعى أن يأخذ العلماء بثأرهم من منافس الأمس (وهو الله) وهذا الثأر مستمر حتى اليوم . لدرجة أن التحدث حاليا فى الغرب عن الله فى الأوساط العلميه يعتبر فصلا ـ على الرغبه فى التفرد . ولهذا الموقف تأثيره السيء على العقول الشابه التى تتلقى تعليمنا الجامعى " .

شهادة من المانيا :

ان هذه الشهادة قد أدتها امرأة من المانيا فقد ساءها ما تراه من انتقاص قيمة الحضاره الاسلامية في الغرب . مع أنها تعلم يقينا أن الحضاره الغربية لم تأت بشيء من المجالات الطبيه والتكنولوجيه الا ويمكن ارجاعه الى أصل عربي فلذلك حملت معها هذه الشهاده لتؤديها للعالم وهي المستشرقه الألمانيه (زيغريد هونكه) حيث تقول :

" قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الباريسية أصغر مكتبة في العالم ، لاتحتوي الا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربي كبير .[1]

وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة ، بدليل ان ملك المسيحيه الشهير ، " لويس الحادي عشر " اضطر الى دفع اثنى عشر ماركا من الفضه ومئة (تالر) (Talar) من الذهب الخالص لقاء استعارته هذا الكنز الغالي رغبة منه في أن ينسخ أطباؤه نسخه يرجعون اليها اذا ما هدد مرض أوداء صحته وصحة عائلته .

وكان هذا الأثر العلمي الضخم يضم كل المعارف الطبيه منذ أيام[2]

---

(١) ترجمة المستشرقه هي الدكتوره زيغريد هونكه ، مستشرقه المانيه طائرة الشهره لها عدة كتب في بيان فضل العرب على الغرب منها : الرجل والمرأة ، وكتاب شمس العرب تسطع على الغرب وغير ذلك وقد زارت عددا من البلدان العربيه مثل مراكش ومصر والعراق على اثر دعوه من رؤساء تلك الدول .

(٢) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف (زيغريد هونكه) ص٢٤٢

الا غريق حتى عام ٩٢٥ بعد الميلاد ، وظل المرجع الأساسي في أوربة لمدة تزيد على الاربعمائة عام بعد ذلك التاريخ ، دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو في مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزيلة التي دأب في صياغتها كهنة الأديرة قاطبة ، وهو العمل الجبار الذي خطته يد عربي قدير .

ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب اجمالا . فأقاموا له نصبا في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم ، وعلقوا صورته وصورة عربي آخر في قاعة أخرى كبيرة تقع في شارع (سان جرمان) ، حتى اذا ما تجمع فيه اليوم طلاب الطب وقعت أبصارهم عليها ورجعوا بذاكرتهم للوراء يسترجعون تاريخه .. فمن هو ؟ انه الرازي أو رازاس (Rhases) كما سمته بلاد الغرب ، وأما اسمه الحقيقي فهو أبو بكر محمد بن زكريا . ولد في مدينة (الري) في خراسان شرقي مدينة طهران حاليا " .

شهادة من امريكـــــا :

يقول الأميركي دريبر في كتابه النزاع بين العلم والدين :

" واننا لندهش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر . ومن ذلك أن مذهب النشوء والارتقاء للكائنات العضوية الذي يعتبر مذهبا حديثا . كان يدرس في مدارسهم " .

---

(١) المرجع السابق (٢٤٤)

(٢) راجع كتاب الاسلام دين علم خالد للاستاذ محمد فريد وجدى ص ٢٣٢ من الطبعه الثانيه ويلاحظ من هذا التقرير شيء لعله أخطاره الكبيره وهو انه جعل التطور الذى عرفه المسلمون والتطور الذي اخترعه (داروين) و (ولاس) في درجة واحده .. حاشا وكلا .. فبينهما بون شاسع . وذلك ان التطور الذى اهتدى اليه المسلمون كان ملاحظة للتدرج في مراتب المخلوقات من الجوامد الى الانسان . ولكنهم لم يقولوا ، كما قال داروين — ان الانسان من أصل حيواني ولم يبخسوه قدره ولا نفوا عنه أخص خصائصه الذى تفرد به ، وعرفوا أنه متميز من بين سائر الحيوانات ومن ثم عرفوا فكرة التطور ولكنها لم تتحول في تفكيرهم الى لوثة مدمره كما حدث في الفكر الغربي الملحد .

شهادة من بريطانيا :

ان شهادة بريطانيا كانت عامة ٠ فهى ترى أن السر الذى
ان الذي ادا (23)
تقدم به العرب كامن فى القرآن الكريم/ فهو (غلادستون) وزير بريطانيا
الأول أحد موطدى أركان الامبراطوريه فى الشرق - حينما قال :

" مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربه السيطره على
الشرق ولا أن تكون هى نفسها فى أمان " ٠

هذا ما يقوله المفكرون المنصفون في أوربا أن الحضارة الغربيه
الحاليه لم تنهض الا على ما قدمته الحضاره العربيه
الاسلامية ٠ هذا ما يؤكده المستشرق (بريفولت) -
(Briffault) ٠

" ان روجر بيكون : درس اللغة العربية والعلوم العربية
فى مدرسة (اكسفورد) على خلفاء معلميه العرب فى الأندلس ٠
وليس (لروجر بيكون) ولا لسميه الذى جاء بعده ٠

---

(١) محمد اقبال : تجديد التفكير الدينى : ترجمة عباس محمود نقلا عن كتاب بناة الحضاره (بريفولت) نقلناه عن كتاب التفكير الفلسفى فى الاسلام ٠ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقا ص ٢٨٣ ٠

(٢) راجع ايضا المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وحيد الدين خان ص١٠

الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى ،
فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين
الى أوربا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم
معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد
للمعرفة الحقة ٠

والمناقشات التى دارت حول واضعى المنهج التجريبى : هى
الطرق من التحريف الهائل الأصول للحضاره الأوربية ٠ وقد كان
المنهج التجريبى ، فى عصر بيكون : قد انتشر انتشارا واسعا
وانكب الناس ، فى لهف ، على تحصيله فى ربوع أوربا ٠

شهادة من الهند :

يقول الكاتب الاسلامى والمفكر الموفق فى القطر الهندى السيد وحيد الدين خان :

" توجد فى المتحف البريطانى بلندن عملة معدنية قديمة ، يحمل أحد طرفيها اسم (أوفاريكس) بالحروف اللاتينية فى ثنايا محمد رسول الله فى ثلاثة أسطر باللغة العربية ، ويحمل الطرف الآخر كلمة (لا اله الا الله وحده لا شريك له) الى جانب اسمى اثنين من ضاربى العملات ببغداد ، باللغة العربية .(١)

ثم قال :

" وأوفاريكس (Offarex) هذا ملك انجليزى كان يحكم منطقة مرشيا (Mercia) فى القرن الثامن الميلادى . وهذا يدل على أن حكام أوربا كانوا يطلبون من ضاربى النقود البغداديين أن يصكوا لهم نقودهم . وهذا يدل كذلك على اننا ، معشر المسلمين كنا نتمتع فى زمن من الأزمنة بما يتمتع به الغرب اليوم من تقدم علمى وصناعى ، ان المسلمين خلال مائتى سنة فقط

---

(١) Charles Owen, History of England Before The Norman Conquest, 1910.
راجع كتاب المسلمون بين الحاضر والماضى والمستقبل وحيد الدين خان ص (٧)

من الهجرة النبوية كانوا قد أصبحوا أئمة العالم ، وأصبحت حاضرتهم - بغداد - عاصمة العالم الحضارية بدلا من اصطخر الايرانية ورمسيس المصرية وروما الأوربية .

" ان أسلافنا بدأوا لاحلتهم من مرحلة البداوة حتى قفزوا الى أعلى مدارج الحضارة بينما نحن أخلافهم التعساء ، الذين تمكنوا من استئناف المسيرة ، من مرحلة متقدمة ، الا أننا فضلنا أن نسير فى الاتجاه المضاد ".

ثم نقل الاستاذ عن أحد المستشرقين كان يصف النهضة الاسلامية بما يلى :

" لقد ولد الاسلام فى حى مجهول بمكة فى الصحراء العربية . ولم يكد يخرج منها حتى غزا الشرقين الأدنى والأوسط بسرعة مدهشة . ثم وصل الى الأندلس عبر شمال افريقيه والى حدود الصين عبر ايران . وكانت آخر نقطه وصل اليها الاسلام فى أوربا هى (بودابست) ، حيث لا تزال مقبرة جل" بابا ، بطرازها التركى على ضفاف (الدانوب) ، تذكرنا بأن المسلمين وصلوا حتى هذه البقعة النائيه .

وكان من معجزات هذا الزحف أن أنشأ العرب المتوحشون أمبراطوريه عالميه ، ولم يكتفوا بنشر لغتهم فى كل أرجاء العالم ، بل اكتشفوا العلوم الانسانيه واستفادوا بها ورفعوا من مستواها .

" وفى القرن السابع الميلادى أنشئت الأسس السياسيه والاقتصاديه للامبراطوريه العربية العالمية ".

وقامت الخلافة العباسية ، فى القرن الثامن الميلادى ، بخلق أعظم الحضارات فى التاريخ كان مؤسسوا هذه الحضارة يريدون نشر الاسلام ، ولكنهم اهتموا باحتضان جميع الأشياء الجيدة وأفادوا الاسلام بها ...."

شهادة الاستاذ جوستاف لوبون :

ان هذا الاستاذ الكبير يشهد - رغم كونه من الغربيين - شهادة رجل واثق على ما يقول : ويصرح تصريحا لا غموض فيه من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة العربية بصورة قاطعة .

فلندعه يتكلم :

يقول : " ظهر مما تقدم أن تأثير الشرق في تمدين الغرب كان عظيما جدا بفضل الحروب الصليبية ، وأن ذلك التأثير كان في الفنون والصناعات والتجارة .. أشد منه العلوم والأدب ...

واذا ما نظرنا الى تقدم العلاقات التجارية العظيمة باضطراد بين الغرب والشرق والى ما نشأ من تحاك الصليبيين والشرقيين من النمو في الفنون والصناعة تحكى لنا أن الشرقيين هم الذين أخرجوا الغرب من التوحش ، وأعدوا النفوس الى التقدم بفضل علومهم وآدابهم التي أخذت جامعات أوربة تعول عليها فانبثق عصر النهضة منها ذات يوم ...

وبهذه الشهادة نعلم أن مصدر الحضارة الغربية الثقافية مستمد من الحضارة الاسلامية . ولكن كيف كانت النتائج ؟ هل اعترف الغرب بالجميل ؟ هل أدوا الاحترام لأساتذتهم ؟ الجواب لا !

بل لأن الاحتقار التقليدي الذى وطد قواعده رجال الكنيسة أخذ يتسلل الى بحوثهم العلميه ..

وبعد فتره من الزمن أصبح احتقار الاسلام جزءا أساسيا من التفكير الأوربى ... فتحامل المستشرقون على الاسلام تحاملا لا مثيل له حتى تركوه غريزة موروثه فى أعقابهم ... وهذا جولد تسيهر فى كتابه (العقيده والشريعة فى الاسلام) يقول كلمة مزيفة .

" لا فى الأفكار ولا فيما يتصل بعلاقة الانسان بما هو فوق حسه وشعوره وبالا نهاية ".

وتوضيح ذلك ، ان الاسلام فى نموه مصطبغ بالأفكار والآراء الهلينستية ونظامه الفقهى الدقيق مستمد من القانون الرومانى ، ونظامه السياسى متأثر بالنظريات السياسيه الفارسيه ... وتصوفه يمثل تيارات الآراء الهنديه والأفلاطونيه الجديدة ...!!

* كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا *

وهذا (فليبن رابن) تلميذ مرجليوت فى كتابه : " اللغات القديمه فى غربى بلاد العرب " الذى يقول كلمة يعلم كذبه فيها قبل غيره : " ان القرآن قد احتوى على أخطاء لغوية ونحوية (!!) وان المسلمين على مر الأجيال قد صححوا كثيرا منها ولكن ما زال بعضها باقيا حتى اليوم ". الى آخر هذا اللغو الذى لا يحترمه عقل ولا علم ولا ضمير ...

هذا هو جزاء المعلمين من قبل تلاميذهم ... لم أر شعبا ينكر الحقائق ويخفيها كشعب أوربا ... ان هذا الشعب الحسود استطاع أن يخفي عن أعين الناس هذه الحقائق الضخمة مع وجودها في الكتب .

ان هذا لفريد في تاريخ الانسان العام ...

أنظر الى العرب لما أخذوا الفلسفة والمنطق وغيرهما . من اليونان ، بينوه للناس ولم يخفوا من ذلك شيئا وما نقصوا من قيمة الاغريق بل رفعوا أرسطو الى ما هو فوق منزلته : فقيل له : انه هو المعلم الأول ".

وأما أوربا الجاهله كانت مواقفها خلاف ذلك : تطاولوا على صاحب الرساله الاسلامية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم . ان كموجيسليوت الذى يعتبر اماما من أئمة المستشرقين يقول : في بحثه عن الاسلام في موسوعة تاريخ العالم :

(Universal History Of The World)

" ان محمدا صلى الله عليه وسلم رجل مجهول النسب ، لأنه (محمد ابن عبد الله) .. فأى سخف وأى تفاهة في التفكير والتعبير ؟

أخبروني هل سمعتم من أحد يقول أن العرب كانوا يطلقون على من لا يعرفون نسبه (اسم عبدالله) أو يسمونه محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن قصي ... انه لغريب ؟

يقوم محمد المجهول النسب يتحدى آلهة قريش وتقاليدها وعباداتها وعاداتها وأوضاعها كلها بنسبه المجهول !!!!

هل يبلغ الحسد بانسان حتى يهجم على الناس بمثل هذا الافتراء المكشوف ؟

وان أنكرتم هذا الاحسان الكبير نقول لكم (ان للبر عيناً لا تغمض)

وفي الفصل التالي سنرى ما يدل على عدم اعتراف أوربا بالجميل ..

لقد قدم الاسلام لهؤلاء الأوربيين خدمات كثيرة في شتى المجالات لا يتسع المكان لذكرها : واليك بعضا من هذه الخدمات ...

هدايا العرب للغـــــــرب

من هدايا العرب للغرب هذه الساعة التي كانت تسير على الماء وعلى الزيبق وعلى الشمع المشتعل ، أو التي بواسطة الأثقـــال المتحركة .

ثم أن وجدوا الساعات الشمسية الدقاقة التي كانت تعلن ساعة الزوال بصوت رنان ..

والساعات المائية كانت تقذف كل ساعة كرة في الصحن نحاسي وتدور حول محور تظهر فيه النجوم ورسومات من عالم الحيوان ، أو ساعات تحمل فتحات منسقة الواحدة تلو الأخرى في شكل دائرى وما تلبث أن تبرق كلما جاوزت الساعة الثانية عشرة ليلا في حين يمر فوقها هلال وضاء ..

وفى عام ٨٠٧م قدّم عبد الله رسول هارون الرشيد الى الامبراطور شارلمان فى مدينة آخن (Aachen) [1] من أعمال الالمانيه ساعة من هذا النمط .. وقد علق مؤرخ القيصر " اينارد " (Einard) على هذا الحدث فى يومياته قائلا :

" كانت ساعة من النحاس الأصفر مصنوعة بمهارة فنيه مدهشة ، وكانت تقيس مدة اثنتى عشرة ساعة وفى حين اتمامها لذلـــك

---

(١) آخن (Aachen) مدينة فى ألمانيا عدد سكانها ١٤٠٫٠٠٠ نسمه وهى مدينه صناعيه مشهورة .

تسقط الى الأسفل اثنتى عشرة كرة صغيره محدثة لدى اصطدامها برقاص معدنى مثبت دويا ايقاعها جميلا بالاضافه الى عدد مماثل من الأفراس الصغيره التى كلما دارت الساعه دورتها الكامله قفزت(١) من فتحة أثنى عشرة بوابه واغلقتها بقفزاتها هذه ..

وهناك أشياء أخرى كثيرة تسترعى الانتباه فى هذه الساعه تدعو الى العجب والدهشه ، وليس ثمة مجال لعدها اذ ذلك قد يقودنا الى تفاصيل كثيرة ... "

وعلقت المستشرقه الألمانيه ريغريد هونكة على هذا التقرير بقولها :

" نحن ما زلنا حتى يومنا هذا نقف فاغرى الأفواه دهشة واعجابا كلما رأينا ساعة كبيره فى مبنى البلديه ، وما يرافق دقاتها من ظهور شخوص صغيره متحركه تذكرنا بما فعله العرب فى الماضى ، حبا بالألعاب الميكانيكية وولعا بها ..."

(ثانيا) ـ طريقة الاستدلال العلمى القائم على التجربة :

لقد اعترف الجميع للعرب بفضلهم فى ايصال أعمال الفلاسفة والعلماء القدماء وآثارهم للعالم الحديث ... ولكنهم لم يأخذوا العلوم التى ورثوها عن طريق الاقتباس كما أنهم أيضا لم يأخذوا الآلات العلمية

---

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب المستشرقه الألمانيه ريغريد هونكه ص ١٤٢

ومواد العلم القريب دون مناقشه أو تحقيق فمنذ البدء ادهشوا العالم بأسره بالحرية الموضوعية والشجاعة العلمية اللتين استقبلوا بها نتائج السالفين وأقوالهم ليسبروا بحثا ونقدا وتفنيدا وتحقيقا للأخطاء ودحضها وعملا دائبا في الحقل الجديد ، دون أن يغشى بصرهم غاشية صيت ذائع ومن فهر أن يدخل الوجل الى قلوبهم اسم كبير فيرهبهم . ولعل أبلغ برهان على هذه الصفة التي كانت تقضي بألا يؤمنوا حقا وصوابا الا بالأشياء التي تثبت صحتها التجارب وتدعمها .. نقول لعل أبلغ برهان على هذا ما نراه من عناوين لمخطوطات كانت تسعى الى نقد كتب أرسطو (العظيم) نفسه أو بطليموس .

لقد كانت قيمتهم العلمية الشديدة تدفعهم دفعا ثابتا الى القيام بتجارب واختبارات عديدة ، ولئن كان ادراك الاغريق دوما الشمول في نظرة واحدة كاملة واكتشفوا النظام البديع والترتيب العقلاني في كل الظواهر الطبيعيه فان العرب كانوا يرون الهدف العلمي الذي من أجله يهبون أنفسهم بكليتها ليس في اجراء تحقيق واحد أو عشرة تحقيقات فحسب ، بل في المئات الكثير منها ..

---

(١) لا يفهم من كلامي هذا أن العرب كانوا مثل الماديين الملاحده للذين لا يؤمنون بشيء الا ما كان وزنا وكيلا ومسافة .. حاشا وكلا .. ان العرب كانوا يطبقون هذه القاعده على المحسوسات فقط .. وأما الغيب كانوا يؤمنون به كما أراد الله تعالى .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢

(٣) المرجع السابق ص ١٤٣

ان هذا الحديث يقودنا الى بيان "سر" تفوق العرب على الاغريق فى الابحاث العلمية أولا وسر تفوقهم على الامة المسيحية ثانيا ...

أولا ـ سر تفوق العرب على الاغريق فى الابحاث العلمية :

وليس غريبا ان يتفوق العرب على الاغريق فى ميدان علم الهيئة والتنجيم بل في المجالات العلميه المتعددة .. بيان ذلك ان الأبحاث العلميه التى حققها العرب ، كانت تلبية لحاجتهم اليوميه ...

كالقيام بالصلاة فى مواعيدها المحدوده ... وهو يحتاج الى معرفة صناعة الساعه . وكالقيام بتمييز ظهور القمر فى شهر رمضان فى لحظته الأولى ... وهو أيضا يحتاج الى معرفة علم الهيئة والتنجيم معرفة دقيقة ...

وكالقيام بتحديد سير القوافل فى الصحارى الذى يحتاج أيضا الى معرفة تامة بكل ما يتعلق على ذلك...

بل كان هناك دافع قوى يدفعهم الى الابحاث العلمية بكل ما أعطوا من قوة ... وذلك الدافع هو الأوامر الربانية التى تحث دائما الى طلب المزيد من الأبحاث العلمية ...

كقوله تعالى ﴿ وقل ربى زدنى علما ﴾

وكقول النبى صلى الله عليه وسلم : " اطلبوا العلم ولو فى الصين "

" أطلبوا العلم من المهد الى اللحد "

" طلب العلم فريضة على كل مسلم "

وكان الاغريق على خلاف ذلك اللهم انهم كانوا يتساهلون غالبا بالدقة ويهملون عن رضى كثيرا من الحسابات العويصة ... وليس عندهم هدف في هذه الأبحاث الا الترف العقلي فقط ... ولا يرجون منها لا ثوابا ولا عقابا .

ان هذه الأسباب كافية في أن يتقدم العرب على الاغريق في الأبحاث العلمية .

ثانيا — ولكن ما هو سر تقدم العرب على الأمة المسيحية وهي ديانة كالمسلمين ..

ولم لم يتقدموا في المجالات العلميه مثل العرب . مع وجود الفرصة السانحة أمامهم كالعرب . بل ان فرصتهم كانت اكبر في أن يأخذوا التراث العظيم ويتطوروا به درجات في سلم الرقي ؟؟

هذا ما نحاول الاجابة عليه فيما يأتي :

سر تقدم العرب على المسيحية في الأبحاث العلمية :

ان الاجابة على هذا السؤال سهل ميسور انه يرجع — بادئ ذي بدء — الى طبيعة الديانتين : الاسلام والمسيحية البوليسية .. انهما في خطين متوازيين :

الاسلام يوصي أصحابه بطلب العلم ويجعله فريضة عليهم ، ويعتبر دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة التعرف على قدرة الخالق .. كقوله تعالى : ﴿ ولقد بينّا الآيات لقوم يوقنون ﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة : ١١٨

وأما المسيحية البوليسية تعتبر كل من يدرس المخلوقات من الاغبياء والحمقى ـ يقول بولس : " الم يصف الرب المعرفة الدنيوية بالغباوة ؟؟ "

فمفهومان مختلفات بل هما على طرفي النقيض ومنفصلان تماما ، حددا بهذا ، طريق الاسلام للعلم والفكر عن طريق المسيحية ...

وبهذا اتسعت الهوة بين الحضارة التي أسسها ا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والحضارة التي طمس بولس نورها وقضى قسطنطين على البقية الباقية بينما كان المسلمون يعتبرون دراسة الكون شرحا لقرآنهم ، نجد المسيحية تعتبرها تناقضا لأناجيلها .

ولا بد من ايضاح ذلك بالمثال :

وأما المسلمون يحكى عنهم مايلي :

" يحكى أنه كان يجلس ، ذات يوم ، فلكيان عربيان في ساحة الجامع وأمامهما كتاب " المجسطي (27) " مرت بهما جماعة من علماء الدين فتوقفت مستفهمة عن النبع الذي منه يرتعون ؟ فأجاب أحدهما : " اننا نقرأ شرح الآية التالية :

﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت .. ﴾

ويوضح ذلك أحد كبار فلكيي العرب (البتاني (28)) في قوله :

فان " علم النجوم هو يتوجب على كل امرئ أن يعلمه ، كما يجب على المؤمن أن يلم بأمور الدين وقوانينه .. لأن علم الفلك يوصل الى البرهان وحدة الله والى معرفة عظمته الهائلة وحكمته

السامية وقوته الكبرى وكمال خلقه ".

هذا هو موقف المسلمين من دراسة الكون.

وأما موقف المسيحيين من الدراسة نفسها كالتالى :

قد رأينا قول القديس أن المصدر الوحيد لمعرفة الله هو الكتاب المقدس وأما دراسة الكون كفر وضلال ...

والغريب أن يستمر هذا التفكير العقيم سائدا لا يتغير فيحدث بمثل هذا فى القرن الثالث عشر ، القديس " توما الاكويني (Toma EL-Akwiny) فيقول : " ان المعرفة التافهة لأمور سامية أجل قدرا من معرفة كبيرة ، موضوعها أمور حقيرة ".

بعد هذه المقارنة اللطيفة نصل الى النتائج التالية :

(١) انه لا الرومان ولا الهنود ولا اليونان ، هم الذين قاموا فى تطوير هذا العلم .. وانما كان من فخر المسلمين أن يفعلوا ذلك وحدهم.

(٢) بينما كان العرب يعتبرون دراسة الطبيعة شرحا لكتابهم نجد المسيحية الحمقاء تستقذر معرفة الطبيعة.

(٣) فلتعلم أوربا الجاهلة ، أن مدنيتهم هذه ، لولا العرب لتأخرت الى عدة قرون ولبدءوا من حيث بدأ العرب ...

وقبل أن نختتم هذا الفصل يحسن بنا أن ننبه القارئ الكريم الى فرية عظيمة اختلقها المسيحيون لأجل النيل من الاسلام عن طريق تلطيخ المسلمين.

---

(١) شمس العرب : ص ١٣٠

غريبة عظيمة

ان هذه الفريـــة / قد رفــع لوائها المستشرقون فى كل مكان يريـدون بذلك أن يثبتوا للعالم أن المسلمين ما كانوا يحترمون العلم ولا العلماء ٠٠٠ فما هى هذه الفريـة العظيمـة اذ ن ؟

تز وير لحقيقـة تاريخيـه ٠٠٠

ان الكنيسةُ لما كشـف أمرها امام الأنظار مـن أنهـا ضــد العلم وأن الاسـلام هو دين العلم ، ادعت أن المسلمين ــ بقيادة عمـرو بن العاص ــ لما دخلوا الاسكنـدريـه عام ٦٤٢ قد قاموا باحراق مكتبة الاسكندريـه بصفـه بربريـةُ وحشـيـة ٠٠٠

نقول أنها فريـة لا أساس لها من الصحـة ٠٠٠

لأن التاريخ يخبرنـا أن عمرو فاتـح الاسـكندريه هو نفسه عمرو الذى ضـرب المثل بتسامحه طوال فتوحـه ، وقد حـرّم النهـب والسلب والتخريـب على جنوده وعمل ما كان غريـبا عن فهم الشرقييـن القدماء والمسيحـيين على السواء : لقد ضمن صراحـة للمغلوبيـن حريـة ممارسـة شعائرهم الدينيـه المتوارثـه ٠٠

ولم يكتـف عمرو باصدار الأوامر لهذه المعاملـة الطـيبـة بـل عـقد صلحـا معـهم على تلك المعانـى ٠٠ وكان هذا الاتفاق يشـمل الرعايا المسيحـيين كـهنـة ورهبانا وراهبات وهو يضـمن لهم الحمايـة والأمن أينما كانـوا حسب مشيئتهم ٠٠ وبالمثل يحمى كنائسهم ومساكنهم وأماكنهم المقدسـة وكذلك يحـمى من يزور تلك الأماكـن من كل من يؤمن بالنبى عيسى ٠٠٠

وهم يفعلون ذلك للتأسـى برسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنـه

هو أول من كرّم المسيحيين منبها أن يكون المسلمون كذلك معهم ..
واليك نص الأمان الذي تمّ الاتفاق عليه بين عمرو بن العاص وبين
أهل مصر الجديدة عند فتحها ، ونصه بعد البسملة :(١)

" هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم
وملتهم وأموالهم وكنائسهم وبرّهم وبحرهم .. لا يدخل عليهم شيء
من ذلك ولا ينتقص ... ولا تساكنهم النوبة .. وعلى أهل مصر أن
يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم
— خمسين ألف ألف وعليه ممن جنى نصرتهم ، فان أبى أحد
منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزى بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم :
من الروم والنوبة فله ما لهم وعليه ما عليهم ... ومن أبى واختار الذهاب
فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم
أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم .

شهد على ما في هذا الكتاب : عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة
الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين .. وعلى النّوبة الذين استجابوا
أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا
من تجارة صادرة ولا واردة ..

شهد الزبير وعبدالله ومحمد ابناه ... وكتب وردان وحضر ..(٢)

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب زيغريد هونكه ص

(٢) راجع صبح الأعشى ، قلقشندي ج ١٢ ص ٣٢٤

ان هذا النص لا يدع مجالا للشك من أن الكذبة لا أساس لها من الصحة .. فالمجد والتقديم العلمي للأمة الاسلامية ، وأما العار والحماقة للأمة المسيحية المحرفة ..

ولا نكتفي بهذه العبارة القليلة في بيان حماقة المسيحية حتى نسندها بأدلة قاطعة :

ولقد ذهبت الحماقة بالمسيحيين الى أبعد مدى حتى قدموا الى احراق الكتب العلمية الثمينة . واعتبروا الحضارة الاغريقية اهانة كبرى وعارا في جبين الانسانية ...

وهذا الأب ايرونيموس (Hieronymus) يعلن بالتصريح التالي :

" ان الفكر الاغريقي لعنة على البشرية ، وقال : لقد ترجم الانجيل الى اللاتينية ليطرد عن الأذهان ذكر (هوميروس) ..

ولم تكتف الكنيسة بهذا التشنيع والتلطيخ بل قامت فعلا باحراق جميع هذا التراث ... فلنخطف ما يلي من كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لبيان مدى هذه الحماقة الفريدة ..

" وكان أكبر دليل مؤلم على هذا التفكير الغريب أعمدة الدخان وألسنة اللهب التي اندلعت فوق الاسكندرية ، كنز المعرفة الاغريقية على مر العصور ... والتي أصبحت حينذاك مركزا للكنيسة

---

(١) يراجع شمس العرب تسطع على الغرب تأليف زيغريد هونكه ص ٣٧١

المسيحية الى جانب رومة . احمرت السماء بنيرانها فوق دلتا النيل ..

وحرقت نفائس ثمينة لا تعوض من الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ والعلم والثقافة الاغريقية .. حرقتها وأبادتها جموع من المسيحيين المتعصبين ."

وأضاف قائلا :

" وبهذه الطريقة فقدت البشريه جزءا هاما من ثقافتها لا يمكن تعويضه .. وهكذا اختفت مراكز الحضارة الاغريقية واحدا اثر واحد وأقفلت آخر مدرسة للفلسفة فى (أثينا) عام ٥٢٩ م وأحرقت (٣٥) فى رومة عام ٦٠٠ م مكتبة البلاتين وهدم ما تبقى من آثار ابنية القدماء ".

وليس غريبا أن يصدر مثل هذه الفعلة الشنيعة من المسيحية وقد فعلت أشنع من ذلك : قد أحرقت جميع الكتب التى كانت تثبت عبودية المسيح وتنفى عنه الألوهية : وتمسكت بأربع كتب فقط التى وضعوا فيها ألوهية المسيح وبنوته ...

تلك جزء من المأساة التى جلبتها المسيحية الى الانسانية ومع ذلك أرادت أن تدفع هذه التهمة الى الآسلام العظيم الاسلام الذى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويضع عنهم أصرهم والأغلال التى كانت عليهم ؟

---

(١) المرجع السابق ص :

(ثالثا) ـ من هدايا العرب موسوعات الطب الاسلامية :

ان التاريخ يخبرنا أن أطباء المسلمين والعرب ، لم يقنعوا بما كان سائدا من كتب طبيه للاغريق والفرس أو الهنود ، وانما توسعوا في المباحث الطبيه كتوسعهم في بحوث الهندسة والنجوم وسائر العلوم ووضعوا الكتب فيما قرأوه وترجموه فاذا هي موسوعات تشمل جميع مختلف الفنون (١) .

ومن موسوعات الطب الاسلامية ما لم يوضع له نظير في الضخامة والتمحيص على قدر أسباب التمحيص في زمانه . وقد ترجمت كلها الى اللاتينيه فنقلت هذه الصناعة بين أطباء أوربه من حال الى حال . ولم يضارع مؤلفي العربية فيها أحد من علماء الأوربيين الى مطلع العصور الحديثة مع شغف الأوربيين أخيرا بادعاء ملكة العلم للعلم . واتهام الشرقيين بأنهم لا يطلبون العلم الا للصناعة وأرباحهم (٢) .

ولكي نفند هذا الاتجاه الأوربي الماكر ، كان علينا أن نذكر بعض أمهات الكتب الطبيه الجامعه التي استفادت منها دول أوربا .

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي صنفه سنة ٩٤٧م ونقحه سنة ٩٥٧م وهي سنة وفاته في ٩ أجزاء طبعة باريس وطبعة القاهره في ٤ أجزاء
(٢) راجع منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية أو الكونيه جلال محمد عبد الحميد موسى ص١٤٤
(٣) عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربيه ص٣٨ ط دار دار المعارف بمصر ١٩٦٥م

ومن هذه للكتب :

(أولا) ــ كتاب "القانون" للشيخ الرئيس ابن سينا فقد اعتمدت عليه جامعات أوربا فى تدريس الطب حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادى وهو كتاب نال تقدير الأوربيين وغيرهم. ولا تزال موضوعات كثيرة مما تحدث عنها ابن سينا جديرة بالتقدير حتى الآن على الرغم من التقدم "التكنولوجى" الذى نعيشه فى هذا العصر.(١)

(ثانيا) ــ كتاب "الحاوى" لمحمد بن زكريا أبى بكر الرازى المتوفى سنة ٣١١ هـ وهو كتاب فى الطب الاكلينيكى، والرازى هو الذى ابتدع علم التشخيص واستقصاء الدلالات والتمييز بين الأمراض المتشابهة. وهو الذى قدر التدوين فى ذلك كله.(٢)

---

(١) الغزو الصليبى والعالم الاسلامى على عبد الحميد محمود ص ٢٨٣ ط : دار الصناعة والنشر. القانون لابن سينا توجد منه طبعات شرقية كثيرة : اجودها طبعة بولاق سنة ١٨٧٧ م وفى الغرب طبعة روما سنة ١٥٩٣ م وهى تشتمل على "النجاة" أيضا وهو مختصر الشفا.
راجع هامش كتاب ا منهج البحث العلمى عند العرب السابق ص١٤٤.

(٢) الحاوى : أوسع كتب الرازى الطبية. وهو دائرة معارف ضخمه لا يمكن الجزم بعدد الأجزاء ومحتوياتها وتحتوى ترجمة اللاتينية التى قام بها اليهودى (فرج بن سالم سنة ١٢٧٩) على ٢٥ جزءا ليس هناك اتفاقا أصلا بين الموضوعات والترتيب في مختلف المخطوطات ولا توجد طبعه حديثه له سوى الطبعة الوحيده لحيدر أباد الدكن سنة (١٩٥٥ م) وقد تم حتى الآن نشر خمسة عشر جزءا
===

وليهما (أى ابن سينا والرازى) كتب كثيره ولكن الكتابين المذكورين هما أشهر كتبهما .

(ثالثا)ـ كتاب " التصريف لمن عجز عن التأليف " لخلف بن عباس الزهراوى

المتوفى ٤٢٧ هـ . وهو كتاب ترجم الى اللاتينيه . أفاد منه الأوربيون في الطب وفي الجراحه فهو يذكر في كتابه الآت جراحيه من عمله ويبين بالرسم شكلها ويوضح طريقة استعمالها . ولدينا صور لبعض هذه الآلات وسيراها القارئ في نهاية [illegible]

(رابعا)ـ كتاب "الأدويه المفرده " لعبدالله بن أحمد البيطار :

المتوفى سنة ٦٤٦ هـ وقد أفاد الغربيون منه أكثر [illegible] في علم العقاقير والأدوية المركبة والمفرده . وظل كتاب ابن البيطار مرجعا للأوربيين حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادى .

(٣١)

(خامسا)ـ كتاب نظام المستشفيات " البيمارستانات " : وهو نظام عرفه المسلمون ونقله عنهم الأوربيون . وقد عني البابوات وبعض ملوك أوربا باقامة المستشفيات على نظام البيمارستانات العربية .

=== والحاوى بخلاف الجامع الحاصر لصناعة الطب والذى يشتمل على ١٢ مقالة . وقد ظنّ البيرونى أن الحاوى والجامع واحد . نقلا عن كتاب منهج البحث العلمى ، جلال محمد عبد الحميد موسى ص١٤٤ في الهامش

راجع عرضا كتاب الغزو الصليبى .. والعالم الاسلامى ، على عبدالحليم محمود ص (٢٧٣ـ ٢٧٤).

وكذلك الحال فى طبيعة الضوء وسرعته وانكساره . والذى كتب فيه ابن الهيثم قبل ابطاله من علماء أوربا .

كذلك قاسوا محيط الأرض وسجلوا مبادرة الاعتدالين ، وقد رووا حجوم الكواكب وما بينهما من مسافات قبل " جاليليو وكبلر وكوبرنيق " وأضافوا الى المعارف الفلكية الشيء الكثير . أضافوا : البناتى والفرغانى (32) والكندى (33) والخوارزمى (34) والصوفى (35) وغيرهم .

وابتدع الخوارزمى استعمال الأرقام فى الحساب بدلا من حساب الجمل الذى كان سائدا . واختار سلسلتين من الأرقام : الأولى ما يعرف بالأرقام الهندية (١ ــ ٢ ــ ٣) والثانية ما يعرف بالأرقام الغبارية أو العربية (1 - 2 - 3) وتستعمل الأولى فى أغلب البلاد العربية ، والثانيه فى بلاد المغرب العربى وفى أوربا [1] .
ولقد كانت لا تعرف (الصفر) فى الحساب وانما علمته من علمائنا والدليل على ذلك ما يأتى :

يقول المؤرخ المدقق " كانتور " قائلا : " لقد امتدحنا (ليوناردو) (36) بعد أن قرأنا كتابه الأول . ولكننا ، فى الواقع ، بعد قراءة تلى المخطوطات ، لا ندرى بأى لغة نكيل له الثناء .. ان الكلمات لتعجز عن اكرامه " .

---

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ، المستشرقه زيغريد هونكه ص ٩٢ .

وكتب ليونارد و الفصل الأول من كتابه (Liber Abaci)
عن الأرقام العربية فقال : " ان الأرقام الهندية التسعة
هي : ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩
وبواسطتها جميعا ، علاوة على تلك العلامة " 0 " التي
تسمى الصفر العربي (١) . فانه يمكن كتابة أي عدد مهما كان .

ولا يمكن أن يحجب فضل ابن الهيثم (38) والبيروني (37) والكندي والغافقي (39)
والبغدادي (44) والقزويني (43) وابن مسكويه (42) والجاحظ (41) والخازن (40) وجابر بن
حيان ، وابن النفيس (48) وابن البيطار (47) وداود الانطاكي (46) والمقدسي (45)
والبناني والفرغاني (51) والادريسي (50) وابن ماجد (49) والدينوري والدميري
والصوفي وابن حمزة وابن يونس (52) والرازي والجلدكي والخوارزمي
وموسى بن شاكر (55) بل وابن سينا (54) وابن الرشد وعباس بن فرناس (53)
وغيرهم .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٣
قد أخذ كلمة الصفر عن العرب ليوناردو وكتبه باللاتينية
(Cephirum) وفي ايطاليا تحولت هذه الكلمة
الى (Zefro) ثم الى (Zero) وفي فرنسا قال الناس
(Chiffre) بمعنى الرقم القريب . وفي انكلترا الى
(Cipher) ثم الى (Zero) وفي المانيا
(Ziffern) + المرجع السابق ص٩٣ .

وظلت مؤلفات هؤلاء كما قلنا سابقا المراجع المعتمدة في جامعات أوربا حتى القرن السابع عشر . واعترف عدد كبير من مؤرخي العالم بفضلهم على العلم والانسانيه حتى قال قائلهم : " انه لولا أعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الأوربيه أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنيه عدة قرون " .

وحتى قال آخر : " ان كثيرا من الاراء والنظريات العلمية حسبناها من صنعنا فاذا العرب سبقونا اليها " (١) .

وظلت الأمة الاسلامية والعربيه حاملة لواء النهضه عدة قرون في وقت كانت أوربا ما تزال غارقه في الظلام . وكانت أدمغتهم محشوة بالخرافات والخزعبلات .

---

(١) راجع كتاب أثر العرب والاسلام في النهضة الأدبية ص٢٠٤ـ ٢٠٦ تأليف د . عبد الحليم منتصر .

(رابعا) ـ الترجمة : La Traduction

ان الترجمة حيث هي عامل حضارى ٠ وهذه الترجمة هى العماد الثانى الذى قامت عليه الثقافه العربيه فى العهد الأموى والعباسى وما بعدهما ٠٠

وقد ثبت تاريخيا أن الدولة الاسلامية ، ما أن استقرت وامتد سلطانها من مشارق الصين شرقا الى مشارف فرنسا غربا حتى أخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعه وفنونه ، فأخذوا يترجمون الذخائر العلميه وينقلون الى اللغة العربية علوم الاغريق والرومان والفرس والهنود ٠٠ ترجموا عن الاغريقيه والفارسيه والقبطيه والآراميه والهنديه ٠٠ ونقلت ألوف الكتب من المكتبات القديمه ٠ وأقيمت دور الكتب والمكتبات ٠ وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء وسابقوا فى الانفاق وبسخاء على العلم والعلماء ٠٠٠

واليك أمثلة على ذلك :

قد قبل هارون الرشيد الجزية كتبا ٠ كما دفع المأمون (56) وزن ما ترجم ذهبا وانشئت الجامعات فى جميع أقطار العالم الاسلامى :

وكان جامع المنصور فى بغداد

والجامع الأموى فى دمشق

والجامع الأزهري	في القاهرة
وجامع القيروان	بتونس
وجامع القرويين	بفاس
وجامع قرطبة	بالأندلس
والجامع الكبير	بصنعاء
وبيت الحكمة	في بغداد أيضا
ودار الحكمة	في القاهرة أيضا

وكانت جميعا بمثابة معاهد العلم في أرقى صورة وكان في رعاية الخلفاء والحكام من أمثال المأمون ونظام الملك ونور الدين زنكي والحاكم بأمر الله وصلاح الدين الأيوبي (57) ممن يرتفعون على القمة من حيث رعاية العلم والعلماء ...

وقد خصص أبناء موسى بن شاكر الثلاثة ريع أملاكهم الضخمة للترجمة وجمع الكتب فضربوا بذلك المثل لغيرهم أمثال الطبيب قسطا بن لوقا البعلبكي .

ولقد أضاف المسلمون والعرب كثيرا من الآراء والنظريات التي نسبت الى غيرهم فمثلا " ابن مسكويه وإخوان الصفا (58) وابن خلدون (59) قد تكلموا في التطور ولكن نسبوه الى داروين ..

وتحدثوا في الجاذبية والربط بين السرعة والثقل والمسافة وان نسب كل ذلك الى نيوتن (60).

وتحدثوا في أثر البيئة (61) على الأحياء قبل (لامارك) . وشرح ابن النفيس الدورة الصغرى قبل (هارفي) ببضعة قرون.(1)

---

(1) المرجع السابق ص ٢٧٥

كلمات عربية في اللهجات الأوربية

تتميما للفائدة نود هنا أن نشير الى بعض الكلمات العربيـة قد استعملها الأوربيون أيام كانوا يتلقون دروسهم من الجامعات الاسلامية ... واليك بعض ذلك :

(Café) بالفرنسه : هي (القهوه) التي تشرب

(Sofa) هي كلمة (صفّة) العربية التي تعني المقعد المظلل في جوار جامع . وما يقابلها في سائر اللغات يدل في الغالب على مقعد طويل ذي خشبة في موضع الجلوس.

(Tass) بالفرنسيه : هي (الطاس أو الكاسة) .

(Sucre) بالفرنسيه و (Sugar) بالانكليزية (Zugar) بالألمانية ، أي السكر وقد انتقلت هذه الكلمة لضرورتها في التغذيه الى معظم لغات العالم.

(Limonade) : اداة نسبة :(Ade) ، وعلى ذلك تكون الكلمة منسوبه الى الليمون ، من كلمة ليمون الذي اشتهرت . وقد أخذ الأوربيون هذا الاسم عن العرب فبقي مستعملا عندهم الى هذا اليوم ..

(AlKohol) هو الكحل أو الكحول : والكلمة عربية كما ترى وقد استعارها الأوربيون في حاجتهم العلمية .

(Banane) هو الموز . ونحن نعرف أن الموزه تشبه البنان أي الأصبع . فقلنا : بنان الموز . فجاء الأوربيون ، وأخذوا

الكلمة الأولى أى البنان واستغنوا عن الثالثة ، أى المــوز وهكذا صارت (Banane) تمنى المــوز •

(Coton) القطــن : مأخــوذ من العربــية كما هــو واضح •

(Chiffon) الشفاف : وقد استعملت هذه الكلمــة فى اللغــه الفرنســيه فيما بعد بمعنى الخرقــة أو الممحــاة من القماش

(Atlas) الأطلس مأخــوذة من العربــية •

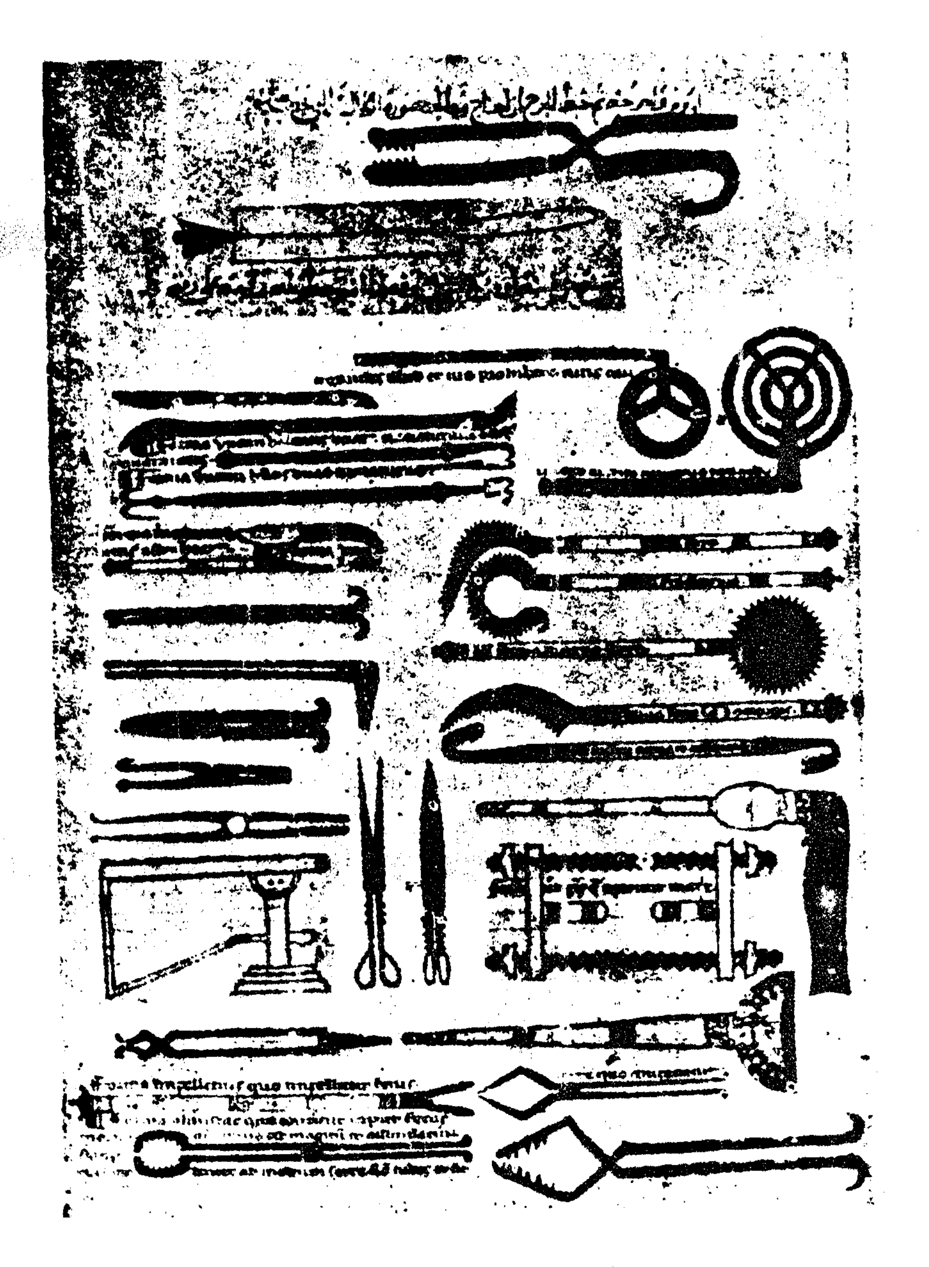
(Diwan) الديوان : هذه الكلمة وأمثالها تــدل على مقعد طويــل ذى حشــايا أونحوهــا فى موضع الجلوس وهـــى بالفرنســيه (Arroz) وكذلك فى الانجليزية ويقــال فــى الروســى أيضــا •

(Arroz) الأوز بالاســبانــية وبالبرتغاليــه (Arroz) وبالفرنســيــه (Riz) •

نكــتفى بهذا القدر للاثبات أن المدنية الأوربــيه ــ رغم نكران اهلها الجميــل ــ مستمدة من الحــضاره الاسلا مــيه •

وأكــبر دليل هذه المفردات التى بقيــت فى لغاتهــم الأوربــيــه بدون تغيــيــر لتكون شاهدا علــيهم ••

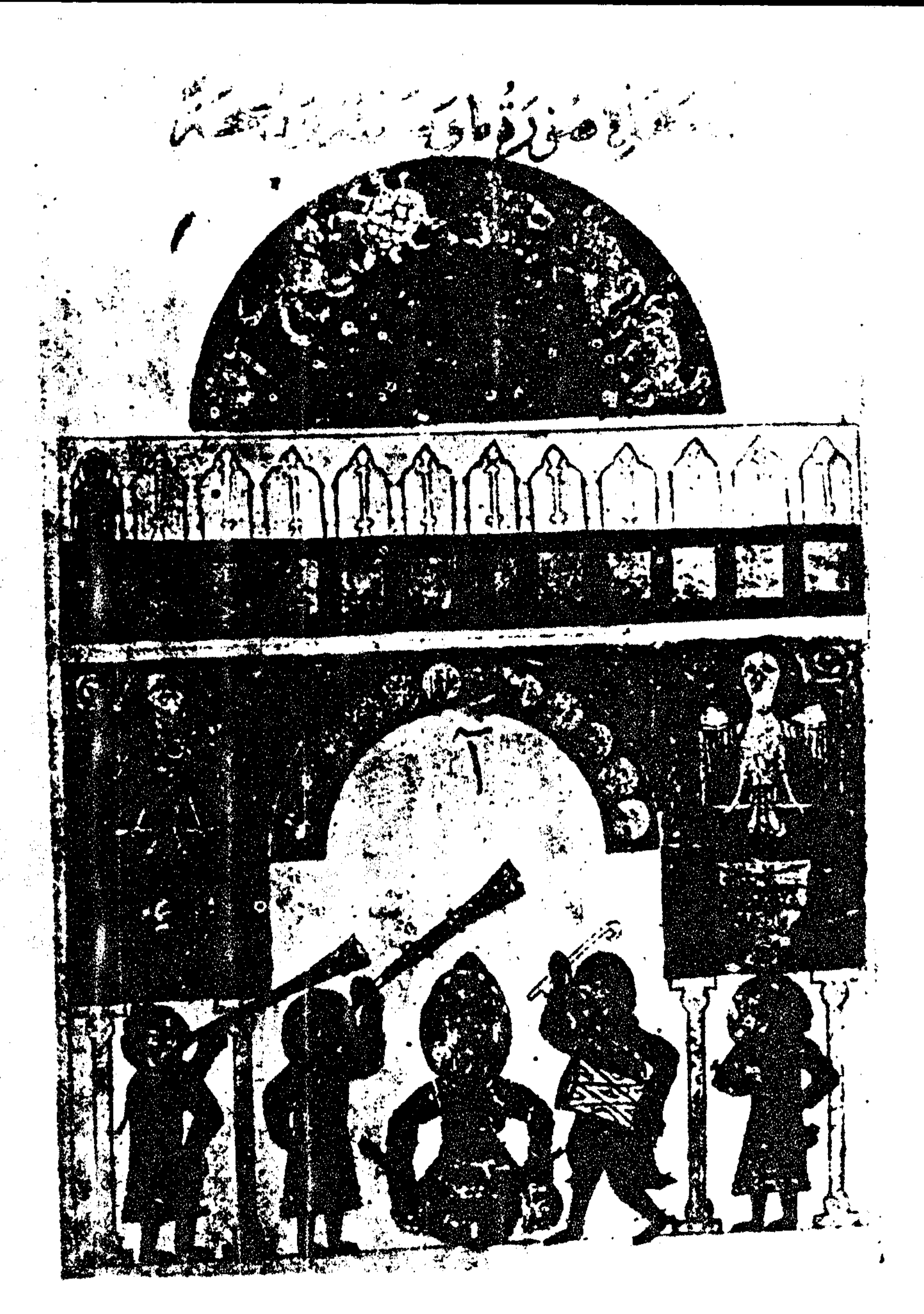
والى الجزء الثانى من هذا الفصل •



ادوات جراحية عربية

كان ابو القاسم الزهراوي من ألمع جراحي العرب وأعظمهم فضلاً وقد نقل للأطباء الغربيين صور الادوات الجراحية العربية .

نقلا عن كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف الدكتورة زيغريد هونكه الألمانية ص: ٥٧١



ساعة عربية فنية

رسم قديم لاحدى الساعات الفنية (حوالي عام ١٢٠٠ م) يظهر فيه بوضوح عالم الحيوان المتحرك والشخوصات المتنقلة من صقور تقذف الحلقات في وعاء معدني محدثة صوتاً ايقاعياً جميلاً ، الى عازفين على آلات موسيقية مختلفة ...

نقلاً عن كتاب شمس العرب تسطع على الغرب، تأليف الدكتورة زيغريد هونكه الالمانية ص: ٥٦٧



صيدلية عربية

صيدلية عربية كما جاءت مخطوطة بالعربية لابن سينا

المرجع السابق ص:



طراز البناء العربي

انتقل الطراز العربي في بناء العقود المنحنية الى اوروبة وتطور حتى اصبح عنصراً هاماً في فن البناء القوطي (Gotik) ، الصور من اليمين :

١ – تمثل لنا جانباً من هذه العقود في جامع « ابن طولون » بالقاهرة .

٢ – قبة مونديال بالقرب من بالرمو في النصف الاول من القرن الثاني عشر .

٣ – قبة « بيزا » وقد بدىء . تشييدها عام ١٠٦٣ اي بعد الاستيلاء على « بالرمو » .

٤ – كنيسة دير فونتناي Fontenay وقد بوشر في بنائها عام ١١٣٠ . ونرى الطراز العربي في بناء العقود المنحنية ، حتى في طراز الابواب ، كما يظهر في الرسم .



المرجع السابق ص ٨ ٥٧

الصراع في تاريخ الفكر الأوربي

ان المتأمل في التاريخ الأوربي ، منذ القرن الرابع عشر الى الآن ، يجد أن العقلية الأوربية شهدت صراعا فكريا حادا واتجاهات عقلية مختلفة . فكل ذلك يدور حول شيء واحد وهو : أي شيء يصلح أن يكون مصدرا للمعرفة اليقينية ؟ هل هو الدين أو العقل أو الحس ، فكان الصراع دائما يدور حول هذه الأشياء الثلاثة في أوربا . واليك تفاصيل ما أجمل :

أولا — سيادة الدين (١)

كان الدين أو النص سائدا طوال القرون الوسطى في توجيه الانسان سواء في سلوكه وتنظيم جماعته ، أو في فهمه للطبيعة ، وكان يقصد بالدين " المسيحية " . وكان يراد بالمسيحية ، الكاثلكة وكانت الكاثلكة تعبيرا عن " البابوية ". (٢)

" والبابويه نظام كنسي ركز " السلطة العليا " باسم الدين في يد البابا ، وقصر حق " تفسير " الكتاب المقدس " على

---

(١) عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٣٤ ط : دار الكتاب العربي .

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي ص ٣١٩ ط / السادسه

البابا وأعضاء مجلسه من الطبقه الروحيه الكبرى – وجعل مبدأ التثليث عقيدة أصلية في المسيحية كما جعل الاعتراف بالخطأ " وصكوك الغفران " من رسوم العبادة وغير ذلك مما يتصل بالكاثوليكية كمذهب وكنظام لاهوتي ٠

واستمر الحال كذلك حتى كان القرن الخامس عشر ، وحتى ابتدأت الحروب الصليبية (٣) تثمر ثمرتها الايجابيه في القاره الأوربيه ٠٠ فقام مارتن لوثر (٤) (Luther) وكافح تعاليم الشيطان كما سماها ٠٠ فحارب صكوك الغفران – كما سيأتي بيان ذلك – وألقى الأضواء على عقيدة (التثليث) كما حارب سلطة البابا ٠ وجعل السلطة الوحيدة هي " الكتاب المقدس " وكلمة الله " المسيح " وطالب بالحرية في بحث الكتاب ٠٠٠

---

(١) مقارنة الأديان د٠ شلبي ج ٣ المسيحية ص ٢١٢

(٢) محاضرات في النصرانيه الشيخ أبوزهره ص ٢٠٢ ط : الخامسه

(٣) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث ، د٠ عبد الحميد بطريق د٠ عبد العزيز نوار ص : ط ١٩٧١ م

(٤) ترجمة مارتن لوثر : (١٤٨٣ – ١٥٤٦ م) زعيم الاصلاح ال البروتستانتي نال شهادة أستاذ في العلوم من جامعة ايرفورت ١٥٠٥م وبدأ يدرس القانون ثم تحول عنه ودخل ديرا للرهبان وحرم اثر رسمها صكوك الغفران ١٥٢١ م ٠ ومسألة العشاء الرباني وتزوج ١٥٢٥ م باحدى الراهبات ٠

وجاء بعد لوثر في طريقه (كلفن)[1] (Calvin)
وبين هذين الثورتين تعرضت الكنيسة للجدل الفكري وأصبحت موضوعا للنقاش العقلي والمذاهب الفلسفية وحتى عصر جديد وهو : عصر سيادة العقل الذي زحزح العقائد المسيحية عن قلوب كثير من الفلاسفة وغيرهم .

ثانيا – سيادة العقل :

استمر اعتبار الوحي كمرجع أفضل للمعرفة ، حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو عصر التنوير في تاريخ الفلسفه الأوربيه وسمى أيضا (عصر الانسانيه) وكذلك سمى عصر (   ) أي عصر الايمان الفلسفي بالله ليس له وحي وليس بخالق للعالم .

فالتنوير – اذن لا يقصد به الا ابعاد الدين عن مجال التوجيه واحلال العقل محله[2] . فوضعوا بعض المؤلفات للتدليل على سذاجة أصول الدين وزعموا أن اصوله من أوهام الجماعات الأوليه ، وأكثروا من الحط من كرامة الدين في كل فرصة سنحت لهم حتى افضت هذه الحال الى نفور مستمر من الأديان ، والى انتشار الالحاد بين كثير

---

(١) ترجمة (كلفن" جون : (١٥٠٩ – ١٥٦٤ م) لاهوتي فرنسي بروتستانتي من رجالات الاصلاح ولد في مدينة (نويون) وكان ذلهما في اللاهوت والقانون . ثم تحول (١٥٣٣م) الى البروتستانت .

(٢) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي ص ٣٦٢ .

من الطبقات وما زال ينتشر حتى اعتبروا التمسك بالدين دليلا على الجهل ...

ولنضع القارىء مثلا مما كان يهاجم به الدين فى ظلال حرية الفكر فى عصر التنوير . ننقل ما جاء فى دائرة معارف لاروس القرن التاسع عشر تحت كلمة "دين" فى كلام عن رجال الدين :

" إن قلنا أن الذوق الانسانى يقتضى احترام الأشياء التى يمكن تعقلها يقولون : لا ! لا ! ثم يحاولون اذلال هذا العقل الانسانى الذى يدعى لنفسه حق التمييز بين الخير والشر وبين العدل والظلم حتى اذا تم تعمية عين العقل وتغشية باصرة البصيرة ، ... الى حد أن تعتبر المعجزات أمورا طبيعية ، وان تتوهم الأبيض أسود ، وأن تعد الرذيلة فضيلة ، يعود الدين فيهيب بالناس الى الطاعة .

فان سألتهم تطيع من ؟ أنطيع عقولنا ، أم واجباتنا الطبيعيه أم احساساتنا القلبيه ؟

أنطيع القوانين المقيدة للانسانيه ، والتى تنتج من تلقاء النقدمة نفسها ، أجابوك لا ، ولكن أطع وأنت أعمى ..." (١)

---

(١) راجع روح الدين الاسلامى : عفيف عبد الفتاح طبّاره ص٢٥٩ .

ومن فلاسفة هذا العصر :

أولا ـ في (ألمانيا) (ولف) : (Chirstian Wolff)

و (لسنج) : (Lessing)

ثانيا ـ في انجلترا : (لوك) [١] (John Locke)

ثالثا ـ في فرنسا (فولتير) [٢] (Voltaire)

و (بايل) (piere Bayle)

و (لا مترئن) (Lamettrien)

هؤلاء هم أشهر الفلاسفة الذين أسسوا هذه المدرسة العقلانيه .

---

(١) لوك جون (١٦٣٢ ـ ١٧٠٤م) فيلسوف انجليزى ، تعلم فى اكسفورد وحاضر بها ثم ألف كتابه المشهور فى العقل البشرى فلذا عرف فى أوربا كلها بأنه نصير الحريه . راجع الموسوعة العربيه الميسره ص ١٥٧٨ .

(٢) (فولتير ، فرانسوا (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) فيلسوف ومفكر فرنسى ، نشأ فى باريس وتعلم فى كلية لويس الأكبر اليوسوعيه اتهم باهانة الوطنى فيليب الثانى فعوقب بالسجن فى الباستيل احد عشر شهرا وكان حر الفكر فى الدين لذا رفض رجال الدين أن يدفنوه فى باريس حسب الطقوس المسيحيه ولكن نقل جثمانه (١٧٩١) ودفن فى مقبرة العظماء " البانثون " جمعت آثاره فى سبعين مجلدا .

ولكن يجب أن نشير هنا الى نقطـه هامة وهى :

ان ديكارت الفيلسوف الفرنسى (١٥٩٦ـ١٦٥٠) (١) هو الذى أرسى قواعد الفلسفه العقلانيـه ، المعروف بصاحب المذهب الاستنباطى (٢) الا أن هذا المذهب فى جملته فكر مادى . وكانت أول عبارة نادى بها هى " العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس " (٣) .

أما (جون لوك) السالف الذكر فقد خطا خطوة أبعد من ديكارت بأن طالب باخضاع الوحى للعقل عند التعارض قائلا : (من استبعد العقل ليفسح للوحى مجالا فقد أطفأ نور كليهما وكان مثله كمثل من يقنع انسانا بأن يفقأ عينيه ويستعيض عنهما بنور خافت يتلقاه بواسطة المرقب من نجم سحيق .. (٤)

ديكارت : (١٥٩٦ـ١٦٥٠)م واسمه رنى ديكاريت ، ولد بلاهى من أعمال مقاطعة تورين بفرنسا . دخل فى أول حياته مدرسة (لا فاليش) للآباء اليسوعيين التى يغلب عليها الطابع الفلسفى ثم غادرها بعد ثمانى سنوات ، وبعد أربع سنوات أخرى نال الاجازة فى القانون ـ بعدها تطوع للخدمه فى جيش الأمير موريس ناسو بهولانده حليفة فرنسا على اسبانيا ثـم عدل عن المهنة العسكريه للعمل فى معالجة المسائل الطبيعيـه بالطريقـه الرياضيـة وتجريدها من المبادىء الفلسفيـه .

(١) راجع تاريخ الفلسفـه الحديثه ليوسف كرم ص ٥٦

(٢) راجع أساليب الغزو الفكرى د . على محمد جريشـه ومحمد شريف زنبق ص ٨

(٣) تاريخ الفلسفـه الحديثـه ليوسف كرم ص ٥٦

(٤) انظر المشكله الأخلاقيـه والفلسفيـه

ورسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوزا ترجمة حنفى ص ١٢٢ـ١٣٣

كما دعا الى تطبيق مبدأ جديد على الحياة الأوربيه آنذاك ، هو مبدأ التسامح الديني وإعطاء الحرية الكاملة للانسان في أن يعتنق ما يشاء ويكفر ما يشاء من الأديان والمذاهب .

على أن نقد هؤلاء [illegible] لم يصل بهم الى انكار الوحي والديانات السماويه بصراحة كما أنه ظل مقتصرا [illegible] [illegible] على الأقل أمام ضغط المجتمع [illegible] [illegible] وانما [illegible] من كيانه وتراثا عزيزا عليه .

[illegible] في الصراع من أجل [illegible] [illegible] هم :

الفيلسوف الألماني فيشته (1) (Fichte) .

وهيجل (2)

الا أن فيشته يختلف عن هيجل لأنه [illegible]

---

(1) ترجمة فيشته : يوهان جوتليب (1762 ـ 1814) فيلسوف وزعيم سياسي ألماني شغف بالفلسفه [illegible] اتهم بالالحاد فغادر (يينا) حيث كان يشتغل بالتدريس . وبفضل كتابه خطب الى الشعب الألماني صار زعيما قوميا . استدل فيشته على وجود اراده اخلاقيه للكون ، هي بمثابة الله ..

(2) ترجمة هيجل ، جورج فلهلم فريدريك : (1770 ـ 1831) فيلسوف ألماني . بسط مذهبه في مؤلفات أهمها " علم المنطق " و " موسوعة العلوم الفلسفيه " وكتب في الأخلاق والتاريخ والدين . فلسفته مثاليه مطلقه ، مؤداها أن الكون روح تبتدئ في مراحل تطوريه يعينها المنطق الجدلي . ومحصله أن فكرة ما تولد نقيضها ، ومن تفاعل النقيضين تنتج فكره جديده ، ثم تؤلف [illegible] ، ثم تأخذ الفكره الجديده نفس المراحل الثلاث المذكوره وهكذا .. ففكرة الوجود تولد فكرة العدم ، ومن تآلفهما تنتج الصيرورة .. الموسوعه العربيه الميسره ص 924 .

مطلقه على كل شئ آخر سواه ، حتى على الدين والوحى بينما هيجل يميل الى سيادة العقل فحسب على الطبيعة . مع العلم ان كلا منهما أخذ مبدأ النقيض لفلسفته العقلانيه ، المبدأ الذى اعتمد عليه كارل ماركس فى تأسيس الشيوعيه أو الاشتراكيه .

ثالثا ـ سيادة الحس :

انتهى عصر التنوير بانتهاء القرن الثامن عشر تقريبا ، وابتدأ عصر آخر من عصور الفكر الأوربى بظهور فجر القرن التاسع عشر . وموضوع الصراع العقلى عند الأوربيين واحد لم يختلف عن ذى قبل ـ هو الدين والعقل والحس أو الطبيعه .

ولكن تميز القرن التاسع عشر بفلسفة معينه . لأن اتجاه التفكير مال فيه الى سيادة الطبيعه على الدين والعقل معا . والى استقلال " الواقع " كمصدر للمعرفة اليقينيه مقابل الدين والعقل .

تميز القرن التاسع عشر بأنه (عصر الوضعية " (positive) و" الوضعية " والغايه الأولى للمذهب الفلسفى الوضعى هى معارضة الكنيسه وبالتالى : معارضة معرفتها . ومن باب التغطية عارض هذا المذهب باسم (العلم) (١) وليضع ، مكان الكنيسه دينا جديدا ، هو

---

(١) راجع الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى محمد البهى ص ٣٤١ .

دين الانسانيه الكبرى ويقوم هذا الدين على (عبادة) و (طقوس) كما تقوم المسيحية وله قداسة واحترام فى نفوس تابعيه على نحو ما للكثلكة .

وأما الأساس الخاص لهذه السيادة ، سيادة الحس هو إعلان صريح لسيادة الطبيعه على حساب الأديان والعقل .. انها طريق المعرفه اليقينيه ، وهى التى تنقش الحقيقه فى عقل الانسان .

وفى نظر هذه السيادة ، ان المعلومات التى تأتى من وراء الطبيعة خداع ومكر . وقد لامر بنا فى هذا البحث أن لينين قال :

" اننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقيه التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعه غير الانسان والتى لاتتفق مع أفكارنا الطبقيه ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع ".(١)

هكذا رأينا أن الفكر الأوربى قد مر بهذه الأدوار الثلاثه التى هى :

سيادة الدين

سيادة العقل

سيادة الحس (١)

---

(١) عقائد المفكرين ، العقاد ، ص ٣٥

ويلاحظ هنا شيء يحسن الوقوف عنده قليلا : وهو أن الايمان بالعقل والايمان بالعلم الحديث ليسا شيئا واحدا كما يلوح من النظرة العاجلة . لأن الناس آمنوا بالعقل وحسبوا أنهم يفهمون به كل شيء من طريق المنطق والقياس ومن طريق القضايا والبراهين .. فلما اختلطت عليهم الأمور وقصر بهم العقل دون الحكم بالمحسوسات فضلا عن المغيبات — تحولوا الى التجربة الحسية ووقفوا عليها جهود العلم الحديث ، فلا علم بغير سند من الحسّ والتجريب ..

فاليوم — في القرن العشرين — أين تسير الحضارة الغربية بين هذه الشكوك التي بدأت بالشك في الدين ثم مضت أشواطا بعد أشواط تارة مع العقل وتارة مع العلم الحديث ، فلا شك أن دعوى العقل قد تواضعت في أوائل القرن التاسع عشر وتواضعت دعوى العلم في أوائل القرن العشرين . وكاد العلماء — الان — أن يتفقوا على أن التفسير والتعليل فوق طاقة العلم ولا سيما تفسير الغايات والأصول .

بناة هذا المذهب الوضعي

يذكر التاريخ أن من بناة هذا المذهب الوضعي ، (أوجست كومت) (١) الذى تحدثنا عنه أولا في مبحث قانون الدورة الثلاثية ، فهو يقول هنا : " يجب أن يحل (العلم الواقعي) محل اللاهوت .

ثانيا (فرباخ) (٢) هو الفيلسوف الالماني الذى يعتبر بحق همزة وصل بين هيجل وكارل ماركس فهو يرى أن علم الانسان هو الدين . والدين اذن محصول للعقل الانساني وليس موحى به من خارج الانسان .

والطبيعة الالهية كذلك هي طبيعة الانسان نفسه (قبحه الله) .

---

(١) أوجست كومت (١٧٦٨ــ١٨٥٧)م فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقا ، وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعية الحديثة هدفه الأسمى هو اصلاح المجتمع ليعيش الناس في توافق وانسجام . ومذهبه مبسوط في كتابه " محاضرات في الفلسفة الوضعية " وفيه يبين المراحل الثلاثة التي اجتازها الفكر في تطوره (١) اللاهوتية التي تعلل الأشياء بقوى خارقة (٢) الميتافيزيقية التي تعلل الأشياء بمبادئ مجردة (٣) الوضعية التي تعلل الأشياء بالمشاهدة ..

(٢) والتجارب تأييد للفروض وتتفاوت العلوم بساطا وتركيبا . فأبسطها الرياضة فالفلك فالفيزيقية فالكيميا فعلم الاجتماع وكل يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد عليها جميعا ، وكلها في خدمته .. الموسوعة العربية الميسرة ص ١٥١٧

وثالثا (ماركس) [1] (Marx)

ان هذا الفيلسوف هو الذى أثر تاثيرا كبيرا في انتصار البحث الطبيعي الواقعي على الميتفيزيقا . وعلى طريقة التفكير الخاصة بعصر التنوير في القرن التاسع عشر .

---

(١) (كارل ماركس) ولد في عام ١٨١٨ في بلدة تريف في المانيا حيث تغلغل النفوذ الفرنسي وبسط جذوره اكثر ما تغلغل في اى جزء آخر من المانيا .

وقد انحدر من سلسلة طويلة من الحاخامات اليهود ، ولكن والده كان محاميا ، وعندما بلغ ماركس السادسة من العمر ، اعتنقت اسرته المسيحية ونشأ هو برتستانتيا ، ولكنه لم يلبث ان تخلى عنه ، وكان لانحداره من اسرة الحاخامات اليهودية اهمية كبيرة لسببين :
انه استمد منها روح السلطة التي تميز بها .. وانه تاثر بشخصية المسيح المخلص وهي العقيدة التي تلعب دورا هاما في الفكر اليهودى (واليهود يعتقدون ان المسيح لم يظهر بعد وانما سوف يظهر) ولم يكن التفكير اليهودى في يوم ما تفكيرا في العالم الآخر ، وانما يصر على واجب اقامة عهد سلامه وسعاده في العالم الحالي .
وهكذا لم يكن من محض الصدفة ان يكون كثيرون من زعماء الشيوعية من ايام ماركس الى الان من اليهود (انظر كاريو هنت ، الشيوعية نظريا وعمليا ص ١٧) ... درس كارل ماكس في

====

....

=== الجامعات الألمانيه حتى حصل على درجه دكتوراة فى الفلسفه ولم يستطع أن ينال عملا بالجامعه بسبب اتجاهاته الديمقراطيه ، التى كانت تعد تطرفا آنذاك ، فلجأ الى الصحافه ليعمل بها ، وأصبح محررا بمجلة (الرين) بكولونيا ، لكن حكومة (بروسيا) ضاقت ذرعا بمقالته وأوقفت صدور هذه المجله ... وعلى اثر ذلك انتقل ماركس الى باريس حيث تقابل مع مجموعه من المفكرين الذين شغلوا انفسهم بمشكلات المجتمع الاقتصاديه والسياسيه والاجتماعيه واشتبك معهم فى نضال عنيف اذ كانت آراؤه بعيده عن اتجاهاته . فلما تقابل مع (فردريك) أنجلس أدرك الاثنان أن افكارهما متقاربه ، فسارا معا طيلة حياتهما ، وأربطت باسمهما (الاشتراكيه العلميه) وكان لكارل ماركس قصب السبق ، ولكن أنجلس أتم بعد وفاة (ماركس) أيضا اتجاهات هذا الرائد فكان أنجلس بذلك امتدادا لحياة ماركس .
(راجع احمد شلبى ، الاشتراكية ص ١١٧) .

وقد حفل العقد الخامس من القرن التاسع عشر باضطرابات بالغة حتى سمى عام الثورات ، وقد ناضل الأحرار القوميون فى سبيل الديمقراطيه والاستقلال وكانت ثورة فرنسا من أبرزها . وقد كان من أسباب الثورات المثاليه وقتئذ التعطل وانخفاض الأجور وسوء حالة العمال مع كثرة ساعات العمل .

وحدث أن تكونت جمعيه سريه دوليه سميت باسم (عصبة العدول) وبحلول عام (١٨٤٨) م بثوراته واضطراباته أعلنت هذه الجمعية عن اهدافها وطلبت من ماركس وانجلس ان يكتبا بيانا يحمل صيغة اهدافهما فاستجاب ماركس وانجلس لذلك وأصدرا البيان الشيوعي .. وبعد ان انهارت ثورة ١٨٤٨ م انتقل ماركس الى لندن عام ١٨٤٩ م ليقضي بقية حياته في عمل متواضع يكسب به عيشه ككاتب في صحيفة (نيويورك تربيون) في حين كان صديقه انجلس - وكان ابن رجل انكليزى ثرى - يسدد نفقات صديقه (ماركس) بما يقدمه له من مساعدات .. وبعد لجوئه الى لندن دون كتبه الكبرى وهى (نقد الاقتصاد السياسى ١٨٥٩م) (ونداء الطبقات العاملة في اوربا عام ١٨٦٤م) وكتابه الاشهر (رأس المال ١٨٦٧م) فأسس الدولة الاشتراكية الاولى سنة ١٨٦٦م التي ظلت قائمة الى ١٨٧٠ ومات سنة ١٨٨٣ م

وآراء ه مع انجلز (١) (Enclos) تعتبر دستورا للماركسية فيما سمى بالاشتراكية الجماعية او ما يسمى بالشيوعية او البلشفية .

وهذا المذهب الشيوعي (١) ينبنى على الأسس التالية :

(١) الصراع بين الطبقات :

وماركس له جدل (Dialektik) ، ومنطق استخدم

---

(١) معظم اعضاء المجلس الشيوعي الذى يحكم روسيا الان سنة ١٩٥١ من اليهود الصرحاء . فالاعضاء ١٧ هم : ستالين رئيس المجلس ، وكاجانوفيتش نائبه ، ثم بيريا ، وفيرشيلوف ومولوتوف ، وشفرنيك ، وكيرتشينسنين ، وجوركين ، و (اليا اير همبرج) وديفنسكى وهينسبرج وميخاليس ، وقرصين ، وجودى ، ولوزوفسكى ، وكافتانوف وبيتر ليفنتسكى وهؤلاء يهود صرحاء الا ثلاثة منهم : ستالين وفيرشيلوف ومولوتوف ولكن زوجات الثلاثة يهوديات . والحركة الشيوعية حركة يهودية . فمؤسسها يهودى (كارل ماركس) لقد نجح الشيوعيون اليهود اخيرا في النفوذ الى الصين على ايدى وكلائهم من الصينيين وغيرهم . وشرعوا يبسطون سلطانهم علانية بالعنف والخديعة على آسيا ، الى جانب ما استحوذوا عليه من

====

فيه (النقيض) الذى عرف للفيلسوفيين الالمانيين (فيشته و هيجل)
ولكنه استخدمه في مجال اخر غير مجال التصوير الذهني الذى كان عند
(فيشته) وغير (مجال الفكره) الذى كان عند هيجل . بل استخدمه
في مجال الاقتصاد . واستند في هذا الاستخدام الى تاريخ الجماعة .

=== من الاقطار الاوربية ولا يوجد قطر في العالم لم تتسرب اليه
الشيوعية اليهودية مستغلة ضيق الناس وشرههم وجهلهم . ووشاية
حسدهم وبغضهم على من هم اعلى منهم . هذا الى ما للصهيونيين
في الحكومات والشركات وغيرها ممن لا يعملون باسم الشيوعية ظاهرا
وليسوا مع ذلك الا صنائع في الحكومات والشركات وغيرها ممن
لا يعملون باسم الشيوعية ظاهرا . وليسوا مع ذلك الا منفذين
منفذين لاغراض صهيون . وفي ذلك ما يدل على انهم يريدون
تسخير الصين وامريكا كما هو حاصل . و تسخير اليابان ايضا
ضد اوربا عند الضرورة و هذا شيء لم يكن في حساب سياسي
قط منذ خمسين سنة الا حكماء صهيون .
(راجع بروتوكولات حكماء صهيون الترجمة العربية محمد خليفة
التونسى ص ٦٨)

فكل شيء في نظره يتضمن نقيضه ، بحيث ان كل شيء)
يهدم نفسه وهذا هو التطور العام لمبدأ النقيض .

ولكن (ماركس) يستخدمه كي يدلل على وقوع انهيار المجتمعات
فالمجتمعات السابقه على الرأسماليه وهي :

دول الملوك والمجتمعات الاقطاعيه (أصحاب المزارع الكبيره)
انهارت بناء على تفكير (ماركس) لأنها تضمنت عنصر المقابل ،
أو النقيض كما يقولون : " ان كل بذره تحمل بذور نقيضه " .

وعلى هذا النحو ستنهار هذه المجتمعات الحديثه الرأسماليه
وتتحول الى المقابل أو النقيض لها وهو المجتمع الشيوعي ذو الطبقه
الواحده من العمال . وهو مفهوم الصراع بين الطبقات عند هذا
الفيلسوف كارل ماركس .

وخلاصه آرائه في هذا الصراع الدؤوب بين الأمم يرجع
أولا وآخرا الى البحث عن الطعام لا غير وعدوه الوحيد هو الملكيه
الفرديه .

وهذه هي سلسله الصراع التي تخيلها ماركس منذ أن ظهر الانسان
الأول على ظهر هذا الكوكب الأرضي .

الشيوعيه الأولى - الرق - الاقطاعيه ، الرأسماليه
الشيوعيه الأخيره . هذه هي حتميات التاريخ عند كارل
ماركس . ومعنى ذلك أن الانتقال من طور الى طور

آخر حتى لا طاقة للانسان التخلص منه أبدا .(1)

---

(1) نظره عن الشيوعيه : فهي مذهب يقضي أن يمتلك الناس الأشياء شيوعاة ويعملون فيها معا دون اختصاص أحد بشيء معين . وقد دعا الى هذا المذهب كثير من المتيوسين المذاكيد، منهم " مزدك " الذى ظهر فى فارس قبل الاسلام سنة ٤٨٧ م وزاد شيوعية النساء على شيوعية الأموال واعتبر ذلك دينا ، فتبعه كثير من السفهاء حتى كاد يذهب بالدولة ، ولكن الملك قباد ، كاد يستأصله هو وأتباعه فى مذبحه عامه سنة ٥٢٣ م . كما دعا الى هذا المذهب ، القرامطه أيام دولة العباسيين وفتنوا كثيرا من الخلق وارتكبوا كثيرا من الشنع البشعه فى جنوبى العراق وما والاه حيث قامت دولتهم نحو سنة ٨٩٠م الى أوائل القرن الحادى عشر ، كما دعا اليه الشيوعيون فى العصر الحديث ورأس مذهبهم (كارل ماركس) اليهودى . وقد تمكن بلاشفتهم اليهود من وضع روسيا تحت هذا النظام . وأكرهوها بالعنف على هذه الفكره الخاطئه ولا يزالون يتخبطون فى تطبيقها هناك متحدرين من خيبة الى خيبه ، مع تمكنهم من الحكم المطلق فيها منذ سنه ١٩١٧ م وهم يحاربون الرأسماليه الفرديه . ولكن الشعب هناك فى يدى الحاكم المطلق الذى يملك المال والأرباح . فيجمع بين استبداد المال واستبداد الحكم معا .

راجع الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د. محمد البهى ص

راجع البروتوكولات ص١٨٦ فى الهامش

نقول ان هذه الحتميات لا أساس لها من الصحه ، فلذا لا نحتاج الى وقوف طويل معها . فوجود العالم الاسلامي ينقض هذه الحتميات لأنه آمن بامكانية اقامة المجتمع وعلاقته الاقتصاديه والسياسيه على أساس ايماني بقطع النظر عما طرأ على المجتمع من تغيير في شروطه المدنيه والماديه خلال أربعه عشر قرنا .

وباجماع المؤرخين ، ان الاسلام لم يمر قط في هذه الحتميات المزعومه ..

ولما اتضح ذلك للماركسيين تراجعوا عن غطرستهم فقال أنجلز :

" ان الظروف التي ينتج البشر تحت ظلها ، تختلف بين قطر وآخر ، وتختلف في القطر الواحد من جيل لآخر . لذا فليس من الممكن أن يكون للأقطار كافه وللأدوار التاريخيه جمعاء اقتصاد سياسي واحد " (١) .

وهكذا فشلت الماديه التاريخيه في أداء مهمتها العلميه المزعومه وثبت لدى التحليل أنها لا تعبر عن القوانين الصارمه الأبديه للمجتمعات البشريه ، فمن الطبيعي اذا أن تنهار الماركسيه المذهبيه التي ترتكز على هذه الفكره المتطرفه ...

---

(١) راجع ضد دوهرنك : ج ٢ ص ٥ نقلا عن كتاب اقتصادنا محمد باقر الصدر ص ٨٤ .

(ثانيا) الدين مخدر :

هذا هو الأساس الثاني الذى تقوم عليه الشيوعيه الماركسيه .

ولـ(كارل ماركس) نظريه ماديه ، وهو لا ينكر (العقل) كما ينكره المذهب الميكانيكى ولكنه لا يدعى فحسب أن الماده توجد قبل أن توجد العقل بل يدعى أيضا أن الماده أكثر أهميه وأكثر امتيازا من العقل . اذ العقل متوقف على الماده أكثر في وجوده ولا يمكن أن يوجد منفصلا عنها ونتيجه ذلك :

أن (ماركس) لا ينكر فقط أن يبقى العقل أو الروح بعد الجسد بل يرفض الفكره الأساسيه فى الدين وهى الايمان بالاله كموجود أزلى مستقل تماما ومتجرد تماما عن الماده ...

والحقيقه واضحه فى الماركسيه : كل دين بالنسبه لماركس مرفوض من حيث المبدأ لعنه ... وماركس يحدثنا أن كل دين مخدر للشعب : (١) وهذا نصه :

" ان البؤس الديني ، لهو التعبير عن البؤس الواقعى ، والاحتجاج على هذا البؤس الواقعى فى وقت معا . الدين زفره الكائن المثقل بالألم ، وروح عالم لم تبق فيه روح ، وفكر عالم لم يبق فيه فكر ، انه أفيون الشعب ". (٢)

---

(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهى ص :

(٢) كارل ماركس ص ١٦ــ١٧

نقلا عن كتاب اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ص ٢٠٨ .

اذن فنقد القدين هو الخطوه الأولى لنقد هذا الوادى الغارق في الدموع •

" بالنسبه الينا في ميدان التاريخ ان الماديه القديمه لا تصدق مع ذاتها لأنها تعتبر القوى المثاليه المحركه في التاريخ عللا نهائيه وذلك بدلا من البحث عما وراءها أى البحث عن القوى المحركه الفعليه ، الكامنه وراء هذه القوى المحركه ويبدو التناقض لا في الاعتراف بهذه القوى المثاليه فحسب ، بل في عدم مواصلة البحث وراء هذه القوى ، حتى يمكن ازاحة الستار على العلل المحركه" (١)

هذا هو المقصود عند ماركس وأتباعه من التفسير المادى" للتاريخ الذى هو عباره عن تحليل للحوادث التاريخيه ، بواسطة تطبيق مبادىء البحث الجدلى القائم على مبدأ التقيض •

(ثالثا) ـ المذهب المادى التاريخى :

ان التفسير المادى للتاريخ ، من أهم المزايا الماديه الحديثه ، اذ لا يمكن بدونه اعطاء التاريخ تفسيرا صحيحا ، يتجاوب مع الماديه الفلسفيه ويتسق مع المفهوم المادى للحياه الانسانيه والكون •

---

(١) راجع كتاب التفسير الاشتراكى للتاريخ ص ٧٥ •

وما دام التفسير المادى للتاريخ صادقا فى رأى الماركسيه على الوجود بصوره عامه ، فيجب أن يصدق بالنسبه الى التاريخ ، لأن التاريخ ليس الا جانبا من جوانب الوجود العام . (١)

" وعلى هذا الأساس ، تعيب الماركسيه على ماديه القرن الثامن عشر ، موقفها من تفسير التاريخ . لأن ماديه القرن الثامن عشر الميكانيكيه ، لم تتوفق الى هذا الكشف المادى الجبار فى الحقل التاريخى " .

بل كانت مثاليه فى مفاهيمها عن التاريخ ، بالرغم من اعتناقها للماديه فى المجال الكونى العام.

ولماذا كانت فى مفهومها التاريخى مثاليه ، كانت كذلك فى رأى الماركسيه لأنها آمنت بالأفكار والمحتويات الروحيه للانسانيه ، ومنحتها دورا رئيسيا فى التاريخ . ولم تستطع خلال العلاقات الاجتماعيه التى كانت تعيشها ، أن تتخطى هذه العوامل المثاليه ، الى السبب الأعمق ، الى القوى الماديه للتاريخ ، ولم يحالفها التوفيق فى وضع تصميم علمى ، لماديه تاريخيه تتجاوب مع الماديه الكونيه. وانما ظلت تتعلق بالتفسيرات المثاليه السطحيه التى تدرس السطح التاريخى ولا تنفذ الى الأعماق " (٢).

---

(١) راجع لودفيج فيورباخ ص١٠٣ ـ ١٠٥

راجع كتاب اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ص : ٣١

(٢) راجع التفسير الاشتراكى للتاريخ : ص ٥٧

(رابعاً) الماركسية كنظام سياسي للجماعة :

وهذا الأساس الرابع الذى يعتمد عليه الماركسيون فى توطيد أركان الشيوعية .

ان النظام الشيوعى ليس فيه مكان لأكثر من حزب واحد هو الحزب الشيوعى (66) والاشتراكية . يجب أن تحل محل الرأسمالية (67) (68) وكل الصناعات والمزارع ومصادر الثروة الطبيعية والخدمات ، يجب أن تملكها الدولة وتشرف عليها .

وهذه الجماعة الجديدة الاشتراكية أو الشيوعية ، تبرز للوجود عن طريق الكفاح بين الطبقات كنتيجة لحرب أو ضغط ، ويسقط النظام القديم السابق عليها ، وتنشأ دكتاتورية من العمال ...

ان المرحلة الاشتراكية أو الشيوعية تتلخص معالمها الرئيسية وأركانها الأساسية فيما يلى :

أولا — محو الطبقية (69) وتصفية حسابها نهائيا بخلق المجتمع اللاطبقى .

ثانيا — استلام البروليتارية للأداة السياسية (70) بانشاء حكومة "دكتاتورية" (71) قادرة على تحقيق الرسالة التاريخية للمجتمع الاشتراكى .

ثالثا — تأميم مصادر الثروة ووسائل الانتاج الرأسمالية فى البلاد وهى الوسائل التى يستثمرها مالكها عن طريق العمل المأجور — واعتبارها ملكا للمجموع .

رابعا — قيام التوزيع على قاعدة : (من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله) (١)

---

(١) راجع اقتصادنا محمد باقر الصدر ص ١٩٠ — ١٩١

هذا هو المذهب الماركسي بكلتا مرحلتيه ، الاشتراكيه والشيوعيه وقد رأيناه من خلال هذا الاستعراض السريع أنه يستهدف دائما لازالة فكره التدين أو فكره وجود خالق لهذا الوجود ، انه الحاد لا مثيل له فى التاريخ البشرى .

وهذه هى أوربا الحديثه قد رأينا كيف بدأت ومن [illegible] النهضه العلميه وأخيرا وقفنا على الأدوار المختلفه التى مرت بها .

وكما رأينا أن عصر سيادة الحس يدعى أنه أفضل العصور التى مضت على أوربا لنكرانه للدين ورفضه كل قيم وكمال اخلاق . هذا ان دل على شىء فانما يدل ان هذا [illegible] الحاد عرفته البشريه من لدن آدم الى أيامنا هذه .

ولكى تتضح أمامنا هذه القضيه يجب علينا أن نستعين بشهادة التاريخ ابتداء من العصر اليونانى والعصر الرومانى وكذلك العصر الجاهلى وأخيرا العصر الكنسى . لنرى أن هذا الالحاد فريد فى نوعه وأشكاله .

الالحـــاد فريد فى التاريـــخ الانسانى :

أن الالحاد الذى نعنيه هنا ، هو انكار وجود الله ـ سبحانه ـ انكـارا كاملا ، وهو المذهب السائد اليوم ـ فى أوربا أولا وفى أقطار كثيره مـن العالم .. (١)

فهذا النوع من الالحاد لم يسبق له نظير فيما سلف من الزمان (٢) .. لان الالحاد قد يوجـد على انه عوج فكرى اوخلل نفسى او انحراف فردى او جيل موقوت او غفله عامه على اسوأ الاحوال ..

اما الالحاد الاحمر الحديث ، فهو ثوره على الايمان ، تبغى تدابر دابره ، واجتياح اهله .

هو ثوره تتحقق وراء اسباب اقتصاديه خطيره ، وتستظهر بعصبيـه قويـه من العامه المحتاجين والمتطلعيـن ..

ان هذا الالحاد ، ليس شبهه ـ شأن الالحادات الماضيه ـ توشك أن تلحقها الأدله فتتلاشى ، لا ! انه الواقع . وغيره الباطل ..

أنه الجدير بالحياه ، وغيره الجدير بالفناء .. انه الجد وغيره الهزل .. انه الرأى الاول والاخير فى نظام الانسانيه ، ولا مكان لراى اخر أبدا ..

---

(١) راجع كتاب كيف نحارب الالحاد ، محمد احمد باشميل ص ٥ الطبعـه الاولى ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٢) راجع كتاب الاسلام فى وجه الزحف الاحمر محمد الغزالى ص ٤٨ منشورات المكتبه العصريه راجع ايضا كتاب حوار مع الشيوعيين فى اقبيه السجـون عبد الحليم خفاجى ص ٦٩ ومابعدها .

فقد ادعى اصحاب هذا الالحاد الفريد ، انه لا يوجد لهذا الوجود خالق .. بل يقولون بان كل ما في الوجود ازلي صادر عن " المادة " والنواميس الطبيعية نشأت على سبيل الصدفة والاتفاق وبلغت ما بلغته من الكمال والاتفاق عن طريق التطورات المتعاقبة وان الانسان نهاية هذه التطورات الحيوانية .. وقد سرت تعاليم الماديين الى بعض الناس فعدوا وادعوا ايضا ــ ظلما وبهتانا انهم قد عرفوا سر الحياة ، اى كيف نشأت الحياة فيقولون : " ان الحياة بدأت خلية بسيطة او مجموعة خلايا ، ثم بدأ التكاثر يعمل عمله والتطور يعمل عمله بدون اى تدخل خارجي ، حتى وصلت الحياة الى ما وصلت(٤) .

ان هذا الكلام ليس من عندنا وانما يقوله عميد مذهب التطور (تشارلز داروين) في كتابه أصل الانواع ، وهذا نصه :

" لا يعتري خلجة من الشك في ان ما اقطع ، كما قطع به الطبيعيون من القول بان كل نوع من الانواع قد " خلق " مستقلا بذاته (خطأ محض) .

واني لعلى تمام الاعتقاد بان الانواع دائمة التحول وان الانواع التي تلحق بما نسميه الاجناس اصطلاحا ، هي اعقاب متسلسلة عن انواع طواها الانقراض على نفس الطريقة التي تعتبر بها الضروب التابعة لأي نوع ، أعقابا متسلسلة عن ذلك النوع ذاته ...

---

(١) راجع روح الدين الاسلامي ، عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٨٥ الطبعة التاسعة
(٢) راجع ايضا كتاب من ازمة العصر ، محمد محمد حسين ص ١٨ الناشر عكاظ للطباعة والنشر ..
(٣) راجع كتاب هل نحن مسلمون ، محمد قطب ص /
(٤) العلم يدعو الى الايمان : تاليف ا. كرسي موريسون ص ٩٣ .

ثم قال وهو ينفي تدخل الله في الخلق :

" واني فوق ذلك لشديد الاقتناع بالانتخاب الطبيعي هو السبب الاكبر والمبيء الاقوى لحدوث التحولات .. " (١) هكذا يدعون ..

وبعضهم يقول ان الدين تفسير زائف للوقائع التاريخيه .. والبعض الاخر يقول :

" ان الدين اكبر خدعه في التاريخ وأما كارل ماركس الملحد العاتي يقول :

" الدين افيون الشعوب ".(٢).

ويشبهه بعضهم برجل يكتب شيكا لا رصيد له في المصرف .. ومعنى ذلك ان علماء الدين صاغوا عبارات وليس وراءها حقائق علميه . فعباره " وجود الله " — على حد زعمهم — ليس لها اي اساس علمي .. (٢)

الجدير بالذكر ان الملاحده المعاصرين اتخذوا العلم الحديث لتوطيد اركان الحادهم — والعلم بريء منه ..

وحينما نعود عوده سريعه الى اشهر علومهم ستجدهم قد بذلوا كل جهودهم فيها لتفنيد فكره وجود الله . واتجهت هذه العلوم كلها نحو هذه الفكره اتجاه الابر المغناطيسيه نحو القطب الشمالي : واليك نموذجا من هذه الموافقات المجيبه على الالحاد ..

---

(١) اصل الانواع ، تاليف دارون ص ١٢٢ ترجمه : اسماعيل مظهر ،مكتبه النهضه بيروت — بغداد .

(٢) التفسير الاسلامي للتاريخ .. الدكتور عماد الدين خليل ص ٦٣ ،راجع الدين تاليف وحيد الدين ص ١٩ .

أولا : (علم الفلك) L'Astronomie:

في مفتتح القرن التاسع عشر وجه نابليون بونابرت (١٨٠٨ ـ ٧٣) سؤالا الى علامه الفلك في زمانه " لا بلاس " (١) عن عمل القدره الالهيه في تنظيم الافلاك السماويه ، وكان لتوجيه هذا السؤال الى (لا بلاس) ( ) سبب خاص وهو ظهور كتابه عن علم الحركه العلويه " او الميكانيكا السماويه ، وفيه شرح حركه الفلك ويعللها بالقوانين الاليه كما يدل اسم الكتاب ، فقال علامه الفلك مجيبا سائله الكبير الذى كان يقول في الدين بمثل قوله : " انني لم اجد في نظام السماء ضروره للقول بتدبير اله. (١)

ومضى القرن التاسع عشر الى نهايته والرأى الغالب فيه بين المشتغلين بالعلم والمؤمنين به هو هذا الراى الذى تحدث به لا بلاس الى نابليون : ان العلم كاف كل الكفايه لتفسير جميع الاسرار الكونيه .

كتب السير جيمس فتزجيمس ستيفن في سنه ١٨٨٤ (٢) فصلا يعتبر يومئذ مثالا للاراء العلميه في تلك الفتره نختطف منه مايلي :

" اذا كانت الحياه الانسانيه في نشأتها قد استوفى العلم وصفها فلست ارى بعد ذلك ماده باقيه للدين ، اذ ما هي فائدته وما هي الحاجه اليه ،

---

(١) لا بلاس ، بيرسيمون : ١٧٤٩ ـ ١٨٢٧ فلكي فرنسي ورياضي ، ساهم في علوم مختلفه وكان استاذا في الرياضيات بالمدرسه الحربيه في باريس . بحث في تغير حركات القمر . الموسوعه ص ١٥٣٥ .

(٢) (سير جيمس) ١٨٧٧ـ١٩٤٦ عالم رياضيات في مسائل الطبيعه والفلك . راجع المرجع السابق ص ٦٨٢ .

اننا نستطيع ان نسلك سبيلنا بغيره وان تكن وجهه النظر التى يفتحها العالم لنا لا تعطينا ما نعبده فهى كفيله ان تعطينا كثيرا مما نستمتع به ونتملاه ..

نحن قادرون على ان نعيش عيشه حسنه بغير الديانه ، وان اقمناها على اصول غير هذه الاصول قلما تخالف فى لبابها اصول العيش التى يدين بها نفسه كل ذى اخلاق. (١)

انقضى القرن التاسع عشر وهذا هو الراى الغالب على اصحاب الراى فيه ممن يؤمنون بالعلم الحديث ويتوقعون له القدره على الاحاطه فى المستقبل به بمجهولات الغيب التى لم يحط بها فى ذلك الحين ..

ثانيا : (علم النفس) : Sycologie

ها هو علم النفس بزعامه (فرويد) يدعى ان العقل الانسانى مركب من شيئين : هما : (الشعور) وهو مركز الافكار التى تخطر على قلوبنا فى ظروف عاديه ... و (اللاشعور) : وهو مخزن الافكار التى مرت بنا ونسيناها ، ولا تظهر الا فى احوال غير عاديه ، كالجنون والهستريا وهذا القسم الثانى اكبر بكثير من الأول ..

اكتشف فرويد بعد جهد طويل ان اللاشعور ، قد يقبل افكارا فى

---

(١) راجع الموسوعه للعقاد .

(٢) (فرويد) سيجموند : ١٨٥٦ ــ ١٩٣٩ م طبيب نمساوى مؤسس مدرسه التحليل النفسى . اشترك مع جوزيف برويد فى علاج الهستريا بالنوم ، واثارت نظريته فى تطور الغريزه الجنسيه منذ الطفوله الاولى وفى عقد أوديب . وله عده كتب . وكان لنظريته اعمق الاثار فى الدراسات النفسيه والاجتماعيه ، وفى التربيه والفن والادب . راجع الموسوعه العربيه الميسره ص (١٢٩٧م) .

الطفوله وتؤدى الى اعمال غير عقليه ، وهذا ما يحدث بالنسبه الى العقائد الدينيه • فان فكره الجحيم والجنه ترجع الى صدى الامانى التى تنشأ لدى الانسان ابان طفولته ولكن لم تسمح له الفرصه لتحقيقها ، فتبقى دفينه فى (اللاشعور) ثم يفرض اللاشعور بدوره حياه اخرى يتيسر له فيها تحصيل ماكان يتمناه ، شأن الرجل الذى لا يظفر بما يحب فى الواقع فيحصله فى المنام • (١)

ثالثا : (علم مقارنه الأديان) : Comparison Des Religions

واما علم مقارنه الاديان ، يقول اصحابه : ان القضايا الدينيه وجدت لاسباب تاريخيه احاطت بالانسان فلم يكن فى استطاعته ان يفلت من السيول والاعاصير والطوفانات والزلازل والامراض " فأوجد قوى فرضيه " يستغيثها لتنقذه من البلايا النازله • وهكذا ظهره الحاجه الى شىء يجتمع الناس حوله ، ولا يتفرقون فاستغل اسم (الاله) الذى تفوق قوته قوه الانسان ويهرع اليه الجميع الى رضاءه • (٢)

هذه النظريه التى سموها : (بالمذاهب الكونيه او الطبيعيه) اشهر مقررى هذه النظريه هو العالم الالمانى (ماكس مولر) (Max Muller) فى كتابه عن الاساطير المقارنه (Compative Mythology) • (٣)

---

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص٣٦ الطبعه ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
راجع ايضا كتاب علم النفس د • فاخر عاقل ص٢١

(٢) الدين — د • محمد عبدالله دراز ص١١٤ وراجع ايضا كتاب علم النفس الحديث الدكتور سارجنت ص٥٣

(٣) راجع الدين — د • محمد عبدالله دراز ص١٠٧

وأما المذهب التقدمى ، او التصاعدى :

(Evolutionnisme progressisie Ascendent)

الذى ساد اوربا فى القرن التاسع عشر ، فى اكثر من فروع من فروع العلوم ، وحاول تطبيقه على تاريخ الاديان عدد من العلماء منهم سبنسر (١) (Spencer) وتيلور (٢) (Tylor) وفريزر (٣) (Frazer) ودوركايم (٤) (Durkheim) وغيرهم ، وان اختلفت وجهات نظرهم فى تحديد صوره العباده الاولى وموضوعها الا انهم اتفقوا على ان التدين بدأ فى صوره الخرافه والوثنيه ، وان الانسان اخذ يترقى فى دينه على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد ، كما تدرج نحو الكمال فى علومه وصناعاته ، حتى زعم بعضهم أن عقيده " الاله الواحد " عقيده جنسيه ، وأنها وليده عقليه خاصه بالجنس السامى .. (٥)

---

(١) سبنسر ، هربرت (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) فيلسوف انجليزى ، درس الهندسه ثم تحول الى دراسه العلوم الطبيعيه وعلم النفس . يرى ان الفلسفه هى حصر المعرفه فى مبدأ التطور وطفق يطبقه على جميع الظواهر حتى لقب " فيلسوف التطور " راجع الموسوعه العربيه الميسره ص :

(٢) تيلور ادوارد : ١٩٠٨ ـ عالم بالفيزيقا النوويه امريكى ، ولد بهنغاريا وتلقى علومه بليبزج قدم ١٩٣٥ الى الولايات المتحده . ثم حصل على الجنسيه الامريكيه ١٩٤١ (الموسوعه ص ٥٧٢)

(٣) فريزر ، سير جيمس جورج : ١٨٥٤ـ١٩٤١ انثروبولوجى اسكتلندى معروف بكتابه (الغصن الذهبى ١٢ مجلد وهو دراسه فى السحر والدين ومن كتبه الطوطميه والزواج بغير ذى القربى ١٩١٠م

(٤) دوركايم ، اميل ١٨٥٨ـ١٩١٧ رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد " كونت " وله عده كتب منها : تقسيم العمل فى المجتمع ١٨٩٣ وقواعد المنهاج الاجتماعى ١٨٩٥ والانتحار ١٨٩٧ والاشكال الاوليه للحياه الدينيه ١٩١٢ ..

(٥) المرجع السابق ٨١٦ وانظر ايضا الجفوه المفتعله بين العلم والدين ، محمد على يوسف ص ٣٢ .

philosophie

رابعا : (الفلسفه العقلانيه) :

نلخص الفكره الالهيه بين الفلاسفه العقلانيين بتلخيص الاراء التى رددها اشهر مفكريهم الى مطالع القرن العشرين • ويكفينا منهم ثلاثه هم :

(نيتشه) (وهارتمان) (وشبنجلر) وهم الذين قرروا فى مسائل ما بعد الطبيعه رايا مستقلا لا يحسب شرحا من شروح الكاثلكيه او البروتستانتيه • ولا يحسب حاشيه على مقاييس المنطق ومعايير العلوم •

" فعند نيتشه ١٨٤٤ ـ ١٩٠٠ ان الله (قد مات) * كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا * وان الشجاعه الزم ما يلزم النفس من خليقه ـ او عقيده ـ فى عالم خلا من الله " •

---

(١) نيتشه فردريك فلهلم ١٨٤٤ ـ ١٩٠٠ فيلسوف المانى مات عنه ابوه صغيرا • فربته امه على التقوى فانقلبت تقواه ثوره عقليه • كان استاذا لاصول الفقه فى بال (١٨٦٩) وتأثر بفلسفه شوبنهور وصادق فاجنر ، ثم خرج عليهما وعلى سائر اصدقائه بعد اصابته باضطرابات عصبيه • ومرض فى عينه فترك التدريس وطفق ينتقل مستشفيا • ولكنه يجهد نفسه حتى انتهى به الامر الى مرض خطير • الموسوعه ص ١٨٦٤ •

(٢) ادوارد فون هارتمان : ١٨٤٢ـ١٩٠٦ فيلسوف المانى الف كتاب (فلسفه الوعى) ويقصد باللاوعى ، القوى المهيمنه التى تسير الكون • سواء اكانت كائنات ذرات او عضويات او العالم باسره • وهو متشائم ان لا سبيل الى السعاده الا بالتحرر من السعاده • راجع المرجع السابق ص ١٨٧٨ •

(٣) شبنجلر ١٨٨٠ ـ ١٩٣٦ راجع الموسوعه لعباس محمود العقاد ج ١ ص ٢٩٢ •

وعند ادوارد فون هارتمان " ان الله ليس بذات وانه غير شاعر بنفسه" لوصاحب " أنا " تتشخص في كيان ... "

وليس الله في راى شبنجلر الا " اراده " على عاده الالمان المحدثين في ترجيح الاراده على الفكر • يقول : " ان الله بالنسبه الينا ــ الله الذى هو محبه العالم والذى هو القوه الكونيه • والذى ينعكس من فضاء العالم الى فضاء الروح التائم بالخيال " •

خامسا : (علم الاجتماع) : La Sociologie

يرى دوركايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ان التدين ليس فطريا في الانسان ولا الاخلاق فلا يصلح اذن ان ناخذ قواعد الدين دستورا للمجتمع ولندعه يصرح بنفسه (١) في اسطورة العقل الجمعى) :

" ... ومن هذا القبيل ان بعض هؤلاء العلماء يقول بوجود عاطفه دينيه فطريه لدى الانسان ، وبان هذا الاخير مزود بحد ادنى من الغيره الجنسيه والبر بالوالدين وحبه الابناء ، وغير ذلك من العواطف ، وقد اراد بعضهم تفسير نشأه كل من الدين والزواج والاسره على هذا النحو ، ولكن التاريخ يوقفنا على ان هذه النزعات ليست فطريه في الانسان " (٢) •

(١) راجع التطور والثبات في حياه البشريه ، محمد قطب ص ٥٢ •
(٢) راجع قواعد المنهج في علم الاجتماع تاليف اميل دوركايم ، ترجمه محمود قاسم ومراجعه الدكتور السيد محمد بدوى ــ مقدمه الطبعه الثانيه ص ١٦٥ •

وحينئذ فانه يمكن القول بناء على الرأى السالف بانه لا وجود لتفاصيل القواعد القانونيه والخلقيه في ذاتها ، اذا صح هذا التعبير ..

ومن ثم فليس من الممكن ، تبعا لهذا الرأى ، ان تصبح مجموعه القواعد الخاتبه التي لا وجود لها في ذاتها موضوعا لعلم الاخلاق .. " (١)

واضح في هذا التصريح :

ان الدين ليس شيئا فطريا . وكذلك الزواج والاسره والقواعد الخلقيه لا وجود لها في ذاتها ".

اننا لا نناقش دوركايم هنا ولا غيره ممن سبق ذكرهم ، انما اردنا هنا فقط ان نثبت ان هذا الالحاد الحديث لا مثيل له في التاريخ الانساني وستأتي مناقشتهم في حينها ان شاء الله تعالى .

سادسا : (كلمه دائره المعارف الانسانيه) :

يقول محرر دائره معارف العلوم الانسانيه الاجتماعيه تحت اسم الدين :

" وبجانب المؤثرات الاخرى التي ساعدت في خلق الدين . فان اسهام الاحوال السياسيه والمدنيه عظيم جدا في هذا المجال .

ان الاسماء الالهيه وصفاتها خرجت من الاصول التي تسود على ظهر الارض .. فعقيده كون الاله " الملك الاكبر " صوره اخرى للملكيه الارضيه . وكان الملك الارضي القاضي الاكبر ، فاصبح الاله يحمل هذه الصفات ، ولقب " بالقاضي الاكبر الاخير " الذي يجازي الانسان على الخير والشر من اعماله . وهذه العقيده القضائيه التي تؤمن بكون الاله محاسبا ومجازيا لا توجد

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩ ـ ٦٠

في اليهوديه فحسب ، وانما لها مقامها الاساسي في العقائد الدينيـــه ، المسيحيه والاسلاميه" (١) .

" لقد خلق العقل الانساني الدين ، واتم خلقه في حاله جهل الانسان وعجزه عن مواجهه القوه الخارجيه "

ويضيف جوليات هكسلي الى هذا قوله :

" فالدين نتيجـه لتعامل خاص بين الانسان وبيئته" (٢)

ويقول أيضا :

" ان هذه البيئه قد فات اوانها او كاد ، وقد كانت هي المسئوله عن هذا التعامل فأما بعد فنائها وانتهاء التعامل معها فلا داعي للدين " .

ويضيف : " لقد انتهت العقيده الالهيه الى اخر نقطه تفيدنا . وهي لا تستطيع ان تقبل الان ايه تطورتت ، لقد اخترع الانسان قوه وراء الطبيعه لتحمل عبء الدين . جاء بالسحر ، ثم بالعمليات الروحيه ، ثم بالعقيده الالهيه حتى اخترع فكره (الاله الواحد) . وقد وصل الدين بهذه التطورات الى اخر مراحل حياته . ولا شك ان هذه العقائد كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا بيد ان هذه الاجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها ، ومدى افادتها للمجتمع المحاضر المتطور" (٣) .

---

(١) Encyclopaedia of Sciences, 1957 Vol, 13, p. 233

(٢) Man in The Modern World, p. 130.

(٣) راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٨ ـ ٣٩ .

سابعا : (علم الاقتصاد والشيوعيه) : Communisme

يقول (لينين) في خطاب له القاه في المؤتمر الثالث لمنظمه الشباب الشيوعي في اكتوبر سنه ١٩٢٠ م .

" اننا لا نؤمن بالله ، ونحن نعرف كل المعرفه ان ارباب الكنيسه والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله استغلالا ، ومحافظه على مصالحهم اننا ننكر بشده جميع هذه الاسس الاخلاقيه التي صدرت عن طاقات وراء الطبيعه غير الانسان ، والتي لا تتفق مع افكارنا الطبقيه ، ونؤكد ان كل هذا مكر وخداع وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال ، لصالح الاستعمار والاقطاع ، ونعلن ان نظامنا لا يتبع الا ثمره النضال البروليتاري ..

" ونعلن ان نظامنا الاخلاقي ، هو الحفاظ على الجهود ، الطبقيه البروليتاريه " (٢) .

وهكذا ترى الفلسفه الشيوعيه ان الدين (خدعه تاريخيه) وهي تركز الاسباب في عوامل اقتصاديه ، لانها تنظر الى التاريخ في ضوء الاقتصاد ، وهو تاريخ البحث عن الطعام . بل هي ترى ان العوامل التاريخيه التي خلقت الدين

---

(١) راجع كتاب : Linin, Selected works Moscow 1947 Vol. 11 P. 667

راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٤٠

وراجع ايضا كتاب الاسلام والشيوعيه ، وزاره الاوقاف الاداره العامه للدعوه ص : ٢٧ .

(٢) البروليتاريه هي الطبقه الكادحه من العمال والفلاحين .

هى النظام البورجوازى الاستعمارى القديم • وهذا النظام القديم يلقى اليوم صفته • فلندع الدين ايضا يذهب معه •

وفى عام ١٩٤٩ م جاءت التعليمات الرسميه للحزب الشيوعى الى المعلمين فى جميع انحاء الاتحاد السوفييتى ما نصه :

" ان المعلم الذى يؤمن على تعليم النشىء لا يمكنه ولا يجب ان يكون محايدا فى موقفه من الدين •• ان عليه ان لا يتخلص من الايمان فحسب بل ان يقوم بدور ايجابى فى الدعوه الى عدم الايمان بوجود الله وان يكون داعيا متحمسا الى الالحاد " (١)

يقول ستالين عام ١٩٢٧ : لا يستطيع الحزب ان يقف من الدين موقف الحياد •• ان الحزب يشن حمله دعايه ضد اى انحياز للدين ، لان الحزب يؤمن بالعلم بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين ، لان الدين كله شىء مناوىء للعلم " (٢)

وفى عام ١٩٢٨ جاء فى برنامج المؤتمر السادس الدولى ما نصه :

" الحزب ضد الدين — افيون الشعب — تشغل مكانا هاما بين عمال الثوره الثقافيه ، ويلزم ان تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقه منظمه •• وحكومه العمال تعترف بحريه الضمير ولكنها فى نفس الوقت تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بدعايه ضد الدين ، وتنظم التربية على اساس التصور المادى للدنيا " (٣).

---

(١) مقال للدكتور احمد بدران الوارد فى الاخبار بتاريخ ١٩٧٤/١/١٣م

(٢) حقيقه الشيوعيه لامين شاكر ، وسعيد العريان • وعلى ادهم : عن كتاب الاسلام والشيوعيه ص ٦٢

(٣) حقيقه الشيوعيه السابق ص ١٩١

ويقول لوناشاريكى وزير التعليم فى حكومه السوفييت " وهو يهودى " :

" نحن نكره المسيحيه والمسيحيين • وحتى احسن المسيحيين خلقا نعده شر اعدائنا وهم يبشرون بحب الجيران ، والعطف والرحمه وهذا يخالف مبادئنا والحب المسيحى عقبه فى سبيل تقدم الثوره فليسقط حبنا لجيراننا •

فان ما نريده هو الكراهيه •

والعداوه وحينئذ نستطيع[1]

غزو العالم " •

ولأجل ذلك كله يقول البيان الشيوعى (La Manifestation-Communiste)

" ان الدستور والاخلاق والدين كلها خدعه البورجوازيه وهى تتستر وراءها من اجل مطامعها " (٢) •

يقول فيلسوف الشيوعيه انجلز :

" ان كل القيم الاخلاقيه هى فى تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصاديه "

فالتاريخ الانسانى هو تاريخ حروب الطبقات التى امتص فيها البورجوازيين دماء الفقراء • وقد كانت الغايه من وضع الدين والأسس الاخلاقيه حمايه حقوق البورجوازيين • هذا هو ملخص آراء الشيوعيين •

---

(١) الاسلام والشيوعيه تاليف محمد عرفه ص ٦٧

(٢) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٢٩

هكذا رأينا الملاحده فى مختلف علومهم الحديثه يحاربون الدين باسم البحث العلمى والتحقيق ولكن العلم براء من هذا التعطيل الذى يشل العقول ويفقدها شجاعه الاعتقاد فاذا جاز له ان ينكر فانما يجوز بحجه واحده وهى انه يجهل وليس انه يعلم • ومن الجهل لا من العلم ان نجعل الجهل مرجعا للوجود من اعلاه الى ادناه • فليقل " العالم " انه يجهل/ لأن الامر اكبر من ان يعرفه ويحيط بحدوده ولكن الامر الذى لا يعرفه ولا يحيط بحدوده موجود لا شك •

من هنا فقط قلنا ان الالحاد الحديث أعتى الحاد عرفته البشريه لأنه يدعى علم ما يجهل به • ومن راجع الكتب التاريخيه يدرك حقيقه ما نقول من ان هذا الالحاد فريد فى نوعه واشكاله ومميزاته ومشخصاته •• فلنستمع الآن الى/ شهاده التاريخ •

" شـهادة التاريـــــخ "

فيما مضى رأينا ان الملاحده صرحوا فى مختلف علومهم ان التدين طارىء على البشريه وان الالحاد هو الفطرى فى الكيان الانسانى . ولذا ذهب بعض كتاب القرن الثامن عشر الذين مهدوا الثوره الفرنسيه الى ان الديانات والقوانين ما هى الا منظمات مستحدثه واعراض طارئـه على البشريه حتى قال "فولتيـر" (١) :

" ان الانسانيه لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولـه في حيـــاه ماديه خالصه . قوامها الحرث ، والنحت ، والبناء ، والحداد والتجاره ، قبل ان يفكر فى مسائل الدينيات والروحانيات بل قال : " ان فكره التدين انمـــا اخترعها دهاه ماكرون ، من الكهنه والقساوسه الذين لقوا من يصدقهم مـــن

---

(١) ترجمه فولتير : (١٦٩٤ ــ ١٧٧٨ م) فيلسوف ومفكر فرنسي . نشأ فى باريس وتعلم فى كليه لويس الاكبر اليسوعيه . اتهم باهانـــه الوصى فيليب ٢ دوق اورليان . فعوقب بالسجن فى الباستيل احد عشر شهرا وهناك اعاد الى كتابه مسرحيه " اوديب " فنال شهـــره عظيمه ثم سجن مره ثانيه فى الباستيل لا تهامه باهانـه احـــد النبلاء ... وفى السياسه دعا فولتير الى الاصلاح . ولكنه كان يخـــاف الثوره وكان حر الفكر فى الدين لذا رفض رجال الدين ان يدفنوه فـى باريس حسب الطقوس المسيحيه .
راجع الموسوعه العربيه ص ١٢٣٧ .

الحمق والسخفاء " (١) .

وكذلك كان نظر (جان جاك روسو)(٢) الى فكره التدرين والقانون ، حيث ظن انها ليس لها الا قيمه وضعيه تحكميه . وفسر ذلك بقوله :

" ان الافراد الذين سبقوا الى وضع ايديهم على بعض مساحات من الارض حدا بهم جشعهم وحرصهم على المحافظه على ملكيتهم ، الى ان يأتمروا فيما بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ، ليخدعوا بها الجمهور . ويضللوا بها الفقراء " (٣) .

فالدين عند هؤلاء الماديين العصريين نقيض للعلم كما صرح بذلك ستالين فى تصريحه السابق .. فهما ضدان لا يجتمعان لماذا ؟

لانهم قصروا الكون على المحسوسات وانكروا ما وراء الطبيعه جمله وتفصيلا

فلا روح ، ولا خلود

ولا الملائكه ولا الشيطان

ولا الغيب ولا الجنه ولا النار

بل ان هذا الوجود لا يحتاج الى خالق ...

وتصوروا الدين على الشكل الذى يرون عليه بعض المتدينيين من الخلط والخبط والبعد عن التصور الصحيح للدين .

---

(١) Voltaire, Essai Sur Les Moeurs p.114

(٢) روسو جان جاك (١٧١٢ــ١٧٧٨ م) فيلسوف فرنسي مشهور له عده مؤلفات منها موسوعته . راجع الموسوعه العربيه الميسره ص٨٩٤ .

(٣) Rousseau, Discours Sur L'origine Et Le Fondement De L'ingalité parmi Les Hommes

راجع كتاب الدين ــ د. محمد عبدالله دراز ص٨١

ولماذا لم يحكموا بتضاد هذين العاملين : العلم والدين ويسعون في ازاله الثاني من العالم ..

ولكنهم لو انصفوا كما انصف في هذا العصر اكابرهم ووقفوا على ما فتح الله به على العالم المصرى من الحجج العيانيه في اثبات عالم ما وراء الماده . (١)

ثم لو نظروا للدين في اصله وينبوعه وعلاقته بالروح الانسانيه نظر الحكيم المتبصر لعلموا انهم كانوا في احكامهم الاولى غلاه مفرطين ولأصبحوا من أعز ابناء الدين كما اصبح اليوم كذلك اكابر علماء الماده .. الذين صرحوا الى ضروره التدين لأن الانسان لا يستغنى عن الدين الفطرى مهما تغيرت به الظروف المعيشيه .. واليك بعضا من تصريحاتهم في فطريه التدين:

فطريه التدين

انه لم ينقض القرن الثامن عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم حيث كثرت الرحلات الى خارج اوربا واكتشفت العوائد والعقائد والاساطير المختلفه وتبين من مقارنتها ان فكره التدين فكره شاعه لم تخل عنها امه من الأمم في القديم والحديث ، رغم تفاوتهم في مدارج الرقى ودركات البهيميه .. وهكذا ظهر ان التدين اقدم في المجتمعات من كل حضاره الحاديه . وكما ظهر

---

(١) يراجع عرضا دائره معارف القرن العشرين ج ٤ ص ١٠٧ (ماده دين) تاليف فريد وجدى .

ان الالحاد لم يكن معروفا الا عند عدد قليل جدا . ولم يحدثنا التاريخ [عن] وجود دولة – في فترة من فترات التاريخ – قد اعتنقت المذهب الالحادي فقط الا الآن في هذا العصر الحديث المنحرف المضطرب البائس الضائع (١) وذلك ان الانسان اذا ترك وفطرته فلا بد أن يتساءل عن الاسئلة التالية :

من يسير هذا العالم الضخم ؟

ما الانسان ؟

ما هذه الحياة ؟

ما الموت ؟

ماذا بعد الموت ؟

ان هذه الاسئلة ، فلا بد ان تاتي على انسان في اوقات السكون والهدوء ..

يقول معجم (لاروس) للقرن العشرين " ان الغريزة الدينية مشتركة بين الاجناس البشرية حتى اشدها همجية واقربها الى الحياة الحيوانية . وان الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق الطبيعة ، احدى النزعات العالمية الخالدة الانسانية ."

ويضيف : ان هذه الغريزة الدينية لا تختفي بل لا تضعف ولا تذبل الا في فترات الاسراف في الحضارة وعند عدد قليل من الأفراد " (٢).

---

(١) الدين – دكتور محمد عبدالله دراز ص ٨٤

(٢) La Resusse Du XXème Siecle, Article Religion.

وأما الباحث هنرى برجسون يزيد على ذلك بقوله :

" لقد وجدت وتوجد جماعات انسانيه من غير علوم و فنون وفلسفات
ولكنه لم توجد قط جماعه بغير ديانه " (١)

ويصرح (بارتيلى سانت هيلير) بقوله :

" هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الانسان ؟
ما الحياه ؟ ماالموت ؟ ما القانون الذى يجب ان يقود عقولنا فى اثناء
عبورنا فى هذه الحياه ؟ اى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياه ؟ هل
يوجد شئ بعد هذه الحياه العابره ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ..؟

هذا العالم وهذا الانسان ؟ من اين جاءا ؟ من صنعهما ؟ من
يديرهما ، ما هدفهما كيف بدءا ؟..

هذه الاسئله .. لا توجد أمه ، ولا شعب ولا مجتمع ، الا وضع
لها حلولا جيده اوردئيه مقبوله او سخيفه ، ثابته او متحوله .. " (٢)

ويقول شاشاوان : " مهما يكن تقدمنا العجيب فى العصر الحاضر ..
علميا ، وصناعيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، مهما يكن اندفاعنا فى هذه
الحركه العظيمه للحياه العمليه ، وللجهاد والتنافس فى سبيل معيشتنا

---

(١) Henri Bergson. Les Deux Sources De La Morle Et De La Religion p.105

(٢) B.ST. Hilaire, Mahomet et LE CORAN P. XXXIV.

ومعيشه ذويبنا ، فان عقلنا في اوقات السكون والهدوء (عظاما كنا او متواضعين خيارا كنا ام اشرارا ، يعود الى التأمل في هذه المسائل الأزليه : لم وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ والى التفكير في العلل الاولى او الثانيه وفي حقوقنا وواجباتنا " (١) .

يقول الدكتور (ماكس نوردوه) عن الشعور الديني : " هذا الاحساس أصيل يجده الانسان غير المتمدن ، كما يجده اعلى الناس تفكيرا ، واعظمهم حدسا .. وستبقى الديانات ما بقيت الانسانيه ، وستتطور بتطورها وستتجاوب دائما مع درجه الثقافه العقليه التي تبلغها الجماعه " (٢) .

يقول سالمون ارنياك : " ليس امام الديانات مستقبل غير محدود فحسب بل لنا أن نكون على يقين من انه سيبقى شيء منها ابدا ، ذلك لانه سيبقى في الكون دائما اسرار ومجاهيل ، ولأن العلم لن يحقق ابدا مهمته على وجه الكمال " (٣) .

و يقول ارنست رينان (Renan) في تاريخ الاديان :

" ان من الممكن ان يضمحل كل شيء نحبه وان تبطل حريه استعمال العقل والعلم والصناعه .. ولكن يستحيل ان ينمحي التدين .. بل سيبقى

---

(١) - Chachoin, Evolution Des Ideés Religieuses p.158

(٢) - Max Nordau, Reponse au Mercure De France paris 1908.

(٣) - Salomon Reïnach, orpheus, p.35-6

وقال : ﴿ وان من أمة الا خلا فيها نذير ﴾ (١)

وقال : ﴿ ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٢)

هذه هى تقارير العلماء ، وهذه هى النصوص القرآنيه تتفقان على ان الالحاد غير اصيل فى الفطره الانسانيه ... فقد آن الاوان ان نسمع الى شهاده التاريخ ... ابتداء من الحضاره الاغريقيه وانتهاء بالجاهليه العربيه نسمع ذلك لنصل الى نتيجه واحده ، وهى : ان الالحاد الحديث لا مثيل له فى التاريخ الانسانى العام ..

ان الالحاد فيما عبر من الزمان ، كان مزاجا شخصيا ولكن هؤلاء الملاحده المعاصرين جعلوا العلم سندا للالحاد وأقاموا له دوله بل دولا تحميه بالحديد والنار ، وليست روسيا الشيوعيه الا نموذجا من هذه الدول الالحاديه .

---

(١) سوره فاطر : ايه : ٢٤

(٢) سوره النحل : ايه : ٣٦

ظروف عامة

ساعدت على قيام دولة الإلحاد في الأرض

اول ملحد يعرفه التاريخ فى العهد اليونانى

رأينا فى الصفحات الماضيه ان التدين هو لعموم جميع الأمم . ولكن لا يعنى ذلك عمومه لكل افرادها ، فانه لا يخلو امة من وجود ذاهلين يحسبون الحياه لهوا ولعبا ويتخذون الدين وهما وخرافه ، لكن هؤلاء دائما كما قلنا — هم الأقلون فى كل أمة . وحتى فى عصور اليونان المتسمه بالحركات العلميه الواسعه والفلسفات المطلقه الحره التى فى حريتها لم تعرف الحدود كان القول بانكار وجود الله تعالى ، لا يكاد يسمع له صوت بين الفلاسفه والمفكرين ورجال السياسه والحكم . (١)

من هؤلاء الذاهلين يذكر لنا التاريخ الفيلسوف اليونانى "ديمقريطس" (٢)

---

(١) كيف نحارب الالحاد ، محمد باشميل ص٦ الطبعه الاولى .

(٢) ترجمه (ديمقريطس) تقول الموسوعه العربيه الميسره ص ٨٣٧ ان يمقريطس ٣٦٠ — ٢٧٠ قبل الميلاد ، فيلسوف يونانى يرى العالم مؤلفا من ذرات متجانسه فى طبيعتها ، لكنها مختلفه حجما وشكلا وثقلا ، ولا تدرك بالحواس ولا تنقسم . ولا تفنى . وتتحرك دائما ، فيلتصق بعضها بعضا وتتكون الاجسام . وقد تدرك الحواس اختلافات فى الكيف بين الاشياء . لكن "كيف" الاشياء كلها متجانس ، واختلافها راجع الى فروق كميه ناشئه عن توزع الذرات التى تتألف منها . ولهذا فلا يركن الى الحواس فى ادراك حقائق الاشياء . بل يركن الى العقل وغايه الحياه عنده هى السعاده ، متحققه بالسكينه النفسيه ".

المعروف بصاحب المذهب الذري ، وان كان قد سبقه في تأسيس النظريه الذريه استاذه (لوسيبس) الا انها كثيرا ما تنسب اليه.

ان هذا الفيلسوف كان ممن تبنى مذاهب الالحاد وانكر وجود الخالق سبحانه ومن شيعته الفيلسوف اليوناني " فيلوخوس " (١) الا انه اقل شهره من (ديمقريطس) . واليك مجمل ارائه في انكار وجود الخالق :

يقول : " ان الكون يتالف من عدد لا يتناهى من الذرات (Atomes) وهي متشابهه متجانسه ازليه ابديه ، متحركه بذاتها ، في فراغ ، ومن حركتها واختلاطها تكونت الاشياء ، وتكون العالم باسره .

اما اختلاف صفات الاشياء فناتج عن اختلاف تلاقي هذه الذرات وتآلفها واوضاعها في الجسم ، واختلاف الناظر اليها ، وحجته على انها ازليه أبديه متحركه ، هي ان الوجود لا ينشأ من اللاوجود ، كما ان الوجود لا يصير الى اللاوجود ، ولولا وجودها في فراغ لا متنعت عليها الحركه ، وقد انتهى الى القول : ان في الكون حقائق اوليه ثلاثا وهي : الذرات والفراغ والحركه (Les Atomes, Le Vide, Le Mouvement) " (٢)

" وقد زعم هذا الفيلسوف بكل وقاحه ، ان ما في هذا الكون من بدائع الصنع وروائع التجهيز والتركيب في الانسان والحيوان والنبات ليس من صنع الله تعالى وانما هو نتيجه الحركه الذاتيه المطبوعه في الماده والتي لا أول لها ". (٣)

---

(١) الملل والنحل شهرستان ج ٢ ص ١٥٩ سنه ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م

(٢) راجع كتاب قصه الايمان بين الفلاسفه والعلم والقرآن ، نديم الجسر مفتي طرابلس ص ٣٥

(٣) راجع كيف نحارب الالحاد ، محمد احمد باشميل ص ٦

وقد يقول ارباب النظره المتسارعه ، ان المذهب الذرى ليس فيه الحاد ، وانما هو بيان لكيفيه الخلق ، قد يكون هذا من الله كما يقول المؤمنون ، وقد يكون ايضا من الماده كما يزعم بذلك الملاحده .

فنحن نبادر هؤلاء فنقول : ان موضع الالحاد فى قول هذا الملحد الاول الاغريقى ، لا يمكن فى تصريحه بان الكون مؤلف من ذرات متجانسه تتلاحم حسب هذا التجانس بل فى قوله : " ان الحركه المطبوعه فى الماده هى الخالقه الصانعه المدبره " ان هذا بلا شك الحاد كما حققنا ذلك فى مبحث التعريف اللغوى لكلمه الالحاد .

هذا ما يؤكده الشهرستان بقوله : " وانما شنع عليه الحكماء من جهه قوله : " ان اول مبدع هو العناصر ، وبعدها ابدعت البسائط الروحانيه فهو يرتقى من الاسفل الى الاعلى ، ومن الأكدر الى الأصفى " (١) .

هكذا وصلنا الى النتائج التاليه :

(١) ـ ان هذا الفيلسوف هو الملحد الاول فى التاريخ اليونانى ، الذى استطاع ان يخرج الفكره الالحاديه من دائره الموج الفكرى حتى صار علما يدرس .

(٢) ـ فكان هذا هو النواه الاولى للفكر الالحادى الذى قام على انكار وجود الله تعالى .

---

(١) الملل والنحل ـ الشهرستان ج ٢ص ١٥٩

فما أحسن ما قاله الاستاذ محمد احمد باشميل في ذلك :

" وكان على رأس هؤلاء الملحدين الفيلسوف اليوناني (ديمقريطس) صاحب المذهب الذرى ... وهذا المذهب الذرى (الديمقريطسي) الموغل في القدم هو اساس المذهب الشيوعي وكل مذهب الحادى يقوم على انكار الخالق سبحانه وتعالى " (١)

(٣) ان الالحاد الاحمر الحديث لا مثيل له في التاريخ الانساني ، لأن المذهب الديمقريطسي لم يكتب له البقاء حيث تصدى له فلاسفة يونانيون اخرون منهم (اناكساغورس) فقد راى ديمقريطس في الضروره السماء وسفهها وقال : ان هذا النظام المحكم لا يمكن ان يصدر الا عن عقل حكيم " .

أول من فتح باب الفلسفه الروحيه في اليونان

(71)

ولذا عد (اناكساغورس) اول من فتح باب الفلسفه الروحيه ، وأتى برأى يحوم حول الحق ، وهذا ما جعل ارسطو يقول عنه انه أى (اناكساغورس) هو الوحيد الذى احتفظ برشده امام هذيان أسلافه . (٢)

---

(١) كيف نحارب الالحاد — محمد احمد باشميل ص ٦

(٢) قصه الايمان بين الفلسفه والعلم والقرآن — نديم الجسر مفتي طرابلس ص ٣٦ .

نقد المذهب الذرى الديمقريطسى

نود ، قبل ان ننتقل الى المهد الرومانى ، أن نقف وقفه خفيفه عند قول الفيلسوف : " ان الطبيعه هى الخالقه المدبره " .

نقول هل يستطيع هذا الملحد ان يثبت بالمذهب الذرى ان الله غير موجود ، الجواب لا ، اذن نقول ايضا هل هذا الكون موجود ؟ فلا بد ان يقول نعم !! لانه اثبت وجوده منذ ان كان ذرات متناثره حتى اصبح كتله متآلفه .

نقول مره اخرى : اذا سلمنا بان هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده؟

فلا بد لهذا الفيلسوف واشياعه ان يقفوا امام اربعه احتمالات :

أولا :ـ اما ان يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهذا يتعارض مع ما اثبته الفيلسوف نفسه لانه اثبت وجود ذرات متجانسه ..

اذن فالكون ليس وهما بل هو موجود وجودا حقيقيا ..

ثانيا :ـ اما ان يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم ..

ثالثا :ـ اما ان يكون ابديا ازليا ليس لنشأته بدايه ..

ورابعا :ـ اما ان يكون له خالق ..

اما الاحتمال الاول فلا يقيم امامنا ايه مشكله لان من يكذب وجود هذا العالم يكذب ان يكون هو نفسه موجودا .(١)

---

(١) راجع الوجود الحق ، الدكتور حسن هويدى ص ٨ ط : ١٣٩٨ـ١٩٧٨ بيروت

فقد فند هذا القول الفيلسوف الفرنسي الشهير (١) بقوله : (انا افكر اذ ن انا موجود) (Je pense, Donc, je suis)

(72)

ولا يعرف في التاريخ من يقول بهذا القول الا افرادا منهم السفسطائيه فـــي القديم وأ ما في العصر الحديث ، يقول (فرانك آلن) (٢) عالم الطبيعــه البيولوجيــه أن " سير جيمس جينز " (٣) العالم الطبيعي " يرى ا ن هذا الكون ليس له وجود فعلي ،وانه مجرد صوره في اذ هاننا " .

ولا نرد على هذا الهذيا ن اكثر من ا ن نقول : اننا نعيش في عالـــم من الاوهام .

فمثلا هذ ه القطارات التي نركبها ونلمسها ليست الا خيالات . وبهــا ركاب و همون . وتعبر انهارا لا وجود لها وتسير فوق جســور غــير ماديه.

نقول ا ن هذا الراى ،رأي و هي ايضا لا يحتاج الى مناقشه او جدال .

---

(١)وهو ديكارت ١٥٩٦ ـــ ١٦٥٠ م واسمه رني ديكارت ، ولد بلاهي من اعمال مقاطعه " تورن " بفرنسا . المشهور بالفلسفه ثم غادرها فنال الاجازه في القانون .
راجع تاريخ الفلسفه الحديثه ،ليوسف كرم ص ٥٦

(٢) فرانك الن عالم الطبيعه البيولوجيه اخذ الماجستير والدكتوراه من جامعه (كورنل) استاذ الطبيعه الحيويه بجامعه (مانيتوبا بكندا) من سنه ١٩٠٤ الى سنه ١٩٤٤ .. الخ
راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ٥

(٣) سيرجيمس جينز العالم الطبيعي هو انكليزي ١٨٧٧ ـــ ١٩٤٦ .
راجع الموسوعة العربيه الميسره ص ٦٨٣ .

وأما الرأى الثانى : فهو القائل : ان هذا العالم بما فيه من ماده وطاقـه قد نشأ هكذا وحده من العدم ، فهو رأى من المضحكات المبكيات ، فـلا يقل عن سابقه سخفا وحماقـه ، ولا يستحق هو ايضا ان يكون موضعا للنظـر فى الأوساط العلميه . ومع ذلك سنوضح نقطه السخافه فيه حينما نتكلـم عن الصدفه العمياء ..

وأما الرأى الثالث : فهو الذى ينادى بوجود خالق لهذا الكون ، فلنا فى عنصر واحد هو الأزليه ...

اذن نحن نسأل الفيلسوف اليونانى (ديمقريطس) : الى من ننسب صفـه " الأزليـه " ؟

الى عالم الميت ؟ أو ننسبها الى اله حى يخلق ما يشاء ؟

ولكن لو أردنا ان ناخذ بالرأى الاول ، اى ان الذرات الصماء هى التـى تستحق صفه الازليه اكثر من اله مدبر ، يقف امامنا العلم الحديث الذى يحبذونه وهو يقول :

(٧٣)

" ان قوانين الديناميكا الحراريه تدل على ان مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وانها سائره حتما الى يوم تصير فيه جميع الاجسام تحت درجـه من الحراره بالغه الانخفاض هى الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقه وتستحيل الحياه ..

" ولا مناص من حدوث هذه الحاله من انعـدام الطاقـات عندمـا تصل درجـه حـراره الاجسـام الـى الصفـر المطلـق

بعض الوقت .. " (١) أما الشمس المستعره والنجوم المتوهجه والأرض الغنيه بانواع الحياه ، فكلها دليل واضح على ان اصل الكون او اساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظه معينه ، فهو اذا حدث من الاحداث . ومعنى ذلك انه لا بد لاصل الكون من خالق ازلي ليس له بدايه عليم محيط بكل شيء قوى ليس لقدرته حدود ولا بد ان يكون هذا الكون من صنع يديه " .

فعلى هذا التقرير العلمي الحديث ندرك ان الماده ليست ابديه ، ومعنى ذلك ايضا انها ليست ازليه .

كما ندرك ايضا ان ديمقريطس لا عيب فيه الا أن ايامه تقدمت على هذه العلوم الحديثه التي تنص بصفه قاطعه على ان بدايه الماده لم تكن بطيئه او تدريجيه ـ كما يدعيه المذهب الذرى الديمقريطسي بل وجدت بصوره فجائيه .

فلندع " ايرفنج وليام " ليرد على سلفه فهو يقول :

" فعلم الفلك مثلا يشير الى ان لهذا الكون بدايه قديمه ، وان الكون يسير الى نهايه محتومه وليس مما يتفق مع العلم ان نعتقد بان هذا الكون ازلي ليس له بدايه ، او ابدى ليس له نهايه ، فهو قائم على أساس التغيير .. " (٢)

---

(١) راجع كتاب الله يتجلى في عصر العلم ، تاليف نخبه من العلماء الامريكيين بمناسبه السنه الدوليه لطبيعيات الأرض ، اشراف (جون كلوفرمونسما) ترجمه الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ص ٦ مؤسسه الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٤ شارع جواد حسني القاهره .

(٢) المرجع السابق ص :

هذا كلام هؤلاء على كفرهم — ردوا على اسلافهم — اذ الايمان بالله له مستلزمات لم يقم بها هؤلاء لشيء الا ان علمهم بقوانين الكون اوصلهم الى هذه الحقائق الخالده والقائمه في كل فطره .

فهذا عالم طبيعي اخر وفيلسوف يرد على هذا المذهب الديمقريطسي ايضا ان هذا العالم هو (ستانلي كونجدن) (١).

يقول : " والنظريات الماديه التي قدمها " ديمقريطس " وكذلك النظريات المثاليه الصرف التي تفسر هذا الكون تفسيرا معنويا خالصا مما قدمه (ايلتز) و (بيركلي) و (هيجل) ، نقول : ان هذه النظريات الالحاديه جميعـا لا تعدو ان تكون مجرد افتراضات تقوم على التخمين ولا تستند الى اي اساس من الحقيقه التجريبيه ... ولا بد لأي فلسفه تحاول ان تفسر الطبيعـه والكون من ان تختبر اولا لمعرفه مدى قدرتها على تفسير سائر انواع الحقائق والعوامل والعناصر التي يتألف منها هذا الكون او تظهر فيه " .

وأضاف (هولمهوتز) (Helmhotez) في احدى محاضراتـه التي القاها عام ١٨٦٩ م والتي أمست مشهوره :

" ان الهدف النهائي للعلم (الطبيعيه تتمثل في اكتشاف الحركات — (Motion) التي تكمن وراء كل تغيير والقوى الدافعه فيها " (٢).

وقال ايضا : " اذن فان النظريه الذريه (الديمقريطيسيه) هي اسطوره وليست بتجربه " . (٣)

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٨

(٢) تدهور الحضاره الغربيه تاليف اسوالد اشبنغلر ص ٣٠ ج ١

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ١٤٧

ومن قبل قد ناقشهم القرآن الكريم مناقشه هادئه • ليس الملحد اذا
سمعه الا أن يسلم ويتوب الى الله تعالى •• ولكن الملاحده لهم قلوب لا يفقهون
بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وهم أضل مـــن
حمار أهلهم ••

يقول تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أو هم الخالقون أم خلقوا السموات
والأرض ﴾

ان هذا الكلام ليس وراءه مفر للملاحده لانهم اثبتوا ان اصلهم مـــن
الذرات الصماء ••

فنقول لهم هل للذرات عـقـل ؟ فيقولون لا !

نقول كيف يخلق غير العاقل شيئا يعقل ويفكر ويفعل الاعاجيب ؟

اذا لم يكن لديهم جواب ننتقل الى الخطوه الاخيره وهى :

هل انتم العقلاء الذين خلقتم هذا العالم فيقولون لا !

نقول اذن من الذى خلقكم وما تعلمون ؟

اذا سكتوا نقول لهم : ذلكم الله ربكم ﴿ فالق الحب والنوى ﴾

وبهذا وذاك يفقد المذهب الذرى وزنه المستعار ويرجع (بقصد او بغير
قصد الى وزنه الطبيعى [illegible] بكل صراحه وصرامه ـ ان المذهب الذرى الذى
اعتمد عليه الاولون من الملاحده ويعتمد عليه المتاخرون منهم : لا أســاس

---

(١) سوره الطور : آيه : ٣٥ ـ ٣٦

له من الصحه • لا ن الفطره السليمه (١) تكذبه والعلم الحديث يكذبه وقد كذبه القرآن الكريم من قبل • وقيل الحمد لله رب العالمين •

(عود لبدء) وقبل هذه المناقشه كنا نتحدث عن الالحاد الحديث من حيث كونه فريدا في اتجاهاته وقد رأينا في العهد اليوناني ان صوت الالحاد كاد أن يكون مفقودا لولا هذا الفيلسوف (ديمقريطس) •

والا ن نود ان ننتقل الى العهد الروماني لنرى ايضا كيف كانت هناك قيمه الالحاد والملحدين • اكانت لهم دوله ام كانوا افرادا منحرفين ، هل كتب لهم البقاء على الحادهم ، ام تصدى لهم فلاسفه آخرون فأهالوا التراب على مذهبهم السخيف ؟

وفي الصفحات الاتيه نحاول الاجابه عن هذه الاسئله ان شاء الله تعالى •••

---

(١) كما كذبهم امثال سقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم : فهؤلاء هم اشهر فلاسفه اليونان وان كانوا قد خلطوا اصول القول بقدم العالم وتخطي الحدود في الحديث عن كنه الباري سبحانه غير انهم دافعوا دفاعا مجيدا عن فكره وجود الباري سبحانه حتى قضوا على المذهب الذري •

العهد الرومانـــــــــي

وأما العهد الروماني ــ كما تفيدنا المعطيات التاريخيه الموثوق بها (١) ــ ان صوت الالحاد كان مختفيا طيله عهد الفلسفه اليونانيه ولم يكتب لهذا المذهب السخيف الظهور الا فى العهد الرومانى على يد الفيلسوف الرومانى (لوقريطس) (74) الذى حاول فى اوائل القرن الاخير قبل الميلاد ، احياء هذا المذهب الذرى السخيف ، فكان يردد مزاعم ديموقريطس .

ومن مزاعمه التى سجلها عليه التاريخ مايلى :

" ان الروح والعقل وكل ما فى الكون انما هو نتاج مادى بحت . وعلى هذا الاساس انكر ان يكون هناك خالق " .

ثم ان هذا المذهب لم يكتب له البقاء بحيث تعرض لمقاومه عنيفه من قبـــل الفلاسفه الذين كانوا يدينون بالفلسفه الافلاطونيه ، قاوموه حتى انقطع صوته وانتصر الحق .

وهكذا راينا ان الالحاد لم يكن له سند فى العهد الرومانى يستنـــــد عليه ، ولم يكن له انصار ينصرونه وما كان منتصرا .

---

(١) كيف نحارب الالحاد ــ محمد احمد باشميل ص ٨

الملل والنحل لشهرستان ج ٢ ص ١٦٠

العهد الجاهـــلى

اختلفت آراء الباحثين الاسلاميين فى وجود ملحدين في العهد الجاهلى الى رأيين اساسيين : رأى ينفى ، ورأى يثبت .

أولا : الرأى النافى :

ان الباحث محمد احمد باشميل يرى فى كتابه (كيف نحارب الالحاد) ان الالحاد لم يكن له صوت فى جميع عصور الجاهليه العربيه .

ويؤكد قوله هذا بان الالحاد لم يوجد قط فى جميع عصور الجاهليه الوثنيه بين مختلف الأمم ابتداء من ايام نبى الله نوح عليه السلام الى ايام الجاهليه العربيه.. (١)

هكذا ذكر بدون ان يستدل بآيه اوحديث اوغيرهما..

ثانيا : الرأى المثبت :

ان القائلين بوجود ملاحد وزنادقـه فى العهد الجاهلى كثيرون نختار منهم ثلاثـه علماء لشهرتهم فى الاوساط العلميه :

أ ــ الشيخ الشهرستانى (76) : انه من القائلين بوجود ملحدين فى العهد الجاهلى فهو صرح بالكلمات التاليه :

" فصنف منهم (العرب) انكروا الخالق والبعث والاعاده وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفنى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد :

﴿ وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾

---

(١) كيف نحارب الالحاد ، محمد احمد باشميل ص ٨

اشاره الى الطبائع المحسوسه في العالم السفلي ، وقصرا للحياه والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر : ﴿ وما يهلكنا الا الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ﴾ (١)

ان هذا التقرير الواضح الذى لا يحتاج الى اى تعليق ، يشير الى ان العرب كان منهم منكرون وجاحدون ..

ب ـ أبو حامد الغزالي : انه كذلك يثبت وجود منكرين في الجاهليه العربيه فهو يقول في كتابه " المنقذ من الضلال " مايلي :

" .. منهم من جحد الصانع المدبر العالم القدير ، وزعموا : ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفه ، والنطفه من الحيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا .. وهؤلاء هم الزنادقه " (٢).

جـ ـ الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر المرحوم ، انه اثبت بشكل واضح ان هناك في الجاهليه العربيه من كان ينكر وجود الله سبحانه وتعالى كما وجد فيهم من تزندق .. ويرى ان ذلك مستورد من الحيره الى قريش . نقل ذلك عن ابن قتيبه من كتاب المعارف .. ويضيف أيضا :

" والحق ان جزيره العرب لم تكن ـ كما يظن عاده ـ بمنأى عن التفكير الديني القوى انكارا وجحودا او اثباتا وتأييدا " (٣).

---

(١) الملل والنحل الشهرستاني جـ ٣ ص
(٢) المنقذ من الضلال ، ابو حامد الغزالي ص ١٥ مكتبه الحرم المكي تحت الرقم ٩٨١
(٣) التفكير الفلسفي في الاسلام د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ص ٦٤ .

وهكذا رأينا ان العهد الجاهلي قد وجد فيهم من ينكر الصانع ولكنهم كانوا دائما قليلين .

والذى ينبغى ان يقال هو : ان الالحاد لم تكن له دولة فى العهود الوثنية ولم يكن هناك " علماء " يدافعون عنه ويجعلون له سندا علميا كما هو الحاصل فى الالحاد الحديث ، ولكننا اذا نفينا ذلك بتاتا نتعارض مع المعطيات التاريخية الثمينة ...

اذن فالذى يصار اليه من الرأيين هو الرأى المثبت لظهور أدلة مؤيده .. والله أعلم .

في عهد الكنيسة

وفي ظل سلطان الكنيسة في اوربا ظل صوت الالحاد منقطعا انقطاعا كاملا حيث كان البطش شديدا بالعلماء الذين ليسوا ملحدين ، وانما ظن الرهبان ان في اقوالهم ما ينزع الى الالحاد او يجر الى الكفر كالعالم الايطالي (غاليلو) واضرابه ... الامر الذي جعل الجهر بالالحاد وانكار الخالق سبحانه وتعالى مستحيلا طيله عهود الكنيسه .

يقول برنتن :

" لم يكن بوسع الكثيرين من افراد المجتمع الغربي ان يعترضوا صراحه وجماعه بالالحاد او اللادريه او بمذهب الاتصال بالله او بأيه عقيده اخرى غير المسيحيه الا خلال القرون القلائل الاخيره وقد كان الكفار الذين يجاهرون بكفرهم قله نادره في الالف سنه التي استغرقتها القرون الوسطى . ولما كان الناس جميعا مسيحيين فلم يكن هناك مفر من ان تكون المسيحيه هي كل شئ لكل الناس ، فلقد كان القديس فرانسيس وارازمس ولويولا وميكافيلي وباسكال و وزلي ونابليون وغلاستون وجون روكفلر جميعا مسيحيين " (١) .

(77)

والامر كما قال برنتن . ان شده البطش على العلماء من قبل الكنيسه لا يعني ذلك انه ليس هناك من يدين بالالحاد . فالذي لا جدال فيه هو ان هناك افرادا من الفلاسفه والمفكرين (في اوربا) كانوا يعتنقون الالحاد مذهبا لهم فوضعوا له القواعد والأسس .

---

(١) يراجع كتاب افكار ورجال من تاليف برنتن ص ٢٠٧ .

بل ارادوا احياء المذهب الذرى الديمقريطسي الذي اختفى منذ عهد طويل .

الا انهم كانوا يتكتمون (تكتما شديدا على نزعاتهم الالحاديه فصاروا لا يفصحون عن مذاهبهم الالحاديه الا شيئا فشيئا وتمشيا مع تقلص سلطانه الكنيسه الزمنيه في أوربا .

وقد حفظ لنا التاريخ اسماء هؤلاء الفلاسفه الملاحده الذين قالوا ان الحادهم قائم على اصول علميه كأمثال :

(٨٠) (٧٩)

الفيلسوفين : (بخنر وهيجل) فى المانيا

والفيلسوفين : (هدسون تتل وتوماس هكسلى) فى أنكلترا

والفيلسوفين : (لامارك وليتريه) في فرنسا

الا ان اراء هؤلاء الفلاسفه الملاحده ـ كما قلنا ـ ظلت اراء فرديه لم يشغل نفسه به الا المرضى الذين تعطلت فيهم اجهزه الاستقبال الفطرى .

وهكذا كانت الافكار الالحاديه (مجرد فكره) فى اذمغه هؤلاء الافراد ولم تصل ابدا الى مستوى الشعب او مستوى الحكومه واستمرت الحال كذلك حتى وقعت الطامه الكبرى ، القاصمه التى تم بها الفصل بين الدين والدنيا .. بين السياسه والعقيده او بين الكنيسه والمجتمع وانقطع ـ نهائيا ـ ما بين التصور الاعتقادى والنظام الاجتماعى على يد كارل ماركس اليهودى .

أوربا الماديــــة

فاصبح الناس فى اوربا بهذا الفصل النكد يعبدون المادة لا النصرانية ... من حيث النفسية الاوربية واتصل ... ويكتب ... بل ومن كتب ايضا .

فاصبحت كنائس هذا " الدين الجديد " المصانع الضخمة ودور السينما والمختبرات الكيماوية ودور للرقص ومراكز توليد الكهرباء . واما كهنتها فهم رؤساء المصارف والمهندسون والممثلات وكواكب السينما واقطاب ... والصناعة والطيران .

وصارت هذه الحضارة لا يوجد فى نظامها الذى موضع لله ، ولا تعرف له فائدة ولا تشعر بحاجة اليه .

وهذه هى شهادة احد كبار المعلمين فى " لندن " وكتاب الانجليزية البارزين . هو الاستاذ جود (Jod) رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس فى جامعة لندن فى كتابه (1) Guide to Modern Wickedness

يقول : " سألت عشرين طالبا وتلميذة كلهم فى اوائل العقد الثانى من اعمارهم كم منهم مسيحى بأى معنى من معانى الكلمة فلم يجب بـ " نعم " إلا ثلاثة فقط .

قال سبعة منهم : انهم لم يفكروا فى هذه المسألة ابدا . اما العشرة الباقية فقد صرحوا انهم معادون للكنيسة " .

---

(1) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لابى الحسن الندوى .

وبهذا نصل الى النتائج التاليه :

(١) رأينا العهد اليوناني والروماني والعهد الجاهلي والكنسي كان صوت الالحاد هناك لا يكاد يسمع أبدا / ان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الالحاد الذى حصل فى اوربا الحديثه الحاد فريد فى نوعه .

(٢) ان اوربا كانت يوما صاحبه الديانه لها نفوذ وقوه ومنعه فكيف تحول الناس من هذه الديانه الى اعتناق المذهب الالحادى ؟ وقامت القيامه ضد هذه الديانه ؟ فارتفعت الصيحات هنا وهناك تقول :

" اشنقوا آخر ملك .. بامعاء آخر قسيس "

وتقول :

دعه يمر ! (Laissez passer)

دعه يفعل! (Laissez Faire)

وهذا العجب الذى جعلني أخترت ان يكون موضوع الباب الاول كالتالى :

" لماذا ألحد الناس فى اوربا الحديثه ؟ "

والصفحات الاتيه تعتبر اجابه عن هذا السؤال ، والله الموفق ، وبالاجابه جدير ، والصلاه على النبي الكريم .

حواشـى و تعريفـــــات

(1) الطبرى ابو جعفر محمد ابن جرير (٨٢٩ - ٩٢٣) موءرخ و مفسر وفقيه ولد في طبرستان ثم اقبل على الدرس و حفظ القرآن صغيرا .. وزار عددا من البلدان الاسلامية طلبا للعلم منها : سوريا ومصر و بغداد والبصرة والكوفة .. وكان على مذهب الشافعي وعارض الحنابلة .. وحاول ان يكون له مذهب خاص .. وهو (الجريرية) واشهر كتبه : تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن) (وتاريخ الرسل والملوك)

(2) عبدالله بن عمر (٦١٢ - ٦٩٢) اكبر ابناء عمر بن الخطاب .. شقيق حفصة ولد في مكة قبل الهجرة بسنتين اسلم مع والده اشترك في معظم الغزوات الا بدرا لصغر سنه .. عاون الخلفاء الاربعة في السلم والحرب .. وله سعة الملم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم وعاش طويلا .. عرف بالصلاح والزهد والتقوى .

(3) الشحيح : هو البخل مع الحرص لسان ج ٢ ص ٤٩٥

(4) الازهرى خالد بن عبدالله (١٤٢٤-١٤٩٩) نحوى ولد بجرجا بمصر ومات بجوار القاهرة التي نشأ بها .. درس بالازهر واشتغل بالتعليم ببعض المساجد شرح على الاجرومية وكتب كثيرة و تفسيراية

* فلا اقسم بمواقع النجوم *

(5) عبدالله بن الزبير (٦٢٣ -) قائد عربي اشترك في غزوة القسطنطينية التي جهزها معاوية ٦٧٠ .. ولما قتل الحسين ثـــار عبدالله في الحجاز .. ثم بويع له بالخلافة وولى الولاة .. ولما توفي يزيد ٨٨٣/٨٤ كانت له اكثر البلاد الاسلامية ما عدا الشام .. حاصره الحجـــاج بن يوسف الثقفي بمكة ستة اشهر ثم قتل وارسل الحجاج رأسه الى الخليفة (عبدالملك) .

(6) اللات احد اصنام العرب الكبرى ، يرمز للشمس له معبد بالطائف وصنم في الكعبة أبيد الصنم والمعبد بعد فتح مكة

(7) مناة صنم اسود كبير بين مكة والمدينة يرمز لالهة القضاء اوالهة الموت كانت الأوس والخزرج تعظمه و تنحر له الذبائح ؛ عد في الجاهلية مع اللات والعزى بنات الله. أبيد بعد فتح مكة .

(8) العزى : اعظم اصنام قريش كانت تزوره و تنحر له الذبائح في مكة والطائف ثم كلف النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بهدم معبده بعد فتح مكة ..

(9) صاحب المعجم الفلسفي .

(10) سبقت ترجمته في هامش صفحة ٢١

(11) نيوتن ، سير اسحاق (١٦٤٢-١٧٢٧) فيزيقي انجليزي عين استاذ بجامعة كمبريدج (١٦٦٩-١٧٠١) من اعظم علماء القرن ١٨ في الفيزيقا والرياضة .. خلد ذكره باكتشاف ناموس الجاذبية العامة و بتحليل النور اختير لمنصب رئيس الجمعية الملكية بانجلترا تقديرا لاعماله ..

(12) لابلاس (١٧٤٩-١٨٢٧) من مشاهير علماء الفلك الفرنسيين صاحب الرأى السائد ان العالم تكون في بدئه كرة ضبابية انفجرت و صدرت منها الاجرام السماوية ومنها ارضنا .

(13) داروين تشارلس روبرت (١٨٠٩-١٨٨٢) عالم طبيعي انجليزي درس الطب برغبة ابيه ولكنه كان يفقد الميل نحو هذه المهنة وبدأ يدرس العلوم في كيمبردج .. قام برحلة بحرية مدة خمس سنوات على الباخرة (بيجل) حيث وصل الى فكرة التطور العضوى من اصل واحد وقال ان الانسان نهاية التطور الحيواني .

(14) باستور لو تفغ فريهوفون (١٨٥٤ - ١٩٢٨) مؤرخ الماني مؤلف الكتاب الضخم " تاريخ البابوات من ختام العصور الوسطى " ٣٤ مجلد : ١٨٩١-١٩٤٢ سمح له الفاتيكان الاطلاع على وثائق كانت مجهولة ..

(15) البيولوجيا : (علم الاحياء) علم الكائنات الحية ويقسم الى علمي النبات والحيوان ويتضمن على كل من هذين القسمين علوم الخلية والانسجة والتشريح والمرفولوجيا (علم التركيب) والفسيولوجيا (علم الوظائف) وعلم الاجنة وعلم البيئة وعلم الوراثة والتطور وعلم الاحافير وعلم التصنيف والميكرو- بيولوجيا : لفظ مستحدث يطلق على الدراسة العلمية للكائنات المجهرية التي تشمل البكتريا والطحالب وغير ذلك وتقدم اداركه البيولوجي منذ الاغريق واجدر بالذكر ارسطو حتى اختر ع المجهر في القرن ١٦ فتقدم الى ابعد مدى .

(16) جود سيرل ادوين (١٨٩١ - ١٩٥٢) فيلسوف انجليزي عقلي المذهب حاضر وكتب باسلوب واضح فجعل الفلسفة في متناول غير ذي الاختصاص ..

(17) أوربا : قارة (مساحتها مع الجزر المتاخمة ١٠٢٦٠٠٠٠ كم٢ وتعدادها ٥٥٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) يفصلها عن اسيا جبال اورال ونهر اورال وبحر قزوين والقوقاز والبحر الاسود والبوسفور والدردنيل .. وعن افريقيا البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ويحدها شمالا المحيط المتجمد الشمالي .. وغربا المحيط الاطلنطي ..

(18) انجلترا : مساحتها ١٣٠,٨٠٠ كم٢ وسكانها ٤١,١٤٧,٩٣٨ نسمة وكانت تسمى بريطانيا العظمى لكونها انذاك تتكون مع ويلز واسكتلندا وشمال ارلندا .. وحكومتها برلمانية .. وعاصمتها (لندن) وديانتها المسيحية .. وكانت انكلترا في القرن ١٩ تقود العالم في صادرات السلع المصنوعة .. وفيها ١١ جامعة اعظمها واقدمها جامعتا اكسفورد وكمبردج ..

(19) جمهورية فرنسا : ٥٥٠٨٩٣ كم٢ و ٤٥,٨٤٠,٠٠٠ نسمة وتشمل ٨٩ قسط اداريا وعاصمتها (باريس) ويغلب على فرنسا الثقافة اللاتينية والدين الكاثوليكي .. ويرجع الفصل بين الكنيسة والدولة الى الصراع الذي دار ١٩٠٥-١٩٠٦ م فأدى ذلك الى قيام الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩م

(20) العدسة : قطعة مستدير من الزجاج ذات انحناء في احد سطحيها او في كليهما تحدث انكسارا للاشعة الضوئية الساقطة على احد وجهيها و تستخدم العدسات في الات التصوير الضوئي ..

(21) ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) ولد في افشنة قرب بخاري وتوفي في همدان حساب وطبيب ومن كبار فلاسفة العرب وائمة مفكريهم تعمق في درس فلسفة ارسطو وتأثر ايضا بالافلاطونية الجديدة قائلا بوجود العقل الكلي الا ان أراءه في الخالق لا تخلوا من شيء من الحلولية الافلاطونية .. من مؤلفاته المطبوعة : " القانون في الطب " و " الشفا " و" الاشارات والتنبيهات " و " كتاب النجاة " .

ولا يزال قسم من تآليفه مخطوطا في خزائن الكتب . وظلت كتبه الطبيعية عماد الدراسة في كليات الطب في اوربا قرونا عديدة " .. راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٠٨

(22) الرازي ابو بكر (٨٦٤ - ٩٢٥) طبيب وعالم ولد في الري .. اهتم بالموسيقى والغناء ثم نبغ في الطب والكيمياء تولى رئاسة بيمارستان بغداد ومات في مسقط رأسه .. كان اول من فرق بين الحصبة والجدري واكتشف زيت الزاج (حامض الكبريت) واستخرج الكحول من مواد نشوية وسكرية وابتكر الفتيلة في الجراحة الف اكثر من مائتي كتاب اهمها : " الحاوي " وهو موسوعة في الطب استند فيها كثيرا على التجريب والاسرار والجدري والحصبة " راجع المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(23) جلادستون وليم ايوارث ١٨٠٩ - ١٨٩٨ سياسي بريطاني كان الشخصية المسيطرة على حزب الاحرار ١٨٦٨-١٨٩٤ وخطيبا وحجة في الشئون المالية .. كان وكيل وزارة الحرب والمستعمرات ١٨٣٤-١٨٣٥ .. عين رئيسا للوزراء اربع مرات ..

(24) بيكن روجر فيلسوف انجليزى وعالم تعلم في اكسفورد وباريس وعلم في اكسفورد اتقن العبرية ليدرس الانجيل واليونانية ، ليدرس ارسطو والعربية لصلته بالعرب .. نسب اليه اختراع البارود واول من فحص عن الخلايا بمجهر .. وهو صاحب المذهب التجريبي راجع الموسوعة ص ٤٦٩

(25) هارون الرشيد ٧٨٦ - ٨٠٩ خامس الخلفاء العباسيين واوسعهم شهرة ابن الخليفة المهدى ثالث خلفاء بني العباس امه الخيزران حج ثماني او تسع مرات وغزوات غلب نيقيفورس ملك الروم وحالف شارل الكبير ملك الفرنجة .

(26) شارلمان (شارلمان الكبير او شارلمان الاول) ٧٤٢ - ٨١٤ امبراطور الغرب ٨٠٠ - ٨١٤ ملك الفرنجة هو اكبر ابناء ببين القصير وحفيد شارل مارتل اقتسم مع اخيه كارلومان حكم المملكة بعد وفاة ابيه وعندما توفى كارلومان ٧٧١ نودى بشارل بمفرده ملكا على الفرنجة .. راجع الموسوعة ص ١٠٦٦ حالف هارون الرشيد على خلفاء الاندلس الامويين ..

(27) المجسطي : كتاب لبطليموس موءلف من ثلاثة عشرة مقالة . اول من عنى بتفسيره واخراجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ثم فسره أبو حسّان وسلم لبيت الحكمة والى غير ذلك راجع شمس العرب ص ١٨٠

(28) هو ابو محمد بن جابر بن سنان الرقى ، وكان اصله من حران صابيا وابتدأ الرصد ، على ما ذكره جعفر بن المكتفي انه سأله فاخبره انه ابتدأ في سنة اربع وستين ومائتين الى سنة ست وثلثمائة واثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين .. ثم جاء الى بغداد فلما رجع مات في طريقه بقصر الجص سنة ٣١٧ وله من الكتب كتاب الزيج وكتاب معرفة مطالع البروج فيما بين ارباب الفلك راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٧٧

(29) عمر بن العاص ٥٧٥ - ٦٦٣ قائد عربي اذن له عمر بن الخطاب في فتح مصر . انتصر في معارك صدر الاسلام وفلسطين أنتصر على الروم في العريش والفرما ٦٤٠ وبلبيس وأم دنين ثم هزمهم ببابليون ٦٤١ حاصر الاسكندرية وفتحها عنوة وترك بها حامية ، افتتح برقة وطرابلس ارسل نافع ابن عبد القيس الفهرى لفتح النوبة لتأمين مصر من الجنوب .. اسس مدينة الفسطاط وبنى فيها جامعه المعروف فكان اقدم الجوامع في افريقيـــا وحفر خليج امير المؤمنين من النيل الى القلزم وشيّد مقياسا للنيل .

عزله عثمان عن ولاية مصر ٦٤٦ فعاش مدة بفلسطين ولما ولي معاوية الخلافة اعاده ٦٥٩ الى ولاية مصر بعد ان غاب عنها ١٢ سنة وتوفي بها الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣٨

(30) اثينا : مدينة تاريخية في سهل اتيكا زعيمة الحضارة والديمقراطية في العالم الاغريقي القديم وعاصمة اليونان اليوم (عدد سكانها وحدها ٥٥٩ر٢٥٠ نسمة ومع مينائها بيرايوس وعدة ضواحي ١٤٢ر٣٦٨ر١ ومركزها الثقافي والديني فيها الكنيسة الارثوذكسية اليونانية ..

(31) بيمارستان : كانت البيمارستانات في العهد الاسلامي دورا للعلاج ، ومكانا لتدريس الطب .. انشأ الوليد بن عبد الملك اول بيمارستان بدمشق حوالي ٧٠٧ واجرى الارزاق للمرضى وامر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا .. وفي صدر الدولة العباسية بنى المنصور دورا للعجزة والايتام ، واخرى لمعالجة الجنون . وانشأ الرشيد بيمارستانين وفي نهاية القرن التاسع بنى الخليفة المعتضد بيمارستانا ببغداد وفي سنة ٨٧٢ بنى ابن طولون بيمارستانا بالفسطاط .. وشرط انه اذا جيء بالعليل فرش له .. والبس ثيابا ويغدى عليه ويراح بالأدوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ .

وكانت فيه خزانة كتب تحوى ما يزيد على مائة الف مجلد في سائر العلوم وهكذا انشئت البيمارستانات كثيرة حتى انشىء اول مستشفى بالاندلس سنة ١٣٠٥ بمدينة غرناطة ثم في الشام .

وكان العرب اول من اخترع المستشفيات المتنقلة منها ما كان يحمله على اربعون جملا راجع الموسوعة ص ٤٧٣

(32) الفرغاني : فلكي ارسله الخليفة المتوكل الى الفسطاط (القاهرة) لينا ظره بناية مقياس النيل ٨٦١ . له " جوامع علم النجوم والحركات السماوية " نقل الى اللاتينية والعبرية وله ايضا كتاب " في الاسطرلاب " وهو آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب (راجع شمس العرب ص١٩٥) .

(33) الكندى : ابو يوسف يعقوب ولد في الكوفة لقب " بفيلسوف العرب " تعلم في البصرة وبغداد واقام في بلاد العباسيين وترجم بالعبرية موء لفات اليونان التي نقلت من ثم الى اللاتينية كان حجة في علم الفلك ، وكان من المعتزلة توفى ٨٧٣ ، المرجع السابق ص ٢٠٠

(34) الخوارزمى : قال ابن النديم " اسمه محمد بن موسى ، واصله من خوارزم وكان منقطعا الى خزانة الحكمة للمأمون وهو من اصحاب علوم الهيئة وكان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على زيجه الاول والثاني ويعرفان بالسند هند . وله من الكتب : كتاب الزيج نسختين ، كتاب الرخامة ، كتاب العمل بالاسطرلاب ، كتاب عمل الاسطرلاب كتاب التاريخ "

(35) عبد الرحمن الصوفي : ٩٠٣ - ٩٨٦ ولد في الري ، من كبار علماء الفلك والتنجيم اتخذه عضد الدولة البويهي الفلكي معلما لمعرفة مواضع وحركات النجوم الثابتة .. من موء لفاته " الذ كرة ومطارح الشعاعات و " رسالة في الاسطرلاب " المرجع السابق ص ٢٠٠

(36) ليونارد وا دافنشى ١٤٥٢-١٥١٩ فنان ايطالي امتاز بالبناء والهندسة والموسيقى وخاصة بالتصوير صاحب صورة العشاء السري الشهيرة .

(37) ابن الهيثم : هو ابو الحسن ابن الهيثم ٩٦٥ - ١٠٣٩ ولد في البصرة من علماء العرب في الرياضيات والطبيعيات وفلاسفة ارسطو . من موء لفاته : " المناظرة " كان له اثر كبير في معارف الغربيين وكيفيات الاظلال و " في المرايا المحرقة بالدوئر " وفي مساحة الجسم المكافيء نقلها الافرنج الى لغاتهم .

(38) البيروهى : ٩٧٣ - ١٠٤٨ هو محمد بن احمد البيرونى ابو الريحان ، ولد بضاحية خوارزم مؤلف عربي من اصل فارسى درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية ..

من مؤلفاته " كتاب الصيدلة في الطب كتاب الجماهير في معرفة الجواهر ، كتاب الدستور تاريخ الهند . تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل او مرذولة وغير ذلك المرجع ص ١٠٥

(39) البغدادى موفق عبد اللطيف ١١٦٢ - ١٢٣١ ولد في بغداد ودرس الطب والفلسفة واشتغل بتدريسها حينا بدمشق ومنها سافر الى مصر والتقي بموسى بن ميمون ودرس العظام دراسة دقيقة واستطاع ان يكشف عن اخطاء لجالينوس وردت في وصفه للهيكل العظمي .. ومن كتبه الافادة والاعتبار - توفي في بغداد - الموسوعة ص ٤ ٣

(40) القزوينى زكريا : ١٢٠٣ - ١٢٨٣ رحالة من اصل عربي ولد باقليم قزوين فى (سن ، فارس) ترك كتابين : (١) في الفلك والجغرافيا الطبيعية وعنوانه " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات "

(٢) في الجغرافية التاريخية بعنوان عجائب البلدان .. توفي في بغداد .. والملاحظة هناك القزوينى محمد بن عبد الرحمن ١٢٦٨ - ١٢٣٨ الفقيـــه المحدث ليس هو المراد هنا ..

(41) ابن مسكوله ، ابو على الخازن الملقب بمسكويه : معناهـــا (رائحة المسك) وهى تركيب اعجمى ت ١٠٢٠ فيلسوف واديب ومؤرخ وعالم بالكيمياء كان مجوسيا ثم اسلم . من مصنفاته : تجارب الأمم حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية وبين الشريعة الاسلامية .. وكانت فلسفته تدور في الاخلاق ..

(42) الجاحظ عمر بن بحر ٧٧٠ - ٨٦٨ كاتب اديب مشهور له كتب منها (الحيوان) والبيان والتبيان) والبخلاء والمحاسن والاضداد يظن ان اصله من افريقيا راجع الموسوعة ص ٥٩١

(43) خازن ابو جعفر توفي ٩٦٠ ولد بخراسان رياضي و فلكي عربي كتب تعليقات على اعمال اقليدس وبخاصة الكتاب العاشر الموسوعة ص ٧٤٨

(44) جابر بن حيان طبيب عربي أول من أشتغل بالكيمياء القديمة عاش بالكوفة وبغداد في اخر القرن ٨ واوائل ٩ ترجمت كتبه الى اللاتينية وهي تزيد على الثمانين ، وتعتبر اهم ما كتب في ذلك العصر ..

(45) ابن النفيس على ابن الحزم القرشي ت ١٢٨٨م احد اطباء دمشق المشهورين كان اماما في علم الطب .. صنف كتاب الشامل في الطب اول من اكتشف الدورة الدموية الرئوية ووصفها وصفا علميا دقيقا فسبق بذلك مايكل سرفتس الذى يعزو الاوربيون اليه هذا الاكتشاف .. ولا ريب ان هذا اعظم اكتشاف في التشريح قام به العرب راجع الموسوعة ص ٢٩

(46) ابن البيطار : ابو محمد عبدالله بن احمد المالقى ت ١٢٤٨م عالم نباتي ولد بملقه وسافر الى بلاد الاغريق واقصى بلاد الروم والمغرب عاين منابت النبات و تحقيقها ومن كتبه : الجابي في مفردات الادوية والاغدية " وصف فيه الفا واربعمائة نوع من العقاقير

(47) داود بن عمر الانطاقي ت ١٦٠٠ ولد بانطاكية مكفوف البصر و تتلمذ على شيخ فارس قرأ المنطق ودرس الطبيعيات والرياضيات واللغة اليونانية فاجادهما .. له كتاب تذكرة داود - في الطب ولا يزال بعض المرضى يعالجون انفسهم بوصفاته ..

(48) المقدسى ابو عبدالله محمد بن احمد القرن ١٠ ولد ببيت المقدس من اشهر الجغرافيين العرب وادقهم ساح في معظم جهات العالم الاسلامي ورسم للبلاد التى زارها خرائط ملونة له كتاب (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) .

(49) الادريسى ابو عبدالله محمد بن محمد ١١٠٠ - ١١٦٦ ويلقب بالشريف ولد في الاندلس و قيل سبتة بلد في المغرب من اسرة علوية و تعلم بقرطبة وبرع في علم الهيئة والجغرافيا والطب والحكمة والشعر زار بلاد الروم واليونان ومصر والمغرب و فرنسة وبريطانيا وله كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق " وكان مصنفه هذا اهم الاعمال الجغرافية في عصره ..

(50) ابن ماجد شهاب الدين احمد ملاح عربي ولد بجزيرة العرب الف ٣٠ كتابا في البحرية بين سنتي ١٤٦٢-١٤٩٠ أشهرها (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد)

(51) الدينوري أبو حنيفة احمد ت ٨٩٥ فقيه ولغوى ومؤرخ عربي له كتاب "الاخبار الطوال" طبع بلندن ١٨٨٨ وله كتاب "النبات" الذى حظى بتقدير العلماء

(52) ابن يونس ابو الحسن على ت ١٠٠٩ اكبر علماء الفلك العرب ساعدته اجهزة مرصد القاهرة في ايام الفاطميين .. ووضع جداول فلكية جديدة من أدق ما عرف حتى ذلك التاريخ " الزيج الكبير الحاكمي".

(53) موسى بن شاكر واولاده الثلاثة محمد واحمد والحسن وهؤلاء كانوا ممن تناهوا في طلب العلوم القديمة من الهندسة والحيل (ميكانيك) والحركات والموسيقى والنجوم .. توفي محمد بن موسى سنة تسع وخمسين ومائتين في شهر ربيع الاول

(54) ابن رشد هو الوليد بن احمد بن رشد ١١٢٦ - ١١٩٨ فيلسوف وطبيب اندلسى ولد في قرطبة وتوفي في مراكش ودفن في قرطبة لخص كثيرا من الكتب الفلسفية الاغريقية : وله كتاب الكليات في الطب . وقد رد على الغزالى "تهافت الفلاسفة" بكتاب (تهافت التهافت) ومن اشهر كتبه "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" ترك اثرا بعيدا في التفكير وعرف بالفيلسوف والشارح وكانت له مدرسة في الجامعات الاوربية ..

شمس العرب ص ٢٠٣

(55) عباس بن فرناس من اصحاب الفن والصناعات ادخل الموسيقى الشرقية الى اسبانية قالوا انه استنبط صناعة الزجاج من الحجارة وحاول الطيران برداء من ريش كسا نفسه به توفي عام ٨٨٨ م .

(56) المأمون ٧٨٦ - ٨٣٣ من الخلفاء العباسيين ابن هارون الرشيد احب الفرس ولم يكتسب ود العرب غلب البيزنطي بالقرب من طرطوس انحاز الى مذهب المعتزلة في عصره ازدهرت العلوم والفنون الاسلامية و نقلت مؤلفات اليونان نقش خاتمه : (الموت حق) وأسس بيت الحكمة ٨٣٠ م راجع شمس العرب ص ١٧٨

(57) صلاح الدين الايوبي ١١٣٨-١١٩١ ولد في تكريت وتوفي في دمشق مؤسس الدولة الايوبية أكبر ملوك المسلمين ايام الصليبيين هزم الافرنج في وقعة حطين ١١٨٧ م وفتح بيت المقدس واخذ عود الصليب اشتهر بكرمه وعزة نفسه وبسالته و بتقشفه و قناعته . .

(58) اخوان الصفا جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية شيعية او اسماعيلية باطنية : هم (١) محمد بن مشير البستي الملقب بالمقدسي (٢) ابو الحسن على بن هارون الزنجاني ومحمد بن احمد النهرجوري . . والعوفى و زيد بن رفاعة . .

جماعة تألفت و تصافت واجتمعت على القدس والطهارة . . فوضعوا مذهبا يزعمون انه يؤدى الى رضوان الله تعالى : هو انتظام الفلسفة اليونانية بالشريعة المحمدية . . ذلك ان الشريعة - كما يزعمون - قد دنست بالجهالات ولا تطهر الا بهذا بادماجها في الفلسفة فوضعوا رسائلهم في اربعة اقسام : قسم في الرياضيات و قسم في الجسمانيات (الطبيعيات) و قسم في النفسانيات (العقليات) و قسم في الناموسيات (الالهيات) وقد عاشوا بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى (الموسوعة ص ٦٦

(59) ابن خلدون ابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون - ١٣٣٢-١٤٠٦ م مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي مسلم مشهور . . ينتهي نسبه الى اوائل بن حجر من عرب اليمن . . اقامت اسرته في تونس حيث نشأ و تعلم بها ثم حتى سنة ١٣٨٧ وله عدة كتب منها : " العبر وديوان المبتدأ والخبر " و " مقدمة ابن خلدون " فهو يعتبر بحق واضع علم الاجتماع الذى استمر فيه الغربيون كأمثال فيكو واوجست كونت و هربرت سبنسر . . راجع الموسوعة ص ٥١ .

(60)   نيوتن سير اسحق قد ذكرناه تحت رقم (١١)

(61)   لا مارك (جان بابست) ١٧٤٤-١٧٢٩ عالم طبيعي فرنسي اشتهر بتقديمه نظرية التطور ، له كتاب : الزهور الفرنسية ١٧٧٨ م

(62)   الحروب الصليبية ١٠٦٩ - ١٢٩١ وسميت بالحملات الصليبية لأن المحاربين النصارى كانوا يضعون اشارة الصليب على ثيابهم وأسلحتهم جاؤوا من اوربا الغربية ليستردوا قبر المسيح والاراضي المقدسة .. وكان من نتائجها التعارف بين الشعوب وتبادل العلاقات الثقافية والتجارية بين المشرق والمغرب وازدهار فن البناء وترقي الصناعات في اوربا وهاك لائحـــــة الحملات مع تاريخها :

الحملة الاولى : ١٠٩٦ - ١٠٩٧   الحملة الثانية : ١١٤٨ - ١١٤٩

الحملة الثالثة : ١١٨٩ - ١١٩٢   الحملة الرابعة ١٢٠٢ - ١٢٠٤

الحملة الخامسة : ١٢١٧ - ١٢٢١   الحملة السادسة ١٢٢٨ - ١٢٢٩

الحملة السابعة : ١٢٤٨ - ١٢٥٤   الحملة الثامنة : ١٢٧٠

(63)   لامرتين الفونس مارى لوى دى ١٧٩٠-١٨٦٩ شاعـــــر فرنسي اشتغل بالسياسة وشغل مناصب سياسية كثيرة ..

(64)   لنين فلاديمير اليسن ١٨٧٠-١٩٢٤ القائد الفعلي والفكري للثورة الروسية التي انتهت باقامة النظام الشيوعي ١٩١٧ م ومن اهم كتبه " الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية " و " الثورة والدولة "

(65)   انجلز فردريك ١٨٢٠ - ١٨٩٥ اشتراكي الماني اسهم مع كارل ماركس في وضع اسس النظرية الاشتراكية الحديثة وفي صياغة البيان الشيوعي الشهير ١٨٤٨ م .. اشترك في تدبير الحركات الثورية في اوربا واضطر الــى اقامة دائمة في انجلترا على اثر فشل ثورة ١٨٤٨ م

ومن اهم كتبه (معالم الاشتراكية العلمية) ١٨٧٨م وكتاب (الدولة والملكية الخاصة) و (اصل الاسرة ١٨٨٤) وغير ذلك .

(66) الشيوعية : مصطلح يصعب تحديد معناه . وهو في صحيحه نظام اجتماعي تكون فيه الملكية (وخاصة ملكية الإراضى ووسائل الانتاج) في يد المجتمع باكمله .. وبعبارة اخرى : هي محاولة لا لغاء الملكية الفردية الموسوعة ص ١١١٠

(67) الاشتراكية : مذهب اقتصادى وسياسى يعارض النظام الرأسمالي الذى يقوم على الملكية الفردية والمشروعات الخاصة ويدين بالحرية الاقتصادية ويقر الفوارق الطبقية .. اى نظام يحاول تحديد الملكية الفردية - المرجع السابق ص ١٦٥

(68) النظام الاقتصادى الذى يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة .. ويطلق المجال لحريات الافراد والمشروعات الخاصة

وبعبارة اخرى : هو نظام اقتصادى يتيح الملكية الفردية بدون قيد ولا شرط راجع المرجع السابق ص ٨٥٣

(69) بروليتاريا : في النظرية الاشتراكيـة .. طبقة العمال الخاضعين للاستغلال .. الذين يعيشون من اجورهم

وفي روما القديمة : كان " البروليتارى " هو المواطن الذى لا يملك شيئا .

وعند (كارل ماركس) ان انهيار النظام الاقطاعي خلق طبقة جديدة معدمة من الفلاحين والاتباع اصبح افرادها مرغمين على بيع عملهم لقاء اجور فـي المراكز الصناعية الجديدة .. يقول (لينين) ان (البروليتاريا) يجب ان ينتزع من الطبقة الرأسمالية ..

(70) دكتاتور : اصلا حاكم رومانى معين لحكم ولاية في وقت الأزمة ومعناه الان : الحاكم المطلق او الاوتوقراطي .. ويعتبر هتلر مثالا لذلك .. اما روسيا فقد نمت فيها في ظل الحكم الشيوعي دكتاتورية حزبية ذات عناصر كبيرة من الدكتاتورية الفردية .. راجع الموسوعة ص ٧٩٩

(71) اناكسجوراس ٥٠٠-٤٢٨ ق.م هو فيلسوف يوناني نقل الفلسفة الى اثينا ويقال انه استاذ سقراط .. راى ان في الكون عقلا يسيره وينظمه وقال ان الشمس حجر ملتهب والقمر تراب وصخور و يعكس ضوء الشمس . فاتهم بالالحاد فهرب .. الموسوعة ص ٢٣١

(72) سوفسطائيون : جماعة من الفلاسفة قبل سقراط كانوا يعلمون البلاغة والخطابة انكروا الوصول الى حقيقة موضوعية ثابتة .. فالمهم هو اقناع خصمك لا بلوغ الحقيقة ..

ومن اشهرهم : جورجياس و بروتاجوراس : حارب سقراط تعليمهم ثم افلاطون .

(73) ديناميكا الحرارة .. الديناميكا : تبحث في تاثير القوة على الاجسام المتحركة .. والحرارة : احدى صور الطاقة التي تتحول الى حرارة . و تعرف بطاقة حركة الجزىء . الشمس اهم مصادر الحرارة .. وتتولد الحرارة من الاحتكاك والتفاعلات الكيميائية و ضغط المواد ومرور تيار كهربائي في مقاومة عالية ص ١٩٤

(74) لوكريتيوس ٩٩ - ٥٥ ق.م شاعر روماني اسمه تيوس لوكريتيوس قادوس نظم قصيدة هامة في الأدب اللاتيني تعتبر اروع ما خلفه الرومان .. عنوانها " عن طبيعة الاشياء " و تتكون من ستة اجزاء استلهم موضوعها من فلسفة ديمقريطس وابيقور وحاول فيها ان يقنع الانسان بأنه سيد نفسه وبانه ليس في حاجة في مخافة الالهة ومن ثم لا مبرر لخوفه من الموت . اعتمد في فلسفته هذه على النظرية الذرية التي تقول : ان الجسم والروح معا نشآ من الذرة .. وانهما اذا انفصلا فنيا معا .. الموسوعة ١٥٧٩م

(75) الرومان او الرومانيون : هم سكان روما القدماء ، وقد تأسست روما عام ٧٥٣ ق.م راجع شمس العرب ص ١٠٣

(76)

(77) فرنسيس الاسيزى القديس ١١٨٢ - ١٢٢٦ موسس رهبنة الفرنسيسكان من اكبر قديسى المسيحية أيطالي الجنسية قضى فترة قصيرة في الجيش ثم اتجه الى حياة التقوى والاعراض عن غرور الدنيا بدا الوعظ سنة ١٩٠٩

(78) نابليون الاول ١٧٦٩ - ١٨٤١ امبراطور الفرنسيين ولد ١٥ اغسطس في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا وهو ابن كارلو وليتشيابونابرت .. وهو مشهور ..

(79) بخنر لودفج ١٨٢٤ - ١٨٩٩ طبيب وفيلسوف الماني ارغم بسبب ارائه الفلسفية على ترك منصبه بجامعة توبنجن فكرس حياتـــه للطب والتاليف ؛ قاوم الميتافيزيقا المثالية . واتخذ من المادية المتطرفة مذهبا له .. ومن كتبه (القوة المادية) ١٨٦٤ والطبيعة والموءرخ ١٨٥٧م

(80) هيجل ، جورج فلهلم فردرك ١٧٧٠ - ١٨٢١ فيلسوف الماني ومحصل فكرته مذهب النقيض وهو ان فكرة ما تولد النقيض لهـــا ومن تفاعل النقيضين تنتج فكرة جديدة توءلف بينهما ثم تأخذ الفكـــرة الجديدة نفس المراحل الثلاث المذكورة وهكذا .. ففكرة الوجود تولد فكرة العدم ومن تآلفهما تنتج الصيرورة ..

(81) هكسلى توماس هنرى ١٨٢٥ - ١٨٩٥ بيولوجى ومربّ انجليزى وقد كان داعية للداروينية وان كان قد اعتنقها بشيء من التحفظ .

البــــاب الأول

لماذا ألحد الناس في أوربا الحديثة

الفصل الاول : اسباب الالحاد العامة

الفصل الثاني : اسلوب المفكرين في اسباب الالحاد الحديث

الفصل الثالث : طغيان الكنيسة

الفصل الرابع : قوانين المــــادة

الفصل الخامس : مقارنة الأديان

الفصل السادس : الثورة الفرنسية

الفصل السابع : مذهب النشوء والارتقاء

الفصل الثامن : دور اليهود في افساد اوربا

الفصل التاسع : رجوع اوربا الى ارثها القديم

البـــــا ب الاول

لماذا ألحد الناس في اوربا الحديثـة

ان هذا السؤال الخطير ، قد اجيب عليه باسلوبين :

١ - اسلوب الملاحدة .

٢ - اسلوب المفكرين من المسلميـن والغربيين المنصفين ..

فلنخط لكل واحد منهما شرحا موجزا :

الأول :- اسلوب الملاحدة :

اذا قلت لأى ملحد ، من هؤلاء المعاصرين ، ما هو سبب الحادكم في اوربا الحديثة ، سيقولون ، لاول وهلة - انما هو معارضته العلم للدين مطلقا . وذلك ان التطور الذى بلغ به الانسان - اليوم - هو اعلى مستوى من الانسانية وهو نفي للدين من تلقاء نفسه ..

وبعبارة اخرى : ان التفسير اللاهوتى للأحداث والوقائع لا يمكن اثباتها بالوسائل العلمية فهو باطل لا حقيقة له .. هذا هو منطق ملاحدة العصر الحديث واليك شواهد من اقوالهم يثبت ما قلنا ؛

يقول عميد الالحاد في العصر الحديث وبالذات في القرن السابع عشر ، (برتراند رسل)[1] كلمة تعتبر -بحق- تلخيصا للارادة الالحادية آنذاك :

" ان تقرير الحقائق يجب ان يبنى على الملاحظة لا على الروايـــة غير المؤيدة " (يعني بالرواية ، النصوص او الدين) .

---

(١) يراجع اثر العلم في المجتمع ، برتراند رسل ، ترجمة تمام حسان ، مصر ص

٦ راجع كتاب الدين وحيد الدين خان ص ٣٦

يقول العلامة (ألفرد هوالت هو) (Alefred White Hed)

" ما من مسألة ناقض العلم فيها الدين الا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ بجانب الدين " (١)

(2)

وأصرح من كل ذلك قول ستالين في عام ١٩٢٧ م : اذ يقول :

" لا يستطيع الحزب أن يقف من الدين موقف الحياد : ان الحزب يشن جملة عاية ضد الدين أى انحياز للدين .. لأن الحزب يؤمن بالعلم بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين .. لأن الدين كله مناوئ للعلم " (٢)

وفى عام (١٩٢٨) جاء فى برنامج المؤتمر السادس الدولى ما نصه :

" الحزب ضد الدين ـ أفيون الشعوب ـ تشغل مكانا هاما بين اعمال الثورة الثقافية ويلزم أن يستمر هذا الحزب باصرار وبطريقة منتظمة .. وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ولكنها فى نفس الوقت تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بدعاية ضد الدين .. وتنظيم التربية على أساس التصور المادى للدنيا " (٣)

ويقول جوليان هكسلى صراحة فى كتابه الانسان فى العالم الحديث

" ان الجهل والعجز فقط هما اللذان يخضعان الانسان لله !

فاذا ازدادت معرفته وقوته ، فلا موجب ـ اذن لفكرة الله ، وما يرتبط بها من عبادات ، وليكن الانسان (هو الله) ! (؟)

تقول دائرة المعارف البريطانية ما نصه :

" ان المعلومات الكونية واللاهوتية والعلمية التى وردت " فى الكتب المقدسة

---

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين تأليف محمد على يوسف ص ١٢ نقلا عن كتاب : Science And The Modern World

(٢) الاسلام فى وجه الزحف الأحمر محمد الغزالى ص ٢٧

(٣) جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٦٨ ـ ٦٩

لا تخرج عن كونها مسائل جانبية لا تستحق النظر أو الاعتبار اذا وضعت تحت منظار العلم الحديث ».(١)

هذا يكفي أن نعرف بأن الملحدين لا يرون سببا آخر للالحاد الا معارضته للعلم الحديث الذين لأنهم — على ما يقولون — في خطين متوازيين :

العلم مبني على الحقائق ،

والدين مبني على الخرافة والجهل .

هل الملاحدة كانوا يؤمنون بما يقولون ؟ الجواب لا ! انما تمسكوا بهذا المذهب تعصبا للالحاد وشوقا اليه بل فرارا من سيطرة الكنيسة ودليلنا على ذلك ان برتراند رسل نفسه ، صرح في بعض مقالاته أنه يؤمن بحقيقة الدين لأن هذا النظام الكوني الذي يفوق حدّ الوصف يستلزم أن يكون هناك منظم ... ولكنه من شدة تعصبه الى الالحاد يرفض هذا الدليل المعقول لمعارضته مذهب داروين .. الذي لا يرى هدفا من وجود الانسان والكون .. فهو يقول :

" هناك دليل من هذه الأدلة ليس منطقيا محضا .. انه الاستدلال بـ نظام تخطيط الكون ، مع أن داروين على كل حال أبطل هذا الدليل "(٢).

وهنا نرى أن أهم ما في هذا الاقتباس هو اعتراف (رسل) بجواز الاستدلال المنطقي بـ " نظام الكون " ولكن بالرغم من اعترافه بهذا الدليل — كمبدأ فانه يذهب الى ان الداروينية قد أبطلت ذلك الدليل .

ان هذا يدل بكل وضوح أن الملاحدة لم يؤمنوا بالالحاد لأجل كونه

---

(١) هزيمة الشيوعية ، أنور الجندي ص ٨٢

(٢) الدين / وحيد الدين خان ص ٣٦ نقله عن كتاب :
Why I am not a Christian 1959, P.XI.

الاستدلال المنطقى الوحيد ولكنهم آمنوا به التعصب الأعمى .

والذى يقوله هذا الملحد يقول به أيضا جميع الملاحدة ، وهـــذا واطـــس يقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار أو الاستدلال المنطقى ، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور " (١) .

ويقـــول د . هـ سكوت : " ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى ولو أصبحت عملا من أعمال الاعتقاد " (٢) .

يقول السير آرثر كيث (١٨٦٦ـ١٩٥٥) :

" الارتقاء غير ثابت ولا يمكن اثباته ، ونحن نؤمن بهذه النظريـــة لأن البديل الوحيد هو الايمان بـ (الخلق المباشر) وهو أمر لا يمكن حتى التفكير فيه " (٣) .

وهكذا رأينا أن الملاحدة القائلين بأن الدين خرافة انما يقولون ذلـــك بألسنتهم وتأبى قلوبهم ..

وبهذا القدر نكتفى للاثبات أن سبب الالحاد عند الملاحدة هو اقامة الدين على تفسير زائف للحقائق التاريخيـــة ، واقامة " العلم الحديث " على الحقائق الثابتة لا يمانه بالملاحظات فحسب . وســنرى ان شاء الله فى الصفحات القادمة مقدار صحة هذا الزعم .

---

(١) مذهب النشوء والارتقاء ، منيرة على الغاياتى ، تقديم محمد البهى ، مصر ١٩٦٥ م ص (٦) .

(٢) المصدر السابق ص (٧)

(٣) المصدر السابق ص (٦)

الفصـــل الأول

أســباب الالحـــاد العامــــــة

وقبل أن نتكلم فى اسباب الالحاد فى أوربا الحديثة ، نود أن نعطـــى القارئ فكرة عن أسباب الالحاد عامة ومن راجع الكتب التاريخيـة الثابتـــة ، يجـد أن فى الالحاد ســيمة مشتركـة بين جميع الملحدين قديما وحديثا .وان اختلفت الصور الالحاديـة لأجل ملامح البيئة التى تعيش فيها .. وملا مـح " الطـور " الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الذى يحيط بهم ، تجدهم دائما يشتركون فى خصائص أصيلة هى التى تمنحها سمة الالحاد على مدار التاريخ ..

وذلك ان الالحاد ليس شيئا لا يوجد الا فى فترة من الزمن محدودة فـــى ثنايا التاريخ .. وليس هو الشيء الذى يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادى كما يقولون ، وانما هو رفض الاهتداء بهدى الله (١) ، قد يكون ذلك فـى التصور الاعتقادى أو فى الشعيرة أو فى الشريعة .. فهذا لا علاقة له بالبيئة والطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .

اذا عرفنا ذلك ، فقد تهيأت أذهاننا ونفوسنا للحديث عن الملامح المشتركة بين جميع الملاحدة فى التاريخ القديم والحديث ..

فما هى ـ اذن ـ تلك الملامح والسمة المشتركة ؟..

فى القرآن الكريم يجد الباحث هذه السمات المشتركة بين الملحدين فـــى عدة صور وأشكال ولكن نستطيع أن نجملها فى هذه العناصر الخمسة الآتية :

---

(١) أزمة العصر ، محمد محمد حسين ص (١٠)
راجع كتاب قذائف الحق ، محمد الغزالى ص ٨
تهافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص ٢٦

(١) استنكار هدى الله

(٢) البحث عن الله عن طريق الحس والمشاهدة

(٣) اتباع الهوى

(٤) الانجراف في الشهوات

(٥) اتباع الطواغيت

واليك شرحا قصيرا لكل ما ذكر :

أولا ـ استنكار هدى الله :

ان كل الأمم الملحدة ـ على مدار التاريخ ـ تشترك فى رفض الاهتداء بما أنزل الله على رسوله، وتستحب العمى على الهدى ، وتزعم أن ما هى فيه هو الخير المحض ، وأن ما تدعى اليه من الهدى هو الضرر والخسران (١) . ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مئات الأمثلة على ذلك : واليك ما يوضح ذلك :

يقول الجاهليون : ﴿ ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ (٢)

﴿ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ﴾ (٣)

﴿ وسيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ (٤) هذا بعض ما قاله الملاحدة القدامى .. وسنرى أيضا أن الملاحدة المعاصرين يقولون مثل هذا بدون أى اختلاف الا اختلاف الأساليب .. وأما الحقائق الجوهرية تظل دائما دون ما تغيير فى تصورها وفى أفاعيلها على مدار التاريخ .

---

(١) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ص ٣١

راجع ايضا المسلمون تحت الحكم الشيوعى / محمد سامى عاشور ص ٣٥ ـ ٥٢ بتصرف

الاسلام أو الشيوعية ص ١٢ تأليف محمد عرفة

(٢) الاية رقم ٥٧ من سورة القصص

(٣) الاية رقم ٢٨ من سورة الاعراف

(٤) الاية رقم ١٤٨ من سورة الانعام

(٥)
ويقول السير جيمس جينز جيمس ستيفن السالف الذكر : " ان بعضهم يظن — أو يقول أنه يظن — أن الحياة كما يصورها العلم لا تستحق أن نحياها" وهو عندى رأى باطل ، فنحن فى هذه الحالة خلقاء أن نحيا على أصول غير التى تعودوا أن يعتقدوها ..

" وسيبقى الحب والاخاء والطموح والمعرفة والأدب والفن وأمور السياسة والتجارة والصناعات والحرف وألوف غيرها — سارية فى مسراها كما كانت من قبل دون حاجة الى اله "

" نعم ! وان الذين يقدرون — مخلصين — أن ينظروا الى الدنيا هذه النظرة لتسمو بهم عقيدتهم وترفعهم فوق صغائر الحياة ، ويحق لهم أن يسرعوا هذه العقيدة امام غيرهم حيث تسويغ العقيدة الى حمالها وجودها ولا يرجع الى صحتها ودلائل ثبوتها ..

" أما اذا وجب أن نطرح هذه العقيدة جانبا فلا أخال أن الحياة " تخسر قيمتها " .. " وأن الاخلاق " على الخصوص تنقطع وتزول .. "

وسوف تموت الديانة .. ولكننا — كما اسلفنا — قادرون على أن نعيش عيشة حسنة بغير الديانة .. وان أقمناها على أصول غير هذه الأصول قلما تخالف فى لبابها أصول العيش التى يدين بها نفسه كل ذى أخلاق " (١).

ان هذا الاستعراض السريع لا يدع مجالا للشك من أن الملاحدة قديما وحديثا مشتركون فى سمة الرفض لما أنزل الله على رسوله : وصدق الله سبحانه وتعالى اذ يقول ﴿كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾.

---

(١) عقائد المفكرين ، العقاد ص ٣٦

ثانيا — : البحث عن الله بطريق الحس وهو السمة الثانية :

ومن تأمل فى صفحات التاريخ ، يجد أن أناسا فى القديم والحديث أنكروا وجود الله لأنهم لم يدركوه بحواسهم متصورين أن هذا هو الطريق الوحيد اليه . و رموا المؤمنين بأنهم واهمون وضالون و خرافيون ومشوشون و غير علميين الى آخر السلسلة الطويلة من السبّ والهزء والسخرية والازدوار التى يوجهها الملاحدة بالله الى المؤمنين لأنهم آمنوا بالله عن غير طريق الحس (١)(٢)(٣) و يحكى لنا القرآن أن ملاحدة فى القديم جعلوا رؤية الله أو تكليمه شرطا للايمان .. (١)

أما الرؤية يقول فيها القرآن : ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ . (٤)

وقال أيضا : ﴿ قال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ﴾ (٥)

وأما التكليم يحكيه القرآن بهذا الأسلوب الفذّ :

﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بيّنا الآيات لقوم يوقنون ﴾ . (٦)

---

(١) الاسلام والشيوعية وزارة الأوقاف الادارة العامة للدعوة (مصر) ص ٢٦

(٢) الفكر الاسلامى والمجتمع المعاصر . محمد البهى ج ٢ ص ٨٩ و ٩٢ بتصرف

(٣) راجع أيضا المسلمون تحت الحكم الشيوعى : محمد سامى عاشور ص ٣٥ — ٥٢ بتصرف

(٤) الاية رقم ١٥٣ فى سورة النساء

(٥) الاية رقم ٢١ — ٢٢ فى سورة الفرقان

(٦) الاية رقم ١١٨ فى سورة البقرة

وهذه الآية الأخيرة تشير - بوضوح - الى أن هذه الخصيصة مشتركة بين جميع الملاحدة بدليل قوله تعالى ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ . واذا رجعنا الى تاريخ الملاحدة المعاصرين تجد هذا التشابه الذى أشار اليه القرآن ينطبق فيهم تمام الانطباق . وهم أيضا يشترطون الاتصال الحسى للايمان بالله تعالى . واليك نموذج من أقوالهم :

يقول هيوم الملحد : " لقد رأينا الساعات وهى تصنع فى المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعا " (١) .

ويقول عالم كبير من علماء النفس :

" ليس الاله سوى انعكاس للشخصية الانسانية على شاشة الكون " (٢) .

ويقول أستاذ أمريكي في طب الأعضاء :

" لقد أثبت العلم أن الدين كان أقسى وأسوأ خدعة فى التاريخ " (٣)

ونختتم هذا الجزء بمقالة أخرى لهيوم تؤكد أن الملاحدة انما رفضوا الايمان لعدم امكانية اتصالهم بالله حسيا يقول هيوم :

" لقد جلى التطور العلمى للانسان كثيرا من سلسلة الأحداث التى لم يشاهدها من قبل فهو لم يكن على علم بأسباب شروق الشمس وغروبها ، حتى زعم أن هناك قوة فوق الطبيعة تجعلها تشرق وتغرب . وها قد عرفنا اليوم ان شروق الشمس وغروبها يحدث لدوران الأرض حول نفسها ، وبذلك انتهت ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا بعدما عرفنا الأسباب المؤدية الى هذه الحركة الكونية : فاذا كان قوس قزح مظهرا لانكسار أشعة الشمس على المطر ، فماذا يدعونا الى القول بأنها آية الله فى السماء " (٤) .

---

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٥ - نقلا عن : Religion without Revelation, N.Y. 1958 P. 58

(٢) المرجع السابق ص ٣٦

(٣) المرجع السابق ص ٤٠ ونقلا عن كتاب : Lenin, Selected works, 1947, VOL. II P. 667.

(٤) المرجع السابق ص ٣٥

كما رأينا القدامى أنهم رفضوا الايمان بالله لعدم امكانية رؤيته أو تكليمه ، رأينا هنا أيضا الملاحدة المعاصرين يرفضون الايمان للسبب ذاته وذلك أثر من تشابه قلوبهم . كما أخبرنا بذلك كتابنا المبين . ان هذا يكفي للاثبات أن التصور الحسى للبحث عن الله سمة مشتركة عند جميع الملاحدة قديما وحديثا ..

فكلما يبلغ الانسان الى هذه الدرجة تتعطل فيه أجهزة الاستقبال الفطرى . فحينئذ يضطرب كيانه و يشمل هذا الاضطراب جميع تصرفاته ، فتتنوع مشاعره وأعماله ووجدانه وسلوكه ومبادئه فلا يعود تلك الفطرة الموحّدة التى كان يتمتع بها منذ ولادته .. والقرآن الكريم أشار الى هذه الحقيقة بقوله :

﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾

وعندئذ يوجد الالحاد ويوجد البحث عن الله بطريق الحس بل توجد محاربة الله ودينه ورسوله بصورة علنية دون حياء ولا خلق .

انظر الى هذا الملحد الظالم لنفسه لما افتقد الله من بين ذرات المادة (على حد زعمه) ولم يجده هناك بدأ يقول هذه السخافات الآتية :

" ان عقيدة القادر المطلق الظالم في نهاية الأمر ، الذى لا يرضى الا بالطاعة الكاملة والوفاء ، كانت أول ما انتجته نظام المجتمع السامى . لقد خلق هذا النظام جبروتا غير عادى .. وكانت نتيجته أن شريعة موسى خرجت بقوائم ضخمة مفصلة عن المحرمات فى كل مجال من الحياة الانسانية . وقد آمن بهذه القوائم الطويلة الصوام الذين كانوا يتقبلون أحكام آبائهم العمياء ويطيعونها . وما التصوير الالهى (اليهودى) الا خيال مثالى لأب سامى . مع شيء من المبالغة والتجريد فى الأوصاف والطاقات " (١)

---

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٧
وراجع كتاب :
Tree of Culture, Ralph Linton

مرض من الأمراض القلبية

ويبدو أن هذا الوهم الذى يتمسك به كثير من الملاحدة أثر عن أمراض فى النفس والقلب . وليس أثرا عن فكر سوىّ أو عقل مستقيم أو انصاف فى تحقيق . فقد حدثنا القرآن الكريم أن هذه الأمراض ذاتها ، هى التى ينتج عنها هذا التصور الفاسد والكلام الخاطىء ، ويحدد القرآن أسباب هذه الأمراض بأنها : الجهل ، والكبر ، والانحراف ، والظلم .

فلنبسط شرحا موجزا لكل كلمة :

١ ـ الانحراف : يحدثنا القرآن الكريم أن فرعونا من فراعنة مصر ، لما استبد انحرافه صدر قرارا الى وزيره يقال له " هامان " يأمره أن يبنى له بناء عاليا ليقوم بالبحث عن اله موسى الذى يدعيه ، من بين ذرات المادة الخرقاء ، ومن هنا زين لفرعون هذا التصور الخاطىء وضل عن طريق الوصول الى الله عز وجل . فلنستمع الى القرآن الكريم يصور لنا هذا المطلب السخيف :

﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلي أبلغ الأسباب + أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ (١) .

اذن ان الانحراف عن منهج الله القويم مرض قلبى ينتج عنه الالحاد والبحث عن الله تعالى عن طريق الحس .

٢ ـ الكبر : يذكر لنا القرآن الكريم أن قوما أدّاهم كبرهم الى أن طلبوا رؤية الله أو نزول الملائكة للايمان . وبلا شك ان هذا كبر فريد وعتوّ غريب

---

(١) الاية رقم ٣٦ فى سورة غافر

﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ان هذا يدل على جهلهم من أن قوانين هذا العالم المادية ليس فيها للحواس من عالم الغيب من نصيب . يقول تعالى عنهم :

﴿ وقال الذين لا يرجون لقاء نا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ﴾ (١)

والاية تشير الى أن الذين يريدون أن يروا الله ، انهم الذين يتصورون أن الحياة الدنيا هى كل شىء وليس وراءها الا العدم . ثم نوهت الاية الى أنه اذا كانت الملائكة فى قوانين هذا العالم المادية لا ترى فأولى اذن أن تكون الذات الالهية كذلك . كما بينت الآية ان الكبر وحده هو الذى دفعهم الى مثل هذا المنطق . وليس الوضع السوى للانسان الذى يرغب بالحق ويسلك اليه طريقه الصحيح .

٣ ـ الظلم : وكما أخبرنا القرآن الكريم أن اليهود قد طلبوا هذا المطلب الالحادى ظلما . فليس العدل هو الذى دفعهم الى أن يطلبوا مثل هذا الطلب ، بل هو ظلم النفوس للحق ، اذ تصرفه وتتنكر له ، فلنقرأ الايات التالية : :

﴿ واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ . (٢)

وفى موضع آخر يقول : ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ . (٣)

---

(١) الاية ٢١ ـ ٢٢ فى سورة الفرقان
(٢) الاية رقم ٥٥ في سورة البقرة
(٣) الاية رقم ١٥٣ فى سورة النساء

هذه هي من عقائد اليهود القدامى حين نزول القرآن وقبله ، بل وحتى اليوم لأنهم يؤكدون في البروتوكولات أنهم يتمسكون بهذه العقيدة الفاسدة حين يحتلون عرش الدنيا بأسره . فاقرأ ذلك في البرتوكول الرابع عشر ان شئت :

" حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة العالم ـ لن نبيح قيام أي دين غير ديننا ... ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان " .

فالظلم ـ اذن ـ من الأمراض القلبية التي ينتج عنها الالحاد في الله ، ولولا هذا الظلم لما طلب اليهود رؤية الله جهرة فلنتحرر ـ اذن عن الظلم .

٤ ـ الجهل : اى الجهل بحقيقة الألوهية يجعل الانسان في مصاف الملحدين . وقد ذكر لنا القرآن أن كل من أراد أن يتصل بالله حسيا قديما وحديثا نتيجة من الجهل بحقيقة الاله ، لأنه لا يطلبه مؤمن جاد ولا كافر جاد وانما يطلب ذلك الجهال من العلماء يقول تعالى :

﴿ وقال الذين لا يعلمون ، لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم قد بينا الآيت لقوم يوقنون ﴾ . ويلاحظ في الآية أنها أشارت الى أن هذا القول ليس كلام عالمين بل كلام جهال . ان هذا الكلام ليس جديدا بل هو منطق الكافرين دائما قديما وحديثا وذلك أثر عن تشابه القلوب . وأخيرا تقرر أن الطريق الى الله هي آياته ، أى آثاره التي تدل عليه .

(١) ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يجدون كل ما في وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب (دوركائم) والشيوعية والوجودية ومذهب التطور وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به الى نشر الالحاد ونسف الأديان من النفوس . وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين في كل الأقطار يروجون لآرائهم الهدامة بين الناس جهلا وظلما .

(٢) البروتوكول الرابع عشر ص (١٦٩) (٣) الاية رقم ١١٨ في سورة البقرة .

واقعهم المادى يكذبهم

ان أمثال هؤلاء الذين يقولون : انهم لا يؤمنون الا بما ادركته حواسهم

يكذبهم واقعهم المادى الذى يعيشونه ، فهم مثلا يؤمنون بالجاذبية

وقوانينها ولم يشاهدوها . بل رأوا آثارها فقط. (١)

ويؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا آثاره . كما يؤمنون بالمغناطيسية

فقد شاهدوا فقط انجذاب الحديد الى الحديد دون رؤية الجاذب .

ويؤمنون بوجود الالكترون والنيترون ولم يشاهدوا الكترونا أو نيترونا .

فواقع أمرهم يدل على أنهم آمنوا بأشياء لم تدركها حواسهم ، ولكن آثارها هى

التى دلتهم عليها وهم فيها على يقين لا يخالطه شك ، وهذا يعنى

بوضوح أن كثيرا من حقائق الوجود يؤمن بها هؤلاء لاحساسهم بآثارها

دون احساسهم بها ذاتها .

والعلم الحديث الذى يتبجحون به يقرّ تقريرا جازما بأن الحواس تعطينا

أحيانا صورا كثيرة وهمية . فنضرب على ذلك أمثلة بسيطة :

أولا — فالعصا المغمور بالماء تبدو مكسورة .

ثانيا — والخطوط المتوازية التى تفصل بينها خطوط تبدو غير متوازية

ثالثا — والأرقام البيضاء تبدو أكبر من الأرقام السوداء .

رابعا — ان شعورنا دائما أننا نسير ورؤوسنا الى أعلى سواء كنا فى القطب

الشمالى أو الجنوبى أو على خط الاستواء والحقيقة خلاف ذلك.

فمثل هذه الصور تبين لنا بوضوح أن الحواس — لولا العقل — لأعطتنا

أخطاء بدلا من حقائق ، ولولا العقل لم تكن لنا أى معرفة . والملاحدة

---

(١) راجع كتاب الدين ، سعيد صبرى ص (١٠)

يقبرون بكل هذا ثم ينحرفون إ لا لشيء الا أن الالحاد يعمى القلب ، وهو كالحسد الذى يبتدىء بصاحبه قبل المحسود •

وبعد هذا يقف المسلم يتساءل وهو يهز رأسه السؤال التالى :

هل كان هؤلاء على صواب عندما حصروا المعرفة كلها بالحواس ؟

وهل كانوا متداقيين مع أنفسهم عندما رفضوا الايمان بالله لأنه لم تدركه حواسهم ، مع أنهم بالآثار وحدها آمنوا بأغلب الحقائق العلمية الحديثة •• ومع اعترافهم بأن الحواس أحيانا تكون قاصرا • كيف يعتمدون عليها كل هذا الاعتماد ؟

يا ليت شعرى كيف آمنوا بالالكترون الذى لا يرى بالعين ولم يكن فى وسعهم أن يؤمنوا برب العالمين الذى هو أعرف المعارف كلها • الذى خلق هذا العالم الضخم الفسيح •

فهذه هى الأمراض التى توجد فى كل قلب ملحد كافر ونعوذ بالله من الالحاد والكفر •

الآن ننتقل الى السبب الثالث الذى اشترك فيه جميع ملاحدة الدنيا منذ الماضى السحيق الى يومنا هذا •

ثالثا ـ الهوى :

واذا كان الملحد ينكر وجود الله ولا يتبع هداه ـ لامحالة ـ أن يتبع هواه وذلك هو السبب الثالث للالحاد قد اشترك فيه جميع الملاحدة على مدار التاريخ •

ولكن هذا السبب الثالث ينتج عن الأصل الأول الذى هو انكار وجود البارى والابتعاد عن منهجه القويم • ثم ان اتباع الهوى بدوره يجعل الانسان ماديا خالصا لا يركن الا الى الدنيا حيث يجعل حظه من حياته التمتع من

لذائذها الجسدية ، ولا يوجه الى الحياة الروحية عزما ،ولا يهتدى بشيء مما آتاه الله من آياته المقروءة أو المنظورة . والآيات القرآنية الآتية تشهد بذلك :

* واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون * (١)

والآية توضح أن أى انسان أوتى الهدى فانسلخ منه الى الضلال والالحاد ومال الى الدنيا فتلاعب به الشيطان كانت عاقبته البوار والخذلان وخساب فى الآخرة والأولى . هذا ما نشاهد فى تاريخ الملاحدة قديما وحديثا ..
ثم أوضحت الآية الكريمة أن سنة الله قد اقتضت أن من يترك الهدى ويتبع هواه ويميل الى هذه الدنيا فلا شك أن يصبح فى أسوأ حال كحال الكلب الذى فى صفته هذه وهى أقبح حالاتها وأخسها . فهو فى هم دائب وشغل شاغل فى جميع عرض الدنيا وزخرفها ، يعنى بخسيس أمورها وجليلها . وتراه كلما أصاب سعة وبسطة فى الدنيا زاد طمعا فيها وتاريخ أوربا الحديثة شاهد على ذلك . * ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا * .

ثم يأمر الله في نهاية هذه القصة الغريبة ، نبيه أن يقصص للناس قصة ذلك الرجل لعلهم يتفكرون فى المخلص مما هم فيه ، والنظر في الآيات بعين البصيرة لا بعين الهوى والعداوة فقال : * فاقصص القصص لعلهم يتفكرون * هذه هى الحقيقة الثالثة التى اشترك فيها جميع الملاحدة فى القديم والحديث والعياذ بالله من الالحاد واتباع الهوى .

---

(١) الاية رقم ١٧٥ من سورة الاعراف

ثم ان الهوى كما يفسد العقائد يفسد أيضا فى مجال البحث العلمى لأنه يزيّن ضعيف النظريات و يحسنه لدى النفوس و يكبره و يجسم بالوهم وبالتخيل الكاذب وما يزال ينفخ فيه حتى يسيطر على المشاعر و يستحوذ على أنه حقيقة • وأقرب مثال لهذا الوهم مذهب النشوء والارتقاء الداروينى الذى لم يصل بعد مرتبة الحقائق العلمية ولكن الملاحدة و طلاب التلمود ، اتخذوه — بحكم الهوى والاضلال — حقيقة علمية يدرس فى الجامعات المشهورة وهذا ما يفعله الهوى بأصحابه ••

رابعا — الانجراف فى الشهوات :

ان السمة الرابعة المشتركة عند جميع الملحدين هى : (الانجراف فى الشهوات) •

المعلوم ، ان الله قد أودع فى الانسان دوافع الطعام والشراب والمسكن والملبس والجنس وحب البروز والتملك لتربطه بالحياة وتدفعه الى الحياة كما قال تعالى : ﴿ زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث • ذلك متاع الحياة الدنيا •• ﴾ (١)

ولكن الشهوات حين تزيد عن قدرها المعقول ، وتصبح " شهوة " مسيطرة على كيان الانسان فعندئذ لا تؤدى مهمتها الفطرية التى أوجدها الله من أجلها وانما تصير مبددة لطاقات الانسان صارفة له عن مهمة الخلافة وهابطة به عن مستوى الانسان الكريم الذى كرمه الله وعلاّه الى مستوى البهائم ومستوى الشياطين• هناك الميل العظيم الذى أخبر به القرآن الكريم بقوله : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ﴾•

---

(١) الاية رقم ١٤ من سورة آل عمران

والتجربة البشرية خلال القرون تؤكد هذه الحقيقة • وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة في علاقات الجنسين – شاق مجهد – والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات ميسر مريح وهذا وهم كبير ••• فانطلاق الشهوات من كل قيد ، وتحري اللذة – واللذة وحدها – في كل تصرف ، وقصر الغاية من التقاء الجنسين في عالم الانسان على ما يطلب من مثل هذا الالتقاء في عالم البهائم ، والتجرد في علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقي ، ومن كل التزام اجتماعي ••• ان هذه كلها تبدو يسرا وراحة وانطلاقا ولكنها في حقيقتها مشقة وجهد وثقلة ، وعقابيلها في حياة المجتمع بل في حياة كل فرد – عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة •

لقد كانت الفوضى الجنسية هي (المعول) الأول الذي حطم جميع الحضارات القديمة والحديثة – وسنرى تفاصيل ذلك في الباب الذي سنعقده في آخر البحث تحت عنوان " من آثار الالحاد المدمرة " ان شاء الله تعالى •

خامسا – وجود الطواغيت في الأرض :

ان وجود الطواغيت سمة ملازمة للبعد عن منهج الله فحين ينحرف الناس عن العبادة الحقة يتوجهون الى عبادة كائنات أخرى – بمفردها ، أو بالاشتراك مع الله ، وعندئذ تصبح هذه المعبودات طواغيت •

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : " معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حدّه من معبود أو متبوع أو مطاع • ثم قال : " والطواغيت كثيرون ، ورؤوسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الى عبادة نفسه ، ومن ادّعى شيئا من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله • [1]

---

(١) راجع إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد ، الشيخ حمد بن علي بن عتيق ص ١٨ سنة ١٤٠٠ طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية

ثم استدل بقوله تعالى :

* لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم * .

وبهذا التقرير الواضح نعلم أنه يستوى أن يكون الطاغوت فردا أو طائفة أو جماعة أو عرفا أو تقليدا أو أى قوة تستعبد الناس لها فلا يملكون الخروج عن أوامرها .

والطاغوت ـ سواء كان فردا أو طائفة أو جماعة ... الخ ـ لا يحب للناس أن يؤمنوا بالله ويعبدوه حق عبادته ، فانه لا يستطيع أن يعيش ويتمكن حيث يكون الولاء لله ، ولا يعيش ويتمكن الا بصرف الناس عن عبادة الله ليتمكن هو من أن يفرض هواه ..

ومن ثم يقف الطاغوت دائما موقف العداء من العقيدة الحقة ، لأنها تجعل الولاء الكامل لله وهو يريده لنفسه .

ومن ثم أيضا فان الالحاد ـ الانحراف عن منهج الله ـ تتلازم دائما مع وجود الطاغوت .

ان الطغيان من الأسباب المشتركة بين جميع الملاحدة . فقد حدثنا القرآن الكريم ان طاغوتا قد تجبر وازداد فى غطرسته حتى نسى حجمه الطبيعى فأسند الى نفسه احياء واماتا . ورد ذلك فى أثناء الحوار الذى جرى بينه وبين سيدنا ابراهيم عليه السلام حين قرر أن ربه هو الذى يحيى ويميت فانبرى هذا الطاغوت ليدّعى أنه يحيى ويميت ، فلنستمع الى أسلوب القرآن فى ذلك الواقع المضحك :

* ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال : أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان

الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين " .

فالآيات الكريمة توضح أن الذى أورث ذلك الطاغى ، الكبر والبطر وحمله على الاسراف فى الغرور والاعجاب بقدرته حتى حاج ابراهيم — هو ايتاء الله اياه الملك — ومن تأمل فى الآية يجد بكل وضوح ان هذا الطاغى لم يفهم مراد ابراهيم فى الاحياء والاماتة . فابراهيم هو يريد بالحياة انشاءها فى جميع العوالم الحية من نبات وحيوان وغيرهما كما يريد بالاماتة ، ازالة الحياة بالموت . ولكن هذا البليد الطاغى فهم من ذلك ، أن من حكم على شخص بالاعدام ثم عفا عنه فقد أحياه . كما فهم من الاماتة بالأمر بقتله . وهذا غاية من الغباوة وقصور فهم .

فلذا لما رأى سيدنا ابراهيم عليه السلام أنه لم يفهم مراده ، أوضح جوابه كما حكى عنه سبحانه * قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب * أى ان ربى الذى يعطى الحياة ويسلبها بقدرته وارادته ، هو الذى يطلع الشمس من المشرق ، فهو المكون لهذه الكائنات على ذلك النظام البديع ، والسنن الحكيمة التى نشاهدها .

فهذا ما كان فى شأن الطاغوت فى القديم ، والآن نود أن نسمع من الطغاة المعاصرين لنعلم أن وجود الطواغيت في الأرض سبب من أسباب الالحاد فى جميع العصور .

بعض أقوال الطواغيت فى العصر الحديث

وقد قلنا أن الطواغيت لا يريدون للناس أن يعبدوا الله وحده لأن هذا يزلزل عروشهم من تحتهم .. واليك بعض تصريحات طواغيت فى العصر الحديث مما يؤكد أن الطواغيت دائما يرفضون الاهتداء بهدى الله ثم لا يحبون أن يوجد من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله .

أصدرت الحكومة السوفيتية فى ٢٣/١/١٩١٨ م قانونا يتألف من ثلاث عشرة مادة . وكان لينين الطاغى الكبير من وضع هذا القانون ..

ونصت المادة الثانية عشرة منه :

١ — بالتحريم على جميع الزعماء الدينيين أن تكون معابدهم وكنائسهم ومساجدهم صفة الشخصية القانونية . وبعبارة أوضح أهدرت هذه الأماكن فاستبعدت من حيز النظام القانونى .

٢ — الكنيسة منفصلة عن الدولة .

٣ — محظور اصدار أى قوانين أو لوائح محلية فى أرض الجمهورية يكون من شأنها عرقلة أو تقييد حرية الضمير أو ايجاد أى امتيازات على أساس معتقدات المواطنين الدينية ..

٤ — لا تجرى أية مراسم أو احتفالات دينية فى أى عمل من أعمال الدولة أو أى احتفال رسمى عام أو اجتماعى .

٥ — لا يستخدم أحد معتقداته الدينية كعذر التنصل من واجباته المدنيــة .

٦ — يلغى عمل قسم أو عهد دينى فى الأحوال الضرورية . يكتفى فقط بالوعد الصادق .

٧ — تقوم السلطات المدنية وحدها بجميع أعمال التسجيل المدنى عن طريق مكاتب الزواج والميلاد ..

٨ — التعليم الديني محظور في جميع المدارس الخاصة والعامة.

٩ — حرية القيام بالطقوس الدينية مكفولة الى الحد الذي لا تؤدي فيه الى اضطراب النظام العام ، فاذا كانت غير مصحوبة بالتعدي على حقوق المواطنين فللسلطات المحلية الحق في اتخاذ جميع التدابير اللازمة في هذه الأغراض لضمان المحافظة على النظام العام والأمن. (١)

وظاهر هذه المادة الحرية لكل مواطن أن يعبد الله ان شاء أو يرفض الاعتراف به علنا . أما في باطنها فقد أمدت الشيوعيين بسلاح مشروع بشن حملاتهم على الأديان في ظل حماية القانون ورعايته .

ومما يزيد الأمر خطورة ما نصت عليه المادة ٥٨ من قانون الجنايات السوفييتي سنة ١٩٥٣ م فقد وضعت هذه المادة التي تتفرع منها ١٤ فقرة (٢) وضعت جميع المتعبدين تحت باب أعداء الثورة ..

وورد في المادة (١٤٢) من نفس القانون النصّ على تحريم تلقين الأطفال والأحداث ، العقائد الدينية سواء في مدارس الحكومة أو في المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية الأخرى ، وجعلت كل مخالفة في هذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الاصلاحي مع الأشغال مدة لا تزيد على السنة. (٣)

وقد جاء في كتاب الرد على الماديين للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي :

---

(١) راجع عرضا كتاب المسلمون تحت الحكم الشيوعي / محمد سامي عاشور ص٣٥–٤٥
راجع أيضا : مجلة الاعتصام عدد مارس سنة ١٩٧٥ ص ٢٠

(٢) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ، الادارة العامة في القاهرة ص٣١

(٣) المسلمون تحت الحكم الشيوعي / محمد سامي عاشور ص ٣٥–٥٢ بتصرف
المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، محمد شاكر ص ١٢

" فى روسيا نجد أن المادية فيها بدأت بحملة قاسية على رجال الدين فقتل عدد كبير منهم وحرم عليهم الظهور فى المجتمعات ، واغلقت بيوت العبادة وصودرت أوقافها وحرّموا تدريس الدين ، وألغوا القسم به ، وألغـــوا الجمعيات للدعاية اللادينية وأصدروا مجلة اسبوعية اسمها " بلا دين " (١) .

رأينا فى هذا العرض أن الطواغيت دائما لهم موقف المعارضة ضد ما أنزل الله ينكرون وجود الله ثم يقضون على كل ما يتصل بالدين أو يمتّ للناحية الروحية بصلة . ان الطواغيت ثانيا ، يقومون بعملهم الاجرامى هذا لتعطيل أكبر مولد للطاقة الدافعة الى الخير فى حياة البشرية ألا وهـــو الدين ..

وعلى هذا يأمر الله تعالى بقتل الطواغيت اذا وقعوا عندنا فـــى الأســـر ..

يقول تعالى :

﴿فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ (٢)

هذا بعض ما فعله الطواغيت فى العصر الحديث . فوجود الطواغيت سبب من أسباب الالحـاد .

---

(١) الرد على الماديين / محمد عبد المنعم خفاجى : نقلا عن الاسلام والشيوعية ص ٣١

راجع أيضا مجلة روز اليوسف عدد ١٧ / ٢ / ١٩٧٥ م ص ٦ ، ٧ و ٨ .

(٢) فى سورة التوبة الآية ١٢

الفصل الثانـــى

أسلوب المفكرين فى أسباب الالحاد فى أوربا الحديثة

ومن يتأمل فى كتب المفكرين الاسلاميين وغيرهم ممن بذلوا أقصى جهودهم للوقوف أمام الخطر الالحادى ، يجد أن هذه الاسباب الكثيرة ترجع الى أمرين أساسيين :

أحدهما : خفى والآخر : ظاهر .

فأما الأمر الخفى يتمثل فى شيئين هامين :

أولهما : هو ذلك الميراث النكد الوثنى من الجاهلية اليونانية القديمة ،والجاهلية الرومانية ، الذى كان كمينا فى الضمير الأوربى .

لقد رجعت أوربا بعدما تحررت من عبودية الكنيسة الطاغية ، الى ارثها اليونانى ـ الرومانى مع كل اتجاهاته المادية التامة ، فيما يتعلق بالحياة الانسانية وقيمتها الذاتيــة .

وكان هذا الرجوع ، بالنسبة لأوربا ، بمثابة سدّ مانع عن النظـــر فى أى دين آخر بعد هروبها من سلطان الكنيسة الظالم المعتدى .

وثانيهما : دور اليهود فى افساد أوربا .

ان هذا السبب لا يقل أهمية عن أى سبب آخر من أسباب الالحاد ،ولكننــا ـ مع ذلك ـ وجدنا بعض الباحثين لم يلتفتوا اليه ، بحجة أن اليهود مـــن شأنهم أن يستغلوا الأحداث ولا يصنعونها ..

ان هذا حق ولكننا لا نأخذه على علته ، لأن اليهود أنفسهم صرّحوا فى بروتوكولاتهم أنهم كانوا وراء كل منظمة سرية ، وكل نظرية هدامة .

ولأن القرآن الكريم أخبرنا عنهم بقوله : ﴿ ويسعون فى الأرض فسادا ﴾ .

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام ذى كار ص

(٢) راجع جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص (٤٥)

(٣) راجع البروتوكول .

ولأجل ذلك كله قلنا ، ان أسباب الالحاد الخفية فى شيئين :

١ — رجوع أوربا الى ارثها الوثنى القديم

٢ — دور اليهود فى افساد أوربا

ويحسن بنا قبل أن ندخل فى تفاصيل هذين السببين ، أن نتحدث أولا عن الأسباب الظاهرة ، فما هى تلك الأسباب الظاهرة اذن ؟ ؟

الأسباب الظاهرة

ان للالحاد فى أوربا الحديثة ، أسبابا كثيرة وأشكالا متعددة ، قد ذكرها الباحثون فى كتبهم النيّرة ، ولكننا هنا متتبعون اكبر الأسباب التى اقترنت بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر ، وكان لها شأن قوى فى اضعاف العقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع ...

وقد نرى من تتبعها كيف قويت على اضعاف العقائد التقليدية ، ثم نرى كيف آل الأمر بها أخيرا حتى فقدت قوتها الأولى على زعزعة الايمان واثارة الشكوك ، ونرى من أين طرأ الضعف حتى انتقل بعضها من ترجيح الانكار والالحاد الى ترجيح الاعتقاد واعادة النظر فى الموضوع ..

هذه الأسباب على الاجمال خمسة .. ليس فى أسباب الالحاد ما هو

---

(١) ان هذه الأسباب أخذناها من عدة مصادر ، عربية كانت أو أجنبية :
ومن باب المثال نذكر الكتب الآتية : (قذائف الحق ، التعصب والتسامح بين الاسلام والمسيحية " للشيخ محمد الغزالى " فى ظلال القرآن ، خصائص التصور الاسلامى ، معالم فى الطريق ، الاسلام ومشكلة الحضارة ، الاسلام والسلام العالمى " السيد قطب " جاهلية القرن العشرين ، التطور والثبات فى حياة البشرية ، هل نحن مسلمون ، معركة التقاليد والدروس الانسانية فى القرآن" محمد قطب " ماذا خسر العالم " أبو الحسن الندوى " الحجاب " المودودى " الظاهرة القرآنية " مالك بن بنى " الاسلام يتحدى " وحيد الدين خان " احجار على رقعة الشطرنج " وليام ذى كار " الدين " عبد الله الدراز " وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكرها ..) .

أقوى منها وأعظم فصلا في عقول المفكرين الأوربيين ، وفي عقول غيرهم ممن نظروا الى دلالتها مثل نظرتهم ، وحكموا بها على الأديان مثل حكمهم وهم غير قليلين بين المفكرين في مختلف الأقوام ..

وهذه الأسباب الخمسة هي :

أولا — الدين وطغيان الكنيسة

ثانيا — علم المقارنة بين الأديان والعبادات

ثالثا — ظهور القوانين الطبيعية التي سميت بالقوانين المادية أو الآلية منذ عهد لا بلاس فكوبرنيكس ثم نيوتن

رابعا — الثورة الفرنسية

خامسا — مذهب النشوء والارتقاء

أولا — الدين :

لقد قاست أوربا ... الكثير — مما آل اليه أمر دينها .. هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان .

لقد تفتحت آذانها وعيونها .. على دين معقد يصادم العقل ويرهقه ..

فمن قائل بأقانيم ثلاثة ... (الأب والابن والروح والقدس)

ومن قائل " المسيح ابن الله " (١)

ومن قائل " ان الله هو المسيح بن مريم " (٢)

وهناك رهبانية تصادم فطرة الانسان ..

وهناك خرافات بالنسبة للكون جعلوها حقائق مقدسة .. (٣)

وكل ذلك تحريف لدين الله الذي جاء به عيسى عليه السلام ، وخروج عليه .

(١) التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، محمد الغزالي ص (١٠٠)
(٢) سورة المائدة /١٧
(٣) خصائص التطور الاسلامي ، سيد قطب : ص ٦٥

(٥)

وهذا ما أشار اليه المؤرخ الانجليزى (ويلز) اذ يقول :

" من الضرورى أن نستلفت نظر القارئ الى الفروق العميقة بين مسيحية نيقيـة التامة التطور وبين تعاليم يسوع الناصرى . "

ثم زاد قائلا :

" فمن الواضح تماما أن تعاليم يسوع الناصرى ، تعاليم نبوية من الطراز الجديد الذى ابتدأ بظهور الأنبياء العبرانييـن ، وهى لم تكن كهنوتيـة ، ولم يكن لها معبد مقدس .. ولا هيكل ولم يكن لديها شعائر ولا طقوس ، وكان قربانها قلبا خاشعا ، وكانت الهيئة الوحيدة فيها هيئة من الوعـاظ .. وكان رأس مالـديها من عمل هو المـوعـظة .. بيد ان مسيحية القرن الرابـع الكاملة التكوين ، ـ وان احتفظت بتعاليم يسوع فى الأناجيل ـ كنواة لهاـ كان فى صلبها ديانة كهنوتية من طراز مألوف للناس من قبل الاف السنين ..

وكان المذبح مركز طقوسها المنمقـة ، والعمل الجوهرى فيها هو القربان الذى يقربه قديس متكرس للـقديس .. ولها هيئة تتطور بسرعة مكونة مـن الشماسة والقساوسـة والأساقفة .. " (١)

اعـتراف مسـيحـــــي

والغريب أن بعض كبار المسيحيين يفتخر بوجود اضافات بشريـة الى أصل الكتاب ويعتبر ذلك شرفا للديانة المسيحية .

ان هذا القائل هو الدكتور وليام (تامبل) أسقف كنيسة (كنتربارى) وحبر أحبار انجلترا فهو يقول :

---

(١) معالم تاريخ الانسانية تأليف (ويلز) ص ٧٢ و ٣ ، ت عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ١٩٦٧م .

" ان من الخطأ الفاحش أن يظن أن الله وحده هو الذى يقدم الديانة أو القسط الأكبر منها ".(١)

بهذا التصريح من هذا الحبر الكبير اتضح لنا أن أوربا لم تعتنق دين الحق الموحى من عند الله ، وانما اعتنقت المزيج بالوثنيات التى صنعها أجداد الدكتور (تامبل) من آباء الكنيسة منذ عهد (بولس) اليهودى الى عهد القسطنطين الرومانى الذى قضى على البقية الباقية من هذا الدين .

يقول (برنتن) :

" ان المسيحية الظافرة فى مجلس نيقية — العقيدة الرسمية — فى أعظم امبراطورية فى العالم مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين فى الجليل .. لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتا ." (٢)

ولأجل ذلك كله تغالى بعض المؤرخين — عندما وقفوا على هذه الخرافات فى الكتب المقدسة (اعنى التوراة والأناجيل الأربعة) فقالوا :

" ان المسيح كائن أسطورى) فأنكروا وجوده كليا . وأنكروا كل ما جاء فى هذين الكتابين الذين يعتمد عليهما المسيحيون فى عقيدتهم الدينية وعباداتهم ..

ولكننا — نحن المسلمين — نعتقد اعتقادا جازما برسالة المسيح وعبوديته لخالقه . كما نعتقد أيضا ان المسيحيين نسوا حظا مما ذكروا به ، وحرفوا وبدلوا وزادوا زيادات كثيرة ..

---

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد على يوسف ص ١١

(٢) أفكار ورجال ص ٢٠٧ ، (قصة الفكر الغربى) جرين برنتن ، ت/ محمود ١٩٦٥م

(٣) محاضرات فى النصرانية ، أبو زهرة ص ٤٢

هذه هى الديانة التى وصلت الى أوربا ، فكيف لأبناء عصر النهضة ( ) أن يسيغوا ذلك " الخلط والخبط "

وكيف بمن سمعوا شيئا عن عقيدة الاسلام ﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ﴾ ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسيغ ذلك التعقيد ؟

ثم كيف مع ذلك التعقيد ، بما انحدر اليه رجال الدين الكنسى من الانحطاط الخلقى والوقوف أمام التطور العلمى .

لم يكن بعد ذلك غريبا أن ترتفع الصيحة :

" اشنقوا آخر ملك ، بامعاء آخر قسيس "

ثم بأن تكون " الردة " عن ذلك الدين ،

الى تبنى الالحاد ، وانكار كل الغيبيات..

والى تبنى الأفكار الهدامة ودين كارل ماركس..

هذا ، ولما كانت المسيحية تؤمن بالتوراة الكتاب مقدس وتعترف به ، ولما كانت الانتقادات التى وجهها أهل التنوير الى المسيحية ، كانت موجهة أيضا الى هذه التوراة ، رأينا من المستحسن أن نتحدث عن تحريف التوراة وعقيدتها بالنسبة الى الله والأنبياء ، لنبين للناس ومعهم الملاحدة ، أن المعلومات المضللة التى اشتملت عليها هذه التوراة ليست من عند الله ، المعلومات التى اتخذها الملاحدة سندا لتبرير الحادهم ، وبها ينظرون الى جميع الأديان كشىء لا يستند الى أى أساس فهو لا يعدو أن يكون محض عقيدة لا دخل لها فى تنظيم أمور الناس سياسيا واقتصاديا وغير ذلك ..

بينما جاء كل دين من عند الله ليرد البشر الى ربهم ، ويرد نظام حياتهم الى منهجه المتفرد .. كيما يقع التواؤم والتناسق بين ضميرهم وواقعهم .. لا ليبقى مجرد شعور وجدانى قابع فى ضمائرهم .. ولا مجرد تهذيب روحى فى أخلاقهم .. ولا مجرد شعائر تعبدية فى محاريبهم ومساجدهم ، ولا مجرد أحوال شخصية فى جانب واحد من حياتهم ﴿ وما أرسلنا من رسول الا ليطاع ﴾ (١) وهكذا جاءت التوراة ، يوم أن جاءت تتضمن عقيدة وشريعة . وبعبارة أخرى وهى تشتمل على الأقسام العلمية والعملية قال تعالى :

﴿ وكتبنا فى الألواح من كل شيء وموعظة ﴾ (٢) اشارة الى تمام القسم العلمى .. ﴿ وتفصيلا لكل شيء ﴾ اشارة الى تمام القسم العملى .

وكلف الله أهلها أن يتحاكموا اليها فى كل شئون حياتهم ، لا أن يجعلوها مواعظ تهذيبية لا تتجاوز وجدانهم ، ولا شعائر تعبدية يقيمونها فى هياكلهم ..

﴿ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشون الناس واخشونى ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ـ ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون ﴾ وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون ﴾ (٣)

فنظم موسى عليه السلام ومن بعده من انبياء حياتهم الواقعية عدة قرون ولقد كانت عقيدة التوحيد التى أسسها جدهم ابراهيم ـ عليه السلام

---

(١) سورة النساء / ٦٤

(٢) " الاعراف / ١٤٥

(٣) " المائدة / ٤٤

عقيدة خالصة ناصعة شاملة متكاملة .. واجه بها الوثنية مواجهة خاسمة كما صورها القرآن الكريم ﴿ ووصى بها ابراهيم بنيه كما وصى بها يعقوب بنيه قبل أن يموت ﴾ .

﴿ ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم . قال : اسلمت لله رب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وانتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون ﴾

ومن هذا التوحيد الخالص ، وهذه العقيدة الناصعة ، وهذا الاعتقاد فى الآخرة انتكس الأحفاد ، وظلوا فى انتكاسهم حتى جاءهم موسى عليه السلام بعقيدة التوحيد والتنزيه من جديد والقرآن يذكر أصول هذه العقيدة التى جاء بها موسى – عليه السلام – بنى اسرائيل ويذكر تراجعهم عنها :

﴿ واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل : لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون .. ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم . تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان ... ﴾ (١)

---

(١) البقرة / ٨٣ – ٨٥

بداية انحراف بني اسرائيل (١)

ولقد بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بين أظهرهم .. من ذلك عبادتهم للعجل الذى صنعه لهم السامرى من الذهب الذى حملوه معهم من حلى نساء المصريين وقبل ذلك كانوا قد مروا عقب خروجهم من مصر على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا الى موسى عليه السلام ان يقيم لهم صنما يعبدونه . وكذلك حكى القرآن الكريم الكثير من انحرافهم و سوء تصرفهم لله سبحانه وتعالى ووثنيتهم .. (١)

---

(١) يقال لهم اليهود كما يقال لهم بنى اسرائيل و يطلق عليهم أيضا العبرانيون فهى ثلاثة أسماء أقدمها وأعمها (العبرانيون) وأحدثها وأخصها ، (اليهود) وأحبها لديهم (الاسرائيليون) ولا فرق لمؤداهن جميعا فى الأصل . وأما الآن فقد غلب عليهم اسم اليهود . وقد يراد بتسميتهم به التحقير كما يراد بتسميتهم ببنى اسرائيل التوقيع .. ويطلق عليهم أخيرا الصهيونية العالمية .

و العبريون ينحدرون من العرق السامى الذى ينتسب له الآشوريون والعرب . وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين ، وقد هاجر فريق منهم الى الشمال فى بلاد بابل حيث كان السلطان لحضارة (السومريين والأكاديين) فأموا بها من الزمن ما أشبعوا فيه من تلك الحضارة ،ثم كثر عددهم فهاجروا من جديد فى أدوار مختلفة . فتقدموا نحو الشمال أكثر مما تقدموا قبل ذلك ، وانحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب هم أجداد الشعب العربى ، والساميون الذين مروا من موطن الحضارة فى الفرات الأدنى ثم انتشروا فى جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والاسرائيليون .. راجع اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٤ ــ ٢٥ تأليف غوستاف لوبون " .

وأما دائرة المعارف البستانى ، تحدد تاريخ بنى اسرائيل بأنه كان بهجرة ابراهيم نحو ٣٩٠٠ سنة من أور الكلدانيين فى شرقى الفرات الى غربيه .. راجع دائرة المعارف البستانى ج ١١ ص ٦٦٠ دار المعرفة بيروت لبنان .

كما حكى لنا أنهم ثاروا فى وجه أنبيائهم ، ورفضوا الاستجابة لهم ، وطرحوا العقيدة التى جاء بها هؤلاء الأنبياء ، ثم هاجموا الأنبياء وقتلوهم أحيانا ، واستبد بهم الضلال والجحود ، فعبدوا غير الله وأنكروا البعث ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء .

ويجدر بنا ونحن لا نزال مع القرآن أن نستعرضه لنقتبس منه بعض الآيات التى تحدثت عن بنى اسرائيل ووصفت أخلاقهم وصفاتهم ، قال تعالى :

﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ (١)

﴿ ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ (٢)

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (٣)

﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ (٤)

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون فى الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ (٥)

---

(١) البقرة آية ٦١ (٢) البقرة آية ٧٤ (٣) البقرة آية ٨٥
(٤) البقرة آية ٨٧ (٥) البقرة آية ٦٤

﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين﴾ (١)

﴿ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ﴾ (٢)

﴿ أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ﴾ (٣)

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾

ومن لوثة القومية حكى عنهم القرآن مايلى :

﴿ ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤديه اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل . ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾

هذا وليس من أهدافنا فى هذا البحث التهجم على التوراة والانجيل وفضح تصرفات أصحابهما ، وليس كذلك تبرير الملحدين الذين أعلنوا تمردهم على خالقهم فى أثناء ثورتهم على خرافات التوراة والأناجيل وعلى طغيان الكنيسة وحماقات رجالها ، لكن هدفنا هو الحقيقة التى هى ضالة المؤمن ..

لا سيما وأن القصة قضية انسانية عامة ، تعدت نطاق أوربا الى العالم كله حتى وصلت نيرانها ولهيبها العالم الاسلامى فانبهر بهم كثير من " المثقفين " فبدوا يرددون مزاعمهم الالحادية .

وعلى هذا الأساس نستعرض موضوع انحراف بنى اسرائيل عقيدة وشريعة وكذلك تحريف المسيحية أيضا عقيدة وشريعة معتمدين أساسا على كتبهم فى أغلب الأحيان ..

---

(١) سورة الأعراف الاية ١٤٨ (٢) الاعراف آية ١٥٢
(٣) سورة يوسف الاية ٤٠

لأن هذه المعلومات أو الخرافات بمعنى أدق — هى التى اتخذها الملاحدة سندا فى ابطال فكرة التدين . لقد رأينا فيما سبق من الصفحات أنهم قالوا : (إن الدين أفيون الشعوب)

ولذا نريد أن نوضح هنا أن الدين الذى جاء الى أوربا هو دين محرف وعقيدة منحرفة . وأما ديننا الاسلامى المجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يعرف ذلك كل دان وقاص ..

ولما كان قصدنا فى هذا الفصل — هو بيان الظروف التى بدأ فيها الالحاد فى أوربا الحديثة ، ولم يكن عرض التصورات اليهودية والنصرانية نكتفى بالعناوين التالية :

١ — عقيدة اليهود فى الله (يهوه) (١)

---

(١) يقول الاستاذ العقاد فى كتابه الله ص ١١٣ ان اسم " يهوه " لا يعرف اشتقاقه على التحقيق فيصح أنه من مادة الحياة ، ويصح أنه نداء لضمير الغائب أى (يا هو) .. لأن موسى علّم بنى اسرائيل أن يتقوا ذكره توقيرا له ، وأن يكتفوا بالاشارة اليه ، وهذا الاتجاه هو ماذهب اليه (Smith) ، ويضيف هذا احتمالا لاتجاه آخر : هو أن الكلمة العبرية المماثلة لكلمة (لورد Lord) هى يهوا . وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ م ثم دخلت هذه الحروف ، فأصبحت كلمة يهوا : يا هوفا ( ) وبذلك فكلمة (يهوا) أو (يا هوفا) معناها سيّد واله .
راجع كتاب /
نقلا عن كتاب اليهود تأليف احمد شلبى ص : (١٥٣)

٢ ــ عقيدتهم في أنبيائهم .
٣ ــ وعقيدتهم في الآخرة والبعث .
٤ ــ موقف العلم الحديث من التوراة .

أولا ــ عقيدة اليهود (في الله) :

لقد تضمنت كتبهم المحرفة أوصافا لا لهم (يهوه) لا ترتفع أوصاف الا غريق في وثنيتهم لآلهتهم .

ومن ينظر صفات (يهوه) اله اليهود في كتبهم ، يعتقد جازما أن (يهوه) ليس خالقا لهم ، وانما هو مخلوق لهم . وهو لا يأمرهم بل يسير على هواهم وكثيرا يأتمر بأمرهم .. لا فرق بينه وبين البشر في جميع تصرفاته .. وستتضح لك هذه الصورة في الصفحات الآتية :

الأوصاف الحسية ليهوه

قالوا : انه كان يسير أمام جماعة بني اسرائيل في عمود سحاب .. فقد جاء في سفر الخروج : " وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام في طرف البرية .. وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلا في عمود نار ليضيء لهم "(١) .

هل الفطرة السليمة تؤمن بهذا ولا غرابة اذن أن يثور أصحاب النهضة الجديدة في وجه هذا الكتاب الجامع جميع خزعبلات الدنيا وترهاتها ..

واليك قصة أخرى تتجلى فيه بشرية هذا الاله اليهودي :

يقول محررو التوراة وهم يصفون يهوه بصفات بشرية محضة :

" ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا

---

(١) سفر الخروج ١٢ : ٢٠ ــ ٢١

الاسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة .. ولكنه لم يمد يده الى أشراف بنى اسرائيل " " ... فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم " (١)

ويهوه هذا ليس معصوما ، وكثيرا ما يقع فى الخطأ ، ثم يندم على مافعل . واليك بعضا من هذه النصوص :

" فندم الرب على الشر الذى قال انه يفعله بشعبه " (٢)

وفى نص آخر ، " وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : " ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى " (٣)

لقد وصف اليهود الههم بأنه لا يعلم الأمور الا بعد وقوعها :

جاء فى الاصحاح الثالث من سفر التكوين :

" وسمعا صوت الرب الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ : آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة .. فنادى الرب الاله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان .. فاختبأت . فقال : من أعلمك أنت عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك الا تأكل منها ؟ "

هكذا يزعمون . واليك لونا آخر من تلك العقيدة العجيبة :

وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه ، واضعا احدى رجليه على الأخرى . (٤)

ووصفوا الههم بأنه له شعر قطط ، وفروة سوداء وأنه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه .. وأنه ضحك حتى بدت نواجذه . (٥)

---

(١) الخروج ٢٥ : ٨ (٢) الخروج ٣٢ : ١٤

(٣) صموئيل الأول ١٥ : ١٠ (٤) الملل والنحل، شهرستان ج ٢ ص ٢٢

(٥) المرجع السابق ص ٢٢

واليك بعض شواهد من كتبهم المحرفة :

يقول كاتب التوراة :

" وفرغ الله فى اليوم السادس من عمله فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا ".

ودعك من الركاكة التى صيغت بها هذه العبارة ، فقد يكون المترجم هابط الأسلوب فى التعبير عن معنى ما ، ولكنه لا تستطيع أن تفهم معنى آخر من هذا الكلام الا أن (الله استراح) من جميع أعماله فى اليوم السابع هذه الاعمال التى أداها بوصفه خالقا ..

ما أبعد الشقة بين هذا التصوير ، وبين وصف الله لنفسه فقال :

﴿ أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن قادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير ﴾

﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾

ويا ليت محررى التوراة اكتفوا بذلك ، بل قالوا أيضا ان الله تعالى كان يخاف من تمرد آدم لما أكل الشجرة ، خاف ربما يزداد تموده حتى ينازع الله فى ملكه أى كان ملكه مهدد بهذا التمرد الانسانى ..

جاء فى العهد القديم :

" وقال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ، ويأكل ويحيا الى الأبد وأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها ، وطرد الانسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة

---

(١) سفر التكوين : الاصحاح الثانى (٢) سورة الأحقاف اية ٣٣
(٣) سورة ق آية ٣٨ (٤) سفر التكوين الاصحاح الثالث

هل الله يحـــزن ؟

وأغرب من كل ذلك انهم وصفوا الله بأنه حزن على خلق آدم وأبنائـــه
ولم يكن الله حين خلقه يعرف أنه سيكون شريرا الى هذا الحـد بل لقد فوجـئ
بما وقع . ومن أجل ذلك حزن الرب وتأسف فى قلبه أن خلق آدم وأبنائـه.
قال العهد القديم :

" فحزن الرب انه عمل الانسان و وأن كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير
كل يوم ، فحزن الرب انه عمل الانسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقـال
الرب : أمحو عن وجه الأرض الانسان الذى خلقته ، ... الانسان مـع
بهائم و دبابات و طيور السماء ، لأنى حزنت انى عملتهم .. " (١)

و يعلق الاستاذ محمود الغزالى على هذا الاصحاح بقوله :

" الحق أننى أدهش كل الدهشة للطفولة الغريرة التى تنضح من هذا
الحديث الخرافى عن اللـه جـل جلاله " (٢) .

ان الاله ـ كما ترى ـ فى هذه السياقات الصبيانية كائن قاصر .. متقلب
ضعيف . وما أشك فى أن مؤلف هذه السطور كان سجين تصورات وثنيـة
عن حقيقة الألوهية وما ينبغى لها . ولا شك أن يكون هذا التبلد من الأسباب
التى جعلت عصر التنوير يرفضون أن يكون الكتاب المقدس وحيا من عـند اللـه .

هل الله ينســـى ؟

ان محررى التوراة أثبتوا فى توراتهم أن الله تعالى ينسى فلذلك وضـع
قوس قزح ليتذكر دائما الميثاق الذى أخذه على نفسه كى لا يغرق الأرض مرة
أخرى .. أى كلما يرى هذه القوس يتذكر ، والا يتورط فى طوفان آخر ..
فلنقرأ النصوص الآتية :

---

(١) سفر التكوين الاصحاح :

(٢) قذائف الحق ، محمد الغزالى ص ٢٢

" وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : أقيم ميثاقى معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان ، ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الأرض .

وقال الله : هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بينى وبين كل ذوات الأنفس الحية التى معكم الى أجيال الدهر .. وضعت قوس فى السحاب فتتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض فيكون متى أنشر سحابا أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض "

هل هذا يليق بجلال الله وعزته ودقة علمه ، الذى يعلم السر وأخفى ؟

فليس غريبا أن يكون هذا الشعب اليهودى شعبا ملعونا على لسان داود وعيسى بن مريم .

هل الله يصارع الانسان ؟

وبعد هذا نقف ـ الآن ـ بازاء قصة أخرى من أغرب وأفجر ما اختلق الروائيون !!

القصة الجديدة تحكى مصارعة بين " الله " وعبده " يعقوب " وهذه المصارعة المريرة الفذة ، دامت ليلا طويلا ، وكاد يعقوب يفوز فيها لولا أن الطرف الآخر فى هذه المصارعة ، وهو الله ـ لجأ الى حيلة غير رياضية هزم بعدها يعقوب .

ومع ذلك فان يعقوب تعلق بالله ورفض أن يطلق سراحه حتى يعطيه " لقب اسرائيل " .

وعند هذا العجز الالهى منحه الله هذا "اللقب الفخرى " ثم تركه يعقوب

---

(١) سفر التكوين الاصحاح التاسع .

ليصعد الى العرش ويدبر أمر السماء والأرض ، بعد ذلك الصراع الرهيب يا ترى أى عقل يقبل هذه الخزعبلات ؟ ..

اذن لم يعد غريبا حينما يرفض المفكرون الكتاب المقدس وممثليه فى أوربا .. فلنستمع الى التوراة تصور لنا هذا الاختلاق :

" فبقى يعقوب وحده وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال : أطلقنى ! .. فقال : لا أطلقك ان لم تباركنى ! فقال له : ما اسمك ؟ فقال يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل اسرائيل .. وسأل يعقوب ، فقال : أخبرنى باسمك فقال : لماذا تسأل عن اسمى وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان " فينيئيل " قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى .. لذلك لا يأكل بنو اسرائيل " عرق النساء " الذى على حق الفخذ الى هذا اليوم لأنه (الله) ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النساء !! " .

وكم يفخر اليهود اذا كان أبوهم بهذه المثابة العجيبة من القوة والبطش اللذين يعجز عنهما الاله الذى فطر السموات والأرض وخلق الظلمات والنور فلذلك حرموا على أنفسهم أكل الفخذ .

وبهذا القدر نكتفى لبيان أن تبلد الضمير الدينى كان من العوامل الأساسية التى أبعدت الناس ـ فى أوربا ـ عن التدين .

اليهود والألوهية عمومــا

وهكذا رأينا أن المادية والتطلع الى أسلوب نفعى فى الحياة ، من أكبر ما يشغل اليهود ، بل ليست ديانتهم الا تعبيرا طبيعيا لشعب خاص لا تقبل الغرباء . (١)

والذى يقرأ الأسفار لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بنى اسرائيل ما كانوا مأمورين بدعوة غيرهم الى ديانتهم .

وكل ما فى الأسفار منصب على كون الديانة اليــهودية ديانتهم الخاصـــة وكون الرب ربهم الخاص .

هذه هى قصة الاله عند اليهود وهى واضحة الدلالة على أن اليهـــود لم يعرفوا الاله الحق فى أكثر تاريخهم ، وهم الآن يتخذون تراب فلسطيــن الها لهم ، ان تراب فلسطين رمز المادة التى تحكمت فى الفكر اليهودى على مرّ التاريــخ .

ولولا حبل من الله وحبل من الناس (٢) لما كان اليهود يستحقون البقاء فوق هذه البسيطة لفساد عقيدتهم وسوء أخلاقهم .

---

(١) ما يقال عن الاسلام ، العقاد : ص ٥١
محمد دروزة ، تاريخ اسرائيل فى أسفارهم ج ١ ص ٧٢
وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على ج ٦ ص ٢٤٦ ،
راجع أيضا اليهود ، أحمد الشلبى ص ١٦٣

(٢) هذا اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فى سورة آل عمران : ﴿ ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلــون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

وسنرى فى الصفحات الآتية ألوانا أخرى من عقيدتهم الفاسدة تجاه انبيائهم الأبرار .. لقد صورهم اليهود فى صور اللصوص والفساق والمنحرفين .. لم يسلم من ذلك أحد منهم ..

الأنبياء فى التوراة

ان اليهود صوروا أنبيائهم ورسلهم أبشع صورة وأقذرها ليبيحوا لأنفسهم القذارة والسفالة وكل الأخلاق اللئيمة الممقوتة ، واذا كان القدوة قذرا سافلا فلا لوم ـ اذن ـ على المقتدى أن يكون كذلك ان كل من يقرأ التوراة بالتأمل يجد أنه لم ينج واحد من الأنبياء الأول الأكابر من التلطيخ .

فنوح يسكر حتى يفقد وعيه . ولوط يضاجع بناته وهو سكران .. ويعقوب يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشى .. ويهوذا يزنى بامرأة ابنه وداود يشتهى زوجة الضابط (أوريا) فيزنى بها ويرسل زوجها للقتل ليتخلص منه .. أما بيت داود النبى العظيم كان بيت الفجور والاجرام ففيه يضاجع الابن زوجات أبيه فى عين الشمس وأمام جميع اسرائيل اما سليمان فيختتم حياته المجيدة بعبادة الأصنام .. وهارون يصنع العجل الذهبى ويعبده .. حتى موسى تقول التوراة انه خان ربه ولم يقدسه (١) ولهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة ويموت فى سيناء هو وهارون ويقول الرب لهما فى التوراة :

" لأنكما خنتمانى ولم تقدسانى لن تدخلا الأرض التى تفيض لبنا وعسلا ويدخلها عبدى يشوع بن نون " (٢).

---

(١) راجع عرضا كتاب التوراة ، مصطفى محمود ص ٦٢ بتصريف طفيف .

(٢) المرجع السابق ص ٦٢

حتى أيوب نقلوا عن لسانه أنه ينكر البعث والقيام من القبور . ولم يسلم واحد من الأنبياء الأول العظام الذين بنوا صرح الدولة اليهودية من التلطيخ .

واليك نماذج من هذا التلطيخ من التوراة نفسها :

سيدنا ابراهيم والتوراة

فالتوراة تعرض صورة قذرة لابراهيم ، فهو — كما تزعم التوراة — يعرض امرأته الجميلة الفاتنة ، ويجعلها وسيلة كسب وثراء .

تقول التوراة في " سفر التكوين " أول اسفارها الخمسة المقدسة المجمع على قداستها من مختلف طوائف اليهود والنصارى ومن السامرة (١) :

" وحدث جوع في الأرض ،فانحدر أبرام الى مصر ليتغرب هناك ، لأن الجوع في الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته : اني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته ،فيقتلونني ويستبقونك ، قولي : انك اختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك" .

" فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسناء جدا ورآها رؤساء فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام خيرا بسببها " (٢) .

" وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال ، فضرب الرب فرعون وبنيه ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة أبرام ...

---

(١) راجع اليهود والنصرانية ، أحمد عبد الغفار عطار ص ٤٣ ، دار الأندلس بيروت

(٢) راجع سفر التكوين في الاصحاح العشرين .

" فدعا فرعون أبرام وقال : ما هذا الذى صنعت بى ؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت : هى أختى ، حتى أخذتها لى لتكون زوجتى ؟ والآن ، هوذا امرأتك ، خذها واذهب ، وأوصى فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ما كان له " (١)

وهكذا يصور كاتب هذا الاصحاح سيدنا ابراهيم .. وأما نحن المسلمين — نقول : اذا كان كتاب اليهود الذى يدين به النصارى أيضا تكذب على ابراهيم فتذكر عنه ذلك المسلك الشائن فان كتاب المسلمين بخلاف ذلك ، وهذا أعظم دليل على ان كتاب المسلمين هو الحق .

يقول القرآن الكريم فى ابراهيم :

﴿ واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ﴾ (١)

﴿ ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ (٢)

﴿ وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ (٣)

﴿ سلام على ابراهيم ، كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ (٤)

﴿ ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾

﴿ ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين . ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾

﴿ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ﴾

---

(١) سفر التكوين فى الاصحاح العشرين — (١) مريم آية ٤١

(٢) الأنبياء آية ٥١ — (٣) الصافات اية ٨٤

(٤) الصافات آية ١٠٩ — ١١١

﴿ ان ابراهيم لأواه حليم ﴾

﴿ ان ابراهيم لحليم أواه منيب ﴾

وغير ذلك من الآيات البينات التى تصف ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بما يليق به ، ويكفى أن الله جعله اماما للناس ، وكل هذه المحامد والصفات الكريمة تنفى فرية سفر التكوين الذى نسجها كاتبه الساقط البذىء .

واذا كان أبو الأنبياء بهذه السقوط الخلقى الذى يدعيه سفر التكوين فكيف يوء من بهذا الكتاب رجال العالم الحديث الهاربون عن رب الكنيسة .

وبهذه وتلك يظهر بكل وضوح كلام الشيخ محمد الغزالى حيث قال : ان الالحاد الحديث لم يحدث فى أوربا المعاصرة الا من تبلد الضمير الدينى عند أهل الكتاب والجمود الفكرى والتجارة بالدين .

الدفاع عن التوراة

" يقول المدافعون عن التوراة .. ان ما جاء فى العهد القديم عن خطايا الأنبياء حقيقة لا تلطيخ فيه ولا مبالغة ... وأن الله كانت له حكمة وراء ما حدث . فقد أراد أنبياءه أفراد عاديين يخطئون .. ليكونوا أمثلة لنعمة الله ورحمته ومغفرته " (١) .

هذا هو كلام المدافعين

وهو كلام مردود عليه

فكيف نقود قطيعا من الخراف الضالة بكبش ضال مثلهم .. أليس طبيعيا أن يكون القائد قدوة طيبة ونموذجا حسنا .. كيف يدعو الأنبياء الى الوصايا العشر وفى أولها لا تقتل لا تسرق لا تزن .. ويكونون هم أول من يقتل ويسرق ويزنى .

---

(١) راجع كتاب التوراة مصطفى محمود ص ٦٤ .

أنا لم أقل ان الأنبياء يجب أن يكونوا آلهة •

وانما قلت ان من الطبيعي أن يكون النبي قدوة طيبة ونموذجا حسنا بحكم كونه المختار من ملايين •• والا سقطت عنه وظيفته — وأصبح تشريف الله في اختياره له دون الملايين غيره تشريفا بلا معنى •• وتحول من قدوة حسنة الى مثل سيء وأصبح مضللا بدلا من أن يكون هاديا •

والواقع خلاف ذلك لأننا لم نر نبيا أبدا مضللا بل كانوا هداة •• وكانوا خير قدوة •• ولكن حرص اليهود على تخريب كل شيء (وهم أبناء الأفاعي وقتلة الأنبياء) جعلهم يقتلون حتى ذكرى هؤلاء الأنبياء ويشوهون ويتابعون أعمالهم وأقوالهم بالتحريف •

ولنقف وقفة تأمل أمام تلك الحادثة الفريدة التي ترويها التوراة عن داود وامرأة قائد الجيش (أوريا) •

" وحبلت المرأة (من الزنا مع داود) فأرسلت واخبرت داود وقالت اني حبلى •• فأرسل داود في طلب أوريا (ليمنحه اجازة يقضيها مع امرأته في محاولة لستر هذا الحمل " السفاح ") •

وقال داود لأوريا انزل الى بيتك واغسل رجليك •• فخرج أوريا من بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل الى بيته بل نام على باب الملك فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا الى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لا تنزل الى بيتك فقال أوريا لداود أن تابوت العهد واسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب (قائد الجيش) وعبيده نازلون على وجه الصحراء •• وأنا آتي الى بيتي لآكل وأشرب واضطجع مع امرأتي وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر " •

---

(١) راجع التوراة — مصطفى محمود ص ٦٩
(٢) راجع المصدر السابق •

ومن هو ذلك النبي داود .. الذى صورته التوراة ؟

هل يمكن أن يرسل داود مثل هذا الرجل الى الموت ليأخذ امرأته غنيمة الا أن يكون داود زنيما ؟

من أجل ماذا تلك الشناعة ؟

من أجل لحظة نزوة رآها ذات مساء على السطوح

والعقل يقول : ان هذا محال أن يقع لنبي .

تلكم هي بعض تصورات اليهود تجاه الههم (يهوه) وأنبيائهم الذين صوروهم للناس فى ثياب اللصوص الذين ليس لهم هم سوى جمع حطام الدنيا واقتراف المنكرات .. وليس غريبا اذن أن نجد المفكرين قد ثاروا على هذه العقيدة التى لا تصدقه العقول السليمة والفطرة السليمة .

وبعد هذا ننتقل الى موقف العلم الحديث من التوراة .

التــوراة المحرفـــــة

قد رأينا فى السطور الماضـية عقيدة اليهود فى ربهم وفى أنبيائهـــم الذين صوروهم فى صور اللصوص وقطاع الطرق .

فكان ذلك مما يساعد الملاحـدة على تكذيب جميع الأديان وجميــع الكتب السماوية .. وهنا نريد أن نقدم للقارئ نماذج من تحريف التوراة ليعلم الملاحـدة أن المعلومات المناقضة للعلم الحديث فى التوراة ، ليست مــن عند الله وانما كتبت التوراة هم الذين كتبوها بأيديهم فقالوا : هذا مــن عـند الله " .

وقبل الخوض فى بيان هذا التحريف الخطير يحسن بنا أن نعطـــى للقارئ فكرة موجـزة عن التوراة نفسها ..

فكرة موجـزة عن التوراة

التوراة : هو الاسم السامى .

أما التعبير اليونانى الذى أعطى كلمة (pentateuque) الفرنسية فهى تعنى مؤلفا يتكون من خمسة أجـزاء :

سفر التكوين ، و سفر الخروج ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد ، وسفر التثـنية وهى الأسفار التى كونت العناصر الأولى لكتاب العهد القديم من تسعة وثلاثيـن مجلدا ..

وتتناول هذه المجموعة من النصوص أصل الكون وحتى دخول الشعـب اليهودى أرض كنعان ، الأرض الموعودة بعد الخـروج من مصر ، وبالتحديد حتى موت موسى . وتستخدم حكاية هذه الأحداث كاطار لعرض التدابيـر الخاصة بالحياة الدينيـة والحياة الاجتماعية للشعب الشيهودى . ومن هـــنا

جاء اسم التوراة يعنى الناموس[١] ، هذه فكرة موجزة عن التوراة ، واذا فهمنا هذا قد تهيأنا بعض التهيوء لننتقل الى استعراض نماذج لتحريف التوراة من التوراة نفسها ..

نماذج من تحريف التوراة

لقد ظلت اليهودية والمسيحية ، لقرون طويلة ، تعتبران أن موسى نفسه هو كاتب التوراة .

وربما كان سبب هذا الظن اعتمادهم على بعض النصوص وردت في الأناجيل التي توهم أن موسى هو الذى كتبها ومن هذه النصوص مايلى :

جاء فى سفر الخروج أن الرب قال لموسى : " اكتب هذا تذكارا "[٢] والمقصود من هذا هزيمة عماليق .

أو اعتمدوا على الآية الثانية من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد : " وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب "[٣] .

أو أنهم اعتمدوا على آية فى سفر التثنية " وكتب موسى هذه التوراة "[٤]

هذه هى بعض أدلة القائلين بأن موسى هو الذى كتب التوراة نفسه حتى كان بعض المتحمسين ـ كأمثال (فلافيوس جوزيف) (Lavius Josephe) وفليون الاسكندرى (philon)[٥] ، يرون أن موسى هو الذى كتب الأسفار الخمسة كلها . وكان هذا التحمس ابتداء من القرن الأول قبل الميلاد .

---

(١) يراجع فى هذا الى كتاب دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص ٢٦

(٢) الخروج الاصحاح ٢٧ الاية ١٤ (٣) العدد الاية الثانية من الاصحاح ٣٣

(٤) التثنية الاية التاسعة من الاصحاح الحادى والثلاثين

(٥) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص ٢٧

وأما أدلتهم من الأناجيل كالتالي :

أولا :— ان بولس (6) قد كتب فى رسالته الى أهل رومية يقول :

" لأن موسى يكتب فى اكبر (١) الذى يصدر من الناموس .. " (٢)

وأما يوحنا — ان كان هو الذى كتب الانجيل المنسوب اليه ، فهو يجعل المسيح يقول تلك العبارة التالية :

" لأنكم لو كنتم ترون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى . فان كنتم لستم تصدقون ما كتب فكيف تصدقون كلامى ... " (٣) وهذه بعض ما يعتمد عليه المسيحيون فى نسبة كتابة التوراة الى موسى عليه السلام .

ولكن كل ذلك بهتان وزور ويتضح ذلك فيمايلى :

ذلك ان الله تعالى قد سخر بعض كبار المسيحيين لرد هذا الزعم .. وهو الأب ديفو (R.P. De Vaux) الذى يعترف به جميع المسيحيين فى تمسكه للديانة المسيحية والذى بالقدس حيث كان مديرا لمدرسة الكتاب ، وهو الذى قدم لترجمته لسفر التكوين عام ١٩٦٢ م بمقدمة عامة لأسفار موسى الخمسة . وهى مقدمة تحتوى على حجج قيمة تناقض الدعاوى الانجيلية الخاصة بأبوة المؤلف المعنى به ..

يذكر الأب ديفو أن " التراث اليهودى الذى امتثل له عيسى والرسل "

" كان مقبولا حتى نهاية القرون الوسطى .. وكان الرافض الوحيد لهذه الدعوى " أبين اسرا " (Aben Esra) فى القرن (٤) .

---

(١) المقصود هنا العدل

(٢) الاصحاح العاشر الاية ٥ من رسالته لأهل رومية

(٣) انجيل يوحنا . الاصحاح الخامس ٤٦ — ٤٧

(٤) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص ٢٧

وقال أيضا :

" وفى القرن السادس عشر أشار كارلتشاد (Carlstadt)
الى استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات " (١)

ويذكر أيضا بعد ذلك نقاد آخرين يرفضون نسبة كتاب التوراة الى موسى ويذكر على وجه الخصوص دراسة ريشار سيمول (Richard Simon) فى كتابه " التاريخ النقدى للعهد القديم ".
(Histoire Critique Duvieux Testament)
(١٦٧٨) . وفيه يؤكد ر. سيمون على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب فى أسفار موسى الخمسة .

وعندما صدر هذا الكتاب جن جنون الكنيسة ضده لأنه أثار ضجة وسخطا ولم يتابع أحد حجة ر. سيمون تقريبا .. خوفا من سلطان الكنيسة .. (٢)
وكما استطاع النقاد أن يثبتوا أن التوراة قد عينت أماكن بأسماء لم توضع لها الا بعد موسى بقرون عديدة (٣) يستطيع القارئ أن يتصور الى أى حد كان من الصعب تدحيض هذه الخرافة ، خرافة أن موسى هو كاتب التوراة .

ومع هذه الصعوبات كلها جاء رجل مسيحى آخر فقام بدراسة أخرى يثبت فيها أن موسى لم يكتب التوراة التى بأيديهم .. وهذا الرجل هو : جان استروك (١٧٥٣) .

---

(١) سفر التثنية الاصحاح ٣٤ الآيات من ٥ الى ١٢
(٢) المرجع السابق ص ٢٨
(٣) انظر المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ص ١٢٢ تأليف كرسون ، ت عبد الحليم حمود ط ٢ القاهرة .
ورسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينورا ترجمة حسن حنفى مصر ١٩٦٣م

ان هذا الرجل كانت لديه شجاعة أن ينشر على الملأ ملاحظة أساسية هي وجود التناقض في نصوص التوراة . ونذكر من هذه التناقضات مايلي :

أولا :ـ وجود نصين جنبا الى جنب في سفر التكوين يحتوي كل منهما على خاصية مختلفة في تسمية الرب :

اذ يسميه أحدهما " بيهوه " ويسميه الثاني بـ " ألوهيم " .

اذن فسفر التكوين يحتوي على نصين جنبا الى جنب .

ثم قام " ايخهون " (Eichhorn) ١٧٨٠ ـ ١٧٨٣ بنفس الاكتشافات بالنسبة للكتب الأربعة الأخرى .. ثم جاء (ايلجن) (Ilgen) ١٧٩٨ ولاحظ أن أحد النصين اللذين مزيهما (ستروك) وهو النص الذي سمي فيه الرب بألوهيم ، ينقسم هو أيضا الى قسمين :

وبهذا تفتت كتاب أسفار موسى الخمسة .

واما بحاثة القرن التاسع عشر الميلادي فقد كرسوا جهدهم في بحث عن المصادر أكثر دقة ..

وفي سنة ١٨٥٤ م كانت هناك أربعة مصادر مقبولة وتسمى بالأسماء التالية :

١ ـ الوثيقة اليهودية

٢ ـ الوثيقة الألوهيمية

٣ ـ وسفر التثنية

٤ ـ النص الكهنوتي

ومن المدهش ان الباحثين قد أفلحوا في اعطائها اعمارا فقالوا :

ان الوثيقة اليهودية تقع فى القرن التاسع قبل الميلاد (وقد حررت فى مملكة الجنوب) .

واما الوثيقة الألوهيمية فهى أقرب تاريخيا بقليل (وقد حررت باسرائيل)

وأما سفر التثنية فينتمى الى القرن الثامن من قبل الميلاد فى رأى أدمونـد جاكوب .

وأما النص الكهنوتى فينتمى الى عصر النفى أو ما بعد النفى ، أى القرن السادس قبل الميلاد .

بهذا يتضح لنا أن الأسفار الخمسة لم يكتبها موسى عليه السلام . لأنها ثبت أنها كتبت بعد موته بقرون عديدة . [1] وبالتحديد على ثلاثة قرون بأقل تقدير .. [2] وليس فى استطاعة اليهود ولا المسيحيين الذين يؤمنون بقدسية الأسفار الخمسة ، أن يردوا هذا البحث العميق الموضوعى .

وكما يتضح أيضا تكون كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة مختلفة جمعها - بشكل يقل أو يزيد حذفا - محررون ، وضعوا تارة ما جمعوا جنبا الى جنب . وطورا غيروا من شكل هذه الروايات بهدف وحدة مركبة تاركين للعين أمورا غير معقولة وأخرى متنافرة .. كان من شأنها أن قادت المحدثين الى البحث الموضوعى عن المصادر .

أخبار لا توافق الواقع التاريخى

قد وجدت فى التوراة أخبار لم توافق الوقائع التاريخية ، وكل ذلك ساعد الملاحدة على رفض الأديان . وسنكتفى بذكر شئ واحد من هذه التناقضات وفيه الكفاية :

---

(١) يراجع فى هذه الأخبار التاريخية الى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى (٢٨ - ٢٩) ومن راجع هذا الكتاب يجد هناك أشياء كثيرة تثبت عدم نسبة التوراة الى موسى عليه السلام ولكننا اختصرنا الكلام فيه نظرا الى أن المقام لا يتسع لذلك .

(٢) المرجع السابق (٤٠)

لقد ورد فى سفر التكوين أن الله تعالى قد حدد ـ قبل الطوفان بقليل ـ عمر الانسان بمائة وعشرين سنة . تقول التوراة :

" وتكون أيامه مائة وعشرين سنة " (١)

ومع ذلك يلاحظ فيما بعد فى نفس سفر التكوين الاصحاح (١١) الآيات من ١٠ الى ٣٢ أن حياة أنسال نوح العشرة قد دامت من ١٤٨ الى ٦٠٠ سنة .

ان التناقض بين هاتين العبارتين واضح ويدل دلالة واضحة أن التوراة ليس من عند الله لأنه لم يمكن بحال من الأحوال أن يوجد فى كلامه اختلاف لأنه/هو الذى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . ولا تخفى عليه خافية ..

اذن ان هذا يثبت أن التوراة محرفة .. ولكن كيف حرفت ؟ فيجيب على ذلك بعض الباحثين الغربيين المعاصرين يقولون :

" ان تعليل ذلك بسيط : فالعبارة الأولى التى وردت فى (سفر التكوين) نص (يهوى) يعود تاريخه ـ كما مربنا ـ الى القرن العاشر قبل الميلاد .

أما العبارة الثانية فى سفر التكوين الاصحاح ١١ ـ الآيات من ١١ ـ ٣٢ فهى نص وجد (فى القرن السادس قبل الميلاد) فى التراث الكهنوتى الذى هو أصل هذه الأنساب التى تعتنى فى احصاء أعمار كل من أتى بعد آدم الى عهد المسيح .. " (٢) .

ويبدو لنا جليا أن التوراة محرفة . وان دل هذا البحث الذى قام به هؤلاء المسيحيون ، على شىء فانما يدل على صحة القرآن العظيم الذى قد سبق العلم الحديث فى الاشارة الى هذه النقطة وقال :

---

(١) سفر التكوين الاصحاح ٦ آية ٣
(٢) المصدر السابق (٤٠)

﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾ (١) وقال :

﴿ ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾ (٢)

وليس غريبا اذن أن ترتفع هذه الضجة الكبرى ضد رجال الكنيسة وضد كتبهم وفي مقدمتها التوراة المحرفة .

ولم يكتف محرروا التوراة بهذه التناقضات وانما زعموا أيضا ان الله تعالى بعد أن خلق السموات والأرض تعب فأخذ راحته بعد ستة أيام ..

وقد تكلمنا عن هذه النقطة عند الحديث عن عقيدة اليهود في الله ولكننا أعدنا الكلام عليه لأجل أن نبين مصدر هذه الأسطورة ..

وقد رأى الباحثون أن لهذه الأسطورة تعليلا وهو :

ينبغي أن نتذكر دائما أن رواية الخلق هنا تأتي من النص الذي سمي بالكهنوتي ، كتبه الكهنة وهم "الوريثون الروحيون لحزقيل نبي النفي ببابل في القرن السادس قبل الميلاد .

ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتي الخلق اليهوية والألوهيمية وأعادوا صياغتها على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة (٣) على حين لا يشير النص اليهوي ، الذي يسبق النص الكهنوتي بعدة قرون الى راحة الله الذي تعب من عمله طيلة الأسبوع .

اذن ان مصدر هذه الأسطورة هو الرواية الكهنوتية وذلك بعد نفي اليهود من بابل . ودليل ذلك خلو النص اليهودي من هذه الرواية .. فالتوراة بهذه المثابة — كتاب محرف كذب على الله . ففضحها الله أمام رجال العلم الحديث .. وأما الله — كما يقول القرآن لا يمسه من لغوب يقول الله :

---

(١) سورة المائدة الاية رقم ١٣

(٢) = = = ١٤

(٣) سفر التكوين الاصحاح السادس اية ٣

ذلك اختصار شديد لبيان التحريف في التوراة ، التحريف الذى كان ثغرة اتخذ منها الملاحدة لتفنيد جميع ما يتعلق بالدين المطلق !!

وتكميلا لبيان تحريف التوراة ، نود أن نستمع الى رأى العلم الحديث فى شأن التوراة .

وغرضنا فى هذا الجزء - كما قلنا - نريد أن نقول للملاحدة الذين الذى ثارت عليه أوربا دين يستحق أن يثار عليه لاشتماله على الخرفات والأباطيل .. وأما ديننا الاسلامى بخلاف ذلك ، لأنه كما ينعى على الالحاد الذى يعيشه الملاحدة ، ينعى أيضا على الخرافات والتدين المنحرف الذى كان يتمتع بها رجال الكنيسة الأوربية ...

موقف العلم الحديث من التوراة

ومن يتأمل فى هذه التوراة المحرفة ، يجد فيها حشدا من المتناقضات وروايات مختلفة عن موضوع واحد ، وأخطاء تاريخية وأمورا غير معقولة أو يستحيل أن يتفق مع المعطيات العلمية الثابتة ..

ومع ذلك نجد المجمع المسكونى الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥) يريد أن يجد مبررا لهذه المتناقضات . وذلك بادخال تحفظ على "أسفار العهد القديم" التى تحتوى على الشوائب وشىء من البطلان" (١) .

ترى هل يبقى هذا التحفظ مجرد تعبير عن نية طيبة ؟ الجواب لا ! بل قام أناس فى عصر أدرك فيه المفكرون استحالة اتفاق بين بعض فقرات التوراة مع المعارف الحديثة ، - للمقارنة بين ما ورد فى التوراة مما يتعلق بالتاريخ والكون وبين المعطيات العلمية ، فوجدوا أن أغلب المعلومات التى وردت فى

---

(١) المرجع السابق ص (٤٠)

التوراة باطلة لا تمت الى العلم بصلة .. فلنذكر من ذلك ثلاث نقاط فقط :

١ ـ خلق العالم

٢ ـ تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الأرض

٣ ـ رواية الطوفان

واليك تفاصيل ذلك :

أولا ـ خلق العالم :

ان العلم الحديث لم يوافق ما ورد في التوراة من خلق العالم ، ويرى أن رواية التوراة في هذا الباب أسطورة محضة . واليك القصة بالنص .

تقول التوراة :

" في البدء خلق الله السماء والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية والظلمات تغطي اللجة وروح الله على المياه " (١) .

يرى العلم الحديث أن الحديث عن الماء في هذه الفترة ، أسطورة من أساطير كتّاب التوراة .. وأما الذي يعتقده العلم الحديث هو : وجود كتلة غازية في المرحلة الأولى لتكون الكون ... ولكن القول بوجود الماء في تلك المرحلة غلط ..

ومن هنا نعلن نحن المسلمين ـ للعالم بأسره أن كتابنا خال من الخرافات التي امتازت بها هذه التوراة ، لأن رأي العلم الحديث في الكتلة الغازية التي كونت العملية الأساسية لتشكل الكون ، يشبه بما جاء في القرآن العظيم .. فالقرآن يقول :

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾

وفى هذه الآية يدعو الله تعالى الى التأمل فى خلق الأرض ثم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم بأن يقول : ﴿ ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها فقالتا أتينا طائعين ﴾ .

فيجب الالتفات الى مايلى :

أ — الاشارة الى وجود كتلة غازية فى هذه الفترة . يؤخذ ذلك من كلمة " دخان " اذ يتكون الدخان عموما من قوام غازى .

ب — الاشارة الى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التى كانت عناصرها فى البداية ملتحمة : لأن الفتق هو فصل القطع أوفك .اللحام أوالفصل وأن (الرتق) فصل اللحام ووصل العناصر .. هذا ما يفهم من هذه الآيات . اذن العلم الحديث لم يأت بجديد على المسلمين وانما نقول ان الذى جاء به العلم الحديث بهذا الصدد فيه شبه بهذه الآية الا أننا فى الوقت نفسه لا نوافق العلم الحديث الذى حاول أن يحدد عمر الدنيا بأنه يبلغ ٤٫٥ مليارات من السنين تقريبا (١) لأن هذا التحديد مبنى على الخيال والتخمين وليس على الحقائق العلمية لقوله تعالى :

﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذا المضلين عضدا ﴾ .

بعد هذه الآية الكريمة لا يتردد مؤ من أن يقول ان كل محاولة لتحديد نشأة الكون محاولة اضلالية . لأن ذلك لا يتم الا بالمشاهدة والمعاونة . هل هؤلاء وهؤلاء شاهدوا ذلك ؟ أوعاونوا الله عند الخلق ؟ الجواب لا ! فتحديدهم اذن فى مثل هذا الموطن لا يعنى به. لا من قبل الخرافات التوراتية ولا من قبل الفروض الكثيرة التى يعتمد عليها أرباب العلم الحديث .

---

(١) راجع كتاب (لله العلم) تأليف بشير التركى ص (١٣٨)

فكل فكرة تدعي تفسير الكون ينبغى عليها أن تتخذ طريقة ليست فيها الصدفة والا فهى مرفوضة عند المسلم من أساسها . لأن من أسس بنيانه على الرمال فسوف تذريه الرياح ..

اذا كانت التوراة غلطت فى تحديد نشأة الكون وعمره ، فغلط العلم الحديث أشنع لأنه يدعم فكرته هذه على نفى وجود الله أولا ثم اثبات شىء خيالى أخيرا ..

الخلاصة :

ان التوراة المليئة بالأكاذيب حاولت أن تحدد عمر الدنيا ففشلت ، فاذا بالعلم الحديث أراد أن يكشف هذا الغلط فوقع فيما هو أشد اضلالا وهو: نفى تدخل اللهفى الكون . والكلام الوسط ما أشار اليه القرآن الكريم وهو أن أصل الكون كان كتلة دخانية ثم فتقها الله بقدر خاص وحكمة بالغة وغاية مرسومة مقدرة بدون أى تحديد زمنى يقول تعالى :

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون ﴾ (١) . وبعد هذا نتقدم الى خطوة ثالثة .

الطوفان

نود فى هذا البحث التاريخى الخطير أن نستعرض الآراء بدون أى تعليق ليفكر فيه القارىء برأيه الخاص . وذلك أن التاريخ غيب لا يمكن لأى أحد أن يصل الى معلومات يقينية الا عن طريق السمع أو اثارة من علم . ورغم كل ذلك سنجد العلم الحديث يجد ثغرات كثيرة فى روايات التوراة بل يجد

---

(١) سورة الانبياء الاية رقم ٣٠

فيها تناقضات لا يستسيغها أى عقل انسانى . واليك تفاصيل ذلك :

أولا ــ رأى التوراة فى قصة الطوفان :

والرواية كلها فى شمولها هى مايلى من سفر التكوين نرويها بالمعنى لقصد الاختصار ..

لما عم فساد البشر قرر الله تدميرهم مع كل المخلوقات الحية الأخرى . فحذر نوحا وأمره ببناء السفينة التى سيدخل بها زوجته وأولاده الثلاثة بزوجاتهم الثلاث وكائنات حية أخرى ..

ويختلف المصدران بالنسبة للكائنات الحية : فهناك مقطع من الرواية (وهو كهنوتى الأصل) يشير الى أن نوحا قد أخذ زوجا من كل نوع ، ثم يحدد المقطع التالى وهو من الأصل اليهوى أن الله قد أمر بأخذ سبعة من كل نوع ذكر وأنثى من الحيوانات المسماة بالطاهرة ، وزوجا واحدا من الحيوانات المسماة بغير الطاهرة . ولكن بعد ذلك يتحدد أن نوحا لن يدخل الى السفينة فعلا الا زوجا من كل نوع من الحيوانات .

ويؤكد المتخصصون ، مثل الأب (د يفو) ، أن المعنى هنا هو مقطع معدل من الرواية اليهوية .

وهناك فقرة (وهى من الأصل اليهوى) يشير الى أن عامل الطوفان هو ماء المطر ولكن هناك فقرة أخرى (وهى كهنوتية الأصل) تقدم سبب الطوفان على أنه مزدوج أى ماء المطر والينابيع الأرضية .

تغطت الأرض حتى قمم الجبال وأعلى منها بالماء ،وتدمرت فيها كل الحياة وبعد سنة خرج نوح من السفينة التى رست على جبل(أراراط) بعد الانحسار.[٣]

(١) سفر التكوين الاصحاحات ٦ ، ٧ و ٨
(٢) راجع كتاب الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٥٢ ولكن بالتصرف
(٣) راجع سفر التكوين من التوراة عرضا

ثم لو راجعت التوراة تجد أن للطوفان روايتين مختلفتين : اذ تقول الرواية اليهوية أربعون يوما فيضانا ، على حين يقول النص الكهنوتي انها مائة وخمسون يوما ..

ثم الغريب ان الروايات اليهودية ، لا تحدد تاريخ وقوع هذا الحدث من حياة نوح ولكن الرواية الكهنوتية تحدده بحين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة . وتعطي نفس هذه الرواية اشارات عن موقعه الزمني بالنسبة لآدم وبالنسبة لابراهيم ..

وبيان ذلك : ان قائمات الأنساب في التوراة تقرر أن نوحا قد ولد بعد ١٠٥٦ عاما من آدم (أنظر جدول أسلاف ابراهيم في سفر التكوين) فيكون الفترة الزمنية بين آدم والطوفان كالتالي :

(٦٠٠ + ١٠٥٦) = (١٦٥٦) سنة

وبالنسبة الى ابراهيم فيحدد سفر التكوين أن ميلاده كان بعد الطوفان ب (٢٩٢) سنة ... أي ثلاثة قرون تقريبا .

ولما كانت التوراة نفسها تثبت ان بين ابراهيم وعيسى ١٨ قرنا فنصل الى النتيجة التالية :

ان الطوفان وقع قبل المسيح في القرن (٢١) فاذا جمعنا ٣ قرون التي وقعت قبل ميلاد ابراهيم مع ١٨ قرنا التي تعتبر الفترة الزمنية بين ابراهيم وعيسى عليهما السلام .

وبهذا استطاع محرروا التوراة أن يصلوا الى تاريخ محدد لمعرفة زمن الطوفان .

ثم ان سفر التكوين ، يخص كل الجنس البشري بهذا الطوفان وأن البشرية قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم ...

واليك نصوصا من التوراة تدل على طوفان نوح كان عالميا ..

أ – " فقال الله لنوح : ها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، كل ما فى الأرض يموت " (١)

ب – " وتعاظمت المياه وتكاثرت جدا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة تحت كل سماء . خمس عشرة ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال " (٢)

ج – وضعت قوس فى السحاب فتكون علامة ميثاق بينى وبين الأرض . فيكون متى أنشر سحابا على الأرض ، وتظهر القوس فى السحاب . أنى اذكر ميثاق الذى بينى وبينكم وبين كل نفس حية فى كل جسد ، فلا تكون أيضا المياه طوفانا لتهلك كل ذى جسد " (٣)

هذه من أدلة التوراة لاثبات عالمية طوفان نوح عليه السلام (٤). والآن نود أن نرى موقف العلم الحديث من هذه الروايات :

---

(١) سفر التكوين ٦ : ١٧

(٢) سفر التكوين ١٩ : ٢٠

(٣) سفر التكوين ٩ : ١٣ – ١٥

(٤) الآن يريد بعض المسيحيين أن يثبتوا عالمية الطوفان بالاكتشافات العلمية الحديثة . فذكروا أشياء مختلفة منها : أنه وجدت عظام حوت فى شمال بحيرة (أنتاريو) على ارتفاع (٤٤٠) قدم فوق مستوى سطح البحر . هذه تعتبر علامات على أن الماء كان يوما يغمر الأرض فى أماكن كثيرة .. ومعنى ذلك أن الطوفان كان عالميا .. هكذا يزعمون .. والعلم عند الله الله .

(راجع كتاب : الانسان هل هو متطور أو مخلوق بقلم نورس أندرسون ص ٣٣).

موقف العلم الحديث من رواية الطوفان

ان العلم الحديث لم يكذب التوراة فى وقوع الطوفان ، ولكنه كذبها فى النقاط التالية :

ليس فى التوراة رواية واحدة فقط عن الطوفان بل هناك روايتان ولكنهما حررتا فى عصور مختلفة :

— الرواية اليهوية ترجع الى القرن التاسع قبل الميلاد .

— الرواية الكهنوتية التى ترجع الى القرن السادس قبل الميلاد .

والتى أخذت هذا الاسم لأنها مؤلف لكهنة ذلك العصر ..

ولا تأتى هاتان الروايتان كل الى جانب الأخرى وانما تتشابكان وتتداخل عناصر احداهما فى عناصر الأخرى وتتعاقب فقرات كل مصدر بالتبادل مع فقرات المصدرين الاخرين ، فهذا يدل على خبث محررى التوراة وسوء نياتهم حيث خلطوا الروايات بعضها ببعض لتوعير الطريق أمام الباحث .

يقول الأب (ديفو) : انهما حكايتان للطوفان تختلف فيهما العوامل التى أدت الى الطوفان كما يختلف زمن وقوعه ويختلف عدد الحيوانات التى شحنها نوح بالسفينة " (١) .

ويقول موريس بوكاى تعليقا على كلام الأب ديفو :

" ان رواية الطوفان فى العهد القديم غير مقبولة فى اطارها العام وذلك لسببين يتضحان على ضوء المعارف الحديثة :

أ — يعطى التوراة للطوفان طابعا عالميا

ب — وعلى حين لا تعطى فقرات المصدر اليهوى للطوفان تاريخا ، تحدد الرواية الكهنوتية زمن الطوفان عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٤

من هذا النوع والحجج التى يستند اليها هذا الحكم هى مايلى :

" تحدد الرواية الكهنوتية أن الطوفان قدحدث عندما كان عمر نوح ٦٠٠ عام غير أنه من المعروف ، بحسب الأنساب المذكورة فى الاصحاح الخامس من سفر التكوين أن نوحا قد ولد بعد آدم بـ ١٠٥٦ عاما .

وينتج عن ذلك أن الطوفان قد وقع بعد ١٦٥٦عاما من خلق آدم .. وكما تؤكد التوراة أن ابراهيم قد ولد بعد الطوفان بـ (٢٩٢) عاما ... ولما كنا نعرف أن ابراهيم كان يعيش فى حوالى ٢١ أو ٢٢ قرنا قبل الميلاد اذن ان الطوفان قد وقع فى القرن ٢١ أو ٢٢ قبل المسيح ،هذا ما لا يتفق مع المعطيات الحديثة : كيف يمكن اليوم تصور أن كارثة عالمية قد دمرت الحياة على كل سطح الأرض (باستثناء ركاب السفينة) فى القرن ٢١ أو ٢٢ ق . م ؟

ففى ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت وانتقلت أطلالها الى الأجيال التالية :

وبالنسبة (لمصر) على سبيل المثال ، كان ذلك فى الفترة الوسطى التى تلت نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى . وبالنظر الى ما نعرف عن تاريخ هذا العصر فانه يكون مضحكا القول بأن الطوفان قد دمر فى ذلك العصر كل الحضارات .

وفى بابل أسرة أور الثالثة . ومن المعروف جيدا أنه لم يحدث انقطاع فى هذه الحضارات وبالتالى لم يحدث اعدام يخص البشرية برمتها تقول التوراة :

" وبالتالى فلا يمكن اعتبار أن روايات التوراة الثلاث تصف للانسان أمورا تتفق مع الحقيقة .. هل أنزل الله شيئا غير الحقيقة .. ؟ "

---

(١) المرجع السابق بالتصرف ص٥٣ ـ ٥٤

هذا ما يقوله العلم الحديث ضد هذه الرواية وطبيعى أن ذلك يثير افتراض وجود تحريف بواسطة البشر ــ أما فى الأقوال المتوارثة التى انتقلت شفهيا من جيل لآخر أو فى النصوص بعد تحديد هذه الأقوال المتوارثة ..

وعندما نعرف أن مؤلفا مثل سفر التكوين قد عدل على الأقل مرتين وهذا على مدى ثلاثة قرون ، فكيف ندهش حين نجد فيه هذه الأمور المتناقضة أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء .

فليس غريبا اذن أن تكون هذه الديانة فى موضع السخرية والازدراء لدى الملحدة الذين وقفوا على هذه المضحكات المبكيات فى هذه التوراة المحرّفة .

وليس غريبا اذن أن يقول الملاحدة :

" ان الدين أسوأ خدعة فى التاريخ "

أو يقولون :

" ان الدين أفيون الشعوب "

ولنكتف بهذا القدر مخافة التطويل ، ولكن قبل أن ننتقل الى طغيان الكنيسة الذى يعتبر بحق الناقوس المعلن لمجيء الثورات ضد الدين ، يحسن بنا أن نعطى فكرة موجزة عن موقف القرآن الكريم من رواية التوراة للطوفان ...

موقف القرآن من رواية التوراة للطوفان

على حين تتحدث التوراة عن طوفان عالمي لعقاب كل البشرية الكافرة ، يشير القرآن على العكس ، الى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة جدا تشير الى ذلك الآيات التالية :

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا . فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا ﴾

﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا أليما ﴾

﴿ وعادا وثمودا وأصحاب الرّس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ (١)

وعلى هذا فالقرآن يقدم كارثة الطوفان باعتبارها عقابا نزل بشكل خاص على شعب نوح وهذا يشكل الفرق الأساسي بين الروايتين ...

أما الفرق الجوهري الثاني فهو أن القرآن، على عكس التوراة : لا يحدد زمن الطوفان ولا يعطي أية اشارة عن مدة الكارثة نفسها .

وأما أسباب السيل فقد وافق فيها القرآن رواية التوراة التي تقول :

" في ذلك اليوم انبثقت عيون الماء من الهوة السحيقة وانفتحت هواويس السماء " (٢)

وأما القرآن الكريم فيقول :

﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ (٣)

---

(١) سورة الفرقان ، الايات ٣٥ الى ٣٩
(٢) سفر التكوين ٧ ، ١١
(٣) سورة القمر ، الاية ٥٤

وكما أن القرآن يخالف التوراة فى تحديد محتوى سفينة نوح حيث يقول :

﴿ ... احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن، وما آمن معه الا القليل ﴾ (١)

وأما رواية التوراة لا تشير الى هؤلاء من بين ركاب السفينة .. ومع ذلك ان التوراة قدمت لنا ثلاث روايات عن محتوى السفينة كلها متناقضة .

— على حسب الرواية الكهنوتية : نوح وأسرته دون أى استثناء وزوج من كل نوع .

— على حسب الرواية اليهوية ، هناك تمييز من ناحية بين الحيوانات الطاهرة والطيور وبين الحيوانات النجسة من ناحية أخرى (والسفينة تحتوى على سبعة أزواج من الفئة الأولى . ذكر وأنثى وعلى زوج واحد فقط من الفئة الثانية) .

فى نهاية المطاف نستطيع أن نقول — مطمئنين — أن الاختلافات بين رواية القرآن وروايات التوراة موجودة .. وهى هامة

وكما أصبح واضحا تمام الوضوح عدم امكانية اتفاق رواية التوراة فى تقديمها للطوفان بزمنه ومدته — مع مكتسبات المعرفة الحديثة وعلى العكس من ذلك فان رواية القرآن تتضح خالية من أى عنصر مثير للنقد الموضوعى .

والسؤال الآن موجه الى الملاحدة الذين يقولون بوجود تناقض بين العلم الحديث وبين الأديان كلها ، نقول لهم :

فمن عصر رواية التوراة الى عصر تنزيل القرآن هل حصل الناس على معلومات من شأنها أن تلقى نورا على حدث مثل هذا ؟

---

(١) سورة هود الاية ١١

بالتأكيد لا ! فمن العهد القديم الى القرآن كانت الوثيقة الوحيدة التى فى حوزة الناس عن هذه الحكاية القديمة هى التوراة بالتحديد .

واذا لم يكن عند الانسانية كلها علم آخر يبين خطأ التوراة فى هذا الحدث الا القرآن فقط ، أفلا يتسع فى أخلاد الملاحدة أن يصدقوا هذا الكتاب المعجز ؟ وأن يعرفوا أن العلم الحديث لا يناقض الدين الصحيح ،وانما يناقض الأديان المحرّفة المبنية على الخرافة والجهل والقصور..

ثم نقول لهم :

لو لم يكن القرآن من عند الله أنّى لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتى بأسمى فكرة عن الاله والكون والانسان ، صححت فكرة الفلسفة النظرية كما صححت فكرة العقائد الدينية .

فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين ، فى جانب النقص منهما ـ ان هذا لهو أعظم المعجزات التى أثبتت له فى حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة أنه وحىٌ من عند الله ...

وصدق الله تعالى : ﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾

﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾

ماذا قال المفسرون عن عالمية الطوفان وعدم عالميته؟

ان الدارس لكتب التفاسير المعتبرة ، يجد أن المفسرين ليسوا على اتفاق تام فى مسألة الطوفان ..

منهم من يرى أن الطوفان كان خاصا لقوم نوح ..

والبعض الآخر يرى أنه كان شاملا لجميع سكان الأرض ..

واليك أدلة كل من الفريقين :

وقد رأينا — تلخيصا جيدا للآراء — فى تفسير روح المعانى للعلامة الألوسى البغدادى ، نود أن ننقله اليك بنصه :

يقول الألوسى وهو يشرح قوله تعالى :

* ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين *

" وقد روى أنه مات كل من فى السفينة ، ولم يعقبوا عقبا باقيا غير أبنائه الثلاث اسام وحام ويافث وأزواجهم فانهم بقوا متناسلين الى يوم القيامة ..

ثم ساق الحديث الذى يدل على عالمية الطوفان فقال :

" أخرج الترمذى وحسّنه ، وابن سعد ، وأحمد ، وأبو على ، وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرى والحاكم وصححه عن سمرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " سام أبو العرب وحام أبو الحبشى ويافث أبو الروم .. " (١)

ثم علق عليه بقوله : " ولا أعرف حال الخبر " (٢)

---

(١) تفسير الطبرى ج ٢٣ — ٢٥ ص ٦٧ ، راجع أيضا تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٤٣
راجع أيضا الدرر المنثور للسيوطى ج ٤ ص ٣٣٩
راجع أيضا القرطبى ج ١٥ ص ٨٩
(٢) تفسير روح المعانى ، الألوسى ج ٢٣ — ٢٤ المجلد الثانى عشر ص ٩٨

ثم ساق أيضا قول الفريق الثاني الذين يرون أن الفرق لم يكن عاما لجميع السكان فقال : :

" وقالت فرقة : أبقى الله تعالى ذرية نوح عليه السلام ومد في نسله وليس الناس منحصرين في نسله بل من الأمم من لا يرجع اليه ..

ثم قال :

" وكأن هذه الفرقة لا تقول بعموم الفرق ، ونوح عليه السلام ، انما دعا على الكفار وهو لم يرسل الى أهل الأرض كافة فان عموم البعثة ابتداء من خواص خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم : ووصول خبر دعوته وهو في جزيرة العرب الى جميع الأقطار كقطر الصين وغيره غير معلوم .

ثم أضاف قائلا :

" والحصر في الآية بالنسبة الى من في السفينة ممن عدا أولاده وأزواجهم فكأنه قيل : وجعلنا ذريته هم الباقين لا ذرية من معه في السفينة وهو لا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه ... وكان في بعض الأقطار الشاسعة التي لم تصل اليها الدعوة ولم يستوجب أهلها الفرق كأهل الصين كما يزعمون ..

وهكذا رأينا أنه أجاز الوجهين : العام والخاص ولم يجزم بتقديم أحدهما على الآخر . والذي يبدو من خلال كلامه أنه يؤيد القول بخصوص قوم نوح بالفرق بدليل قوله " ولا أعرف حال الخبر " .. أي أنه لا يستطيع أن يأخذ هذا الحديث سندا لاثبات عموم الفرق لأنه (الحديث) مجهول لديه ..

واذا لم يصرح برأيه الخاص فقد صرح غيره من المفسرين بأن الفرق لم يكن عاما لجميع سكان الأرض بل كان خاصا بقوم نوح فقط .. ومن هؤلاء المفسرين الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره = تفسير المراغي اذ يقول

وهو يشرح قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ . أى أهلكنا من كفر بنا استجابة لدعوته : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ ولم يعقب أحد ممن كان فى السفينة عقبا سوى أبنائه الثلاثة :

(سام وحام ويافث) فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق والمغرب . ويافث أبو الترك .

ثم قال : " وهذا هو المشهور على ألسنة المؤرخين . وليس فى القرآن ولا فى السنة نص قاطع على شىء من ذلك كما أنه ليس فى القرآن ما يشير الى عموم دعوته لأهل الأرض قاطبة ولا أن الغرق عم الأرض جميعا . وأن ما تفيده الآية من جعل ذريته هم الباقين انما هو بالنسبة لذرية من معه فى السفينة . وذلك لا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه وقد كان فى بعض الأقطار الشاسعة من لم تبلغهم الدعوة فلم يستوجبوا الغرق كأهل الصين وغيرهم من البلاد النائية " (١) .

هذا ما صرح به الاستاذ أحمد مصطفى المراغى من أن الطوفان لم يكن عاما لجميع سكان الأرض .. وهذا ما أيدته مستدلا بقوله .. ﴿ وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ﴾ .

وهذا ما أيده ايضا كثير من الباحثين . نذكر منهم اثنين : واحدا من العالم الاسلامى وواحدا من أوربا :

وأما الأول هو : الشيخ محمد الغزالى فى كتابه القيم : (قذائف الحق) وهو يقول : " ورأيى أن الطوفان القديم كان عقوبة لقوم نوح وحدهم . وأنه ليس غرقا استوعب سكان القارات الخمس .. فما ذنب هؤلاء المساكين ونوح ورسالته محلية لا عالمية . اللهم الا اذا كان المعمور يومئذ من هذا الكوكب ديار نوح وحسب " . (٢)

---

(١) تفسير المراغى جـ ٢٢ ـ ٤٤ ـ أحمد مصطفى المراغى ص ٦٧
(٢) قذائف الحق ، محمد الغزالى ص ٢٢

موريس بوكاى يتكلـم

وللباحث الآخر الغربى هو : الاستاذ (موريس بوكاى) ٠ يرى هذا الاستاذ أن الطوفان لم يكن عاما بل كان خاصا بقوم نوح فقط فلنقـرأ له هذه الكلمات التالية :

" ولكن ، كما يقول سفر التكوين ، يخص الطوفان كل الجنس البشرى ٠ وكل الكائنات الحيـة التى خلقها الله قد أعدمت على الأرض حسب هـذه الرواية ٠ ان البشرية ، والأمر هكذا تكون قد أعادت تكوين نفسهـا ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم ٠٠ بحيث انه عندما يولد ابراهيم بعد ذلك بثلاثة قرون تقريبا ٠ فانه يجد الانسانية قد أعادت تكوين نفسها فى مجتمعات ٠٠ كيف يمكن لاعادة البناء هذه أن تتم فى زمن قليل الى هذا الحد ٠٠

ثم قال :

" ان هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أية معقولية ٠ أكثر من ذلك فالمعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعـارف الحديثة ٠٠ " (١) (٢)

بهذا نكتفى للاثبات أن محررى التوراة هم الذين جعلوا الطوفان كارثة عالمية وتبعهم فى ذلك رجـال الكنيسة ٠ ثم انتقلت هذه المعلومات الـى عقول سائر الناس ٠٠ والحمد لله الذى وفقنا لا زالة هذه الخرافة عن عقـول الناس ٠٠

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاى ص ٥٣

(٢) ان المعارف الحديثة التى يريدها هنا ، قد تكلمنا عنها سابقا عند كلامنا على موقف العلم الحديث من التوراة ٠٠ فليراجع هناك ٠

الفصل الثاني

طغيان الكنيسة

قد مرّ بنا في السطور الماضية ، تبلد الضمير الديني عند اليهود ، ورأينا كيف انحرفوا عن العقيدة السليمه التي رسمها لهم الرسولان العظيمان : ابراهيم وموسى عليهما السلام . وكما رأينا ان التوراة المحرّفة ، لا تستطيع أن تقوم على قدميها أمام المعارف الحديثه لاشتمالها على الخرافات والترهات والأباطيل في أغلب الأحيان ..

وفي هذه الصفحات ، نود أن نتكلم عن طغيان الكنيسة وتبلد الضمير الديني عند رجالها المحتكرين ، لنرى كيف أصبحت هذه الديانه عونا لقيام الالحاد الحديث ، وكيف صارت غولا بشعا تطارد الناس في يقظتهم ومنامهم ..

ومن يلق على هذه الديانة نظرة فاحصه ، يجد أن الحال لم يكن معها خيرا مما كانت عليه اليهودية ، بل كان الأمر أدهى وأمر .. لأنها بعد ما أن طمس "بولس" (١) معالمها ، انتقلت الى الدولة الرومانية (٢)و(٣)

---

(١) هو بولس " القديس " من أعظم رجال المسيحية ، ولد في طرسوس بآسيا الصغرى اسمه الأصلي (شاؤول) روماني الجنسية . درس في القدس ونشأ نشأة يهوديه متحمسا لأبيه ووطنه ، وكان يضطهد المسيحيين .. كلف من قبل رئيس الكنيسة بالذهاب الى دمشق لمقاومة المسيحية سنة (٣٥) وفي طريقه يقول : أنه رأى بغتة نورا ساطعا وسمع صوتا يقول : " شاؤول شاؤول لم تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا رب ، فأجابه الصوت : " انه يسوع الذى تضطهده " . فأجاب شاؤول وذهب الى دمشق حيث نزل عند المسيحيين وانخرط في مسلكهم .. راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٤٢ .

(٢) راجع معالم تاريخ الانسانية هـ . ويلز ج ٣ ص ٩٠٢ . ت: عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ١٩٦٧ هـ ولكن بتصرف طفيف .

(٣) راجع أيضا مقارنة الأديان المسيحية ، احمد شلبي ص ٧٥ ـ المرجع ايضا تاريخ الدعوة الاسلامية آدم عبدالله الألوري ص ٣٢ .

الوثنية التي قد بلغت من الوثنية غايتها ، ومن الانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي منتهاها (١) وفي هذا الجو الوثني ، بدأت هذه الديانة تنتشر في هذه الدولة حتى دخلت فيها الامبراطورية الرومانية بقيادة قسطنطين (الامبراطور) في سنة ٣٠٠ م .. وكان دخوله فيها خيرا للنصرانيه لأنها ربحت ملكا عظيما ، ولكنها في الوقت نفسه خسرت دينا جليلا .. لأن الوثنية الرومانية مسخت دين المسيح ومسخت أهله .. وكان قسطنطين اكثر الناس افسادا له ، بسبب ولائه لوثنيته الأولى ..

انه دخل في النصرانية لا لتخضع الوثنية للنصرانية ولكن لتخضع النصرانية للوثنية الرومانية ..

وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي داربر في كتابه (الدين والعلم) :

---

(١) لقد ذكر المؤرخون الكثير من أخلاق الروم المنحطة : منها ما ذكره (سنيكا) الفيلسوف الروماني الشهير (٤ ق.م) يندب كثرة الطلاق ويشكو تفاقم خطبه بين بني جلدته فيقول :

" انه لم يعد الطلاق – اليوم – شيئا يندم عليه أو يستحى منه في بلاد الرومان ، وقد بلغ من كثرة وذيوع أمره لان جملت النساء يعددن أعمارهن بأعداد أزواجهن .

وأغرب من ذلك ما ذكره القديس جيروم (٣٤٠ – ٤٣٠) عن امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها .. وكانت هي ايضا الزوجة الحادية والعشرين لبعلها .. راجع التطور والثبات في حياة البشرية تأليف محمد قطب ص ٦٨ .

وكانت عندهم لعبة وحشية حيث يتجمعون اليها وينفقون في سبيلها بسخاء يتصارعون فيها بالسيوف والخناجر ، يشق بعضهم بطون بعض ويقطعون أوصال بعضهم .. وسادات الرومان يشهدون ذلك بلذة وشغف . راجع جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٣١ .

" دخلت الوثنية والشرك فى النصرانيه بتأثير المنافقين ، الذين تقلدوا وظائف خطيره ومناصب عاليه فى الدولة الرومانية ،لتظاهرهم بالنصرانية . ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوما من الأيام . وكذلك كان قسطنطين (١) ، فقد قضى عمره فى الظلم والفجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية الا قليلا فى آخر عمره سنة ٣٣٧ ميلادية .

" ان الجماعة النصرانية ، وان كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية ، وتقتلع جرثومتها . وكان نتيجة كفاحها ان اختلطت مبادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية ، والوثنية سواء بسواء — هنالك يختلف الاسلام عن النصرانية ، اذ قضى الاسلام على منافسه (الوثنية) قضاء تاما ونشر عقائده خالصة بغير غش ..

" وان هذا الأمبراطور الذى كان عبدا للدنيا والذى لم تكن عقائده الدينية تساوى شيئا رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين — النصرانى والوثنى — أن يوحدهما ويؤلف بينهما ، حتى ان النصارى الراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة سيزدهر اذا طمست ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة . وسيخلص الدين النصرانى عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وأرجاسها " (٢).

---

(١) قسطنطين : أباطرة رومان وبيزنطيون : قسطنطين الأول (الكبير) (٢٨٨ — ٣٣٧) ابن قسطانس الأول والقديسه . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٨١ .

(٢) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى — ص ١٦٦ — ١٦٧ .

القرآن يذكر بعض انحرافاتهم

وقد ورد فى القرآن الكريم بعض الاشارات الى هذه الانحرافات الخطيرة فى الديانة النصرانية التى أفقدها الثقة على أن يعطى التفسير الالهى للوجود وحقيقة صلته بخالقه ، وحقيقة هذا الخالق وصفاته وحقيقة الوجود الانسانى وغايته وطريقه . فلنقرأ الآيات التالية لتوضح لنا مدى انحراف هذه الديانة الغريبة .

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . وما من اله الا اله واحد . وان ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ؟ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنّى يؤفكون . قل: أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ؟ والله هو السميع العليم . قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (١) .

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟ ﴾ (٢)

---

(١) سورة المائدة الاية : ٧٢ ـ ٧٧

(٢) سورة التوبة الاية : ٣٠

﴿ واذ قال الله : يا عيسى ابن مريم ، أأنت قلت للناس : اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ! ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . ان كنت قلته فقد علمته . تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به : ان اعبدوا الله ربى وربكم . وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم . فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد . ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١)

وهكذا نرى مدى الانحراف الذى دخل على النصرانية ، من جراء تلك الملابسات التاريخيه ، حتى انتهت الى تلك التصورات الأسطورية التى دارت عليها الخلافات والمذابح عدة قرون (٢) .

---

(١) سورة المائدة الاية : ١١٦

(٢) قال ابن القيم فى كتابه القيم : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ، مبينا أسباب هذا الانحراف فقال : " وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك — على منهجه — قريبا من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم فى التغيير والتبديل والتقرب الى الناس بما يهوون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة . ثم قال : " وفى عهد قسطنطين الرومى ابن هيلانة الحرانيه الفندقية ، وفى زمنه بدل دين المسيح . وهو الذى أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد . وكان عدتهم زهاء ألفى رجل فقرروا تقريرا ولم يرتضوه ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا منهم . والنصارى يسمونهم الآباء فقرروا ألوهية المسيح " وهذا ما يسمى فى التاريخ مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥ ميلاديه . راجع الكتاب المذكور ص : ١٥١ .

وهذه هي العقيدة الوثنية التي ثارت عليها أوربا ، العقيدة التي شوهت معالمها منذ أول خطوة لها .. وهؤلاء هم رجال الدين الكنسي الذين قدموا هذه الجناية على أنفسهم وعلى الدين وعلى البشرية ، والذين أتاحوا الفرص للملاحدة أن يكذبوا بجميع الأديان والمبادئ والقيم الأخلاقية بل بوجود البارى - سبحانه - أيضا . غير أن الأمر لم يقف عند تبلد الضمير الديني ، وفساد التصور الاعتقادي بل أضافت الكنيسة الى ذلك بما يحزن منه القلب وتدمع منه العين . وهو بيع غفران الله بالصكوك . واليك تفاصيل ذلك :

صكوك الغفران

لقد قررت الكنيسة أن تمنح نفسها الحق في اعطاء صكوك الغفران ، في احدى المجامع الكنسية الكثيرة التي كانت تجتمع بين الحين والحين وتغير وتبدل وتحرف وتنشئ وتضيف ما تشاء " الأهواء " المقدسة " الى العقيدة النصرانية ..

ان مما أثار المعارضة الشديدة بين رجال الدين الكنسي وبين المفكرين في أوربا هو التوسع في بيع صكوك الغفران . وابتداع هذه الصكوك - كما أفاد بذلك د. عبد الحميد البطريق - يرجع الى عام ١٣٠٠م[1] عندما ابتكر البابا بونيفاس السابع (٧١١) ( ) مرسوما بابويا مقدسا

---

(١) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، تأليف الأستاذ الدكتور عبد الحميد البطريق والدكتور عبد العزيز نوار ص ٩٣ - دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ب ٧٤٩ .

يعرف بالغفران (Induligence)[1] ، ويقضي بأنه اذا اعترف شخص اعترافا كاملا بذنوبه وتبرأ وندم ندما حقيقيا على خطاياه فانه يتخلص من عقاب الآخرة . ولكي يحصل على هذه المغفرة عليه أن يدفع لقاء ذلك هبة ماليه .. وعلى هذا أفرط رجال الدين في اعطاء حق بيع الغفران افراطا شديدا . وأنشأوا له صكوكا تباع وتشترى . فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا ، ومتعة من متعها . وبذل العصاة في سبيلها المال الكثير . وفي هذا يقول العلامة ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١[2] :

" وليس عندهم على من زنى أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبدا ولا عذاب في الآخرة لأن القس والراهب يغفر له . فكلما أذنب امرؤ ذنبا أهدى للقس هدية أو أعطاه درهما أو غيره يغفر له . واذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيبها له ، فاذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها ، قبل ذلك منها وتبرك "[3] .

---

(١) الأصل في نشأة هذه الصكوك ، هي فكرة الاعتراف أمام القسيس لقبول توبة المعترف الذي لا يدخل الجنة في الحال بعد موته . بل يمضي فترة من الزمن فيما يسمى بالمطهر الذي يقضي فيه المذنبون حكم الله بالعذاب الى أن يتطهروا من ذنوبهم ولتخفيف عذاب المطهر ، ابتكرت الكنيسة صكوك الغفران التي كانت موردا ماليا در عليهم أموالا كبيرة جعلها تتغالى في اباحة بيعها حتى لمن يريد غفران خطاياه القادمة في مستقبل أيامه . راجع التاريخ الأوربي الحديث ، د . عبد الحميد البطريق ص ٩٤ .

(٢) راجع كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ص ١٤٢

(٣) الدارس لكتاب حرية الفكر ، يجد فيه أن الكنيسة أباحت لنفسها حقوقا كثيرة منها حق التحلة فهو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة . راجع كتاب حرية الفكر تأليف سلامة موسى ص ٥٦ .

وهذا نص صك الغفران ، الذى كان يباع بيع السلعة !

" ربنا يسوع يرحمك (يا فلان) ويحلك باستحقاقات الآلام الكلية القداسة . وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى ، أحلك من جميع القصاصات ، والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها — مهما كانت عظيمة وفظيعة — ومن كل علة — وان كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى — وأمحو جميع أقذار الذنوب ، وكل علامات الملامة ، التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة . وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأردك حديثا الى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين . أردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك ، حتى أنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة الى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى الى فردوس الفرح . وان لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة . باسم الأب والابن والروح القدس " .

هذه صورة صك الغفران تذكر أنها تمحو الآثام ، وتغفر ذنوب الماضى ما تقدم منها وما تأخر ، تغسله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ، ثم لا يصير قابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ومهما ينغمس فى المعاصى ، كأن ذلك الصك جوازا للمرور الى النعيم المقيم لا يعوق حامله عائق ، ولا يرده عن الوصول خازن أو حارس.

---

(١) راجع كتاب محاضرات فى النصرانية . للاستاذ الشيخ أبو زهرة ص٢٠٦ — الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م : دار الفكر العربى .

ان هذه المسألة ـ كما قلنا ـ كان لها أثر في الفكر المسيحي ، وبسببها وغيرها تقدم المصلحون في جرأة ، داعين الى اصلاح الكنيسة بالحسنى أو بغير الحسنى . ترتب على ذلك ظهور المذهب "البرتستانتي" على يد المصلح الكبير " مارتن لوثر " وأمثاله . فأرادت الكنيسة أن تقضي على هذه الحركة اللوثرية ، بأن أصدر البابا (لويس العاشر) قرار الحرمان من الكنيسة ضد لوثر (ديسمبر ١٥٢٠) وكان رد (مارتن لوثر) أن أحرق قرار البابا علانية أمام الناس . لذا اعتبر (مارتن لوثر) خارجا على القانون وحكم عليه باهدار دمه . ورغم ذلك استمرت الحركة في طريقها حتى جاء رجلان عظيما وهما :

أولريخ زونجلي (١٤٨٤ ـ ١٥٣١) و جون كلفن (١٥٠٩ ـ ١٥٦٤) وكان لهما أثرهما الفعال في توجيه حركة الاصلاح .(١)

مسألة الاستحالة

ان الكنيسة لم تكتف بهذه المهزلة ، مهزلة صكوك الغفران ، بل أضافت اليها شيئا آخر مستحدثا ما جاء به الكتاب المقدس عندهم وما تعرض له النصارى الأولون ولا المجامع المقدسة الأولى ، وهو مسألة الاستحالة . وهي مسألة تتقزز منها النفوس(٢) ولذا كانت هي أيضا احدى الحالات التي ثار عليها مارتن لوثر وكالفن وزنجلي فيما يسمى بالاصلاح الديني (٣) قصتها كمايلي :

---

(١) راجع عرضا كتاب التاريخ الأوربي الحديث . الدكتور عبد الحميد البطريق والدكتور عبد العزيز نوار ص١١٠

(٢) أنظر التعصب والتسامح ، محمد الغزالي ص : ٩٠

(٣) راجع الكتاب المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب : ص ٤٨

" أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزا ويشربون خمرا ويسمون ذلك العشاء الرباني ، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل الى جسد المسيح ، وذلك الخمر يستحيل الى دم المسيح المسفوك . فمن أكلهما وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه " (٣)و(٤)

فلا غرابة اذن أن يثور الثائرون على هذه العقيدة الغريبة التي لا يستطيع العقل البشرى أن يستسيغها بيسر وسهولة بل لا يستطيع أن يستسيغها قط .. ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبولها ومنعتهم من مناقشتها والا عرضوا للطرد والحرمان .

هذه هي القاصمة

ثم لم تكتف حماقة الكنيسة بهاتين المسألتين الغريبتين على العقل البشرى بل اتبعتهما بأمثالهما في الكون والحياة ، فادعت آراء ونظريات جغرافيه وتاريخيه وطبيعيه مما كان سائدا في عصرها مليئه بالأخطاء والخرافات عن الكون وما يحويه ، وعن الحياة والانسان .. وجعلتها مقدسه لا تجوز مناقشتها ولا تصحيحها ولا تجربتها ولا القول بسواها لأنه قد سادت في افكار الناس - آنذاك - النظرية القائمه بأن البابا ظل الله في الأرض ..

وكانت هذه هي القاصمة لأنها الباطل الذى يسهل على التجربة بيان بطلانه وكشف زيفه ولأنها المنطقة التي أطلق فيها العقل الانساني ليرتادها ولم يفرض عليه منها نظرية معينه ..

---

(١) راجع ايضا كتاب محاضرات في النصرانية ، للشيخ أبو زهرة ص٢٠٤.
(٢) وراجع كتاب المسيحية للدكتور محمود الشلبي ص : ٦٦ الطبعة الثانية (١٩٦٥)

واليك نموذجا بسيطا من هذه النظرية المسيحية آنذاك :

وبرجوع سريع الى كتاب معالم تاريخ الانسانية ،نجد فيه أن الفلسفة المسيحية كانت تشتمل على معلومات تفصيلية عن الكون تقول : " ان الله خلق العالم ابتداء سنة ٤٠٠٤ ق ٠م وتوج ذلك بخلق الانسان في جنة عدن على مسيرة يومين من البصرة بالضبط " ٠٠ والعجيب أن هذه النظريه المسيحيه ظلت مستمره حتى مطلع القرن التاسع عشر فقد طبع كتاب الأسقف (آثر) الذى يحمل هذه النظرية سنة ١٧٧٩ م ٠ (١)

ومن الطرائف أن مجلسا كنسيا كان قد أعلن في بداية القرن العاشر للميلاد أن القرن الأخير من حياة العالم قد استهل لأن الله قد جعل المدة بين انزال ابنه ونهاية العالم الف سنة فقط " (٢) .

المسيحية والطوفان

ان المسيحيين لم يكتفوا بهذه الروايات المتضاربة بل أيدوها أيضا بمعلومات بشرية تؤكد أن الطوفان كان عالميا ٠٠ واليك شيئا من ذلك :

يقول (نورس أندرسون) وهو يؤيد عالمية الطوفان :

" وبما أنه حدثت طوفانات محلية كثيرة منذ أيام نوح ٠٠ فان علامة العهد التي وضعها الله تكون فلا معنى اذا لم يكن طوفان نوح عالميا في مداه " (٣) .

---

(١) انظر معالم تاريخ الانسانية هـ٠ج ويلز ج ١ ص ١٦

(٢) انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت ،ت : محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٧م

(٣) الانسان هل هو متطور او مخلوق ، نورس أندرسون ص ٣٩ ٠

ثم قال : " (نحن نعتقد) أن الطوفان كان عالميا في مداه .. وذلك استنادا على اكتشافات ومشاهدات علمية مختلفه ، نقدم منها العينه القليلة الآتية :

أ — تحتوى بعض طبقات الصخور ذات اللون البني الموجودة في ألمانيا على نباتات دفنت في الأرض على الفور . ولكنها جاءت من خطوط العرض .. وحفريات حيوانية مختلفه لقرود وتماسيح وحيوانات جرابيه وخطايات من آسيا ، وطير استرالي ونسر امريكى . وأبسط تفسير لهذه المجموعه غير العاديه هو أن الطوفان اكتسح هذه النباتات المختلفة الى مكان واحد حيث ضغطت نتيجة للتحركات العظيمه للقشرة الأرضيه .

ب — ان الطرق الاشعاعية لتحديد التاريخ قد أثبت أن عمر النفط في خليج المكسيك لا يتعدى الاف السنين ، وليس ملايين السنين كما كان الاعتقاد سابقا . فان كان عمر النفط الاف فقط ، فلا بد ان يكون قد تكون بغتة (ربما بفعل الطوفان) بدلا من تكوينه ببطء في عصور طويله من الزمن كما يعتقد أغلب الجيولوجيين .. (١)

هذه كانت بعض أدلة المسيحيين في كون الطوفان عالميا وأنه وقع في المدة التي حددتها التوراة ...

ولكن هذه الاكتشافات لا يمكن بحال من الأحوال أن تتخذ دليلا على صحة مقررات الدين ، لأن علوم الانسان في تطور دائم لا تثبت على حالة مستمرة .. فمن بنى دينه على هذه المعلومات فكأنما بنى بيته على الرمال .. ومع ذلك جعلت الكنيسه المعتدية أمثال هذه المعلومات

---

(١) الانسان هل هو متطور أو مخلوق ، نورس أندرسون ، ص ٣٢

معلومات مقدسة لا يجوز الخروج عنها .. فأنشئوا محاكم التفتيش التي تعاقب كل من يخرج عن تعاليمها ..

فكان ذلك احدى الحالات التي ثار الملاحدة ضدها ثم ضد فكرة التدين نفسها ..

فاجتهدت الكنيسة في هذا العمل الاجرامي البغيض أن لا تدع في العالم النصراني عرقا نابضا ضد الكنيسة ، وأحصت على الناس الأنفاس وناقشت عليهم الخواطر حتى يقول عالم نصراني :

" لا يمكن لرجل أن يكون مسيحيا و يموت حتف أنفه " (١)

ثورة رجال النهضة

هناك عيل صبر المتنورين .. لأن ذلك وقع في عصر انفجرت فيه بركان العقلية في أوربا ، فزيف العلماء هذه الخرافات وانتقدوا الكتب المقدسة في صراحة وصرامة واعتذروا عن عدم اعتقادها والايمان بها .. وأعلنوا اكتشافاتهم واختباراتهم . فقامت قيامة الكنيسة كما قلنا . واستحل رجالها دماء العلماء وأموالهم في سبيل الدين المسيحي وأنشأوا محاكم التفتيش التي تعاقب – كما يقول البابا :

" أولئك الملحدون والزنادقة الذين هم منتشرون في المدن والبيوت والأسراب والغابات والمغارات " (٢) .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ص ١٧٦

(٢) المرجع السابق ص ١٧٥ .

الكنيسة تضطهد العلمـــــاء

ويقدر ـ كما ورد ذلك فى كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ـ عدد من عاقبت هذه المحاكم بثلاثمائة ألف . أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحيـــاء كان منهم العالم الطبيعى المعروف " برونو " نقمت منه الكنيسه آراء مـــــن أشدها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل ، واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه . وكان ذلك يعنى أن يحرق حيا ! وكذلك كان ! وكذلك عوقب العالم الطبيعى الشهير " جاليليو " بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس (١) .

ومما يذكر فى هذا أن أحد العلماء واسمه " بيلاد " كان له رأى فى تكفير خطيئة آدم خالف به رأى الكنيسة فقال : ليست حياة المسيـــح وصلبه وما لاقى فى ذلك من تعذيب سبيلا لارضاء الله وانزال عفوه عن خطيئة الانسان فعفو الله أيسر من ذلك وأقرب ، وانما لاقى المســيح ما لاقى اعلانا لما يكنه قلبه من حب الله وعسى أن يثير فى النـــاس عاطفة الشكر وعرفان الجميل فيعيدهم الى طاعة الله . ولكنه ما ان قـــال ذلك القول حتى انعقد مجلس لمحاكمته ، فكان نصيب كتابه التحريـــق . ونصيبه السجن الدائم حتى وافته منيته . (٢) .

---

(١) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابو الحسن الندوى ص

(٢) محاضرات فى النصرانية ، أبو زهرة ص ٢٠٠

راجع ايضا الاسلام والنصرانية لمحمد عبده ص ٢٧

راجع ايضا تاريخ الدعوة الاسلامية آدم عبدالله الألورى ص ٤٠

الاتـاوات الماليـــــة

لقد فرضت الكنيسة لنفسها سلطانا على الجماهير ، استغلته أبشع استغلال في فرض الأتاوات المالية الباهظة التي تجبى اليها مباشرة مما جعل النـاس يئنون تحت هذا الارهاق . والآن الكلمة للراهب جروم (Jarum) ليصور لنا ما كانت عليه البابوية من ترف وأكل أموال الناس بالباطل وانحطـاط خـلقي :

" ان عيش القسوس ونعيمهم كان يزرى بترف الأمراء والأغنياء المترفين وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما واستحوذ عليهم الجشع وحب المال ، وعدوا طورهم ، حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع ، وقد باع بالمزاد العلني ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران ، ويأذنون بنقض القانون ويمنحون شهادات النجاة واجازات من المحرمات والمحظورات كاوراق النقد وطوابع البريد ، ويرتشون ويرابون .. وقد بذروا المال تبذيرا حتى اضطر البابا (انوسنت) الثامن ، أن يرهن تاج البابوية ، ويدعى البابا (ليو العاشر) أنه انفق ما ترك البابا السابق من ثروة وأموال . وأنفق نصيبه ودخله وأخذ ايراد خليفته المرتقب سلفا وأنفقه او يروى أن مجموع دخل مملكة فرنسا لم يكن يكفي البابوات لنفقاتهم وارضاء نفوسهم .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص١٧٣
نقله عن كتاب : Conflict of Religion, And Science
(٢) المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ص٤٣

فرض سلطانها على الملــوك

بالغت الكنيسة - كما رأيت - في شدتها ولم ينج حتى الملوك من طغيانها . لقد صار البابوات غير خاضعين بأى نوع من أنواع الخضوع لأى ملك من الملوك وعلى النقيض من ذلك ان البابا له سلطان على كل ملك ، لأنه مسيحى وله السلطان الكامل على كل المسيحيين . ولأن البابا خليفة لبطرس الرسول ، وبطرس الرسول أقامه المسيح رئيسا على الحواريين من بعده . فالبابا على هذا الاساس خليفة للمسيح ينطق باسمه ويتكلم بخلافته وينفذ بسلطانه ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح وحارب دينه لأنه - كما قلنا - ظل الله فى الأرض !

ونذكر للقارى على سبيل المثال الأمثلة التالية تبين مدى طغيان الكنيسة وحماقتها :

١ - قرارات الحرمان تنال الملوك :

فقد جاء فى كتاب سوسنة سليمان : المجمع الثالث عشر انعقد فى ليون من أعمال فرنسا سنة ٢٤٥ بأمر البابا " اينوسنت " لأجل عزل فريدريك ملك فرنسا وحرمانه "(١) .

٢ - اشتداد النزاع والمنافسة بين البابوية والأمبراطورية :

وكان ذلك فى القرن الحادى عشر حيث انتصرت فيها البابوية أولا حتى أن هنرى الرابع ممثل الأمبراطورية اضطر سنة ١٠٧٧ م أن يتقدم بخضوع نحو البلاط البابوى فى قلعة كانوسا ولم يسمح له البابا بالدخول الا بعد أن شفع له الرجال بالمثول بين يديه فدخل الأمبراطور صاغرا حافيا لابسا الصوف وتاب على يديه

---

(١) محاضرات فى النصرانية ، أبو زهرة ص ٧٥

فغفر له البابا زلته (١)

٣ _ الخضوع المذل لرجال الدين :

بلغ الخضوع المذل لرجال الدين ، الى حد السجود فى الأرض الموحلة بالطين عند مرور أحد رجال الكهنوت . وفوق ذلك ، راحت الكنيسه تفرض على الناس ضرائب مالية كما قلنا _ وتحصيله _ (٢) فالعشور والاتاوات والعمل المجانى فى أراضى الكنيسة الاقطاعية ، والتجنيد فى جيوشها التى تحارب بها الملوك والعصاة وتؤدبهم .. ذلك لون من طغيان الكنيسة وسلطانها المفروض على العباد .. لم ينج الملوك من قرارات الحرمان والطرد .

٤ _ وقوف رجال الدين فى صفوف الظلمة ضد الشعب الكادح : الذين فرضت عليهم حقوق غير مفهومة . مثل حق الصيد للنبلاء وبيع الوظائف والامتيازات الضرائبية والاقطاعيه وغير ذلك من الحقوق التى كانت للطبقة الارستقراطية (النبلاء ورجال الدين) .

وتلك " بعض " انحرافات الكنيسة التى قامت بها فى العصور الوسطى فى أوربا زد على ذلك أن الكنيسه الأوربية كانت قيّمة على الجهل وحريصة عليه ، فلما ثار عليها ثائرون فما كان من الكنيسة الا أن تحافظ على جهلها ليضمن لها استنامة الجماهير لسلطانها الطاغى . فبدأت تحارب العلم _ كما رأينا _ وكان أمرا طبيعيا أن تقوم " الحركة " فى أوربا على غير أساس الدين كان أمرا طبيعيا من جميع الوجوه .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص١٧٣ .
(٢) راجع كتاب جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص ٣٤
راجع كتاب معركة التقاليد للمؤلف ص ١٤
راجع كتاب التطور والثبات للمؤلف ص ١٦ _ ١٧
راجع كتاب تاريخ أوربا العصور الوسطى : ١/١٧ أ.هـ فشر ، ت/مصطفى زيادة مصر ١٩٦٦م

فالدين كما تصوره الكنيسة الأوربية وصورته للناس كان يمثل الثبات المطلق في جميع الأمور . وقد تحولت هذه الديانة من معنى الرحمه كما رأيناهـا مع الملوك والطبقه الكادحة والعلماء الباحثين ، قد تحولت الى سلطان دنيوى قاهر مذل(١)و(٢).

من طغيان الكنيسة هذه الرهبانية العاتية

لقد ابتدعت الكنيسة رهبانية ضد الترف الروماني ولكن رجال الدين الكنسي ما رعوها حق رعايتها .. لعلها كانت شرا على الانسانية والمدنية من بهيمة رومة الوثنية ..

وقد تخطت هذه الرهبانية المبتدعة حدود القياس .. وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة الاجتماعية وأصيبت المدنية بحكمهم ورهبانيتهم فى صميمها ، فلم يتضاعف عدد سكان انكلترة فى (خمسمائة سنة) ولم يتضاعف عدد سكان القارة الأوربية فى (الف سنة)(٣). وعمت القسوة على الأقارب .. فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حنانا ورحمة وعيونهم من الدمع ، تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد فيخلفون الأمهات ثكالى والأزواج أيامى والأولاد يتامى عالة يتكففون الناس ، ويتوجهون قاصدين الصحراء .. همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم فى الآخرة لا يبالون ماتوا أوعاشوا .. وحكى ليكى فى كتابه تاريخ أخلاق

---

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ت/ محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٧ م ١٤ / ٣٥٢

(٢) أما البابا الطاغية (جريجورى السابع) فقد أعلن أن الكنيسة بوصفها نظاما الهيا خليقة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية .." راجع المصدر السابق ج ١٤ / ٣٩٤ + وفشر ٢ / ١٤٧

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٧٤

أوربا ما يحزن القلوب ، يقول فيه مايلي :

" زاد عدد الرهبان زيادة عظيمة ، وعظم شأنهم واستفحل أمرهم واسترعوا الأنظار وشغلوا الناس ، ولا يمكن الآن احصاؤهم بالدقة ، ولكن مما يلقي الضوء على كثرتهم وانتشار الحركة الرهبانية ما روى المؤرخون أنه كان يجتمع أيام عيد الفصح (خمسون ألفا من الرهبان) .

وفي القرن الرابع المسيحي كان راهب واحد يشرف على (خمسة الاف راهب) ..
وكان الراهب (سرابيون) يرأس (عشرة الاف) ..

وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الرابع عدد أهل مصر .. " (١) .

جناية الرهبان على أنفسهم

لقد أصبح تعذيب الجسم تقربا الى الله في هذه الديانة العجيبة .
روى المؤرخون من ذلك ما تمجه الأسماع و تستنكره الطبيعة الانسانية ..

قالوا : ان الراهب ماكاريوس (Makarius) أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام ..

وكان يحمل دائما قنطار من حديد ..

---

(١) اقرأ تاريخ أخلاق أوربا " ليكى "
(Lecky: History of European Morals) Chapter IV
نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٦٧ .

وكان صاحبه الراهب يوسيبيس ( ) يحمل نحو قنطارين من حديد .. وقد أقام ثلاثة أعوام فى بئر نزح ، وقد عبد الراهب يوحنا ( ) ثلاث سنين قائما على رجل واحدة ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة . فاذا تعب جدا أسند ظهره الى صخرة .

و كان بعض الرهبان لا يكتسون دائما ، وانما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام ..

وكان أكثرهم يسكنون فى مغارات السباع والأبار النارحة والمقابر ، ويأكل كثير من الكلأ والحشيش .

وكان أزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم فى النجاسات والدنس .

يقول الراهب (اتهينس) : ان الراهب (أنتونى) لم يقترف اثم غسل الرجلين طول عمره .. (١)

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن ، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن فى الطريق والتحدث اليهن ولو كن أمهات وأزواجا أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية " (٢) . وروى المؤرخون الشىء الكثير من ذلك .

ان هذه الرهبانية كما رأينا فلا شك أن تكون سببا من أسباب الالحاد فى أوربا الحديثة .. لأنها شىء فوق مقدور الانسان ..

---

(١) المرجع السابق ص ١٦٨

(٢) المرجع السابق ص ١٦٩

من طغيان الكنيسة غياب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عن الأناجيل الأربعة

لقد قال القرآن الكريم بشكل قاطع أن المسيح ، قبل أن يصعد الى السماء أخبر حوارييه بأن الله تعالى سيرسل اليهم وسيطا آخرا ينوب عنه في ابلاغ رسالة الله وهو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

فقال تعالى : ﴿ ... ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد ..﴾ (١)

هل حافظت الأناجيل على هذه الوصية الهامة التي تعتبر بحق خلاصة دعوة المسيح عليه السلام ؟ أم حرفوها أوحذفوها ؟

فلا ـ بد ـ اذن ـ من رجوع الى دراسة الأناجيل الأربعة :

ان الدارس للأناجيل الاربعة للبحث عن هذه الوصية يخرج منها بالنتائج التالية :

١ ـ ان الأناجيل الثلاثة (انجيل لوقا وانجيل مرقص وانجيل متى) لا يوجد فيها أثر لهذه الخطبة التي عليها مدار مسائل أساسية في المسيحية..

٢ ـ ان الذى ذكرها هوانجيل يوحنا وحده .. واليك نصها من انجيله بالترجمة المسكونية :

" اذا كنتم تحبونني فستعملون على اتباع أوامرى ، وسأصلي للأب الذى سيعطيكم " paraklet . (٢) (براكليت).

" رحيلي فائدة لكم ، لأنني اذا لم أرحل فال" " لن يأتي اليكم ، وعلى العكس فاذا رحلت فسأبعث به اليكم ، وهو بمجيئه سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم .. " (٣).

" عندما سيأتي روح الحقيقة ، فسيجعلكم ترقون الى الحقيقة بكاملها لأنه لن يتكلم بارادته وانما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتي و سيمجدني " (٤).

---

(١) سورة الصف آية : ٦
(٢) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ١٥ ـ ١٦)
(٣) = = = = (١٦ ، ٧ ـ ٨)
(٤) = = = = (١٦ ، ١٣ ـ ٤)
نقلا عن كتاب دراسة الكتب المقدسة ، موريس بوكاى ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

فما معنى هذه الكلمة (paraclet) (براكليت) ؟

لقد اختلف المسيحيون في تحديد معناها • فكل فريق منهم فسرها حسب ما يتناسب مع رغباته •

ان الذين يعتقدون أن المسيح هو آخر من يرسل من عند الله ، فسروا الكلمة بمعنى " الروح القدس " •

فقالوا ان الروح القدس هو الذى سينزل بعد رفع عيسى الى السماء ، ويذكرهم كل ما نسوا من تعاليم المسيح • وحملوا على الروح القدس كل الصفات الواردة في هذه الوصية ••• من الكلام والسمع وتكوين المجتمع المثالي لبني البشر على ظهر هذه البسيطة ••

واليك ما يقولون في معنى الكلمة ••

كاتب انجيل يوحنا جعل المسيح يقول :

"ال(paraclet) هو الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمي سيعلمكم كل شيء وسيجعلكم تتذكرون كل ما قلت لكم ". (١)

" هو نفسه يشهد " (٢).

ويعطينا " المعجم الصغير للعهد الجديد " للأب تريكو (Tricot) معنيين لهذه الكلمة ، الا أنه يؤيد معنى (الروح القدس) •• فهو يقول : " هذا الاسم أو هذه الصفة المنقول من اليونانية الى الفرنسية غير مستخدم في العهد الجديد الا في انجيل يوحنا ، فهو يذكر الكلمة أربع مرات عند سرده لخطاب المسيح بعد العشاء الأخير •• (٣)

ثم بيّن مراده من الكلمة فقال : " ان الكلمة تنطبق على (الروح القدس) (٤).

---

(١) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ٢٦)

(٢) = = = = (١٥ ، ٢٦)

(٣) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ص ١٢٦

(٤) الواقع أن المسيح ، في قول يوحنا ، يلقي خطابه الطويل في أثناء وفيه يتحدث عن ال(paraclet) وهو خطاب لم يسرده المبشرون الآخرون ••

ثم أضاف قائلا :

" لقد كانت كلمة (paraclet) سائدة لدى اليهود الهللنستين في القرن الأول بمعنى " الوسيط أو المدافع " يقول إذ ان لهذه الكلمة معنيان : أولهما : (الوسيط) . وثانيهما : (الروح القدس).

وبعد ذلك يعلق بقوله :

" فالمسيح يعلن ان الروح سيرسل بالأب والابن في دوره الانقاذي الذي يؤديه في أثناء حياته الفانية على الأرض وذلك لصالح تلامذته وان الروح القدس يتدخل ويعمل كبديل للمسيح باعتباره (paraclet) أو وسيط قادر على كل شيء .. "(١).

يفهم من هذا التعليق أن الروح القدس هو الذي سيأتي بعد ما يرفع عيسى الى السماء مرشدا أسمى للبشرية جمعاء ... ويتدخل في الشئون الاجتماعية ويقدم حلولا لجميع المشكلات الانسانية .

يا ترى فهل هذا الشرح يتفق مع نصّ يوحنا ؟

نقول بدون تأخر بأن نسبة الصفات الواردة في انجيل يوحنا ، الى الروح القدس نسبة غير معقولة ... بل لا تنطبق على الروح القدس لما يأتي :

ان الـ (paraclet) الذي رأيناه في نص يوحنا لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون الا كائنا بشريا مثل المسيح ، يتمتع بحاستي السمع والكلام .. وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نصّ يوحنا بشكل قاطع ..

فيكون تفسير الخطبة على النحو التالي :

" ان المسيح يصرح بان الله سيرسل - فيما بعد - كائنا بشريا على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرفه " يوحنا " أي وسيطا بين الله وبين خلقه .. انه دور نبيّ من بني آدم . وليس هو دور الروح القدس الذي

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ .

لا يتصل بالناس الا عن طريق الالهام ان صح هذا التعبير ؟

النبي هو الذى يتكلم ويسمع ويذكر الناس ويكرر رسالة عيسى على مسامع الناس ويكون المجتمع المثالى المبنى على العدل ...

ياترى ، هل بعد ما رفع المسيح فعل الروح القدس المزعوم شيئا من ذلك ؟ هل كون مجتمعا يربى أفراده ؟ وأتى بكتاب يصدق الأناجيل ؟

لا والله إ ان الروح القدس لم ـ ولن ـ يستطيع أن يفعل شيئا من ذلك لأن الأرواح المجردة من المادة لا تتصل بالناس اتصالا ماديا ..

ونحن نتحداهم فى ذلك .. هل فى استطاعة احد من المسيحيين أن يثبت ثبوتا قطعيا أن " الروح القدس " المزعوم كون مجتمعا انسانيا بعدما رفع المسيح ؟ هل كان تلاميذ المسيح يلتفون حوله لاستماع رسالات الله كما كانوا يفعلون ذلك فى أيام عيسى عليه السلام ؟؟

هل جاء هذا الروح القدس المصطنع بكتاب آخر غير الانجيل يذكر الناس فيه تعاليم المسيح التى نسيت . ويمجد المسيح وينفى عنه جميع الشبهات التى أثيرت حوله ؟

والجواب لا ! اذن ان (paraclet) (براكليت) الذى تحدث عنه انجيل يوحنا (١٦ ، ١٤) بقوله : " سأطلب لله وسيرسل لكم (paraclet) آخر " ، وهو شئ آخر غير الروح القدس المزعوم .. لأن الصفات التى حددتها هذه الوصية ، صفات انسان مثل المسيح ، سيكون وسيطا بين الله وبين خلقه ، سيرسله فى صالح البشر فى اثناء حياته على الأرض ..

فلنسأل التاريخ الانسانى العام بالسؤال التالى :

هل جاء بعد المسيح ، وسيط بين الله وبين خلقه استطاع أن يكون مجتمعا مثاليا غير محمد صلى الله عليه وسلم ؟

هل جاء احد بعده يكرر رسالات السماء السابقة على مسامع البشر غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ الجواب عند المسيحيين .. فان لم يأتوا بجواب حاسم نقول لهم :

ان التفسير المنطقى للص يوحنا هو ان الله سيرسل رسولا من البشر مثل عيسى يقوم بالدور الذى قام به عيسى من تربية الناس وردهم الى توحيد الله عز وجل . ولن نكون من المبالغين ، ان قلنا أن المسيحيين حرّفوا معنى هذه الكلمة لحاجة فى نفوسهم ! وهى اعتقادهم أن عيسى هو آخر رسل الله وأنبيائه . لأنهم يعرفون جيدا أن الكلمة ان بقيت على أصل معناها وهو (الوسيط) لفهم الناس مجىء رسول آخر بعد عيسى يؤدى نفس الدور الذى كان يؤديه .. فلذا حرّفوا معنى الكلمة فقالوا انه هو " الروح القدس " الذى لا يرى ولا يخاطب .

وبعد هذه المناقشة المريرة مع كاتب انجيل يوحنا الذى أثبت هذه الخطبة فى انجيله مع تحريف المعنى الصحيح ؟ نود الآن أن نوجه أسئلة الى المسيحيين جميعا والى كتاب الأناجيل الثلاثة (انجيل متى وانجيل لوقا وانجيل مرقص) بصفة خاصة . فنقول لهم :

كيف يمكن أن نشرح الغياب التام (فى اناجيل متى ومرقص ولوقا) لرواية الوداع المؤثر الذى يحتوى على وصية المسيح الروحية ؟

هل كان النص موجودا اولا عند المبشرين الثلاثة الأولين ؟

ألم يحذف من أناجيلهم فيما بعد ؟

ولماذا ؟

ولنقل فورا انه لا يمكن الاتيان بأية اجابة ..

انها ثغرة فى رواية المبشرين الثلاثة ...

انها ثغرة كبيرة حيث خلت اناجيلهم من آخر حديث للمسيح وهو يتحدث عن مستقبل البشرية برمتها .. معطيا ارشاداته وأوامره ومحددا بشكل نهائي

المرشد الذى على الانسانية أن تتبعه بعد اختفائه ..

انه لغريب جدا وبعيد عن الاحتمال أن تغيب هذه الوصية عن مرقس ومتى ولوقا !!

فاذا قالوا ان هذا النص كان موجودا عندنا ثم نسيناه .. نقول لهم كما قال تعالى : ﴿ ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾

فأناجيلهم اذن ناقصة .. لا تصلح أن تكون كتاب دين صحيح .. واذا قالوا ما نسيناه ولكن حذفناه من أناجيلنا !

نقول لهم لماذا ؟ .. ليس هناك الا جواب واحد .. وهو ان النص لا يتناسب مع عقيدتنا فلذلك حذفناه من أناجيلنا !

فنتلو عليهم قول الله تعالى : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾

فأناجيلكم – اذن كتاب محرّف . والكتاب المحرّف باتفاق جميع العقلاء لا يحتج به أبدا ، لا فى العقائد ولا فى الأحكام ولا فى العبادات .. وبهذا وجدنا أن المسيحيين قد حكموا على كتابهم أنه كتاب نسي فيه عن كثير من تعاليم المسيح أو حرّف فيه كثيرا من تعاليمه ..

وليس غريبا اذن أن تقوم هذه الثورة العاتية ضد هؤلاء المنحرفين المحرّفين .. ان مثل هذه الأمور غير المعقولة هى التى قادت المحدثين الى البحث الموضوعى عن قيمة هذا الكتاب .

ان يتوبوا فهو خير لهم ، فيعلنوا للناس رسالة محمد صلى الله عليه وسلم . فعندئذ يكونون فى تعداد ﴿ الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .. ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم .. فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ (١)

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٧

ان هذه الوصية التي اخفيتموها فقد بينها القرآن العظيم — رغم أنفكم — على لسان نبيه العظيم محمد صلى الله عليه وسلم وكشف عن نواياكم الخبيثة اذ يقول : ﴿ واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد .. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾ . (١)

وهكذا رأينا أن الطغيان أدى بهؤلاء الى هذه الخيانة العلمية الكبرى ...

حقائق وأباطيل

وقد رأينا في الصفحات الماضية أن بعض الباحثين قد تغلوا في تكذيب جميع المعلومات المسيحية ، حتى قالوا ان سيدنا عيسى (كائن اسطوري) .. نود هنا أن نسوق آيات قرآنيه لهؤلاء المنكرين الذين أنكروا عيسى ورسالته متعللين بأن خلقه لم يكن وفق السنن الطبيعية .. نقول لهم : ان هذا لا غرابة فيه . فان كان عيسى قد خلق من غير أب فان آدم عليه السلام قد خلق من غير أب . (٢)

﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾

هذه هي الحقيقة .. وأما انكار وجوده باطل من أباطيل ..

*

كما رددنا على هؤلاء المنكرين ، نرد أيضا على هؤلاء الذين أطروا عيسى ابن مريم الذين قالوا انه ابن الله أو انه هو الله . (٣)

---

(١) سورة الصف آية : ٦
(٢) راجع قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٧٢
(٣) تفسير الطبرى ص ٤٦٨ .

نثبت لهم أولا : بشرية عيسى ،

ثانيا : أن عقيدة التثليث عقيدة وثنية ، معتمدين أساسا على

القرآن الكريم والأناجيل .. واليك نموذجا لكل من ذلك :

أولا — بشرية عيسى عليه السلام :

يقول تعالى : ﴿ انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ﴾ (١)

ومن تأمل فى هذه الآية يعلم أن عيسى بشر لا غلو فيه ولا أباطيل ولا نسوت ولا لاهوت ولا أقانيم ثلاثة هو بشر مخلوق لا اله خالق . ذلك هو ابن مريم لا ابن الله (٢) وليس هو كائنا أسطوريا كما يدعى الملاحدة .

وبعد أن اثبت القرآن بنوة عيسى الى مريم أثبت له بعد ذلك بعض صفات تثبت بشريته وهى ثلاث كلمات :

١ — رسول الله

٢ — كلمته

٣ — روح منه

واليك أدلة على كل من هذه الصفات الثلاثة :

(١) — الرسالة ، تتحدث آيات كثيرة عنها فى القرآن منها مايلي :

﴿ ورسولا الى بنى اسرائيل ﴾ (٣)

﴿ ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ (٤)

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض و منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ (٥)

---

(١) الاية فى سورة
(٢) الأمثال فى القرآن ، محمود بن الشريف ص ٣٦ طبعة دار المعارف .
(٣) سورة آل عمران الاية : ٤٩
(٤) سورة المائدة الاية : ٧٥
(٥) سورة البقرة الاية : ٢٥٣ .

أى رسولا الى بنى اسرائيل لما حرّفوا شريعة موسى وحرّفوا التوراة وعهدوا يهوذا وعزير ، أرسله اليهم بالتوحيد وعبادة الاله الواحد .

(٢) ــ كلمـة اللـه :

فمعنى وصف عيسى بالكلمـة ــ أنه المكوّن بالكلمة من غـير أب .. أى انه تكون بكلمته وأمره الذى هو "كن" من غير واسـطة أب ولا نطفـه .. قال الله لعيسى : كن فـكان .. أى كان عيسى بكن وليس عيسى هـو (الكن) يقول قتادة : " ليس الكلمة صار عيسى ولكن بالكلمـة صار عيسى ". (١)

ان هذا دليل قاطع على بشرية عيسى خلافا لما يعتقده المسيحيـون المحرّفـون المنحرفون ..

(٣) ــ وروح منـه :

ان تفسير هذه الكلمة كالتالى : (وروح منه) أى ذو روح منه .. أضيف اليه تعالى تشريفا كما يقال (بيت الله) و (ناقة الله) .. (٢)

ثم ان لفظ الروح ليس خصيصة قرآنية اختص بها عيسى بل وردت لفظـة (الروح) فى القرآن لمعانى عـدة ..

اطلقت على آدم ، وعلى القرآن ، وعلى الوحى بمعناه العام وعلى من نزل الوحى ، وعلى النصر ، وعلى نوع ممتاز من المخلوقات أعظـم مـن الملائكـة .

---

(١) تفسير الجلالين جـ ١ ص ٤٥١ حاشـية الجمل .
وراجع ايضا كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية ص ٧٧ .

(٢) راجع تفسير الجلالين جـ ١ ص ٤٥١

على آدم .. ﴿ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (١)

وعلى القرآن .. ﴿ كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ﴾ (٢)

وعلى مطلق الوحى .. ﴿ ينزل الملائكة والروح من أمرنا على من يشاء من عباده ﴾ (٣)

وعلى جبريل .. ﴿ فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾ (٤)

وعلى النصر .. ﴿ أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ﴾ (٥)

وعلى النوع الممتاز المختار من الملائكة .. ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾ (٦)

وبهذه الآيات يتضح لنا أن كلمة الروح تطلق على عيسى كما تطلق على غيره وليست خاصة به ..

وقبل أن نختتم هذه الفقرة يحسن بنا أن نزيل شبهة كانت ولم تزل تشوش بعض العقول ..

فما هى هذه الشبهة ؟؟

انها شبهة قد وقع فيها كثير ممن لا يتدبرون الآيات القرآنية وهى القول بأن عيسى جزء من الله تعالى وروح منه ؟

فلنقرأ الكلمات التالية : " أن طبيبا نصرانيا جاء للرشيد فناظر على بن الحسن الواقدى ذات يوم فقال له :

---

(١) سورة الحجر آية : ٢٩
(٢) سورة الشورى آية : ٥٢
(٣) سورة النحل اية :
(٤) سورة مريم آية : ١٧٣
(٥) « المجادلة : ٢٢
(٦) « النبأ : ٣٨

ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا قوله تعالى : ﴿ وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ﴾ .

فقرأ الواقدى ﴿ وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ﴾ ، وقال : اذن يلزم أن تكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه فانقطع النصارى وأسلم .. » (١) و(٢)

وعلى هذا الأساس المتين نقول للملاحدة : ان كانت المسيحية مفرطة فى شأن عيسى ، وأنتم فى نفس الوقت مفرّطون فيه حيث نفيتم وجوده اطلاقا ولم يكن لديكم من الصبر على الدراسة والتفكير ومن العقل والاجتهاد ما تميزون به بين الدين ورجاله المنحرفين وتفرقون بين ما يرجع الى الدين من مسئولية ، وما يرجع الى اضافات رجال الكنيسة وسوء تمثيلهم .. فلا تنبذوا عيسى نبذ النواة .. وكان فى استطاعتكم أن تراجعوا القرآن الكريم الذى يدين به أمم معاصرة لكم .. القرآن الذى يقول :

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ﴾ ولكن الاستعجال لم يسمح لكم بالنظر فى ذلك الأمر حتى وقعتم فى هذا التفريط المذل" ...

ثانيا — التثليث :

لقد جلى القرآن الكريم هذه القضية وعرض زيفها وزعمها .. ودعا أهلها دعوة منطقية بأن لا يغلو في دينهم ولا يشتطوا فى عقيدتهم وأن يلتزموا جادة الايمان الحق" بأن يحكموا عقولهم ، ويحكموا بما أنزل الله اليهم فى انجيلهم وأن يلتزموا بمضامينه وما فيه من دعوة الهية صريحة لعبادة الله الواحد الأحد ، والايمان برسوله عيسى وبمحمد الذى يجدونه اسمه وصفته مكتوبين فى انجيلهم ...

---

(١) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥٢

(٢) وأما حقيقة الروح لا يعلمها الا الله ﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ سورة الاسراء اية : ١٨٥

وعقيدة للتثليث تزخر بمزاعم وأضاليل وأباطيل ، فهى تزعم أن الله ثالث ثلاثة .. وأنه ثلاثة أصول (أقانيم) متساوية .. الله الأب .. الله الابن .. والله الروح القدس .. ثم ترجع فتقول : ان الاقانين الثلاثة واحدة .. اى أن ١ + ١ + ١ = (١) .

فعندهم ان المسيح اله ، وهو ابن الله وفى الوقت نفسه هو بشر واله هو لاهوت وناسوت .. هو الله وابن الله .. وأصل من الأصول الثلاثة المكوّن لله .. سبحانه وتعالى عما يشركون ..

ويصدر القرآن حكمه فى هذه القضية العقيدية ويحكم بكفر من اعتنقها أو اعتقد فيها :

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعا .. ﴾ (١)

ان هذه الاية ستظل مسجله على أهل التثليث غلوهم و انحرافهم ، ولعلهم ان كانوا أتباع المسيح حقا أن يثوبوا الى عقيدته الحقة وكما ينبه القرآن الى أن المسيح وأمه كانا يأكلان الطعام .. ومن البين أن الذى يأكل الطعام فيتحول في جسمه دما ولحما وعظاما وينضح عرقا ، ويخرج فضله لو بقيت فى الجسم لأضرته ..

من الواضح أن كائنا من هذا النمط لا يمكن أن يكون الا بشرا ، خاضعا لكل قوانين البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى مرتبته (٢) كرسول ..

---

(١) سورة المائدة الاية : ٧

(٢) كتاب التفكير الفلسفى فى الاسلام للدكتور عبد الحليم محمود ص٧٤ .

التثليث عقيدة وثنية

ثم اذا دققنا النظر فى التاريخ نجد أن التثليث عقيدة وثنية ، فهو ليس بطارئ على العقيدة المسيحية ، ولكنه يمتد بجذور عميقة فى أرض العقيدة الوثنية العالمية القديمة .. ويتصل بها بأقوى الوشائج والصلات ..

فالعقيدة المسيحية زعمت ان الله ثلاثة أقانيم (أب وابن والروح القدس)
وهى نفس الثالوث الجاهلى " اللات والعزى ومناة الثالثة ."
وهى نفس الثالوث البرهمى فى الديانة الهندية " (براهما وسيفا وفشنو)"
وهى نفس الثالوث الالهى لقبائل البانتو الافريقية " مزيمو وبيسبو ومولنجو" (١)
اليس هذا أدل على أن عقيدة الثالوث وثنية ..

*

وبعد هذا نود أن نقوم بجولة تفتيشية فى الأناجيل الأربعة ، لنذكرهم أن كتبهم — وان كانت جل معلوماتها محرفة — لم يزل فيها قبس من النور الالهى الذى يدل على وحدانية الله — وعلى عبودية عيسى وانه ابن الانسان لا ابن الله . وانما هو رسول من الله تعالى الى بنى اسرائيل ..

---

(١) راجع كتاب الأديان فى القرآن محمود الشريف ص ٢٠٢
راجع أيضا الأسفار المقدسة ، دكتور وافى ص ١٠٧

شواهد من كتب النصارى على عبودية عيسى عليه السلام

(٦)
ورد في انجيل يوحنا مايلي :

" قال المسيح في خطاب مريم المجدلية " لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد الى أبي ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني أصعد الى أبي وأبيكم والهي والهكم "(١) .

فحكم ببشريته وانسانيته عندما قال " الى أبي وأبيكم والهي والهكم " ان هذه الاية رد على مزاعم رجال الكنيسة القائلين بأن عيسى ابن الله .. وتوافق أيضا ما ورد في القرآن ..

﴿ ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾(٢)

﴿ وقال اني عبد الله ﴾(٣)

عن رسالته :

ورد في انجيل يوحنا ما يدل على ذلك وهو قوله :

" الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني "(٤)

في ذلك اعتراف برسالته وبأن دعوته وحي من عند الله .

(٧)
وفي انجيل متى ما يلي :

" لا تدعو لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات "(٥)

فهذا اعتراف صريح بوحدانيته لله تعالى .

---

(١) انجيل يوحنا الاية ١٧ من الاصحاح ٢٠

(٢) سورة المائدة اية : ١١٦

(٣) سورة مريم الاية : ٣٠

(٤) انجيل يوحنا اية ٢٤ باب ١٤

(٥) انجيل متى باب ٢٣ آية ٩

انسانيته في الأناجيل

في انجيل متى :

" قال يسوع : أقول الحق الآن تبصرون ابن الانسان "[١] في نفس الانجيل يقول :

" أما ابن الانسان فليس له أن يسند رأسه " .

وكذلك وردت لفظة ابن الانسان في الاصحاح التاسع آية ٦ من هذا الانجيل السابق ..

وعلاوة على ذلك ان متى نفسه قال أول كلمة في انجيله في الاصحاح الأول :

" كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم .. فذكر نسبه الصحيح ولم يقل انه ابن الله ولا انه اله من اله .[٢]

وفي انجيل يوحنا يقول :

" الحق الحق أقول لكم ، من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة السماء يصعدون وينزلون على ابن الانسان "[٢] .

هذه مقتطفات من الأناجيل قد ثبتت بشكل واضح أن فكرة التثليث أو القول بأن عيسى ابن الله أو هو الله فكرة مستحدثة من هؤلاء البغاة المسيحيين وصدق الله تعالى :

﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾ .

وهذه هي المسيحية الباغية وهؤلاء هم رجالها المعتدون المتنطعون المطرون .. وتلك هي خرافاتهم في عيسى وفي الكون التي كانت سببا

---

(١) انجيل متى اصحاح ٢٦ اية ٦٤

(٢) الأديان في القرآن ، محمود شريف ص١٩٤ .

للكفاح المشئوم بين الدين والعلم والعقل الذى انهزم فيه الدين .. ذلك الدين المختلط بعلم البشر الذى فيه الحقّ والباطل والخالص والزائف — هزيمة منكرة .. وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده ، وشرّ من ذلك كله وأشأم أن أوربا أصبحت لا دينية .

*

ولا يشك أحد أن تبلد الضمير الدينى عند رجال الدين الكنسى كان من أكبر العوامل لقيام الالحاد فى أوربا الحديثة .. وهذا لا ينفى أن تكون هناك أسباب أخرى وان كانت أقل درجة من طغيان الكنيسة ولكن بعضها ساندت بعضا حتى وقع هذا الفصل النكد بين الدين والدنيا وبين الخالق وخلقه ...

فى الصفحات التالية محاولات لبيان شىء من هذه الأسباب .

الفصل الثالث

قوانين المادة (8)

لقد اتخذ الملاحدة قوانين المادة سندا للالحاد فاعتبروا هذه القوانين المادية التي نسميها " السنن الربانية " بدلا عن اله مدير حكيم .. والذى يجب أن نفهمه هنا هو : ان المذاهب المادية نشأت قبل العلوم التجريبية فالمذاهب المادية تنكر وجود الله ، وأما العلوم التجريبيه تدعو الى الايمان به كما صرح بذلك ا٠ كريسى موريسون بقوله :

" وقد يقودنا هذا الضوء الى الاعتراف بوجود عقل عام أسمى ، أى الى وجود الخالق " (١) .

وكانت فضيلة المذاهب المادية عند الماديين ، أنها تقوم على الوقائع والحقائق ولا تقوم على الظنون والأوهام ٠ وكانت المادة عندهم حقيقة الحقائق الثابتة التى لا يعتريها الشك ولا يلم بها الباطل ، لأنها محسوسه ملموسه محصورة فى مكان محدود ٠

يخبط أحدهم على المادة بيده ، أو يضرب على الأرض بقدمه ، ويقول لمن يجادله : " هذه هى الحقيقة التى ألمسها بيدى وقدمى أو أراها بعينى وأسمعها بأذنى ، وليست ما تخبطون فيه من الظنون والأوهام " (٢) .

وكان العهد بدعاة الالحاد أن يحتجوا لدعوتهم المادية بأدلة يحسبونها علمية ، حتى لقد ظن البعض أن العلم والايمان نقيضان لا يجتمعان بل ألف أحد العلماء الغربيين — وهو جوليان هكسلى — كتابا فى ذلك المذهب المادى سماه : " الانسان يقوم وحده " (Man Stands Alone) زعم فيه أن العلم ينكر وجود الله ٠ (٣)

---

(١) العلم يدعو للايمان ، ا٠ كريسى موريسون ص ٤٧ ترجمة صالح محمود صالح الفلكى ٠
(٢) عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٥٥
(٣) العلم يدعو للايمان " السابق ص ١٧ — ١٨

فرد عليه ا٠ كريسى موريسون السالف الذكر فى كتاب سماه :

" الانسان لا يقوم وحده " (١) (Man Does Not stand Alone)

أثبت فيه بمختلف العلوم أن الله بارئ الكون وهو خالق كل شئ ٠٠٠

*

ثم شاعت العلوم التجريبية فى القرون الأخيرة ، وشاعت معها قوانين الحركة والحرارة والضوء وسائر القوانين من الجاذبيه وغيرها التى سميت بالقوانين الطبيعيه عند الماديين ٠

فقالوا : هذه هي قوانين الكون التى تسيطر على حركاته وسكناته وتفسير كل ظاهره من الظواهر ، على الافلاك العلويه كما تسرى على المعادن الأرضيه ، ولا يشذ عنها حكم واحد من الأحكام التى تشمل الماده فى جميع صورها وأشكالها ، ومنها مادة الأجسام الحيه أو مادة الحياة ٠٠

وبهذه التصورات الماديه الالحاديه أصبحت قوانين الماده تستعمل ضد فكرة وجود اله لهذا الوجود ٠٠ وأصبحت فكرا ماديا بقسميه الميكانيكى والديالكتيكى ٠ (٢)

---

(١) المرجع السابق ص ١٨

(٢) الفكر المادى العلمى ينقسم الى اتجاهين :

ـ الاتجاه الميكانيكى (Mechanistie Materialisme)
وهو اتجاه مادى لا يرى وجودا للروح أو العقل فضلا أن ينسب اليهما تدبير الجسم ٠

ـ الاتجاه المادى الديالكتيكى (Dialecae Materialisme)
ويرى أن وجود الروح والعقل تابع لوجود الماده ، والاتجاهان بذلك ينكران الغيب أو يستبعدانه ٠

راجع كتاب : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، د٠ البهى ص ٨٦ ٠

كما أن النظريات الجديده عن الكون فى هذا القرن ، قرن السابع عشر قد غمرت الأفكار الفلسفيه واستأثرت بالاهتمام البالغ من قبل الأوساط الدينية والعلميه على السواء وأعظم هذه النظريات " نظرية الجاذبية " لا سحاق نيوتن .

ان هذه النظريه الضئيله تشير الى امكانيه تفسير ظواهر الطبيعه بربط بعضها ببعض دون حاجه الى تدخل قوه خارجيه عنها .(1)

وبهذا كان هذا الاكتشاف الضئيل بمثابة النواة للمذهب " الطبيعى " والنظريه الميكانيكيه اللذين كان لهما صدى واسع فى قادمات الأيام ..

وكان موقف الكنيسه تجاه هذه النظريه ، الرفض التام بل شنعت على معتنقيها قائله : ان الأشياء لا تعمل بذاتها ولكن عناية الله هى التى تسيرها .

ولم تكن الكنيسة من سعة الصدر على جانب يسمح لها بتفهم عدم المنافاة بين نسبة الأفعال الى الله تعالى باعتباره الفاعل الحقيقى ، وبين نسبتها الى الأسباب باعتبارها وسائط مباشرة ، بل كان حنقها على كل جديد صارفا لها عن ذلك.

كما أن أصحاب النظريه اندفعوا اندفاع الفراش الى النار - فأنكروا عمل العنايه الالهيه وربطوا الأسباب بالمسببات معتقدين أن كل ما عرفت علته المباشره فلا داعى لافتراض تدخل الله فيه - حسب تصريحاتهم ...

واليك بعضا منها . يقولون مثلا " لقد اثبت (نيوتن) أنه لا وجود لاله يحكم النجوم وأكد (لابلاس) بفكرته أن النظام الفلكى لا يحتاج الى أى أسطوره لاهوتيه ."

---

(1) (Religion, And The Scientific Outlook,) p. 20
نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٤ - ٣٥

وقام بهذا الدور العالمان " داروين " و " باستور " في ميدان البيولوجيا وقد ذهب كل من علم النفس المتطور والمعلومات التاريخية الثمينه التي حصلناها في هذا القرن بمكان الاله الذي كان مفروضا أنه هو مدير شئون الحياة الانسانية والتاريخ ". (١)

هذا ما يقوله الملاحدة بعد اكتشاف قوانين المادة ...

ما آلت اليه الماديه

وشاء الله بحكمته البالغه أن حدثت في السنوات الخمس الأخيرة من القرن التاسع عشر حوادث " علميه " غيرت كل صورة من صور المادة عرفها الأقدمون ...

لقد عرف الكيميائيون قبل ذلك أن عناصر المادة أكثر من أربعة ، وأنها ليست محصوره في النار والتراب والهواء والماء .

وعرفوا أن ذرة " الهيدروجين " أخف العناصر ليست هي أصغر جسم من أجسام المادة ينتهي اليه التقدير ...

عرفوا الكهرب الذي تحسب ذرة الهيدروجين جبلا ضخما بالقياس اليه ، ثم تقدموا في معرفة الكهرب والذرة حتى أفلتت الماده كلها من بين أيديهم ولم يبق منها غير حسبة رياضيه ... حسبة رياضيه كانوا يحسبونها ، مثلا في الدقة ، والضبط والعصمة من الخلل ، فاذا هي في النهايه حسبه لا يضبطها الحساب الا على وجه التقريب .

أفلت من المادة كل شيء ثابت أو كانوا يحسبونه مضرب المثل في الثبوت و " الحقيقه ".

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ ـ ٣٥

فاللون من الشعاع ، والشعاع هزات في الأثير ...

والوزن جاذبية ، والجاذبية فرض من الفروض ...

والجسم نفسه متوقف على الشحنة الكهربائية وعلى سرعة الجسم في الحركة ونصيبه من الحرارة ..

والحرارة ما هي ؟ حركة ..

والحركة في أي شيء ؟ في الأثير ...

والأثير ما هو ؟ فضاء أو كالفضاء ... (١)

وصدق القائل : " ان العلم الحديث بدا بالاحتمال وانتهى الى الاحتمال " (٢)

وهكذا رأينا أن الدعاوى الملحدة ليس لها سند من العلم التجريبي ومع ذلك تستحق النظر فيها وسوف نناقشها عند مناقشة الآراء ان شاء الله تعالى .

---

(١) راجع عقائد المفكرين عباس محمود العقاد بتصرف طفيف ص٥٦ـ٥٧

(٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم : مقال د. وولتر أوسكار لندبرج ص: ٣٢

الفصل الرابع

مقارنة الأديان

توطئة :

من نظر الى شيوع التدين فى جميع الأجناس يعلم يقينا أن التدين فطرى فى الانسان ، لأنك لا تكاد تجد أمة من الأمم الماضيه أو الحاضره فى قلب الحضاره الماديه الا وتجد فيهم من يميل الى التدين وأحيانا يدافع عنها ...

ان هذه الظاهره ، ظاهرة التدين تدل على أمرين هامين :

هما : قانونا (السببيه والغائية) .

ولو تدبر الملاحدة فى هذين القانونين لأدياهم الى أسمى العقائد الدينيه :

" عقيدتى التوحيد والخلود " وأن عقيدة الشرك والوثنية والفناء انما هى وليدة ضرب من الغفلة أو الكسل العقلى الذى يمنعهم من البحث الصحيح ..

وبيان ذلك : ان قانون السببيه يقرر أن شيئا من " الممكنات " (١)

---

(١) التعبير المشهور هو أن شيئا لا يحدث من لا شيء ، وقد أضفنا عبارة : " من الممكنات " تحديدا للمجال الحقيقى الذى يطبق فيه هذا المبدأ . ودفعا للخطأ الذى ينجم من أخذه على اطلاقه . ذلك أن الأمور " الضرورية الوجود " لكون الكل أكبر من جزئه ، وكون الشيء عين نفسه ، الى غير ذلك ــ تحمل فى طبيعة مفهومها سبب وجودها ، فهى موجودة بنفسها لا بسبب خارجى والأمور " المستحيلة لكون الجزء أكبر من كله وغير ذلك من أحكام التناقض ــ تحمل فى نفسها سبب عدمها ، فلا تقبل الوجود بنفسها ولا بغيرها . أما الممكنات التى تقبل الوجود والعدم ولا تقتضى طبيعتها واحدا منها ، فان وجودها انما يرد اليها من سبب خارج عنها حتما اذ لو وجدت بنفسها لكانت واجبة الوجود وهو خلاف المفروض ... راجع : (الدين) د . عبدالله دراز ص : ١٠٤

لا يحدث بنفسه من غير شيء " لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده " ولا يستقل باحداث شيء " لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئا لا يملكه هو .

كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد ايجابي . فلا بد له في وجوده وفي تأثيره من سبب خارجي . وهذا السبب الخارجي ان لم يكن موجودا بنفسه احتاج الى غيره . فلا مفر من الانتهاء الى سبب ضروري الوجود يكون هو سبب الأسباب ..

واذا قال الملحد : ولماذا لا يمكن لنا معرفة كنه هذا السبب الأول ؟

فنبادره بالقول : انه غيب عنا . فالانسان لم يعط الوسائل بعد لمعرفة الغيب .. نؤمن به لآثاره كما آمنا بوجود الالكترون والبروتون بآثارهما ولم نشاهد الكترونا ولا بروتونا ..

وقد آمنا بالمغناطيس ولم نشاهده بأعيننا وانما شاهدنا فقط انجذاب حديد الى حديد دون رؤية الجاذب وهكذا دواليك ...

وأما قانون الغائية فمن موجبه أن كل نظام مركب متناسق مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، وأن كل قصد لا بد أن يهدف الى غاية ، اذا لم نجد عند الماديين مصنعا للسيارات يصدرها بدون غاية ؟ فلا بد — أن يكون من وراء هذا العالم غاية ...

نعم ان طاقة البشر ، وطبيعة المخلوق ، أعجز من أي تحصى مراحل الأسباب والغايات مرحلة مرحلة ، وتتابع سلسلتها حلقة حلقه ، حتى تشهد بداية العالم ونهايته .. ولذلك يئس الماديون الذين قاموا بمقارنه الأديان من معرفة أصول الأشياء وغاياتها الأخيرة ، وأعلنوا عدولهم عن هذه المحاولة فقالوا : ان الديانات ما هي الا منظمات مستحدثة ، وأعراض طارئة على البشرية حتى قال (فولتير) : ان الانسانية لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة في حياة مادية خالصه قوامها الحرث ، والنحت ،

والبناء ، والحداد، والنجار ، قبل أن تفكر فى مسائل الدينيات والروحانيات (١)

بل قال :

ان فكرة التأليه انما اخترعها دهاة ماكرون ، من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء . (٢)

هذه هى مقاصد علماء الأديان المقارنة . فهم يستهدفون الى تحديد الأصل للعقيدة ، والمظهر الذى ظهرت به فى أول الأزمنه باطلاق .

فقالوا : ان الأمم البدائية هم أحسن أرضية لهذا البحث . وتجاهلوا عن موكب الرسل من لدن آدم الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعتبروا القول فى اثبات رسالتهم عن الله ، خرافه ووثنيه ..

وهم انما يفعلون ذلك ، لأن المنهج كله انما قام ابتداء على أساس العداء والرفض للمنهج الدينى ، بسبب ما ثار بين الكنيسه الأوربيه والبحث العلمى فى كل صوره ، فى فترة من فترات التاريخ .. فبدأ المنهج وفى عزم أصحابه أن يصلوا الى ما يكذب مزاعم الكنيسة من أساسها للوصول الى تحطيم الكنيسه ذاتها ..

ومن أجل هذا جاء منهجا منحرفا منذ البدء لأنه يتعمد الوصول سلفا الى نتائج معينه ، قبل البدء فى البحث ...

وحتى حين هدأت حدة العداء للكنيسه بعد تحطم سيطرتها العلميه والسياسيه والاقتصادية الغاشمه ، فان المنهج استمر فى طريقه .. لأنه لم يستطع أن يتخلص من أساسه الذى قام عليه .. والتقاليد التى تراكمت على هذا الأساس ، حتى صارت من أحوال المنهج ..

أما خطأ النتائج فهو ضرورة حتمية لخطأ المنهج من أساسه ، هذا الخطأ الذى طبع نتائج المنهج كلها بهذا الطابع .. واذا كان المنهج والحالة هذه ؟ فما موقف المسلم من تعلم هذا العلم كحقيقه علميه ؟

---

(١)

(٢) راجع كتاب الدين ، عبدالله دراز ص ٨٠

موقف الاسلام من تعلم علم مقارنة الأديان

وللاجابة على هذا السؤال لا نتوانى أن نقول : انه لا يجوز لمسلم بحال من الأحوال ، أن يأخذ بهذه النتائج ، لأن تقريراته مخالفة مخالفه أساسيه للتقريرات الالهيه كما يعرضها القرآن الكريم ..

واذا جاز للملاحده أن يأخذ بنتائج تخالف مخالفه صريحه قول الله سبحانه فى مساله من المسائل ، فانه لا يجوز لباحث يقدم بحثه للناس على أنه " مسلم " أن يأخذ بتلك النتائج ، ذلك أن التقريرات القرآنيه فى مساله الاسلام والالحاد ، وسبق الاسلام الالحاد المادى" فى التاريخ البشرى ، وسبق التوحيد للتعدد والتثنيه .. قاطعة ، وغير قابله للتأويل .. فهى مما يقال عنه : انه معلوم من الدين بالضرور ه ... (١)

وعلى من يأخذ بنتائج علم الأديان المقارنه فى هذا الأمر ، أن يختار بين قول الله سبحانه وقول علماء الأديان .. أو بتعبير آخر :

أن يختار بين الاسلام وغير الاسلام لأن قول الله فى هذه القضيه منطوق وصريح ، وليس ضمنيا ولا مفهوما .. كقوله تعالى :

﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (٢)

وعلى أية حال فان هذا البيان عن موقف الاسلام فى هذا المنهج ليس هو المقصود بالذات هنا ، انما نستهدف هنا الى اثبات أن ظهور هذا العلم ، علم مقارنة الأديان كان سببا من أسباب الالحاد فى أوربا الحديثة . وكان ضربة قاصمة على أصحاب الكنيسة ولكن بمرور الزمن أصبح سندا لأصحاب الأديان أيضا يحتجون به على فطرية التدين وفطرية التوحيد .. ولا بد من ايضاح هذه المفارقات العجيبة .

---

(١) ان هذه التقريرات مستفادة من كتاب (فقه الدعوه) ، جمعة احمد حسن من ظلال القرآن ص١٦٠

(٢) فى سورة النحل الاية : ٣٦

قصة مقارنة الأديان في أوربا

يذكر لنا التاريخ أنه لما اكتشفت أمريكا الوسطى ، ووجد الاسبان فيها أقواما يتعبدون على أديان لا يعرفونها — توافد القساوسه والمبشرون الى البلاد المكشوفه ليبحثوا فى أديانها ويحولوا أقوامها الى العقيده المسيحيه فأدهشهم بعد قليل أن يروا لهم شعائر الأديان المعهوده فى الدنيا القديمه وأنهم سمعوا منهم كلاما عن التكفير والخلاص ومناسك الأديان على شىء من الشبه بنظائره فى الديانه المسيحيه ، وحاروا في تعليل تلك المشابهة ..

فخطر للقساوسه والمبشرون الذين توافدوا الى هذه الدنيا الجديده ، أن هذه العبادات التى يتعبدها هؤلاء القوم المنكرون ، بقيه من بشاره قديمه نسيت واندثرت ونتجت عنها هذه العبادات الممسوخه ...

وكان هذا/هو التفسير الذى اكتفى به الناس لفهم أسرار المشابهه بين الأديان فى الدنيا القديمه والأديان فى الدنيا الحديثه التى رجح عندهم أنها كشفت لأول مره ، وظل هذا التفسير كافيا من اوائل القرن السادس عشر الى أواخر القرن الثامن عشر ، ثم اتسعت كشوف الرحالين وتتابعت أخبار القبائل والسلالات التى تتشابه بينها شعائر الأديان والعبادات ، وتقدم علم الأجناس ومعه علم المقارنه على أيدى هؤلاء الباحثين الذين يريدون ازاله الكنيسه بكل ما تمد اليه أيديهم : فاحتاج الأمر الى تفسير غير ذلك التفسير عند المتدينيين والمعتقدين ... فقالوا ان الأديان كلها من وضع البشر فاتخذوا من هذه المشابهات دليلا على صحة ما قرروه.(١)

وكانت صدمة قويه لأنصار الدين ، لأن القرن الثامن عشر على الخصوص قيض لهم مشاكل كثيره لم يفرغوا منها أثمرت فى نفوس الأجيال الجديده شكوكا تعالجها الكنائس واحده بعد واحدة ، ولا تنتهى من علاجها .

---

(١) عقائد المفكرين فى القرن العشرين ، عباس محمود العقاد ص ٢٦ — ٢٥

فلما أسفرت المقابله بين الأديان والعبادات عن تلك المشابهه المتكرره كانت ضربه قويه محرجه بعد ضربات مثلها في القوه والاحراج ، كادت أن تخذل عوامل الايمان والاعتقاد أمام عوامل الشك والالحاد ...

*

هذا أن الملاحده بعد ما اتفقوا في أن الدين خرافه ، اختلفوا في العوامل الأولى لا يقاظه في النفوس الى مذاهب شتى ... اهمها كالتالي :

أولا — مذهب التطور التقدمي :

ان هذا المذهب يرى أن الدين بدأ في صوره الخرافه وأن الانسان قد ترقى في دينه وتطور ، على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في العلوم الطبيعيه والصناعيه ... (١) وقد أشرنا سابقا الى أشهر رجاله ..

ثانيا — المذاهب الكونية أو الطبيعيه :

ترى هذه المذاهب أن العامل الأول في اثاره الفكرة الدينيه كان هو النظر في مشاهد الطبيعه ولا سيما الأفلاك والعناصر . (٢)

أشهر مقرري هذه النظريه هو العالم الألماني ماكس ميلر (Max Muller) في كتابه عن الأساطير المقارنه (Comparative Mythologie) وليس هنا مناقشة هذه الخزعبلات وانما قصدنا عرض هذه التصورات الخاطئة التي يريد بها أصحابها أساسا محاربه الكنيسه لا للبحث العلمي والوصول الى الحق .

ثالثا — المذاهب الروحيه المشهوره باسم الحيويه : (Animisme)

ان هذه المذاهب ترى أيضا ان الأديان ليست من عند الله ولم يرسل

---

(١) الدين ، عبدالله دراز ص ١٠٧ مع تغييرات طفيفة .
(٢) المرجع السابق ص ١١٤

أحدا من الرسل وانما نشأت الأديان فى الانسان من (أجل عبادة أرواح الموتى).

وهذه النظريه الروحيه قررها تيلور (Tylor) فى كتاب "المدنيه البدائيه" (La Civilisation primitive)

وتابعه عليها مع تعديل يسير الفيلسوف الانجليزى هربرت سبنسر — (Herbert Spencer) فى كتاب مبادى علم الاجتماع (principles De Socialogie).(1)

رابعا — المذاهب النفسيه :

هذه فصيله أخرى من النظريات تتلخص فكرتها العامه فى أنه لأجل الوصول الى العقيده الالهيه لم يكن بالناس حاجه الى التأمل فى الطبيعه وجمالها ولا فى التقلبات الكونيه وأحوالها . ولا الى التجارب العجيبه فى عالم الأرواح وأسرارها ، بل ان تجارب الانسان النفسيه ،فى حياته العاديه المألوفه له فى كل يوم ، كانت كافيه لتوجيه نظره بقوه الى تلك الحقيقه العليا ... (2).

ومن أشهر رجالها أوجست ساباتييه (augste Sabatier) فى الفصل الأول من بحثه عن (فلسفة الدين).

(Esquisse D'une philosophie De Religion)

و (هنرى برجسون) (H. Bergson) فى كتابه عن "ينابيع الخلق والدين" :

(Les Deux Sources De La Morale Et De La Religion.

---

(1) الدين ، عبدالله دراز ص ١٢٧

(2) المرجع السابق ص (١٣٥)

خامسا ـ المذهب الاجتماعى :

يخالف العلامه (دوركايم)(Durkheim)

جميع المذاهب المتقدمه فى دعواها أن التدين حاله نفسيه تنبع من فطرة الفرد كلما فكر فى الآفاق أو فى نفسه ويرى هو أن التدين ليس فطريا فى الكيان الانسانى وانما هو وليد أسباب اجتماعيه فسمى هذا المذهب " بالعقل الجمعى " (١) هذا النظام هو نظام التوتيم (Totem) (٢) فزعم أن هذا العقل الجمعى هو الذى يوجد فى الانسان عناصر التفكير وأساس المعرفة العقليه .

هذه أهم المذاهب التى حاولت أن تعلل نشأة التدين فى الانسان بعدما اتفقوا جميعا على أن الدين لم يكن يوما من الأيام فى الفطره الانسانيه .

ان هذه المذاهب كلها لا تستحق الوقوف عندها للمناقشه لأنها ليست فى نياتها الخير للانسانيه وانما أرادت أن تصل الى نتيجه معينه ـ كما قلنا سابقا ـ وهى ابادة الكنيسه عن طريق قتل العقيده الدينيه فى الانسان ... قبل البحث عن حقائق الأديان ...

ولكن لما كان المذهب الأخير ، الذى هو المذهب الاجتماعى أكثر انتشارا فى الأوساط العلميه ، سوف نناقشه قليلا لا زالة اللبس عن الذين يعتبرونه حقيقة علميه ثابته ...

---

(١) (Reinach, ouv. cite, p. 23: Durkheim ouv, cite p.144)

(٢) هذا الاسم مأخوذ من لغة الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية : وهو اسم لم يتفق بعد على ضبطه قيل ( ) وغير ذلك تستعمل تارة فى موطن العشيره أو العلامه والشعار .

هذا ما كان من شأن علم المقارنه بين الأديان ، حتى انجلى النزاع الذى أثاره هذا المنهج بين الكنيسه ورجال علم المقارنه ، عن هذا الموقف فى أوائل القرن العشرين ...

فلما أفاقت الكنيسه من سكراتها بعد هذه المعركه المنيفه ، أدركت أن هذا المنهج وان كان أساسا يحارب الأديان ، ولكنه يصلح أن يستخدم فى فطرية التدين وضرورة التدين وأنه بديهيه مركبه فى طبيعة البشر ، ولولا ذلك لما أجمعوا على التدين متفرقين فى أرجاء الأرض مع اختلاف الأزمان وتفاوت الحضارات وتباعد الثقافات وطبقات التفكير .. ولكن هيهات وقد انتشر هذا المذهب فى جميع العلوم بل اعتبروها أساسا لجميع العلوم الانسانيه ...

الا أننا نقول : يصدق على مقارنة الأديان ما صدق على القوانين الطبيعية فى مسألة العقيدة ، وقد رأينا أنها شككت العقول زمنا فى أصول الاعتقاد ثم أصبحت فى القرن العشرين سندا لمن يؤثرون الاعتقاد ويشككون فى الالحاد ... بهذا انسدل الستار على هذا المذهب السخيف ...

الفصل الخامس

الثورة الفرنسية

ومن يتأمل فى صفحات التاريخ الموثوق بها يخرج بالنتائج التاليه :

- ان الثورة الفرنسية لها صفحتان مختلفتان :
- صفحه مشرقه نيره : وهى ضد ظلم القوانين وسوء توزيع الثروه العامه .
- وصفحه سوداء مظلمه : وهى ضد الدين والمبادىء الأخلاقيه بل ضد فكرة وجود اله مدبر لهذا الكون .

واليك توضيحا لكل من الصفحتين :

الصفحه الأولى :

كانت هذه الصفحه ضد الظلم والقوانين وسوء توزيع الثروه العامه (١)

وبيان ذلك : كان الفرنسيون الى القرن الثامن عشر يعيشون تحت ظل نظاماتهم العتيقه التى بلغت الى الفساد السياسى ، والتدهور الاقتصادى غايتيهما ... حتى أن (كالون) وزير الخزانه الملكيه اعترف بذلك سنه ١٧٨٧ م ، وأرادت الحكومه سدّ عجز الميزانيه بارهاق الشعب بضرائب جديده فادحه ، فازدادت أحوال الطبقات المسحوقه سوءا وعصفت فى البلاد موجه من الجوع ونقص المؤن ..

فى الوقت الذى بلغ فيه صبر الشعب الى نهايته وانهكته المجاعه والبؤس كان هناك طبقتان تنغمسان فى مختلف الملذات هما :

---

(١) الدين ، د. عبدالله دراز ص ٨١

— طبقة رجال الدين ، وطبقه الأشراف بالاضافه الى الأسره المالكه التى كانت عبئا ثقيلا على المجتمع الفرنسى .. كانت هنالك ارادة الملك لا راد لها ولا معقب لها وكان الفلاحون يباعون مع أرضهم كالبهائم ، وكان رجال الدين يستغلون جهل العامه استغلالا لا حد له و يتحكمون فى رقابهم بالاتحاد مع رجال الحكومه .. من هنا وقف الشعب بكل فئاته : الفلاحين، والمهنيين ، والقساوسه الصغار ، جبهه واحده ، ضد الجبهه الأخرى التى تتألف من الطبقتين المحتكرتين : رجال الدين والأشراف ..

وفى ٥ أكتوبر دفع الجوع بنساء باريس الجائعات الى القيام بزحف كبير صوب (فرساى) فذهبن ومعهن أعداد غفيره من العاطلين (٩) والحرس الوطنى بقيادة (لافاييت) للمحافظه على المسيره ..

هذه من ناحيه ، ومن ناحيه أخرى ، هناك حكم جائر تقوم به هاتان الطبقتان المجرمتان ضد الشعب الفرنسى ، ولقد ذكر لنا التاريخ الكثير من هذه المبكيات المضحكات . ومن أشهر تلك المأساة الانسانية ، هذا السجن الظالم الذى سموه ب (الباستيل) (١٥) .. لقد لقى هذا السجن ما لا يوصف فنكتفى بالحادثه الأخيره وهى التى انتهت بهدمه وذلك فى عهد الثوره الفرنسيه سنه ١٧٨٩ م (٤) .

ولكنا قبل الدخول فى هذا الموضوع ، نصف بعض ما كان يلقاه المسجونين فيه :

---

(١) التطور والثبات فى حياة البشريه ، محمد قطب ص١١١

(٢) أوربا العصور الوسطى ، دكتور عبد الفتاح عاشور ج ٢ ص٢٥٨

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٢ص ١٤٥

(٤) التاريخ الأوربى الحديث د.عبد الحميد البطريق و د. عبد العزيز نوار ص٣٧٣

ما لقيه المسجونون في الباستيل

يذكر التاريخ أن أمكنة السجن من هذا المعقل كانت موجودة داخل البروج التي كانت مقسمة الى خمسة أدوار ، في كل دور منها غرفة ذات ثمانية أضلاع ليس فيها الا نافذة صغيرة في حائط عرضه ستة أقدام ، فما كان ينفذ الى هذه الغرف من أشعة الشمس الا نور ضئيل ...

وكان يوجد غير ذلك غرف تحت الأرض على بعد ٦٦ ر٦ أمتار من سطحها ، تقتل من فيها برطوبتها وظلمتها وهي مع ذلك لم تكن بأسوأ حالا من حجرات موجوده في قمم تلك البروج معرضه لحرارة الصيف وزمهرير الشتاء ، كان المسجونون المراد تعذيبهم يوضعون فيها بقصد تعريضهم لأفاعيل الطبيعه المتناقضه مع عدم السماح لهم باتقائها بوقايه . هذا وصف مختصر لهذا السجن الظالم ..

وكان المتهم يعتبر مجرما حتى تثبت براءته . فلذلك كان يقاد المتهم لهذا السجن وقد لا يعلم الأمر الذى اتهم به ، فينزل الى ظلماته مسوقا بأيد حديديه ويقف أمام رجال أشبه بالجلاميد قسوة وفظاظه فيسأل عما نسب اليه ، ويناقش فيه ويتعمق معه في الأخذ والرد رجاء أن يكون منكرا أو معه شركاء .. هذا كله لا يعلم أهله أين ذهب ولا يسمح لهم بشىء من خبره ولا له بشىء من خبرهم ، فيبقى هنلك منقطعا عن أهله وذويه والعالم كله تحت رحمة سجانين لم يمتعهم الله بعاطفة حنان ولم يجعلهم بخلق صالح ..

في هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل في فرنسا أشد انواع العذاب في عهد الاستبداد . فكم هلك فيه فيلسوف عظيم ؟ وتتلاشى دون جدرانه المظلمه مصلح كبير ؟ وكم من سياسى جنت عليه مباحثه لخير البلاد فهوى منه في مستقر سحيق ما خرج منه الا حرضا لا يفيد ولا يستفيد ؟

---

(١) راجع في هذه القصة دائرة معارف القرن العشرين ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤

فلا جرم أن كره الفرنسيون الباستيل ، معهد العسف ومهبط القسوة والغشومه فلم يكادوا يثورون ضد حكوماتهم حتى كان أول غرضهم الباستيل فهدموه هدما واقتلعوا أصوله اقتلاعا وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوه عقودا تحلين بها فى أمكنة اللآلىء اشاره الى غلبة الأمه على الظلم وانتقامها من الظالمين وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحريه ...

هذا جزء ضئيل مما كان يمارسه هؤلاء الطغاة ضد الشعب الفرنسى ، وقضت سنة الله أن ينتصر الشعب على جلاديه وأن تحصد معظم الرؤوس المترفة الطاغية .

وفي يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ م كان يوما مشهودا فى باريس اذ تغلب الشعب الفرنسى على الضاغطين عليه فخلص من أسرهم وحصل على حريته بجده وجلاده (١) .

هذه هى الصفحه البيضاء لهذه الثوره الظافره على الظلم والقسوة ...
أما الصفحه المظلمه لهذه الثوره التى جعلتها سببا من أسباب الالحاد تتضح فى الصفحات الاتيه ان شاء الله .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدى ج ٢ ص ٣٥ .

الصفحة المظلمة للثورة الفرنسية

ان هذه الثوره التى قامت أساسا ضد الظلم والطغيان ، قد تمخضت عن نتائج بالغة الأهميه ، فقد ولدت لأول مره فى تاريخ أوربا المسيحيه دولـه جمهوريه لا دينيه تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب وليس " باسم الله " وعلى حرية التدين بدلا من الكثلكه .. وعلى الحريه الشخصيه بدلا من التقيد بالأخلاق الدينيه وعلى دستور وضعى بدلا من قرارات الكنيسه .

ان هذه النتائج والتطورات التى تمخضت عن ثورة قامت ضد الطغيان فحسب ثم تحولت الى ثوره ضد الدين والأخلاق ، شىء يستحق أن يقف عنده الانسان باحثا عن أسبابها ودوافعها .

شىء عجيب كهذا لا بد أن تتوفر فيه عدة عوامل وأسباب تفوق حد الوصف ، ولكنا نود أن نذكر هنا أهم تلك الأسباب ..

أولا — وقوف الكنيسه ضد مطالب الجماهير :

ولولا وقوف الكنيسه ضد مطالب الجماهير الجائعين الذين يبحثون عن الخبز ، لولا ذلك لم تعتنق الجماهير المسيحيه أفكار الكتاب الملحدين ، ولم تتخل عن عقيدتها الراسخة .

وكيف لا تعتنق الجماهير من الفلاحين وغيرهم أفكار الملحدين وهم يسمعون من (توماس جفرسن) نفسه يقول :

" ان القسيس فى كل بلد وفى كل عصر من أعداء الحريه وهو دائما حليف الحاكم المستبد يعينه على سيئاته فى نظير حمايته لسيئاته هو الآخر ". (١)

---

(١) أفكار ورجال تاليف — جرين برنتن ص١١ ترجمة محمود محمود مصر ١٣٧٧هـ يراجع أيضا المفسدون فى الأرض س. ناجى دمشق ١٩٧٣ م ص١٤٦ فمابعدها .

ان كان هذا هو من تصريحات رجال الدين الكنسي في أوربا الجاهلة فلا غرابة — اذن أن نرى الجماهير ترتفع فيهم الصرخات التاليه حلف (ميرابو) :

" أشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس "

وبهذه الرؤيه الواضحه ندرك جيدا أن وقوف الكنيسه المجرمه في صفوف الظلمه سبب من أسباب تنفير الجماهير عن فكرة التدين والمبادئ الاخلاقيه ..

وكما ندرك أن الثورة أقيمت في أول أمرها — ضد نواحي الضعف من رجال الكنيسه والأشراف . ولكن وقوف هؤلاء الرجال الحمقى في صفوف الظلمه قد زاد الطين بلة فتحولت الثوره عن ثوره ضد المظالم الى ثوره ضد الأديان كلها .. هذا ما أيده الكاتب الانجليزى ، (ويلز) حيث يقول :

" كانت ثورة الشعب على الكنيسه دينيه .. فلم يكن اعتراضهم على قوة الكنيسه بل على مساوئها ونواحي الضعف فيها ، وكانت حركات تمردهم على الكنيسه حركات لا يقصد بها الفكاك من الرقابه الدينيه بل طلب رقابه دينيه أتم وأوفى ..

وقد اعترضوا على البابا لا لأنه الرأس الديني للعالم المسيحى بل لأنه لم يكن كذلك أى لأنه كان اميرا ثريا دنيويا بينما كان يجب أن يكون قائدهم الروحى " .. (١)

ولأجل ذلك قامت الثوره بأعمال غريبه فقد سرحت الرهبان والراهبات وصادرت أموال الكنيسه وألغت كل امتيازاتها ، وحوربت العقائد الدينيه ، هذه المرة ، علنا وبشدة وأصبح رجل الدين موظفا لدى الحكومه .

---

(١) فيما يتعلق بأسباب ونتائج الثوره الفرنسيه ، يراجع كتاب أوربا في العصر الحديث في الفصل الأول ..

هذا شىء يسير مما جنته الكنيسه على نفسها وعلى جميع الأديان السماويه وقد ذكرنا بعضها سابقا فى باب طغيان الكنيسه . وهنا رأينا لونا آخر أيضا من هذا الطغيان ، رأينا أن الكنيسه هى المسئوله فى الدرجه الاولى عن هذا الالحاد الأحمر ..

ثانيا – الخلايا الخفيه فى الجسم الأوربى :

وقد يكون أن تغضب الجماهير على الكنيسه لأجل موقفها الخبيث ضد الحقوق الشرعيه للشعب ، ولكنها تبقى دائما فى دائرة الدين والايمان بالله والتمسك بالأخلاق الفاضله ، لولا أنه وجدت هذه الخلايا الخفيه التى كانت تعيش فى الجسم الأوربى وتمتص دمائه بحيث لا يشعر .. وهذه الخلايا القوى الشيطانيه الخفيه اليهوديه أعداء الله وأعداء البشريه جمعاء .

وقد أخبرنا الله تعالى : انهم ﴿ يسعون فى الأرض فسادا ﴾

وسنتحدث عن هذه القوى الشيطانيه فى باب مستقل ان شاء اللّه .
ونكتفى هنا بالاشارة الى أن هذه الخلايا الخفيه لها دور حاسم فى تغيير أهداف الثوره الفرنسيه التى هى البحث عن الخبز والخبز فقط ...

وبين عشية وضحاها لقنت هذه القوى الشيطانيه الخفيه ، الجماهير الثائره هتافات أخرى يذهب بها كل فكر دينى وكل فكر أخلاقى وهى :

" شعار الحريـة والمساواة والاخاء " .

ثم تلى هذا الشعار ، شعارا آخر : " لتسقط الرجعيه " وهى كلمة تعنى أول ما تعنى الدين والأخلاق .

وقد أقر اليهود أنفسهم هذه الحقيقه فى كتابهم الخطير : " بروتوكولات حكماء علماء الصهيون " . فهم يقولون فيه :

" تذكروا الثوره الفرنسيه التى نسميها (الكبرى) أن أسرار تنظيمها التمهيدى معروفه لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا " . ويقولون :

" كذلك كنا قديما أول من صاح فى الناس " الحريه والمساواه والأخاء " كلمات ما انفكت ترددها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهله متجمهره من كل مكان حول هذه الشعائر " (١) .

ثالثا :- الفكر اللاديني الذى طبع عصر التنوير :

هناك سبب ثالث له أخطاره الكثيره ، ومع ذلك لم يذكره كثير من الباحثين فى ضمن أسباب الثوره الفرنسيه ..

فما هو هذا السبب الخطير ؟ ؟

انه الفكر اللاديني الذى طبع عصر التنوير الذى تحدثنا عنه فى الباب الذى عقدناه تحت عنوان " صوره عن أوربا الحديثه " .

ان هذا الفكر اللاديني كان يسرى فى عقول المفكرين آنذاك ، سريان الدّم فى العروق ، وكانت له مدارس كثيرة ، قد سلكت كل مدرسه منحى خاصا لتحقيق هدف واحد ، وهو : تقويض الدين واجتثاث مبادئه من النفوس .

واليك فكره موجزه عن كل من هذه المدارس :

---

(١) البروتوكولات ص١٠٣ ، ١١١

أولا :ـ مدرسة ذات طابع اجتماعي وسياسى ، كان رأس هذه المدرسه الكاتب (روســو)[١] صاحب (العقد الاجتماعى) الذى أطلق عليه " انجيل الثورة الفرنسية " و (مونتسكيو)[٢] صاحب (روح القوانين) ..

ومن كتابات هؤلاء استلـهم زعماء الثوره مبادئهم واقتباساتهم .. والغرض الوحيد لهذه المدرسه هو احلال (عبادة المجتمع) فى محل عبادة اللــه وذلك ما نادت به الثوره الفرنسيه أخيرا ...

ثانيا :ـ مدرسه ذات طابع فلسفى هدام ، انها تنادى الى الديــن الطبيعــى أو " القانون الطبيعى " وربما كان الفيلسوف اليهودى (سبينوزا) رائد هذه الفكره الشنيعه . ذكر ذلك فى كتابه " رساله فى اللاهوت والسياسه " .

ثم اكتملت لدى (فولتير) فكرة الدين الطبيعى التى ورثها عن (سبينوزا) و(لا يبنتر) واستق منها فكرة " القانون الطبيعى " حيث نجده يقول :

---

(١) ترجمة روسو : هو روسو ، جان جاك : ١٧١٢ ـ ١٧٧٨ م فيلسوف فرنسى ، ولد بجنيف وقد رافق دافيد هيوم الملحد فى رحله الى انجلترة .. ولــه أثر فى مختلف مجالات الفكر ، سياسيه وأدبيه وتربويه وكان مجمل مذهبـه السياسى : ان الانسان الطبيعى ، لا هو بالخير ولا بالشرير ، وأن مساواة الناس قد زالت بظهور الزراعه والصناعه والملكيه .. وأن القوانين شرعـت لتثبيت الظالم على المظلوم فالسيادة يجب ان تكون للمجتمع .. فلا تشــرع القوانيـن بغير رضا الجماعه كلها .. الموسوعه العربيه ص ٨٩٤ .

(٢) مونتسكيو ، شاول لوى دى سلوندا : ١٦٨١ ـ ١٧٥٥ م كاتب فرنســى قد نادى بالديمقراطيه النيابيه . وقد كان لآراء مونتسكيو ، وبخاصة نظريته فى الفصل بين السلطات أثر كبير على رجال الثورتين ، الفرنسيه والأمريكيه : المرجــع السابق ص ١٧٩٠ .

" ان دين أهل الفكر دين رائع خال من الخرافات والأساطير المتناقضه وخال من العقائد المهينه للعقل والطبيعه .. لقد منع الدين الطبيعى الآف المرات المواطنين من ارتكاب الجرائم ... أما الدين المصطنع فانه يشجع على مظاهر القسوه .. كما يشجع على المؤامرات والفتن وعلى أعمال القرصنه ، وقطع الطريق ... ويسير كل فرد نحو الجريمه مسرورا تحت حماية قدسيته ...." (١)

واستمرت هذه الفكره بعد موت روسو وفولتير الى أيام الفيلسوف الألمانى " كانت " الذى أدرك أيام الثوره الفرنسيه ، وقد اشتهر هذا الفيلسوف فى تأييدها وهو الذى طور فكرة العقد الاجتماعى فى كتابه " الدين فى حدود العقل وحده ". (٢)

وهكذا بتأثير الفكر اللاديني جسمت الثوره الفرنسيه الفكره الفلسفيه القديمه باقامة مجتمع يرفض القيم والأخلاق الدينيه ويجعل العلاقات النفعيه المحضه هى الرباط المقدس الوحيد ..

وهكذا أيضا استغلت اليهوديه العالميه هذه الثوره الفرنسيه وهذه الأفكار اللادينيه لمحاولة السيطره على العالم بأسره .

هذه هى الثوره الفرنسيه التى بدأت ثوره على الظلم ثم مشت شوطا فصارت ثوره على الأديان والعقائد والقيم والمبادئ والأخلاق وجميع التقاليد الموروثه على الاطلاق .

وبعد هذه الفرحه الثوريه العظمى حدث شئ جديد يجعل الحليم حيران ، شئ لا مثيل له فى التاريخ مع أن فى التاريخ مثالا بل أمثله لكل حادث غريب .

وما هو هذا الشئ ؟ ؟ هو مذهب النشوء والارتقاء الذى نحاول التحدث عنه فى الجزء التالى .

---

(١) مختطفات من القاموس الفلسفى لفولتير : سلسلة تراث الانسانيه ج ٨ ص ٢٠٧

(٢) أنظر رجال وأفكار ص ٤٨٩ .

الفصل السادس

مذهب النشوء والارتقاء

توطئة :

ان هذا المذهب – باجماع المفكرين – يعتبر من أخطر المذاهب الهدامة التي وقفت ضد الدين لأنه قد أعطى ايحاءين متضادين :

الايحاء بالتطور الدائم الذى يلغى فكرة الثبات ، والايحاء بحيوانية الانسان ومادیته بارجاعه الى الأصل الحيواني من ناحية ، وحصر القوى التي تؤثر فيه من ناحية أخرى بالقوى المادية فى " البيئة " أو على الأقل فى " الطبيعة " واغفال الجانب الروحى اغفالا تاما ، واغفال تدخل الله فى عملية الخلق أو عملية التطور سواء .

قال داروين : " ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة فى وضع ميكانيكى بحت " (١)

وبهذين الايحاءين صار هذا المذهب من أخطر المذاهب على الأديان بل هو بمثابة الناقوس المعلن لمجيء الأحداث على الكنيسة ..

يقول جوليان هكسلى فى كتابه " الانسان فى العالم الحديث " (Man In The Modern World) (٢) وهو من علماء الداروينية الحديثة :

" وبعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا "

هذا ما يوحى به هذا المذهب الالحادى . ولكننا قبل أن نتحدث عن الآراء التي قيلت حول هذا المذهب من قبول ورد يحسن بنا أن نعطى القارئ فكرة قصيرة عن هذا المذهب الذى زلزلت به أقدام رجال الكنيسة وأزيلت به فكرة الثبات المطلق التي كان يعتقده رجال الدين الكنسى .

---

(١) التطور والثبات فى حياة البشرية ، محمد قطب ، ص ٣٥

(٢) ترجمة حسن خطاب ومراجعة عبد الحليم منتصر .
نقلا عن المرجع السابق ص ٣٥

فكرة عن مذهب النشوء والارتقاء

قبل أن يأتى هذا المذهب ، كان الايمان المسيحى والأخلاق المسيحية قد تعرضا لضربات قاسية وهزات عنيفة :

وقد رأينا كيف كانت الضربات التى نزلت على المسيحية منذ أن ظهرت نظرية نيوتن بالنظرية الجاذبية الميكانيكية الآلية للكون .. وكيف كانت هزيمتها المريرة امام نظرية "كوبرنيكس" فى مركز الأرض . كما رأينا انتقادات فولتير وأمثاله تمهيدا للثورة الفرنسية ، وما أصاب الكنيسة على يدى هذه الثورة من نكبات ..

وكما رأينا الدين الطبيعى الذى نادى به الفلاسفة العقليون ، ونظرية التطور الفكرى كما تخيلها "كانت" وأمثال ذلك التى مرت بنا فى هذا الفصل قد رأينا أن كل ذلك لا يظهر الا ويترك أثرا بليغا فى جسم المسيحية أو ينهش منه نهشة أو يزيل من بنيان الكنيسة لبنة أو عدة لبنات ..

لكن كل ذلك لم يزل الايمان من قلوب الجماهير ، ولم يكن ليسمح لأى مفترض بأن يتنبأ بانهيار كامل للمسيحية أو يقول انه لا توجد فى الانسان قيم ثابتة ولا أخلاق ثابتة ولا تقاليد ثابتة ..

ولقد صدق الناس الكثير من أقوال المفكرين وانتقاداتهم ضد الكنيسة ولكنهم مع ذلك كله كانوا مؤمنين بوجود اله يدبر هذا الكون ، وبأن آدم هو أبو البشر بكيانه المنفرد .. حتى جاء داروين بتأليفه العجيب الذى غير مجرى التاريخ الانسانى ..

لقد ألف داروين أصل الأنواع سنة ١٨٥٩ (١) فأحدث ضجة عنيفة لم يحدثها أى مؤلف اخر فى التاريخ الأوربى جميعا وكان له من الآثار فى المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن فى الأذهان .

بعد هذا يحسن بنا أن نشير ولو طفيفا الى ملخص تاريخى لهذا المذهب ، لنعرف كيف طرأ على العالم ...

---

(١) راجع التطور والانسان الدكتور حسن رينوص ٤٢ وعقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص٦٨ .

ملخص تاريخي لتدرج المقول في فكرة " أصل الأنواع "

والواقع ان الجديد الذى جاء به داروين ليس فكرة التطور العام أو المضوى ولكنه (داروين) زاد على الفكرة القانون الذى تسير عليه عملية التطور بغض النظر عن قيمته العلمية ..

أما فكرة التطور العام قد عرفه بعض الباحثين ونخص بالذكر (بافون) الذى يعتبر حق أول من كتب فيه بأسلوب علمى فى العصر الحديث . الا أنه لم يبحث فى أسباب استحالة الأنواع ووسائلها .. حتى جاء عالم آخر تقدم الى خطوة أبعد منه : وهو (لامارك) +

وكان (لامارك) أول من نبهت نتائج بحوثه الأنظار لهذا الموضوع .. ففى سنة ١٨٠١ م نشر هذا العالم الطبيعى آراءه فى الناس ، وفى سنة ١٨٠٩ زاد اليها كثيرا فى كتابه " فلسفة الحيوان " ثم عقب عليها فى مقدمة كتابه " تاريخ اللافقاريات الطبيعية " الذى نشر فى سنة ١٨١٥ فأيد فيه الكتب التى تقول ان الانواع ومنها الانسان ناشئة من انواع أخر ..

Compte(2)

(١) بافون : جورج لويس بكلار ، كونت دى — عالم فرنسي ولد سنة ١٧٠٧ وتوفي بباريس في سنة ١٧٨٨ ، له كتاب فى التاريخ الطبيعى ظهر فى مجلدات من سنة ١٧٤٩ الى سنة ١٧٨٨ اى سنة وفاته عالج فيه كثيرا من مشكلات علم الحيوان .. راجع أصل الأنواع : تشارلز داروين ص١٠٣ .

(٢) لامارك : جان باتيست بيير أنطوان (   ) عالم فرنسي ولد سنة ١٧٤٤م وتوفى سنة ١٨٢٩ م درس الظواهر الجوية والنبات . وله كتاب فى نباتات فرنسا فى ثلاث مجلدات . وظهر كتابه " فلسفة الحيوان فى باريس سنة ١٩٠٨ فى ثمانية مجلدات ، فوضع فيه من المبادئ والنظريات ما كان له اكبر الأثر فيمن عقب عليه من العلماء فى بابه .. المرجع السابق ص١٠٣ .

وأول ما قام به ، هو تنبيه الأذهان الى ان التطور من سنن الوجود ولا أثر لمعجزة في شيء من ذلك.

ثم بعد ذلك تتابع المؤلفون في هذا الباب كأمثال " جفروى سانتيلير" (١٧٩٥) ودكتور (ولز) سنة ١٨١٣ . والاستاذ جرانت سنة ١٨٢٦ والاستاذ هكسلى وغيرهم ... ولاس٠ورا ى وباركنسون ولينو(١) وجاء تشارلز داروين الذى نسب اليه المذهب التطورى أخيرا ..

وقد يتساءل بعض الناس ويقول : اذا كان بعض الاوربين قد سبقوا داروين في هذا المجال ، لماذا أهملت نتائج بحوثهم ولم تؤثر في العقيدة الدينية مثل ما أتى به داروين ؟

فنقول : ان الذى يبدو في عدم انتشار مذهبهم مثل مذهب داروين ، راجع الى التفسيرات التى قدموها للتطور .. فقد قال هؤلاء : ان التطور خطة مرسومة وفيها رحمة للعالمين .

ولذلك وصفت نظريتهم بأنها " لاهوتية " .. ان هذا كان كافيا أن يجعل نتائج بحوثهم للتطور في زاوية النسيان ..

وكان الناس في ظروف مريرة وصراع شديد مع الكنيسة ، يريدون أن يتغلبوا عليها بأية وسيلة ولوكانت أوهى من نسج العنكبوت .. ولما كانت هذه النتائج تشم فيها رائحة الكنيسة السفاح الحقود ، رفضوها ...

وكانت الظروف تتطلب أن توجد فكرة أيضا عن الانسان والحيوان على الطريقة الميكانيكية لطريقة نيوتن في الفلك .

ولما جاء داروين تفوق على الجميع لاستطاعته العثور على هذه القوانين الطبيعية الأربعة كما يزعم .

وفي الصفحات التالية نود أن نتحدث عن تلك القوانين الأربعة ..

---

(١) انظر الطريق الطويل الى الانسان ص ١٩٧ فصاعدا
(٢) سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الأساتذة الهيئة العامة مصر ص ٣٢٩ .

الغرض الأساسي لهذه النظرية

والغرض الذى يدور حوله الكتاب هو كالتالى :

أولا : (قانون الانتخاب الطبيعى) ثانيا : (قانون تنازع البقاء)

ثالثا : (قانون بقاء الأصلح) وقيل له ناموس المطابقة .

رابعا : (قانون الوراثة)

١ ـ قانون الانتخاب الطبيعى :

يعنى به أن الطبيعة تنتخب من الموجودات ما يصلح للبقاء .. فالحيوانات مثلا تنسل عددا لا يحصى ، ولا يبقى منه الا القليل ، ولم يبق ما يبقى من قبل نفسه ، ولكن لأنه هو الذى قاوم الحوادث المختلفة وفواعل الطبيعة ، فصلح للبقاء ، بدون أى تدخل خارجى .. فالقوى يبقى والضعيف يفنى ، فالطبيعة هى المصدر الوحيد فى ذلك واليها تصير الأمور ..

فما تفعله الطبيعة على حد زعمه ـ من انتخاب أصلح الموجودات لتمنحه ميزة البقاء سمى " الانتخاب الطبيعى " ..

وبتعبير آخر : ان الطبيعة هى التى تمنح الحياة والبقاء لمن تشاء ، وتزيلها عمن تشاء بيدها التصرف الكامل فى الكون ، انه لا يقف أمامها أى معارض أو منافس .

٢ ـ قانون تنازع البقاء :

يأتى تفسيره كالآتى : يرى داروين أن المخلوقات فى نزاع شديد ، فبين الأنواع حرب ضروس ترى أسدا يفترس ذئابا .. وذئابا تفترس خروفا ، وانسانا يفترس كثيرا من الحيوانات البرية والبحرية .. أضف الى ذلك ، أن النوع الواحد قد يتنازع بعض أفراده مع بعض عند الازدحام على شئ لا يكفى لسد رغباتها جميعا كما ترى من تنازع القطط على قطعة اللحم .

وكما ترى من تنازع الانسان مع الانسان .. وهذا التنازع الذى يجرى بين

الأنواع والأفراد هو الذى سمى (تنازع البقاء) .. يعنى التنازع لأجل البقاء .. (١)

وهكذا فسر داروين الهدف الأساسى لهذه الحياة الدنيا .. يعنى أن الحياة مبنية ـ بطبيعتها ـ على التنازع والصراع المرير بين جميع المخلوقات . الا ان اكبر دليل على كشف هذه الخرافة الداروينية ، ظهور الأمة الاسلاميه فى العالم .. قد يعلم العدو قبل الصديق أن العالم الاسلامى لم يأت نتيجة من هذا الصراع المزعوم وانما ظهر للوجود لتحقيق الغايات الثلاث الآتية :

﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس : تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله .. ﴾

أين الصراع فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فان قالوها عصم منى دماؤهم وأموالهم الا بحق الاسلام " (٢).

أين هذا الصراع البغيض فى قول أول خليفة للمسلمين وهو سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول فى أول خطبة الى الأمة الأسلامية الفتية : " أما بعد أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم .. فان أحسنت فساعدونى وان أسأت فقومونى .. الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله .. والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ..

---

(١) يراجع فى هذا التفسير الى دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣٠

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠١ ـ مطبعة السعادة ـ مصر

بها خصاصة ... ولا تريد علوا فى الأرض ولا فسادا . ان من يكذب هذا الصراع المفترض قول هذا الصحابي الجليل (ربعى) بن عامر حين دخل على (رستم) وهو يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟

فقال : " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ". ثم قال :

" فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى الى موعود الله ..

قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى .. " (١)

ومن يقرأ هذه القصة يعلم يقينا أن داروين كان كذابا فى ادعائه .. كما يعلم أيضا أن الاسلام المجيد خرج للناس بمفاهيم وقيم انسانية كريمة بعيدة عن النزاع الداروينى المزعوم . انه رفعهم من شريعة الغاب وشريعة المخلب والناب وشريعة المنجل والفأس وشريعة رأس المال الظالم والشيوعية الماكرة الى مستوى قيم الانسان ، وأخلاق الانسان وكرامته فى سبيل خالق الانسان .. وليس فى سبيل البقاء على الأرض .

الذنوب سبب هلاك الأمم وليس الانتخاب الطبيعى

ثم ان داروين يدعى ان سبب هلاك الأمم هو الانتخاب الطبيعى وبقاء الأصلح .. هل عند داروين دليل واحد ملموس على ذلك ؟ الجواب لا انما هو ظن فحسب ..

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير ج ٧ ص ٢٩

ثم قال رضى الله عنه : " لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله " .

ولم تكن مبنية على الوئام والتوافق ولا التعاون .. فلا شك ان هذه النظرية تصادم الحيان وتخالف الفطرة البشريه .. بل تخالف مخالفة أساسية القرآن الكريم القائل :

﴿ انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ .

ان الآية تقر بأن خلق الانسان كان لأجل التعارف والتوافق لا لأجل التقاتل والصراع على البقاء .. كما أشارت الآية أيضا ان الذى يجب أن يتسابق فيه الناس هو شىء واحد .. وهو التقوى وتطبيق أوامر الله عز وجل .. نعم ! يوجد هناك بعض النفوس الشريرة التى تعطلت فيها اجهزة الاستقبال الفطرى ، تتصارع على البقاء فى هذه الدنيا وتتقاتل ، كما حصل ذلك فى الحربين العالميتين الماضيتين ، ولكنها تبقى دائما نفوسا خارجة عن الفطرة الانسانية هذا ما نوهت اليه الآية الكريمة الآتية :

﴿ ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ ..

اذن ان النفوس المتصارعة على البقاء هى النفوس التى دسها أهلها فى ظلمات الالحاد .. ومن هنا فقط نلتقى مع داروين فى أن بعض النفوس تتصارع لأجل البقاء .. ولكننا ـ فى الوقت نفسه ـ نخالفه فى تعميم هذا الحكم .

نخالفه لأننا نرى دائما نفوسا طاهرة تعمر ولا تخرب ، تجمع ولا تفرق ، ترحم وتتصدق ولا تغتصب ، بل تؤثر غيرها على نفسها ولو كانت

وأما القرآن الكريم يقرر لجميع الناس في كل زمان ومكان . أن الذنوب هي سبب هلاك الأمم فقط وليس هو الانتخاب الطبيعي المزعوم .

﴿ أفلم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون .. ﴾ (١)

﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ﴾ (٢)

انه مقياس رباني للأمور ليس مقياس الصلاح الذي يعتمد على الكثرة وليس مقياس المال ولا القوة ..

وانما الايمان والعمل الصالح وهما طريقا بقاء الأمم في الدنيا والخلود في الآخرة .. قال تعالى :

﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد الا قليلا من أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾

ولولا هذا المقياس الرباني ، كيف يتغلب الأصحاب على أهل الكفر والالحاد في غزوة بدر ... ولم يكن تعداد المسلمين كتعداد الكفار .. وليست عدتهم كعدة هؤلاء الكفرة .. ومع ذلك كانت الغلبة للأصحاب . انها آية من آيات الله وليس للانتخاب الطبيعي أن يتدخل في هذا الأمر ان صح هذا التعبير . اسمع ما يقول القرآن في هذه القصة العجيبة :

﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة .. يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾

وهكذا اتضح لنا ان الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح افتراء على تاريخ الانسان وتضليل لهؤلاء الدهماء السذج الذين لا يعرفون شيئا من هذا النور

---

(١) الاية في سورة الاعراف : ١٠٠
(٢) الاية في سورة هود : ٧٤
(٣) الاية في سورة هود : ١١٦

الرباني الفريد ..

وأخيرا : لا يجوز لمسلم أن يؤمن بهذه الخرافه المختلقه ، وكما لا يجوز له أن يتردد في بطلانه ولا يظن أبدا أنها ستكون صحيحة يوما ما . وبهذا نعلم يقينا أن الصراع الذى زعم الداروين أنه حتمى من حتميات التاريخ تطاول على التاريخ ، وقد فنده التاريخ الاسلامى ..

فلا شك أن داروين قد استلهم هذه الفكره من الشاردين الهاربين عن الدين . لأن الصراع فكره استعماريه نشأت فى عصر النهضه الاستعماريه التى كانت تعتمد على القوة وسيلة لغلبة القوى على الضعيف ..

فهى شريعة الغاب التى سارت فى الحروب الاستعمارية وانطبعت بها العقلية الغربية .. والصراع بغلبة القوى على الضعيف فكرة استعماريه لا أخلاقية ، تهدف الى الاستيلاء على موارد وممتلكات الغير والثورة والعنف ، وقد ظهرت نتائج هذه العقليه فى العقائد الأوربية التى سادت فى القرنين الماضيين وأدت كما قلنا الى حربين عالميتين والى الثورة الفرنسية والثورة الروسية والى ظهور الفاشية والنازية والشيوعية .

الصراع على البقاء فى هذه النظرية ، لا من أجل مثل ومبدأ انسانى أخلاقى . ولكن من أجل المادة وسيلة الناب والمخلب .

ان هذا فيه الكفايه للبيان أن الصراع لم يكن من حتميات التاريخ الانسانى وانما وجد ذلك فى فترة من فترات التاريخ الأوربى ... فعمم داروين هذا الأمر الخاص .. لحاجة فى نفسه ..

أما ناموس الوراثة :

هو ان الصفات العرضية التى تحدث فى الآباء بواسطة اختلاف الأحوال والأوساط المعيشية تنتقل الى الأبناء ، فتنشأ تلك الأبناء مختلفة فيما بينها ..

ومثلا ان النسل المتولد من الأقوياء قوى ، ومن الضعفاء ضعيف ومن تولد من ضعاف الصدر كان عرضة لمرض الصدر ، وهكذا دواليك ..

ولا يزال هذا الاختلاف بين الأولاد — على زعم داروين — يقوى على مر الأجيال والقرون ، حتى يستحيل ذلك الاختلاف المرضى الى اختلاف جوهرى توهم الرائى لها انها اختلافات نوعيه من أصل الخلقة ، وهى فى الحقيقة اختلافات بسيطة في مبدئها ، توالت عليها الحقب حتى ازدادت تأصلا فى الكائن الحى ونمت فيه فأدته الى مباينة الأصل الذى نشأ منه تمام المباينه .. حتى ان الرائى لهما يظنهما من نوعين مستقلين وهما من نوع واحد كما نرى ذلك فيما بين الحمار والحصان فانهما (على مقتضى مذهب داروين) من نوع واحد وانما اختلف الحمار عن الحصان هذا الاختلاف تبعا لمقتضيات الوسط الذى عاش فيه الحمار والجهاد المعيشى الشديد الذى بلي به .(١)

هذه هى القواعد الأربع التى بنى عليها داروين مذهب التطور والنشوء والارتقاء .

فما أحسن هذا الكلام من تفكير ؟ ولكن هل عند داروين دليل من العلم الحديث ؟

وقد أجاب عن هذا السؤال العالم الطبيعى " الكبير " ا. كرسى موريسون بقوله :

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣٠ — ٣١ وكتاب الآيات البينات للسلطان صالح بن غالب القمبطى ص ٦٩ ط راجع كتاب الاسلام ومذهب داروين ، محمد باشميل — ص : ٤٥

(٢) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص راجع أيضا الأخلاق ، موسوعة أحمد أمين الأدبية ص(١٠٩)

" ان القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثه (الجينات) ، وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقا ، أعنى عند الخلية ذلك الكيان الذى يحتوى الجينات ويحملها "•

اذن ان العلم الحديث يتنافى مع هذا المذهب السخيف لأنه ظنون وتخمينات ••• المعلوم ان طريق العلم هو البحث والتحقيق والاثبات والبرهان ، وطريق الفلسفة هو الظن والخرص والهوى ••

ان مسألة التطور يجب أن تتم دراستها فى البحث عن بقايا وهياكل الأحياء المنقرضة فى التاريخ الجيولوجى الغابر •• فهى الطريقة العلميه الوحيدة التى يمكنها أن تثبت أن شكلا ما تغير وتطور من عصر أقدم الى عصر أحدث •

أما التخيلات والأوهام التى يقول بها بعض من يدرسون الحيوانات والنباتات الحالية ويقارنون أعضاءها ببعضها ليقولوا انها نشأت من بعضها البعض ان ذلك يخالف قواعد العلم والبحث والتحقيق ••

وفى متاهات هذه الظنون المتناقضة يتفلسف داروين واعوانه ليقولوا ان أصل الانسان من قرد وهذا من جربوع وذلك من ضفدعه أو سمكه الخ ••

وبالاختصار ، فكل من يدعى أن شكلا من الأحياء نشأ من شكل آخر ينبغى أن يثبت ذلك بالأدله المستحاثيه طبقه فطبقه وشكلا فشكلا أو فى بعض الأحيان النادره كما فى مثال الذباب بطريقة علم الوراثه باجراء تجارب موضوعية يقينية •• ولكن حشا داروين أن يفعل شيئا من ذلك ••• ومن ثم يرفض العلم كل تخرصات الملحدين الذين تدور مقالاتهم كلها حول أصل الانسان من أحياء منحطة صغيره وهدفهم من ذلك نفى وجود آدم عليه السلام ومن ثم انكار الديانات السماويه وانكار الخالق عز وجل •

---

(١) العلم يدعو الى الايمان ا • كرسى موريسون ص ١٤٢

فالمسأله التى يدور حولها الحوار والنزاع هى فى النهايه وفي البدايه أيضا مسألة العقيدة والايمان بالله ، بخالق الكون والأحياء فيه ولهذا لاقت قضية التطور ونشوء الانسان مجالا رحبا واسعا تخطى آفاق اليقين التجريبي الى متاهات الشكوك والترهات والخرافات التى تزعمها الملحدون ٠٠٠

ان مبدأ التحكيم الى العلم الحديث هو الفيصل بيننا وبين الملاحدة ٠٠ لا لأنه ينقل الانسان الذى اكرمه الله تعالى من الظن والهوى و الخرافة والسخافة الى العلم والنظر واليقين فحسب ٠٠ بل لأنه يجرد كذلك الملحدين وأعوانهم من السلاح الذى يعللون به ضد المؤمنين ٠٠٠ فيكون العلم هو السلاح الذى يقترن بالايمان فى معركة الانسان المؤمن ضد ابليس اللعين ٠

انه لسلاح عجيب يجمع يقين الايمان بيقين العلم و دليل الحق بدليل البرهان ٠ وقد أشار القرآن الكريم فى اكثر من آية الى هذا السلاح القوى فقال :

* قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة * (١)

وبهذا تبقى هذه النظريه بدون برهان فيضاف الى مصاف الخرافات القديمه التى عرفت فى التاريخ الانسانى ٠

انى أعلم أن هذا التصريح سيثير غضبة كل من يريد أن ينتسب الى القرود والديدان ٠٠٠ ولكن الحقيقة يجب ان تقال ٠

وبعد هذا ننتقل الى استماع رأى الكنيسة فى الموضوع ٠

---

(١)

موقف الكنيسة من مذهب التطور

ولما ظهر هذا المذهب التطورى نشبت معركة من أعظم المعارك الفكرية في التاريخ الأوربى واشتط أصحاب النظرية فى موقفهم وتطرفوا الى حد انكار وجود الله وانكار الأديان جملة واعلان الحادهم الصريح . كما تطرفت الكنيسة وأشياعها فأعلنت كفر وهرطقة كل من لم يكن فى جانبها ..

وانتهت المعركة الى نتيجة مفزعة : فقد تزلزلت العقائد الدينية جملة ،وانتشر الالحاد وشاع بطريقة غريبة شاذة ...

ويكفيك أن تعلم من حملة رجال الدين على هذا المذهب التى استمرت فى ضراوتها الى نهاية القرن التاسع عشر ، مثلا : ان أسقف أوكسفورد ، وهو من اكبر العلماء ،أعلن ، فى خطبة ألقاها أمام مجمع تقدم العلوم البريطانى " أن داروين ارتكب أشنع جريمة حينما حاول أن يحدد مجد الله فى فعل الخلق " (١) وأن الكاردينال (ماننغ) قال " ان مذهب داروين هو فلسفة وحشية تؤدى عقلا الى انكار الاله " (٢)

وأن الدكتور (بوزى) كبير أساقفة ملبورن وضع كتابا حمل فيه على داروين واتهمه بأنه يزرع فى نفوس الناس بذرة الكفر وانكار الكتب السماوية " (٣)

وأن المونسنيور (سهغور) فى فرنسا قال عن مذهب داروين (انه من المذاهب المرذولة التى لا يؤيدها الا أحط النزعات وأسفل المشاعر ،فأبوها الكفر وامها القذارة .. " (٤) .

وفى ألمانيا أعلن بعض العلماء أن مذهب داروين يناقض كل فكرة موجودة فى الكتب المقدسة .

(١-٢-٣-٤) نقلنا هذه النصوص عن كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص ١٩٣ للشيخ نديم الجسر مفتى طرابلس.

وأعلن (لوناردت) استاذ اللاهوت فى لا يبزيغ (ان فكرة النشوء والارتقاء تناقض الحكمة الالهيه مناقضة تامه ، وان فكرة الخلق ملك الدين لا للعلم الطبيعى وأن كل الهيكل الأعلى للدين ، انما يقوم على مذهب الخلق ."

ودعا احد علماء اللاهوت فى سويسرا الى القيام بحرب صليبيه ضد هذا المذهب الخاطئ المفسد .. وقالت مجلة جامعة دبلن (ان داروين يبحث كيف يخلع الله عن عرشه).

ووصف العلامة الدكتور قسطنطين (جمس) فى كتابه (الدارونيزم أو الانسان القردى) الذى نشر فى باريس سنة ١٨٧٧ مذهب داروين بأنه (أسطورة اضحوكة) .

وقال الدكتور موفيلد من الجامعة نفسها : (ان التوفيق بين مذهب النشز وبين التنزيل غير ممكن ، وأن من يؤمن به ، ولو ثبت علميا ، يكون كافرا بالله ".

وقال الدكتور (لي) (أنه لا يمكن بأى اسلوب من اساليب التفسير أن نؤول لغة الكتاب المقدس بتوسع يحتمل القول بهذا المذهب ، ونعت داروين واتباعه مبشروا البلاليع القذرة .

وفى الكلية الأميريكية فى بيروت طرد الأساتذة الذين ظهر أنهم يقولون بمذهب داروين(١) .

وهكذا رأينا موقف الكنيسه من هذه النظريه ، وهى تقول انها ترفض حتى فى حالة ثبوتها علميا يقينيا ..

والواقع أن طبيعة الفلسفة المسيحية تجعلها اكثر الأديان تعرضا للانهيار فى حالة ثبوت النظرية ، صحيح أن الأديان كلها تؤمن بعقيدة الخلق المستقل لكن المسيحية تزيد على ذلك بأنها تجعل هذه العقيدة قطب الوحى للايمان المسيحى برمته .

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٤

فالمسيحية البولسيه والقسطنطينية ، تعتقد أن الله خلق آدم وحـواء ونهاهما عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر فأغوتهما الحية فأكـلا من الشجرة فارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر الا أن يرسل الله ابنه الفرد - *كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا* - الذى يعتبر بحق - عندهم - الأقنوم الثاني من الثالوث المزعوم ، فقتله الروم فى عهد (بيلاطس) بايعاز من اليهود ، على الصليب ليخلص البشرية من الخطيئة الموروثة عن أبيهم آدم عليه السلام .. وهذه العقيدة هى محور التعاليم الكنسية ولا يمكن بحال أن يعد المرء مؤمنا بالمسيحية ما لم يعتقدها ..

وبهذه الرؤية الصادقة عن عقيدة المسيحية لم يعد غريبا أن نجد النظريه تقض مضاجع رجال الدين الذين يرون أن التصديق بأن الانسان خلق بالطريقة التطوريه من الخلية الواحدة (الأميبا) الى القرد فالانسان معناه بكل وضوح نفى وجود آدم وحواء بل نفى الخطيئة الأولى التى أسس عليها التعليم المسيحى ...

والخلاصة أن الكنيسة ترى أن تعاليمها تناقض مذهب النشوء والارتقاء مناقضة صريحة حتى فى حالة ثبوت النظريه .. وقد رأينا تصريحات علمائهم كلها تدور حول هذه الفكرة وحدها .

وقد أحسن ويلز فى مقالته فى هذا الصدد :

" الحق أنه لم يخل عصر من العصور من متشككة فى المسيحيه ... على أن هؤلاء كانوا أناسا غير عاديين أما الآن (أى بعد نظرية داروين) فقد أصبحت كل المسيحية بوجه الاجمال متشككه اذ مست الخصومة كل انسان قرأ كتابا أو محاورة بين

أنكيــــاء (١).

وبعد هذا الموقف المرير من الكنيسه تجاه النظريه الداروينيه ، نـود أن نسمع أيضا شيئا ولو يسيرا من الطرف الثاني في المعركه وهو طرف الملاحده الذين اتخذوا النظريه سندا علميا للالحاد الذى اخترعوه ..

موقـف الملاحده من النظريـة

ان الملاحدة ـ بصرف النظر عن عدم ثبوت النظرية علميا ـ قد اتخذوها قاعدة من القواعد الثابتة التى لا يزيغ عنها الا هالك ... واليك شيئا من تصريحاتهم :

يقول ماندير : " لقد ثبت صدق هذه النظريه ، حتى اننا نستطيع أن نعتبرها أقرب شىء الى الحقيقه " (٢)

ويقول (سمبس) فى هذا الصدد :

" ان نظرية النشوء والارتقاء حقيقه ثابته اخيرا وكليا ، وليست بقياس ، أو (فرض بديل) صيغ للبحث العلمى " (٣)

ويعتقد محرر دائرة المعارف البريطانيه ١٩٥٨ : أن نظرية الارتقاء فى الحيوانات " حقيقة وأن هذه النظريه قد حظيت بموافقة عامة بين العلماء والمثقفين بعد داروين" (٤)

---

(١) معالم تاريخ الانسانيه تاليف ويلـز ج ٤ ص ١١٣ ومابعدها

(٢) Clearer Thinking p.56 IBLA. p. 113

(٣)

(٤) Meaning Of Evolution p. 127

نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٥ .

هذا ن موقفان متضادان أو متناقضان بأدق الأسلوب :

الكنيسه تقول : أنا لا أؤمن بالمذهب التطورى ولو أصبح حقيقة علمة يوما ما ..

الانسان القردى: لماذا هذا أيتها الكنيسه المسكينه ؟

الكنيسه : لأن هذا المذهب يخالف عقيدتى بالخطيئة الأولى التى تعتبر قطب الرحى للعقيدة المسيحيه الحاليه ؟

الانسان القردى : أنا لا أترك هذا المذهب أبدا ولو يدى لى بطلانها

الكنيسه : لماذا هذا أيها الانسان القردى المسكين ؟

ان المذهب جاء ليبقى لأنه يخالف الخلق المباشر الذى تعتقده المسيحيه ..

ان هذا الحوار البسيط بين الكنيسه والانسان القردى الملحد يبين أن كل واحد منهما خالف قواعد مذهبه .

فالكنيسه خالفت قواعد الأديان الصحيحه ، منها :

أن العلم الصحيح لا يتعارض مع دين صحيح لأن الدين بدون علم أعمى والعلم بدون دين أعرج ..

الذى ينبغى لصاحب الدين أن يطالب أصحاب النظريات أن تأتى بالبرهان كما قال تعالى : ﴿ فأتوا برهانكم ان كنتم صادقين ﴾(١)

﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ﴾(٢)

وأما ان يتعصب صاحب الدين لعقيدة معينه بعد وضوح الدليل العلمى الذى يخالفها ، فهذا خروج عن قواعد الدين نفسها ..

هذا ما فعلته الكنيسة .. انها لم ترفض النشوء والارتقاء لكونها باطلة فحسب ولكن لكونها لا تتمشى مع عقيدتها التى تبنتها ..

فالدين الاسلامى لا يؤيدها على ذلك يقول : " الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها " .. ولكن الكنيسة رفضتها قبل البحث عن حقيقتها ..

---

(١) سورة البقرة اية : ١١١
(٢) سورة آل عمران الاية : ٩٣

والانسان القردى الملحد كذلك خالف قواعد العلم الحديث التى تقول :
ان العلم الحقيقى ما يدخل تحت التجارب الحسية والملاحظات .. هل هـذا
المذهب الداروينى ما ينطبق عليه هذا الشرط ؟ الجواب : لا

اذن ان هذين الموقفين متطرفان . فكل واحد منهما يحارب الطرف
الآخر فـي عماية وجهالة بغير علم ..

فالكنيسة مخطيئة فى رفضها كل فكرة صحيحة ما دام تخالف معتقداتها ..
والانسان القردى الملحد مخطىء فى تبنيه هذه الفكرة بدون دليل علمى ..

هذا ما صرح بـه بعض المنصفين من الغربيين . يقول (ستيوارت تشيس) :
" أيد علماء الأحياء جزئيا قصة آدم وحواء كما ترويها الأديان ... واذا
تواريخ سفر التكوين فى التوراة خاطئة وحوى كثيرا من الحذف والتهذيب والبيان
الشاعرى فان الفكرة صحيحة فى مجملها " (١)

وليت شعرى ماذا سيقول هذا الرجل لوقرأ القصة كما وردت فـى
القرآن فى آيات كثيرة منها :

﴿ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح لك ونقدس لك قال انى اعلم
ما لا تعلمون .. وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى
بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انـك
قال يآدم انبئهم بأسمائهم فلما
أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون ﴾ (٢) .

أوقوله تعالى : ﴿ الذى أحسن كل شىء خلقه ﴾

---

(١) الانسان والعلاقة البشرية تاليف ستيوارت تشيس ، ت / احمد حمودة ،
مصر ١٩٥٥ م
(٢) سورة البقرة الآيات :

أى خلق الله تعالى كل مخلوق على أتم وجه وسخر له كل الأعضاء والوسائل التى تمكنه من العيش فى الوسط المقدر له ... اذا تغير الوسط الذى يحف بالكائن كأن صار بحرا بدل البر فاما أن ينجو بنفسه عن طريق السباحة أو يموت ويندثر .. ولكن هذا التغيير أبعد ما يكون بأن يجعل الحيوان البرى مائيا كأن يجهزه بغلاصم (12) تتنفس كالسمك كما يدعيه داروين.. ان هذا الكذب واضح .. ولنضرب مثلا بداروين نفسه : ولو جعلناه فى الماء هل يستطيع أن يعيش فيها كالسمك وبتعبير آخر هل يستطيع الانتخاب الطبيعى أن يعطيه أجهزة السمك .. لا ! بل يموت فورا ان لم يحسن السباحة ...

اذن ليس هناك شىء يسمى الانتخاب الطبيعى بل هناك الانسجام والاحسان كما أشارت الاية الكريمة .

ان الذى يقرأ هذه الآية كيف يؤمن بعدها بخرافات داروين وولاس حيث يقولا ان طول رقبة النعامة او الزرافة سببه طول الاشجار وذلك ان تأثير الوسط الذى يعيش فيه المخلوق هو الذى يغير شكله ..

نقول ان هذا كذب وبهتان .. بل المعقول هو أن طول أعناقهما تابع الى ارتفاع قوائمهما ، اذ لو كانتا أقصر مما عليه ما كانت تتمكن من شرب الماء على ظهر الأرض وأكل النباتات القصيرة التى لا ساق لها .

وبهذا يبدو جليا ان هذه النظرة لا أساس لها من الصحة وانما اعتنقها الملاحدة فرارا من الخلق المباشر الذى تبنته الكنيسة .

وقال ر . س لل :

" ظلت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد ، يوما بعد يوم بعد داروين ، حتى أنه لم يبق لدى المفكرين والعلماء شك فى أن هذه هى الوسيلة المنطقية الوحيدة التى تستطيع أن تفسر

عملية الخلق وتشرحها "(١) .

وبعد هذه التصريحات من الملاحدة على مختلف تخصصاتهم ، لا يبقى خافيا عنا أن المعركة كانت معركة عنيفة بين الفريقين .

فكل منهما يدّعى أن صاحبه ليس على شيء .. تقول الكنيسة أنها ترفض رفضا باتا هذا المذهب .. لأنه يريد (أن يخلع الله عن عرشه) والملاحدة يقولون : ان المذهب هو التفسير الوحيد لعملية الخلق ..

ان هذا الموقف المتأزم يقتضينا أن نرجع سريعا الى موقف العلم الحديث لنرى موقفه فى هذه التصريحات .. ثم ننظر فى موقف بعض المفكرين الاسلاميين من المذهب . ثم نبدئ رأينا الخاص فى الموضوع .

أولا — موقف العلم الحديث من نظرية داروين :

ان هذه النظرية التى اجمع العلماء الملاحدة على صحتها ، هل لاحظها أحدهم أوجربها فى معمله ؟ ... والجواب : لا ! هذا الذى دفع " السير آرثركيث " الذى يعتبر محاميا متحمسا لنظرية الارتقاء — أن يسلم بأن هذه النظريه ليست بملاحظة أوتجربة . وانما هى مجرد عقيدة . ومن كلماته :

" ان نظرية الارتقاء عقيدة أساسية فى المذهب العقلى "(٢)

وعرف أحد المعاجم العلمية نظرية داروين بأنها : " نظرية قائمة على تفسير بلا برهان "(٣) .

---

(١) Organic Evolution, P. 15

(٢) Revolt Against Reason, P. 112

(٣) Ibid, P. 111

نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٦

وقد سئل الاستاذ (ديتار سبارليسن)(النمساوى) المختص فى علم الموروثات : " هل صحيح أننا لا نعلم الى الآن كل الحلقات الوسيطة فى تطور الانسان انطلاقا من الحيوان ؟ "

فأجاب الاستاذ : "طبعا . فهو قريب الاحتمال أننا لن نعرفها أبدا " .

ويقول الأستاذ (بيار بيبارسون) الفرنسى فى كتاب " أصل الانسان " :

" ويعتمدون — بدون حجة علمية على احتمال وجود انسان فى العهد الثالث وعلى الحلقات المفقودة فى السلسلة الرابطة بين القرد والانسان "

يقول الدكتور الكسيس كاريل :

" لقد أصبح جليا أن تقدم كل العلوم المتعلقة بالانسان لا يكفى لاشباع احتياجاتنا عنه ؟ وبايجاز شديد ، ان علمنا عن ذاتنا لا يزال فى حال بدائية " (٢) .

يقول عباس محمود العقاد :" واذا رجعنا الى مكان مذهب التطور من العلم لم نجد من يحسبه علما قاطعا مفروغا من اصوله وفروعه . وأكبر أنصاره لا يدعى له أكثر من أنه صحيح فى بعض ملاحظاته ومقارنته " .

ومن أشهر التطوريين المحدثين " ليكونت دى نوى " وهو فى الحقيقة صاحب نظرية تطورية مستقلة ، ومع ذلك فهو يقول :

---

(١) لله العلم ، بشير التركى ص ٦٥

(٢) الدكتور الكيسيس كاريل فى كتابه :

راجع الدين ، وحيد الدين خان ص ٨٧

راجع الاسلام ومشكلة الحضارة ، سيد قطب ص :

(٣) عباس محمود العقاد ، عقائد المفكرين ص ٧٢

" أما تطور الكائنات الحية بجملتها فانه يناقض علم المادة الجامدة تناقضا تاما وهو يتنافى مع المبدأ الثانى من مبادئ علم القوة الحرارية وهو حجر الزاوية فى علمنا المرتكز على قوانين المصادفة فلا سبب التطور ولا حقيقته يدخلان فى نطاق علمنا الحاضر وليس من عالم يستطيع انكار ذلك " (١)

ان كان هذا موقفا من مواقف أنصار الداروينية ، فكيف يكون موقف المعارضون من العلماء الغربيين أيضا :

يقول كريسى موريسون " ان القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة (الجينات) وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقا أعنى عند الخلية " (٢) .

أما (انتونى ستاندن) فى كتابه " العلم بقرة مقدسة " ينفى فيه أن تكون حلقة واحدة مفقودة بل هناك حلقات كثيرة مفقودة ان كانت هناك حلقة فقدت . يقول : " انه لأقرب من الحقيقة أن نقول ان جزءا كبيرا من السلسلة المفقودة وليس حلقة واحدة بل اننا نشك فى وجود السلسلة ذاتها " (٣)

وهذا أوستن كلارك ينفى قطعيا المذهب التطورى فيقول :

" لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيا من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره ، أن كل مرحلة لها وجودها المتميز

---

(١) انظر العلم أسراره وخفاياه مقدمة جـ ٣ هارولد نابلى وزميلاه ، ت/الفندى وزميله ، مصر ١٩٧١ م

وراجع كتاب تاريخ العالم ، جـ ١ فصل نظرية التطور

وراجع أيضا مصير الانسان ص ٣٦٣

(٢) موريسون كريسى : العلم يدعو للايمان ص ١٤٧

(٣) مذهب النشوء والارتقاء ، ص ٢٣ ، منيرة على الغاياتى تقديم محمد البهى ، مصر ١٣٩٥ هـ .

الناتج من عملية خلق خاصة متميزة ، لقد ظهر الانسان على الأرض فجأة وفى نفس الشكل الذى نراه عليه الآن " (١)

وهكذا رأينا أن انصار الداروينية ومحايديه اتفقوا على أن المذهب لا يؤيده العلم الحديث وانما هو مجرد افتراض وتخمين ، مما يبدو جليا أن الملاحدة لم يعتنقوا هذا المذهب لأجل كونه من الحقائق العلمية وانما اعتنقوه للتعصب ضد الكنيسة ولشهوة الالحاد والحرية المطلقة والتخلص من نير الكنيسة .. هذا ما أشار اليه بعض أنصار الالحاد ..

ولقد كفانا السير آرثركيت فى اثبات هذه الحقيقة حيث يقول :

" ان نظرية النشوء لا زالت حتى الآن بدون براهين وستظل كذلك والسبب الوحيد فى أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الايمان بالخلق المباشر وهذا أمر غير وارد على الاطلاق " (٢)

وأيده فى ذلك واطسفيقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار والاستدلال المنطقى ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور " (٣)

ويقول د. هـ سكوت : " ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى لو أصبحت عملا من أعمال الاعتقاد " (٤)

وبعد هذا نود أن ننتقل الى آراء بعض الاسلاميين فى هذا الموضوع .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) المصدر السابق : ٦ ـ ٧

مواقف مفكرين اسلاميين من الداروينيـــة

ان الباحثين الاسلاميين في نظرية داروين لم يتفقوا على رأى واحد بل لهم آراء مختلفة .. ومن أهمها رأيان أساسيان :

أولهما : رأى يرفض هذه النظرية ،بدليل وجود تعارض بينها وبين النصوص القرآنية المتعلقة بخلق آدم عليه السلام ..

وأما الرأى الثاني : لا يرى أى تعارض بينهما بدليل أن النصوص التـــى وردت في القرآن والتى تتعلق بخلق آدم ،نصوص غير صريحة يفهم منها الخلـــق المباشر والخلق المتمهل على حد ســواء ..

فاليك نموذجا من أدلة كل من الفريقين :

أولا :ــ الرأى المعارض :

أصحاب هذا الرأى وهم ــ الجمهور ــ يرون التناقض بين هذه النظرية وبين تعاليم الاسلام .

فلندع الكلام للشيخ محمود شلتوت ليتكلم :

يقول : " ان نظرية التطور ،لم يدل عليها برهان ، ولم يشهد بصحتها حسّ أو تجربة ، وقد قرر الدين ، رفض كل الفروض التى من هذا القـبيل فلا غرو اذن أن يرفض نظرية التطــور ... "(١) ثم قال فضيلته :

ان نظريــة التطور تخالف صريح القرآن لقوله تعالى :

﴿ لقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾(٢)

هذا بالنسبة لجوهر النظرية ، وأما القوانين الأربعة التى أشار اليهـــا داروين ، فيرى الأستاذ الدكتور المهندس (حسن زينو) الذى أخذ الدكتوراة فى الجيولوجيا والتنقيب ، أن هذه القوانين باطلة لمعارضتها للنص القرآنـــى

---

(١) أنظر كتاب " الفتاوى " لفضيلة الشيخ محمود شلتوت صفحة ٣٦٩ ومابعدها طبعة الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالأزهر (جمادى الآخرة ١٣٧٩ هــ ديسمبر ١٩٥٩ م).

(٢) سورة الحجر الاية : ٢٦

وبيان ذلك أن خلاصة القوانين الأربعة هى أن الطبيعة وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء ومؤهلات حفظ النوع ، باضافة أعضاء أوصفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة بدون أى تدخل خارجى .

ان هذا — لا شك — ينفى (أولا) تدخل الله في عملية التطور المزعوم . كما يدل على أن الكون يتخبط خبط عشواء بدون حكمة ولا غاية (ثانيا) وكما يلغى جميع التكاليف الربانية عن الانسان (ثالثا) لأنه جاء فى هذه الدنيا عن طريق هذا التطور الأعمى ، ولم يخلقه خالق فكيف يعبد الها ؟ . ولما كانت القوانين والحالة هذه قال الدكتور (حسن زينو) : ان ذلك يتنافى مع قوله تعالى :

﴿ الذى أحسن كل شىء خلقه ﴾ (١)

﴿ قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ﴾ (٢)

لأن الآيتين تدلان على ان الله تعالى خلق كل شىء على أتم وجه وسخر له كل الأعضاء والوسائل التى تمكنه من العيش في الوسط المقدور له .. وليست البيئة التى تكيف الكائنات الحية كما يدعى داروين ذلك .. (٣)

هذا ما أشار اليه الاستاذ ، فاذا جاز للملحد أن ينكر القرآن فلا يجوز لمسلم قرأ هاتين الآيتين ثم يشك في بطلان هذه القوانين المصطنعة .. فالاية صريحة في أن الله تعالى قد أعطى كل مخلوق ما يحتاج اليه من أعضاء وهو في بطن أمه ..

(١٤)

فهو الذى جعل (الخلد) مثلا ، يسكن تحت الأرض لكونه خلق دون عينين .. ولكن داروين يقول : لا ! .. ان سكناه تحت الأرض كان سببا لمحوهما ومحو أثرهما .. لأنه لا يحتاج الى عينين ..

ان هذا المثال البسيط يبين الفرق الأساسى بين الفكر الالحادى

---

(١) سورة السجدة اية : ٧
(٢) سورة طه آية : ٥٠
(٣) التطور والانسان د . (حسن زينو) ص

وبين الايمان بالله تعالى .. ثم ضرب الاستاذ مثلا آخر وناقشه فقال :

" من حكمته البالغة أن جعل الأفاعي تسلك في المسالك الضيقة لأنها خلقت دون أطراف فهيأ الله لها هذه الأماكن لمناسبة حالها .. وأما داروين وأعوانه يقولون : لا ! ان المسالك الضيقة هي التي صيرتها دون أعضاء ..

فأضاف قائلا : ان كان جسد الأفاعي صار أملسا من ضيق المسالك فأي ضيق في الماء جعل ديدان الماء ملساء ؟

ولِمَ لَمْ تنبت للسمك أيادي وأرجل طوال ؟

ولماذا لم يكن جسد من يسكن الأرض كالخرباء والفأر والنمل والقنفذ وما أشبهه كجسد الأفاعي أملس؟

هذا ما قاله الدكتور من أن هذه القوانين التي اخترعها داروين ، قوانين باطلة لا يؤيده الواقع الملموس ولا يؤيده النقل الصحيح بل لا يؤيده العلم الحديث فلذلك قال :

" قد تبين من دراسة علم الوراثة أن الهيكل الأساسي للكائن الحي ليس سببه العوامل الخارجية وانما من أصل ذاتي حسب اقتران الصبغيات (15) والناسلات لكل نوع وحده " (١)

من العلماء الذين عارضوا مذهب داروين الشيخ (سعيد حوى) في كتابه " القيم والله جل جلاله " قال :

" وقد ذكرنا هذه المقدمات ، لأن دارس ظاهرة الحياة لا بد أن يطالبنا بتوضيح الرأي الصحيح في نظرية التطور ، كنظرية تحلل تنوعات الأحياء ، وظهور الانسان ، واليك ما نقول في هذا الموضوع :

---

(١) يراجع كتاب التطور والانسان د . حسن زينو ص :

(١) ـ ان القول بأن انساننا الحالي الذى أتى من أب واحد ، وأم واحدة كان متحدرا من قرد خطأ ، لا شك فيه ولا ريب ، نقول هذا بلغة العلم ولغة القرآن ، ولا يتناقضان (١) :

أما بلغة القرآن فلأن الله تعالى يقول : ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٢)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ان الله عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم : الأحمر والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن ، والطيب والخبيث " قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وقال عليه السلام : " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس ، فقال : الحمد لله ، فحمد الله باذنه ، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ، اذهب الى اولئك الملائكة ـ الى ملأ منهم جلوس ـ فقل : السلام عليكم ... فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه فقال : ان هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم " .

وأما بلغة العلم :

ان التاريخ كله ، كل سفر فيه ، وكل حجر من أحجاره ، وكل رواية يتناقلها الأبناء عن الآباء تذكر أن أبا البشر آدم .

(٢) ـ الفوارق الكبيرة بين الانسان والقرد أو أى حيوان آخر ، تثبت أنه لا صلة توالدية بين الانسان الحالي وأى حيوان ، هذه الفوارق التى تبدأ من الناحية الجسمية وتنتهى عند الأخلاق وبين ذلك الفكر والعلم والارادة ... الخ

---

(١) الله جل جلاله ، سعيد حوى ص ٤٩ ـ ٥٠

(٢) سورة آل عمران آية : ٥٩

ثم قـال :

" وهذه القضيــة هى التى جعلت حتى بعض أنصار داروين " كوالدس " يقول : (ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعى لا يصدق على الانسان ولا بد من القول بخلقه رأسا) " .

وقال " فرخـو " : (انه يتبين لـنـا من الواقع أن بين الانسان والقرد فرقا بعيدا ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان من سلالة قرد أو غـيره مـن البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك) .

(٣)ـ ان اكتشاف الكرموسومات (الصبغيات) وهى العامل في انتقال الصفات الوراثية ، جعلت العلماء يتحرجون بادعاء ، أن الانسان منحدر من قرد ، وذلك أن هذه العرى الملونـة ، لها عدد ثابت فى كل نوع من انسان أو حيوان حيث بها يختلف النوع ويتميز الجنس(١) .

وبعد هذا التقرير الواضح يقول :

" واذا كان العلم والقرآن يقولان بما أسلفنا ، فلا كلام لغيرهما بل ولو شك العلم وقال القرآن ، لما كان عاقل الا مع القرآن ، وذلك لأن الله الـذى خلق الانسان ، أعلم به كيف خـلق .. "

﴿ ما أشهدتهم خـلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ (٢)

* * *

وأما الاستاذ (محمد قطب) يرى أن النظرية تتعارض مع الاسلام مـن ناحية الايحاءات .. فانها توحى الى عدة أشياء لا تتفق مع ديننا الحنيف .

---

(١) المرجـع السابق ص ٥٠

(٢) سورة الكهف آية : ٥١

منها الايحاء الى مادية الانسان وحيوانيته : (١)

وقد أجمع الداروينيون على الانسان انه حيوان مادى لا فرق بينه وبين أى حيوان آخر .. مثل البراغيث والفيران والضفادع فهذا جوليان هكسلى يقول :

" من المسلم به أن الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر " (٢)

ومنها الايحاء الى نفي تدخل الله في الخلق .. وقد رأينا سابقا أن داروين قال :

" ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة فى وضع ميكانيكى بحت " (٣)

منها الايحاء الى نفى الغاية والقصد .

توطئة :

ان من الحقائق التى اتفقت عليها الأديان السماوية وآمنت بها العقول السليمة وتدركه الفطر السليمة ،أن للوجود الانسانى على الأرض غاية مقصودة أرادها خالقها .

فكل ذرة من ذرات هذا الكون المادى تشهد بذلك . بل ان كل الكترون أو بروتون شاهدة على ذلك..

فلذا نجد رسالات الله ، لم تأت لاثبات هذه الحقيقة بل للتذكير بها وايضاح ما قد يخفى منها على العقول ..

يقول تعالى :﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم الينا لا ترجعون ﴾ (٤)

فلذلك كان الفلاسفة القدامى ركزوا جهودهم على الخوض فى العلل الغائية للأشياء ليبنوا عليها نظرياتهم الفلسفية عن الكون والحياة ..

* * *

---

(١) التطور والثبات في حياة البشرية محمد قطب ص ٤٩
(٢) معركة تقاليد ، محمد قطب ، ص ٥٢
(٣) التطور والثبات ، محمد قطب ص ٤٩
(٤) سورة المؤمنون آية : ١١٥

فلما ظهرت نظرية التطور العضو الدرويني ، ونادت بأن الانسان وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة ، بدأت من جرثومة في مستنقع آسن وانتهت في خط سيرها المتخبط الى صورته الراهنة (١) ، لم يعد هناك ما يدعو الى التفكير في الغاية من خلق الانسان ..

فلذا قال داروين : " ان الطبيعة تخبط خبط عشواء " ..

أى ليس هناك قصد ولا غاية ولا حكمة للوجود الانساني ومن العبث أن نبحث عن غاية مرسومة وهدف مقصود لعملية الخلق " .

ويشهد الفيلسوف الملحد (برتراند رسل) بالأثر الداروينى فى هذه الحقيقة ، اذ يقول :

" بالرغم من أنه لا يزال فى امكان الفيلسوف أو عالم اللاهوت أن يقول ان لكل شىء غرضا ظهر أن الغرض ليس فكرة نافعة حين نبحث في القوانين العلمية ، وقد قيل في الأناجيل ان القمر قد خلق لتنير بالليل ولكن العلماء مهما كانوا متدينيين لا يعتبرون ذلك ايضاحا علميا لأصل القمر ولقد كان عمل داروين فاصلا بهذه المناسبة .. فالذى فعله جاليلو ونيوتن من أجل علم الحياة .. "

" ان الذى جعل من الممكن تفسير التكيف دون الكلام عن الغرض لم يكن حقيقة التطور بل كان الميكانيكية الداروينية كما تتضح من تنازع البقاء وبقاء الأصلح فالاختلاف الاعتباطي واختيار الطبيعة لا يستخدمان الا العلل الصورية " (٢)

هكذا رأينا الداروينيين قد اتفقوا على نفي الغاية والقصد لخلق الانسان ..

ان هذا بدون أى شك مما يتعارض مع تعاليم الاسلام المبنية على نفي العبث عن الخلق والخالق ..

نحن لا نناقشهم أكثر مما نقول ..

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد على البار ص ١٠

(٢) أثر العلم فى المجتمع ، برتراند رسل ، ت/ تمام حسان ، مصر ص ١٢ ، ١٣

اذا لم نر مصانع تصدر الدائرات بدون قصد وغاية فكيف نسلم بأن هذا الخلق ليس لها قصد ولا غاية :

﴿ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور ﴾ (١)

ان هذا الايحاء (بمعنى نفي القصد والغاية عن الخلق) أصبح منتشرا في جميع العلوم الغربية .. لذا أهملت فكرة (الغائية) ، بعد ظهور الداروينية ، فى البحوث العلمية الحديثة ، من علم الطب والفلك والجيولوجيا والاحياء وسائر العلوم .

ومنها الايحاء الى (الصدفة العمياء) :

فقد أوحت هذه الفكرة الى اعتناق فكرة الحادية هزيلة لا قيمة لها ولا وزن فى حساب العلم .. تلك هى فكرة المصادفة العمياء ..

ولو لم يكن هناك ايحاء آخر غير هذا الايحاء لكان كافيا للمسلم أن يرد هذه النظرية الملحدة ..

لأن كل تفسير للتاريخ الانسانى وللتطور الاجتماعى ، يغفل ارادة الله وقدره وتدخله المباشر فى حياة البشرية ، هو تفسير قاصر ، لا يفسر حقائق الوجود ، بل هو تخمينات وظنون ، لا سند لها من علم ولا برهان . قال تعالى :

﴿ ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ (٢)

ومنها الايحاء الى ترك عبادة الله تعالى :

ولقد صارت هذه النظرية سببا مباشرا لصد الناس عن الاستماع لوحى الله عز وجل ، لأنها توحى بأن الله لم يخلقهم وانما جاءوا على الأرض نتيجة من التطور الحيوانى الأصم .. وبهذا أنكر الملاحدة الرسالات والرسل أصلا بل

---

(١) سورة الحج آية : ٤٦

(٢) سورة النجم آية : ٢٨

لجـوا فى غـيّـها الى انكار وجود الله وعرضوا عن جميع الآيات الدالـــة علـى الالــه .

﴿ وان يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتـنا وكانـوا عنها غـافلين ﴾ (١)

آثار الداروينية فى الحياة الأوربيـة

ولقد كانت النتيجـة المنطقيـة لانتصار الداروينية على المسيحية ، أن عمت فوضى فى عقائد الناس في المجتمعات الأوربيـة وانتقلت منها الى بقاع الأرض الأخرى وصارت أفكارهم خاضعة للمادية والحيوانية ، وتخلت جموع غفيـرة عن ايمانها باللـه تخليا كاملا أو شبه كامل وطغـت على الحياة الأوربيـة الأفكـار الالحادية الغريـبة ..

ولئن بقى فى الغرب أثارة من دين وسط التيار المادى العارم .. فانهـا " غـلالة " رقيقة لا نحسب أنها تصمد طويـلا .. ودليل ذلك احصائيات كـثيرة .. ودليله كذلك لجـوء رجال الدين في الولايات المتحدة مـن أجل ترويج بضاعتهم الى وسائل لا تتفق أبدا مع الدين .. وهو ما يحـدث من دعوتهم الشباب من الجنسين عقب الصلوات الى حفلات راقصـة .. تخفف فيها الأنوار وتتلاصق الأجساد ، وتـنطلق الأنغام خافتة حالمة .. توقظ الرغبة ، وتشعل الشهوة .. (٢)

هذا هو مصير المسيحية بعد ظهور هذه النظرية .. وتلك هى آثارهـا المدمرة .. حتى أصبح الشيطان هو المعبود في أوربا أولا وفي الأرض ثانيا .. ان دعاة المادية الملحدة قد أوهموا الناس أن الانسان حين يلقى عنه عبادة الله

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٦

(٢) أساليب الغزو الفكرى ، د . على محمد جريشة ، ومحمد شريف زيبق ص ٨

سيصبح سيد نفسه ، ويصبح هو (الله) ! يقول أحد كتابهم الملحدين — وهو جوليان هكسلي — في كتاب " الانسان في العالم الحديث " :

" لقد تعلم الانسان وأصبح مسيطرا على البيئة ولم يعد جاهلا بالكون ولا عاجزا عن السيطرة على طاقته كما كان من قبل ومن ثم فقد آن للانسان أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل في عصر الجهل والعجز — على عاتق الله ، ويصبح هو " الله " (١) ! وهذا مصداق قوله تعالى :

﴿ كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى .. ﴾ (٢)

* * *

انطلاقا من هذا التفكير الشارد صار الناس في أوربا عبيدا للطغاة بصورة لم يشهدها التاريخ سواء طغاة الرأسمالية في الغرب أو طغاة الشيوعية في الشرق ..

عبدت أوربا الشيطان بطرق متعددة :

عبدته عن طريق عبادة الطبيعة ...

يقول داروين ، نبي هذه العبادة :

" ان الطبيعة تخلق كل شيء ولا حدّ لقدرتها على الخلق " .

وعبدته أيضا عن طريق عبادة الانسان .. وقد رأينا الفيلسوف اليهودي نيتشه قائلا : ان الاله قد مات وأن الانسان الأعلى (سوبرمان) ينبغي أن يحل محله ..

وعبدته عن طريق عبادة المادة .. وكان نبيّها يهوديا أيضا وهو كارل ماركس في الديانة التي تدين بها اليوم الملايين من البشر .. في الاتحاد السوفييتي وما حولها ..

---

(١) مقرر علم التوحيد ، وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية للصف الثالث الثانوي ص٥٣

(٢) سورة العلق آية : ٦ — ٧

كما عبدته أيضا عن طريق عبادة " الجنس " .. وكان اليهودى فرويد هو بطل هذه المباد ..

وعبدته مرة أخرى عن طريق عبادة المجتمع التى دعى اليها الملحد دوركايم ..

وهكذا نجد أن نظرية التطور أسهمت اسهاما عظيما في هدم العقيدة الدينية وابعادها عن الحياة الاجتماعية كلها ..

وعبدته عن طريق عبادة الآلة .. هى التى تحركهم وتسيرهم وتكيف أفكارهم ومشاعرهم . وصار الناس عبيدا للشهوات تملكهم ولا يملكونها .. وتدمر حياتهم ولا يستطيعون استنقاذ أنفسهم منها .. سواء شهوة الجنس أو الخمر أو المال أو السلطان ..

وبعبارة موجزة أصبح الانسان - في ظل هذه النظرية - عبدا للشيطان ..

ولأجل هذا كله قال علمائنا - كما سبق - أن هذه النظرية كما تصادم النصوص القرآنية ، تصادم ايحاءاتها الفطرة الانسانية أيضا . والدليل على ذلك انغماس أوربا في هذه الشهوات المدمرة التى ذهبت بكرامة الانسان وعزته ورفعته وحريته ..

بل يكفى دليلا على ذلك فساد أخلاق الناس فى أوربا ، والعزلة الفردية والأنانية التى يعيشون بها ، وغلبة المنافع المادية عليهم - أفرادا وشعوبا ، أو دولا أو تكتلات - ولو خالفوا فى سبيل ذلك للوصول اليها كل القيم والمبادئ والأخلاق . وخذ مثلا - قضايا الاستعمار والتمييز العنصرى نماذج للأخلاق المعاصرة المنبثقة عن التطور الحيوانى .

وخذ كذلك قضية فلسطين التى أصبحت بين المستعمرين تارة نسمع هناك مبادرة أمريكية ، وطورا نسمع مبادرة أوربية ومرة أخرى نسمع دورا سوفيتيا . وهكذا دواليك .

فمرجع كل هذه الأخلاق الثعلبية ، حيوانية الانسانية وماديته ... اللتان توحى اليهما هذه النظرية .

وأما أحوال الانسان الأوربي فيكفي شاهدا عليها الاضطرابات النفسية والعصبية والجنون والقلق والانتحار ، ومحاولة الهروب من الواقع بالادمان على المسكرات والمخدرات .

ويكفي شاهدا عليها معدل انتشار الجريمة وهو معدل يتزايد باستمرار . وسوف نتحدث عنه في الباب الذى سنعقده تحت عنوان آثار الالحاد في أوربا الحديثة ..

ويكفي شاهدا عليها الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الواقع على جمهرة أهل الأرض تحت أسماء براقة من الديمقراطية والاشتراكية والعدالة والحرية والاخاء والمساواة ...

تلك هي بعض نتائج المذهب التطوري الذى أبعد الناس عن عبادة الله وهذه هي جناية النظرية المادية التي رجع بها الانسان الى الحضيض لافرق بينه وبين أى بعوض أوأى حشرات . بل سيصبح حسب هذه النظرية جرادا منتشرا وتصبح الجراد أصحاب القوانين الدولية وملاك البنوك وأصحاب البرلمانات والندوات ..

وأخيرا يقول الملحد جوليان هكسلي الكلمة الختامية لنظرية داروين ، تصور لنا مدى الانحطاط الذى بلغ اليه الانسان بعد هذه النظرية وهو يقول : " بعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا .. " (١)

وداروين لم يكتف بأن جعل بين الانسان وبين القرود أخوة ، بل زعم أن الجدّ الأصلي لآدم هو (أميبا) جرثومة صغيرة كانت – بعد ما سقطت من بعض الكواكب – تعيش في طين المستنقعات التي تتصاعد منها الغازات الكبريتية الرائحة ، وذلك قبل ملايين السنين .. على حد زعمهم ..

* * *

---

(١) معركة التقاليد ، محمد قطب ص ٥٢

ان الأمانة العلمية تقتضينا أن نقول ان داروين لم يصدر أحكاما مستقلة على الانسان ، ولكن ايحاءات النظرية -كما قلنا توحي الى هذه النتائج المدمرة .

ثم الذين جاؤا من بعده زادوا الطين بلة ..

ذلك أنهم تلقنوا النظرية أصلا بدوافع مفرضة ووجهوها لتخدم أهدافا خفية .. كانوا - ولا يزالون ينفثون أفكارهم الهدامة التى تنظر للانسان على أنه حيوان وتحدد مطالبه بمطالب الحيوان وتدرسه كما تدرس الحيوان ..

فالانسان فى نظر الداروينية - لم يتطور مختارا بل كان تطوره مظهرا لخضوعه المطلق للبيئة الطبيعية أى لعوامل خارجية حتمية ..

ومن تأمل فى مقالتهم يجد أن الحيوانية والمادية ليستا هما الأثر الداروينى الذى أحط كرامة الانسان ولكن الداروينية تقول ان (آدم) الانسان الأول - بعد ما أن تطور من الجرثومة الصغيرة ،فالنبات فالحيوانية ثم القرد ، قد كان (لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم) (١).

وتقول أيضا أن العوامل الطبيعية وحدها صانعة التطور ،والانسان ما هو الا مرآة تنعكس عليها تقلبات الطبيعة المفاجئة وتخبطاتها غير المنهجية ..

وعليه نستيطع أن نقول : ان فكرة التطور في ذاتها أوحت بحيوانية الانسان بينما أوحى تفسير العملية التى سار عليها التطور بماديته ..

وقد ظهرت آثار هذه الايحاءات جليا في الدراسات الاجتماعية والنفسية التى تناولت موضوع الانسان .

ومن أبرز الأمثلة على الأفكار التى استمدت من الداروينية ، : النظرية الشيوعية والنظرية الاجتماعية والنظرية النفسية ...

اليك شرحا موجزا لكل واحد منها ..

---

(١) الاسلام ونظرية داروين ،أحمد باشميل ص ١٢٠

اليهودى كارل ماركس ونظرية داروين

ان اليهودى (كارل ماركس) ـ قبحه الله ـ استمد من هذه النظرية فكرة حيوانية الانسان وماديته ، فبنى على ذلك المذهب الشيوعى الملعون وحدد فى البيان الشيوعى المطالب الرئيسية للانسان الشيوعى بالغذاء والسكن والجنس ...

ثم لم يكتف بذلك بل جعل المادة أصلا لكل شىء . وفسر التاريخ الانسانى تفسيرا ماديا .. فيرى ان القوة المادية أو القوى الاقتصادية هى التى تكيف الحياة البشرية وتعطيها طابعها وتنشىء أفكارها ومفاهيمها وعقائدها حسب درجتها من التطور .. فاذا انتقلت البشرية من طور الى طور بحكم قوة التطور الدائمة المفروضة على الانسان من خارج نفسه والتى لا علاقة لها بارادته الذاتية .. فان صورة الحياة تتغير ومشاعر الناس تتغير وأفكارهم ومفاهيمهم وعقائدهم تتغير وتتغير كل شىء فى المجتمع من أخلاق وعادات وتقاليد تغيرا حتميا " (١)

وكتب ماركس في هذا الموضوع مايلى :

" ليس الادراك هو الذى يحدد معيشتهم بل على العكس من ذلك ان معيشتهم الاجتماعية هى التى تحدد ادراكهم ". (٢)

واما ستالين يصرح بالتصريحات التالية :

" يجب البحث عن منشأ حياة المجتمع العقلية ، وعن أصل الأفكار والنظريات الاجتماعية ، والآراء السياسية والأوضاع السياسية .. لا فى الأفكار والنظريات ، ولا فى الآراء والأوضاع السياسية نفسها ، بل فى شروط الحياة المادية للمجتمع فى الوجود الاجتماعى الذى تكون هذه الأفكار والنظريات والآراء وما اليها انعكاسا له.. " (٣)

---

(١) معركة التقاليد محمد قطب ص١٨
(٢) كارل ماركس،مساهمة فى نقد الاقتصاد السياسى ـ المقدمة ـ عن ستالين المادية الديالكتيكية والمادية التاريخيه ص ٣٧
(٣) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، ستالين ص ٣٧

ولذلك فقد تطورت الحياة الاجتماعية وتدرجت من طور الى طور وذلك وفقا لتغير وتطور أدوات الانتاج ، حيث مر المجتمع البشرى – كما قلنا – فى خمسة أطوار وهى على التوالى :

المشاعية البدائية (الشيوعية الاولى) ونظام الرق ، والاقطاعية والرأسمالية فالشيوعية ".(١)

هذا بعض ما جنته هذه الفكرة الداروينية الملحدة . وهذا ما قام به هذا اليهودى لتوسيع الهوة بين الدين وفكرة التطور .. فأسسوا أول دولة الحادية محضة تحارب الدين علنا – وتعادى كل متدين ومؤمن .. وحذفوا أسماء الأنبياء والرسل من قواميس التاريخ الانسانى – فقالوا .. ان تاريخ الانسان كله تاريخ البحث عن الطعام .(٢)

هذا ما أكده أنجلس فيلسوف الشيوعية بقوله :

" وهكذا برهنت العلوم الطبيعة أن تعمل فى النتيجة بصورة ديالكتيكية ، لا بصورة ميتافيزيقية ، وأنها تتحرك في دائرة تبقى هى ذاتها دائما وتتكرر الى الأبد ، بل ان لها تاريخا واقعيا .. وبهذه المناسبة ينبغى أن نذكر بالدرجة الأولى (داروين) الذى وجه ضربة قاسية الى الفهم الميتافيزيقى للطبيعة باثباته أن العالم العضوى بأسره ، كما هو موجود اليوم ، أى أن النباتات والحيوانات ، وبالتالى الانسان أيضا هو كله نتاج يجرى منذ ملايين السنين ".(٣)

وبهذه التصريحات من قمة الشيوعية ، ندرك مدى خطورة هذه النظرية الداروينية ..

---

(١) راجع ل. سيتفال . لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ – المكتبة الاشتراكية دار دمشق ص ١٢

(٢) أصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، جى بيسى موريس كافين ج ٢ ص ٥٨

(٣) ضد دوهرنغ – ديالكتيك الطبيعة ، كارل ماركس وفردريك أنجلس ص ٢٥ ، موسكو الطبعة الألمانية ١٩٣٥ م

اليهودى دوركايم ونظرية دارين

أما اليهودي (دوركايم) صاحب المذهب الاجتماعى ، خرج للناس بفكرة فريدة ، يرى هذا الملحد ان الانسان حيوان خاضع لجبرية اجتماعية أوقهر اجتماعى يفرض عليه العقل الجماعى وسمى هذه الخرافة (بالعقل الجمعى) "(١).

هذا ما فعلته نظرية داروين بهذا اليهودى حتى قال ان التدين ليس فطريا فى الانسان وانما ينتج من العقل الجمعى الذى هو في خارج نطاق الفرد ..

اليهودى فرويد ونظرية داروين

أما فرويد فلم يأخذ من الداروينية الجانب التطورى ،وانما أخذ عنها حيوانية الانسان في تفسير السلوك الانسانى .

فهو يرى أن الدافع الجنسى هو دافعه الوحيد ، فالمولود يرضع ثدى أمه بدافع جنسى ويتبرز بدافع جنسى ويظل يتعامل مع الآخرين بناء على هذا الدافع وحده " (٢)

والدين والأخلاق والمثل العليا كلها نابعة من هذا الدافع الجنسى أيضا ..

وهكذا صار الانسان عند فرويد ليس حيوانا فحسب بل هو حيوان جنسى ..

وراء كل حركة منه شهوة جنسية ظاهرة أوخفية : ويقول ان الكبت وعقدة أوديب هما مصدر الدين ،وليس فطريا فى الكيان الانسانى .(٣)

---

(١) قواعد المنهج في علم الاجتماع ، تأليف اميل دوركاين ترجمة الدكتور محمود قاسم ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوى مقدمة الطبعة الثانية ص ٤٢ و ٢٢٢

(٢) انظر الموجز فى التحليل النفسى لفرويد : ٢٢ ــ ٣٤

راجع أيضا الانسان بين المادية والاسلام ص ٥١ محمد قطب

راجع أيضا كتاب (Totem And Taboo) ص ١٤٥ لفرويد نقلا عن كتاب التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٤٩

(٣) دراسات فى النفس الانسانية ، محمد قطب ص ٢٢٥

تلك هى بعض ايحاءات هذه النظرية .. التى جردت الانسان من كل مثل أخلاقية وجعلته تابعا ذليلا لشهواته فقط .. فلاشك أن هذه الايحاءات التى تحط من كرامة الانسان تتعارض مع قوله تعالى :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾

اننا لا نناقشهم هنا/ انما نريد فقط أن نثبت أن ايحاءات التطور قد شملت جميع الافكار الأوربية : في الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس . بل وجميع علومهم ..

ولم يكتفوا بهذه المجالات بالتطور العضوى بل يرون أن كل شىء فى الدنيا يتطور مثل العقائد والقيم والمبادىء والأخلاق وما لا يقبل التطور بذاته يجب أن يطور بالقوة ..

وهذه بعض أدلة هؤلاء العلماء الفضلاء فى رفض هذه النظرية وهناك أدلة كثيرة كلها تؤكد أن هذه النظرية تتعارض مع ديننا الحنيف .. ولكن ما ذكرناه هنا فيه الكفاية لاثبات وجهة نظرهم فى هذه النظرية ..

وبعد هذا يحسن بنا أن نقدم صورة ولو مصغرة عن وجهة نظر الفريق الثانى : وهم الذين يرون أن هذا المذهب التطورى لا يتعارض مع الاسلام ..

ثانيا ـ الرأى المؤيد :

وقد أشرنا في مطلع هذا الفصل الى أن هناك رأيين للباحثين الاسلاميين حول نظرية داروين ،وقلنا هناك ان الرأى الأول ، يعارض هذه النظرية ويقول بعدم موافقتها مع القرآن ، وقد تحدثنا عنه طويلا ..

والآن نريد أن نتحدث عن الرأى الثاني القائل بوجود ملاءمة بينهما وبين الاسلام : واليك بعض آرائهم فيها :

يقول الشيخ محمد رضا آل العلامة التقى الاصفهاني فيما نقله عنه الأستاذ محمود العقاد وهذا نصه :

" ان فلسفة النشوء والارتقاء ليست مما ينافى الدين ، اذ الذى يجب علينا اعتقاده ، هو أن جميع الموجودات بأراضيها وسماواتها وما فيها من صنوف المخلوقات صنع اله واحد قادر حكيم وسع كل شيء علما ، واتقنه صنعا ، خلق جميع الأنواع عن قصد واختيار . وهذا أمر متفق عليه فى جميع الأديان .. وأما كيفية الخلق ، وأن هذه الأنواع كلها خلقت خلقا مستقلا ووجدت من كتم العدم ابتداء ، وأنها لم تتغير عما وجدت عليه في أوائل الخلق .. فهذا لم يرد فيه نص من الكتاب ولا متواتر من السنة ."(١)

هذا ما صرح به هذا الشيخ . فلننتقل الى شيخ آخر من الشيوخ الذين يريدون التوفيق بين مذهب داروين وبين القرآن العظيم ...

وأما الأستاذ محمد فريد وجدى يؤيد ما قاله الأصفهاني ويزيد على ما قال بقوله :

" ان هؤلاء الناس الذين يعادون قوانين مذهب داروين كله لأجل نتيجته ، لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ،كان الغربيون لولاه يتوهمون أنها جهاتنا الضعيفة التى يبرهنون بها على عدم حقية ديننا "(٢)

---

(١) أنظر الانسان فى القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد ، طبعة دار الهلال ص ١٠٦

(٢) الدين والعلم الحديث . ابراهيم عبد الباقى ص ٧٥ـ٧٦

وأما الشيخ نديم الجسر ،كانت نتائج بحوثه في هذه النظرية ، أن ترك في قلوب السذج وضعاف القلوب شكوكا فاقت حد الوصف . يرى أن موقف المسلم من هذه النظرية التوقف وعدم الجزم بالخلق المباشر الذى ورد فى القرآن ولا بالخلق المتمهل التطورى . فلندعه يعبر عما في قلبه :

" ... نعم ليس في تلك النصوص صراحة بأن الله خلق الانسان الأول من تراب (دفعة واحدة) أو بتكوين (متمهل) على انفراده .. فسبيل هذا عندنا التوقف وعدم الجزم بأحد الأمرين .. وان كان قد يظهر من بعض النصوص الاحادية أن تكون الانسان الأول وهو (آدم) كان بتمهل ومرت عليه مدة من الزمان ،ولكن ظواهر النصوص التى عليها مدار الاعتقاد تدل على الخلق المستقل . ولا يجوز تأويل هذه النصوص ،وصرفها عن معناها الظاهر ، الا اذا قام الدليل العقلى القاطع على مذهب النشوء وعندما تقوم الدلائل العقلية القاطعة على وجود الانسان بطريق النشوء يمكن تأويل هذه النصوص ، والتوفيق بينها وبين ما قام عليه الدليل القاطع ولا ينافى فى ذلك اعتقاد المسلمين فى شىء ، ما دام الأصل عندهم ان الله تعالى هو خالق الانسان فى كل حال .. " (١)

ونجد الأستاذ محمود العقاد يقول ما يلى :

" عاش (داروين) بقية حياته مؤمنا بأن مذهبه لا يقتضى من العقل أن ينفى وجود الله ، ولا أن يمس عقائد المؤمنين بوجوده وأن الايمان بأى ديانة من الديانات لا يتوقف على الفصل فى قضية التطور الى الرفض أو الى القبول .. "

وهو صريح فى أن داروين عاش مؤمنا بالله تعالى ، كما أن مذهبه لا يتعارض مع الديانات .. ولكن سوف نوضح أن داروين مات وهو ملحد كافر ..

---

(١) قصة الايمان ، نديم الجسر ص ٢١٥

وهذه هى أهم ما يقوله المؤيدون فى نظرية داروين ، والآن نود أن نقف على أهم فقرات هذه التقريرات لنبدى فيها رأينا ...

* * *

ان المتأمل فى هذه الأقوال يصل الى النتائج التالية :

أولا :— قولهم ان النصوص التى تتعلق بخلق آدم فى القرآن غير صريحة فى الخلق المباشر ..

ثانيا :— قولهم ان النظرية أثبتت حقائق قرآنية ، لولاها لأنكرها الملاحدة ..

ثالثا :— قولهم ان داروين عاش مؤمنا بالله تعالى ..

الحقيقة ان هؤلاء العلماء الأجلاء ، لا يوجد أحد اطلع على آثارهم العلمية ، ثم لا يعترف بهم فى سمو التفكير ودقة التعبير والدفاع عن بيضة الدين الاسلامى ، من الذى لا يعترف بجهود الأستاذ (محمود العقاد) ؟ والشيخ (نديم الجسر) مفتى طرابلس ؟ وكذلك الاصفهانى ؟ وأما الأستاذ محمد فريد وجدى غنى عن التعريف ويكفيه شهرة كتابه المشهور (دائرة معارف القرن العشرين) .

الا أن الحكمة هى ضالة المؤمن .. فمن هذه الحيثية نود أن نقف قليلا على هذه النتائج الثلاثة التى توحى اليها تصريحاتهم ..

النتيجة الأولى : قولهم بأن النصوص التى وردت فى القرآن أو السنة غير صريحة لا نوافقهم على ذلك ولا نؤيدهم أبدا . وذلك بأدلة من القرآن والسنة .

أولا — أدلة من القرآن :

نحن نتحدى أى قائل يقول بأن النصوص القرآنية لا تدل على الخلق المباشر ونقول لهم ان هناك مئات الآيات الدالة على الخلق المباشر ولكننا نختار

لكم الآيات التالية :

يقول تعالى : ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شىء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان (مشتبها وغير متشابه) أنظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان (متشابها وغير متشابه) كلوا من ثمره اذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ (٢)

هاتان الآيتان هما المعين الذى لا ينضب ، الذى منه تستقى كل العلوم وترتوى ..

(17) (16)

ثمرتا المشمش والدراق ، أليستا متشابهتين ؟ ولنقل نصفهما عادة فى فصيلة واحدة ، وليست كلتاهما من أصل واحد وهو ماء السماء ؟

انهما تشتبهان أن تكونا شيئا واحدا فى الشكل أو الأصل . كذلك النحلة والدبور .. أليس يشتبهان فى الفصيلة والشكل والأعضاء وشىء من نظام الحياة الخ ... ولكنهما كذلك غير متشابهين فى الكثير الكثير ..

وهناك وقع داروين وأعوانه فى هذا الخطأ الفاحش .. انهم لما رأوا هذا التشابه بين بعض المخلوقات قالوا : ان أصل الأنواع واحد لأجل تشابه بعضها ببعض ولكن الله الحكيم الذى يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ترك لنا ـ معشر المؤمنين ـ هذه الآيات الناطقات عن أصل الكون وهو الماء . لكى نرد مزاعم الملاحدة فى كل زمان ومكان القائلين أن هذا الكائن الحى تطور من ذاك الكائن ..

ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ وجعلنا كل شىء حى من الماء أفلا يؤمنون ﴾ (٣)

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٩
(٢) = = = : ١٤١
(٣)

لقد ألقت هذه الآيات الضوء الكاشف على حقائق العلم وأثبتت أن المخلوقات كل منها خلقها الله وحدها ولم تنشأ من مخلوقات أخرى غيرها ..

ان أصل الكائنات وهو (الماء) واحد ، مهما تعددت وتنوعت وأفرطت في الاشتباه ، لكنها تبقى دائما غير متشابهة ..

ما أعظم هذه الصيغة (متشابها وغير متشابه) .. لو تأملها علماؤنا الذين يريدون أن يجعلوا القرآن ملفقا للنظرية الداروينية ؟ ؟

انها القاعدة الحقة في معرفة أصل الأنواع ، وليست هذه الفروض والتخمينات الداروينية ..

صنوان وغير صنوان

ينص القرآن المجيد أن المخلوقات ، لم ينشأ بعضها عن بعض وانما خلقها الله تعالى لنفسها خلقا مستقلا لا تطور فيه لا في الماضي السحيق ولا في المستقبل البعيد ..

في هذا يقول تعالى :

﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (١)

يا ليت علمائنا القائلين بالتطور العضوي ، تأملوا في قوله تعالى :

﴿ صنوان وغير صنوان ﴾ .. وقوله تعالى ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾

لو تأملوا فيها : لعرفوا أن الآية صريحة في الخلق المباشر ولرجعوا عن قولهم ذلك.

---

(١) سورة الرعد الآية : ٤

فالآية تشير بوضوح الى أن الصنوان الذى معناه ، الأصل المجتمعة فى منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك .. وأن غير الصنوان الذى معناه : ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ، لم ينشأ بعضها عن بعض وانما أصلهما الماء فقط رغم تعدد أنواعهما وتنوع ألوانهما .

وكما تشير الى أن هذا التفضيل بين الأنواع أثر من آثار الحكمة الالهية وليس من ناموس الوراثة الذى اخترعه داروين من بنات أفكاره المنحرفة .. بدليل قوله تعالى :

﴿ ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ﴾

ثم أشارت الآية بهذا التعقيب المخيف اذ قالت :

﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾

ومعنى ذلك ان الذين لا يؤمنون بمضمون هذه الآية ليسوا من العقلاء ! الذين لا يؤمنون بأن هذا التشابه تشابه ظاهرى فقط وأنما هو فى الحقيقة غير متشابه ليسوا من العقلاء !

والذين لا يؤمنون بأن صنوان وغير صنوان خلقا خلقا مستقلا من أصل مائى رغم التفاضل الذى بينهما ، ليسوا من تعداد العقلاء وانما هم من الجهلاء الدهماء الذين ينظرون الى ظواهر الأمور دون تعمق فيها ..

لأن الذى يتعمق في التأمل في هذه المخلوقات ، يعلم يقينا أن هذا التشابه الظاهرى حكمة ربانية . وأن هذا التنوع تدل على عظمة خالقه ..

ومن نفس هذه الحكمة أن خلق الله مخلوقا أو مخلوقات تشبه الانسان فى الشكل نوعا ليذكر الانسان بنعمة النبوة والكتاب والعقل والعلم والبيان ..

ان هذه النعمة الكبرى ، نعمة وجود التشابه مع نفى التشابه الحقيقى قد جعلها داروين وأعوانه نقمة كبرى بأن جعلوا بين الانسان وبين القرود نسبا ..

خلــــق آدم

وبعدما تأكدنا من خلال هذه الآيات النيّرة ، من أن الكائنات لم يتطور بعضها عن بعض نود أن نتقدم خطوة أخرى لترى أن أبانا آدم لم يمر قط بهذه المراحل التي يصورها داروين وأعوانه .. ولنثبت لعلمائنا الأفاضل الذين أنكروا وجود النصوص الصريحة الدالة على خلق آدم خلقا مستقلا ، بأن هناك نصوصا قاطعة في الخلق المباشر .. ثم ننتقل بهم الى السنة المطهرة ليرى العالم كله أن القول بعدم وجود نص قاطع في الخلق المباشر قول لا يساعده القرآن ولا السنة ..

النصوص التي وردت في القرآن :

يقول تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ﴾ (١)

ورد في تفسير ابن كثير : من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون .

وقال قتادة : استل آدم من الطين .. فان آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ﴾ (٢)

الآية توضح بشكل واضح أن خلق آدم كان قبل أن ينفخ فيه الروح من الطين على هيئته السوية دون أن يمر بمراحل ودون أن يتطور من مخلوقات أخرى لتتضح معجزة الخلق الأول : ﴿ كن فيكون ﴾ .
هذا ما أشارت اليه الآية التالية :

﴿ واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ .

---

(١) سورة المؤمنون الاية : ١٢

(٢) سورة الروم الا ية : ٢٠

والآية تدل على الحقائق التالية :

١ – أن خلق آدم كان من الصلصال الذى كان من حمأ مسنون .. والحمأ المسنون هو الطين الأسود المنتن . والمسنون : الذى أسن وتغير وهو صفة للحمأ ..

اذن ان بشرية آدم جاءت مباشرة من الصلصال لا من القرود .. هذا ما فهمناه من كتاب ربنا .. والذى فهم غير هذا فعليه أن يأتى بدليل آخر من القرآن نفسه ..

٢ – أن خلق آدم كان أولا بدون الروح : والداروينيون لا يقولون بهذا وانما قالوا ان نشأة الحياة كانت من طين المستنقعات التى تتصاعد منه الغازات الكبريتية الرائحة .. وهى غاز الميثان ( ) وغاز كبريتوز الهيدروجين ( ) وغاز النشادر (الأمونيا) ( ) (١) .

فقالوا ان هذه الحياة هى التى تطورت حتى تفرعت عنها الأنواع كلها .. والغريب أن نجد بعض المفكرين الاسلاميين يصدقون هذه الخرافة كأمثال الدكتور محمد البار فى كتابه : (خلق الانسان بين الطب والقرآن) يقول فيه :

" وترى صورة ضخمة فى قاعة المتحف الطبيعى (بلندن) تصور كيف تجمعت هذه الغازات المنتنة من الحمأ المسنون لتكون الأحماض الأمينية ثم كيف تطورت هذه لتكون البروتينات وأهمها الحامض النووى الذى به سر الحياة " (٢) .

ثم استدل بقوله تعالى :

﴿ واذ قال ربك للملائكة ، انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾ .

---

(١) راجع كتاب خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد البار ص ١٠
(٢) المرجع السابق ص ١٠

فقال : الحمأ : الطين الأسود المنتن . والمسنون : الذى أسن وتغير
ويرى أن هذه الآية تدل على ما قاله العلم الحديث من أن الحياة نشأت من
الطين الآسن .

فنحن نقول : ان هذا الاستدلال في غير محله وذلك للأمور الآتية :
ان الآية تشير بوضوح الى أن الروح أو الحياة ، ليست من الطين الآسن ،
وانما هي شئ زائد على الطين قد نفخه الله في آدم بعد ما أتم خلقه
من الطين .. بينما العلم الحديث ـ كما قال الدكتور ـ تشير الى أن الحياة
جاءت مباشرة من الطين وكانت جرثومة صغيرة ثم تفرعت منها جميع الكائنات الحية ..
فشتان بين هذه الصورة ، وتلك الصورة ..

لأن الصورة الأولى تقول : ان الله هو الذى نفخ الروح في آدم بعد أن
جاوز المراحل الطينية كلها (أى التراب ـ ثم الطين المسنون ـ ثم
الصلصال كالفخار) ولكن الصورة الثانية ، تصرح بأن الحياة بدأت بصدفة
على وجه الأرض ثم تطورت من (أميبا) الى النبات ثم الى الحيوان
وكان آدم (الانسان الأول الذى لا يتكلم وليس له ادراك) في نهاية
هذا التطور ...

هل هذه هي الصورة الطاهرة تشبه تلك الصورة القذرة ؟

ثم لم تكتف الآية بذلك ، ولكن قالت ان خلق آدم تم في السماء على
مشهد من الملائكة وفي حفل حافل ..

ولكن التطوريين يقولون : ان خلقه بدأ في الأرض وتم فيها بدون أية
حكمة ولا ارادة ولا أى تدخل خارجي وانما كانت الجرثومة تتخبط خبط عشواء ..
فاذا البرغوث يصبح جملا واذا الجمل يصبح بعوضة واذا (الغوريلا) يقلع
ذنبه ليصبح انسانا ذا عقل وروية وتفكير هل هذه الصورة كتلك ؟ الجواب
لا !

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن ـ د. محمد البار ص ١٠

فكان من حق الدكتور أن يكفر كل قائل بنفى تدخل الله فى الكون أوفى عملية التطور ومن حقه أيضا أن يكفر [١] كل من يقول : ان أبانا آدم كان غير مكتمل العقل وكان لا يتكلم ولا يدرك شيئا ، لأنه تكذيب للقرآن الكريم ، ولانه ينفى قصة آدم وحواء (الوارد ذكرها صراحة فى القرآن) نفيا تاما ..

يضاف الى هذا أن قصة وجود انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم (كما هى قواعد نظرية داروين) هى قصة مبنية (باعتراف قطبها داروين) على الفرض والتخمين والظن . ومن السفه أن ينفى الانسان (وخاصة المسلم) قصة آدم وحواء المذكورة فى القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ليصدق قصة ليس لها أى ظل من الحقيقة ، قصة أساسها الفرض والحدس والتخمين لا القطع واليقين .. ان الخرافة تظل دائما خرافة ولو وجدت صورتها فى المتحف البريطانى والفرنسي والأمريكانى أو الروسى .

* * *

وان كنت تعجب فاعجب قولهم : اذا أصبحت هذه النظرية حقيقية سوف نؤول النصوص التى تدل على الخلق المباشر للتوفيق بين القرآن وبين النظرية ..

---

(١) ان الدكتور بعد ما أكد صحة هذه النظرية بالآية السابقة ، رجع فقال فى الصفحة التالية : " ولم ينشرح صدرى لما توصلت اليه .. " اذا كان قوله هذا حقا فلم يستدل بالآية لأجل بيان صحتها .. ولم يكتف بذلك بل استشهد على صحتها بأقوال لابن خلدون في مقدمته .. فقال : وأنت ترى مما جاء فى كلام ابن خلدون تصريحا أقوى مما جاء فى نظرية (داروين) فى كتاب النشوء والارتقاء .. ان هذا يدل على أنه كان يؤمن بالنظرية التطورية الدارونية الخرافية .

نقول لهم : هل رأيتم باطلا انقلب حقيقة ؟

هل رأيتم حقا انقلب باطلا ؟

اذا تعذر ذلك فكيف تصبح النظرية التى ثبت بطلانها ، حقيقة ؟

وكيف ينتقل الحق الواضح الذى رأيناه في كتاب ربنا الى باطل ؟

ولن تتحقق أمنيتكم هذه حتى يشبّ الغراب ان شاء الله ..

أدلة من السنة :

قد رأينا نصوصا قرآنية تؤكد أن آدم قد خلق خلقا لا تطور فيه ، والآن نريد أن نأتى بأحاديث صحاح لنؤكد بها أن القول بأن النصوص التى وردت فى الكتاب والسنة نصوص محتملة ، قول قد جانب الصواب ولا يجوز لمسلم أن يتفوه به أبدا .. واليك أحاديث بهذا الصدد ..

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" ان الله عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم : الأحمر والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن ، والطيب والخبيث " قال الترمذى : (حديث حسن صحيح) .

وقال عليه الصلاة والسلام : " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس ، فقال : الحمد لله ، فحمد الله باذنه . فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ، اذهب الى اولئك الملائكة — الى الملأ منهم جلوس فقال : السلام عليكم .. فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه فقال : ان هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم " (١)

ان هذين الحديثين لا يدعا مجالا للشك من أن آدم خلق خلقا مباشرا وهو كامل فى عقله على تمام الادراك .. وقد تم خلقه فى السماء فى وسط الملائكة ، ان هذا يخالف أباطيلهم التى تقول ان تطور الحياة كله حصل فى الأرض .. وتم فيها .. ولست أدرى كيف يؤولون هذين الحديثين اذا أصبحت النظرية حقيقة ملموسة كما يرجون ؟

---

(١) الله جل جلاله ، سعيدى ص٥٠

التطور في المستقبل

يدعى أنصار دار وين أن التطور كما حصل فى الماضى السحيق فهو مستمر الى المستقبل البعيد :

وقد قال جوليان هكسلى كلمته الشهيرة :

" من المسلم به أن الانسان فى الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر ".

نحن نتحداهم بالقرآن قائلين : ان ذلك لن يحصل أبدا كما لم يحصل فى الماضي . وذلك أن الله تعالى أخبرنا أن هذا القرآن محفوظ فهو الحجة البالغة الى يوم القيامة : ﴿ نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ (١)

ان كان القرآن محفوظا فالنوع الانسانى كذلك يبقى غير متطور .. لأنه لو تطور فمن الذى يقرأ القرآن ؟ أتقرأه القطة أو الفأر ؟

ان هذا مستحيل :ويدل دلالة واضحة أن لا تطور في المستقبل كما تخيله هؤلاء الدارونيون .

ثم ان الله تعالى أخبرنا أن القيامة تقوم والنوع الانسانى باقى على انسانيته. يقول تعالى :﴿ اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيّرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت .... الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ﴾

ان هذه الأمثلة البسيطة تدل على عدم التطور فى المستقبل والا يأتى يوم القيامة لا يوجد على وجه الأرض أحد من الناس لأنهم قد يتطوروا الى الديدان التى لا تكليف عليها .

هل رأيت كيف أدت هذه الفكرة التطورية الى الغاء يوم القيامة ؟ والى تعطيل تعاليم القرآن العظيم ؟ لأنه قد تأتى أزمان لا يوجد أحد يحفظ القرآن لأنهم قد تطوروا الى أنواع من الحشرات ..

---

(١) سورة التكوين آية :١٣

هل يرضى علمائنا الذين يرجون تحقيق الفكرة التطورية فى المستقبل ، بهذه النتائج ؟

ان كانوا لا يرضون بها فليقولوا للناس صراحة أن لا تطور فى المستقبل ..

آية أخرى تنفى التطور العضوى بكامله :

﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ،ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ،يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس. ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١)

ان هذه تنقض التطور فى المستقبل وفى الماضى معا .. لأن النحل كان ولم يزل يخرج لنا العسل منذ أن وجد فوق الأرض انسان ..

فمنذ أن عرف الانسان النحل والعسل ،ومنذ وجد هذا النحل على وجه الأرض (ومنذ الاف السنين) وطريقتها فى الانتاج هى هى كما أخبر به القرآن .. ان دل هذا على شىء فانما يدل على أن التطور لم يحصل فى الماضى .. ولو كانت هذه النظرية صحيحة للاحظ الانسان طيلة هذه الالاف من السنين – شيئا من التطور والارتقاء على هذا النحل .. لا سيّما وأن النحل قد تواتر أمره فى جميع بقاع الأرض منذ أقدم العصور لارتباط وجوده بوجود العسل الذى لا يمكن انتاجه الا عن طريق هذا النحل وحسب النظام الالهى الذى يسير عليه دائما ..

ولن يحصل هذا التطور أبدا فى المستقبل بدليل أن هذا النحل لو يحدث عليه شىء من التطور والتحول (وحسب النواميس التى وضعها الداروينيون لنظرية التطور والارتقاء) لا فتقد الانسان مادة العسل الى الأبد .. لأنه قد يكون قد تطور وارتقى الى أى نوع من الأحياء لا يسمح له تركيبه الجديد ،وشكله الجديد بانتاج هذه المادة .. لأنه قد يصبح ديكا أو نسرا أو ظبيا أو ما شابه ذلك من الحيوانات ..

---

(١) سورة النحل الآية : ٦٨

وهكذا فان واقع النحل والعسل لمن أقوى الأدلة على عدم صحة نظرية التطور والارتقاء في الماضي والمستقبل ..

ولأجل هذا كله نستغرب من هؤلاء العقول الكبار حين صدقوا هذه النظرية ،حتى توقعوا صحتها في المستقبل ..

نظرية قد رفضها كل ذوي العقول في أوربا ، فكيف يؤمن بها علمائنا الكبار ان هذا لغريب من غرائب الكون ..

علماء غربيون يرفضون النظرية

وقبل أن ننتقل الى الجزء التالي ،نسوق اليك تصريحات من أنصار الداروينية قد تراجع أصحابها عن هذه النظرية لما تأملوا فيها بالدقة.

يقول العلامة (والاس) : " ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسان ، ولا بد من القول بخلقه رأسا " (١) . وهذا الأستاذ كان من أشد مناصري هذه النظرية . ومع ذلك أنكر على استاذه داروين القول بأن يكون الانسان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء ..

وقال الأستاذ (فرضو) انه يتبين لنا من الواقع بين الانسان والقرد فرقا بعيدا ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان سلالة قرد أو غيره من البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك ".

وقال (ميفرت) : ان مذهب داروين لا يمكن تأييده وانه رأى من آراء الصبيان . "

أما العلامة (أغاسير) فقد حكم على مذهب داروين بالبطلان وذلك في رسالة أصدرها تحت عنوان (أصل الأنواع) وتلاها في ندوة العلم الفكتورية فقال فيها ما خلاصته :

" ان مذهب داروين خطأ علمي باطل في الواقع ، وأسلوبه ليس من أساليب العلم بشيء ، ولا طائل تحته . "

هكسلى يرد على صديقه داروين :

أما العلامة (هكسلى) فبالرغم من أنه على مذهب (اللاأدرية) وصديق حميم لداروين ، فقد تراجع عما كان عليه من تأييد جميع القوانين الداروينية فقد صح عنه أخيرا أنه قال :

" انه بموجب ما لنا من البينات لم تبرهن قط أن نوعا من النباتات أو الحيوان نشأ من الانتخاب الطبيعى أو الانتخاب الصناعى " (١)

ودعا العلامة (تندل) الى عدم الاهتمام بمذهب داروين فقال :

" انه لا ريب فى أن الذين يعتقدون الارتقاء يجهلون أنه نتيجة مقدمات لم يسلم بها .. ومن المحقق عندى أنه لا بد من تغيير مذهب داروين " .

وأخيرا قال العالم الايطالى (روزا) ان الاختيار الاصطناعى الذى جربه بنو الانسان فى خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين ." (٢)

وبعد هذه الجولة الطويلة نستطيع أن نثبت الحقائق التالية :

(١)- أنه توجد فى القرآن الكريم نصوص صريحة فى الخلق المباشر لأبينا آدم عليه السلام خلافا لما ذهب اليه بعض علمائنا ..

(٢)- التطور العضوى للكائنات الحية تتعارض مع القرآن كله .. وذلك أن القرآن الكريم قد عين أسماء بعض الكائنات الحية كالنحل وغيرها وذكر أن فيه شفاء ، ولو تطور النحل تبقى هذه الآية المتعلقة به بلا معنى ، لأن الناس لن يعرفوا النحل بعد تطوره فيما بعد .

(٣)- ثم ان الانسان لو تطور الى كائن آخر من الذى يقوم -حينئذ- بالتكاليف الربانية ؟

---

(١) هذه النقول عن كتاب الاسلام ونظرية داروين - أحمد باشميل ص ٤٥
(٢) المرجع السابق ص ٥٤

وكل هذا يوضح توضيحا لا غموض فيه أن الانسان لن يتطور أبدا في المستقبل فضلا عن أن يكون متطورا في الماضي ..

يبدو أن علمائنا الذين أرادوا التوفيق بين هذه الفكرة وبين القرآن لم يلاحظوا هذه الناحية .. أو لاحظوها ولكنهم أعرضوا عنها لحاجة في نفوسهم .. فما هي هذه الحاجة اذن ؟

حاجة في نفوسهم

ومن يتأمل في أقوال علمائنا الذين أيدوا مذهب التطور ، يجد أن الذى دفعهم الى هذا القول يرجع الى الأمور الآتية :

١ — مجاراة الأوربيين حتى لا يتهموا ديننا بأنه دين تأخر وجمود كما حصل ذلك فعلا في الديانة المسيحية ..

٢ — اثبات أن ديننا يتمشى مع كل زمان ومكان ..

٣ — الاسلام دين الفكر والعلم والبحث يتوسع لجميع الأفكار ..

استخلصنا هذه الأمور الثلاثة من تقرير الشيخ محمد فريد وجدى السابق الذى يقول فيه :

" ان هؤلاء الناس الذين يعادون قوانين مذهب داروين كله لأجل نتيجته لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ، كان الغربيون لولاه يتوهمون أنها جهاتنا الضعيفة التي يبرهنون بها على عدم حقية ديننا " (١)

فنقول نعم ! ان الاسلام فرض على الناس الفكر والبحث ، وآيات القرآن في هذا المعنى كثيرة ..

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (٢)

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ (٣)

---

(١)
(٢) سورة الاعراف آية : ١٨٥ (٣) سورة يونس آية : ١٠١

﴿ أولم يتفكروا في أنفسهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى ﴾(١)

نعم ! ان الاسلام فرض على الناس العلم ، والآثار الواردة في الحث على العلم كثيرة وكذلك الايات التي تبين أن العالمين بالكون أعرف بالله :

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين ﴾(٢)

﴿ الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه . كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾(٣)

ومن البديهي بعد هذا ، أن ما وصل اليه الفكر والعلم يفترض على المسلم أن يقول به ، ولا يقول بخلافه ، وقد يحدث أن يوجد بعض المسلمين الجاهلين ، وحتى ممن ينتسبون الى العلم ، ومن يعارض بعض الحقائق العلمية ، ولكن في هذه الحالة يبقى رأيهم شخصيا ، وهم فيه مخاطئون ويؤاخذهم على ذلك عامة المسلمين وعلماؤهم .

ولقد قال أبو حامد الغزالي الامام في كتابه (تهافت الفلاسفة) حاملا على علماء الدين ، المنكرين للحقائق العلمية ، كمعرفة وقت الكسوف والخسوف وغيرها :

" ومن ظن أن المناظرة في ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعّف أمره ، فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق من أدلتها ، ثم يقال له : ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وانما يسترب في الشرع ، وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقة أكثر من ضرره ممن يطعن فيه ، وهو كما قيل : (عدو عاقل خير من صديق جاهل)(٤) ، انه ليس من المعقول أن يأمرنا الله عز وجل بالبحث والعلم والنظر

---

(١) سورة الروم آية : ٨ (٢) سورة الروم آية : ٢٢

(٣) سورة فاطر آية : ٢٧

(٤) راجع الله جل جلاله ، سعيد حوى ص ٤٧

والمعرفة ،ثم يحرم علينا أن نأخذ بنتائج هذا العلم والبحث والمعرفة؟
بل على العكس اذا أمرنا بالفكر أمرنا بالأخذ بنتائج الفكر
وهكذا ...

ولكن اذا كان الاسلام دينا علميا والمسلم على التفكير والاتجاه
وهدفه أن يصل الى الحقيقة العلمية المركزة ، فليس معنى هذا أن يقبل
الظن ، أو الفرضية ، أو النظرية على أنها حقيقة علمية ..

ان المسلم يجب أن يقف أبدا على أرض من صخر في عالم الفكر .

ان الله الذى حرم علينا أن لا نذعن للحقيقة ، لم يرض لنا أن نقبل
شيئا دون برهان ، أو نعتبر الفرضية والنظرية حقيقة ، فنأخذ على
أنها مسلمة ..

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
كان عنه مسؤولا ﴾ (١)

وهذا هو الفارق الكبير بين العقلية الاسلامية والعقلية الأخرى .

العقلية الاسلامية عقلية علمية ثابتة لا تقبل شيئا دون برهان وعلى
ضوء هذا نود أن نقف وقفة عند تقرير الشيخ محمد فريد وجدى
السابق ...

---

(١) سورة الاسراء آية : ٣٦

الأستاذ محمد فريد وجدى والتطور

وأما قول الأستاذ فريد وجدى أن الداروينية قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ، نود أن يوضحه هنا ، وبيان ذلك أن الأستاذ يرى أن القوانين الداروينية حقيقة من حقائق الكون فلذا سنجده بعد قليل يقارن بين تلك القوانين وبين بعض النصوص من القرآن ليبرهن على صحتها . كتب يقول :

" أساس مذهب " داروين " أن العالم خاضع لنواميس : منها ناموس تنازع البقاء ونصه ، فى الكتاب الالهى :

+ ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾

ثم قال وهو يشرح الآية على طريقته الخاصة :

" قد أشار الله تعالى الى سرّ الغلبة فى هذا التنازع وهى القوة لقوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾

وأضاف قائلا :

" بهذه الآيات جمع النبى صلى الله عليه وسلم الى صفات القوة الجسدية أعلى صفات الكمالية الانسانية ، وبثها فى أفئدة أصحابه فدانت لهم الدنيا وأصبحوا ملوك الأرض .. "

ثم قال أخيرا :

" ويقول (داروين وأحزابه : اذا سلمت أن تنازع البقاء ناموس من نواميس الكون ، فلا مناص لك أن تسلم بحصول غلبة لبعض المتنازعين ، وخذلان للبعض الآخر .

ومعنى تلك الغلبة وذلك الخذلان بلسان علم الحياة : (البقاء والتلاشى) بمعنى أن الحزب الغالب يبقى متمتعا بما افتتحه بقوته ومهارته .. وأما الحزب المغلوب سيزول ويدع الجو خاليا لخصومه .. " هذا ما قرره الأستاذ محمد فريد وجدى (١) . واليك ما نراه فى الموضوع .

---

(١) تلخيص عن كتابه الاسلام فى عصر العلم نقلا عن كتاب الدين والعلم الحديث ، تأليف ، ابراهيم عبد الباقى ص ٧٨ ــ ٧٦

الاستدلال فيه نظـــــر

ومن تدبر في تقرير الاستاذ (فريد وجدى) يجد أنه يدور حول شيئيـــن أساسيين :

أولا — ان الأنواع الدنيا الضعاف ، لا تجتمع مع العليا لأنها ستزول وتخلى الجـو لخصومها .. بل تتعاقب وتسبق الأولى الثانية أبدا ..

ان هذا التقرير خــلاف ما نجده في عالم المستحاثات وتسلسلها الزمنـى التاريخي حسب الأعمار كما نجده في الأحـياء جنبا الى جنب .. (١)

اذا عدنا الى القرآن الكريم وجدناه يؤكـد على أن الله يختار من خلقـه للبقاء في الكون ما يشاء ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيــرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ (٢)

الآيـة تـنص على أن أى شخص يسند الخيرة الى الناس أو الى القــوة دون الله فهو من المشركين .. لأنه أشرك غـير الله مع الله في تسبير الكون ..

وبذلك نكون قد نفينا تعبيرات الشرك التى نجدها في كل مؤلف كتب عن هذا الموضوع .

ثانيا — مفهوم الأصلح : يؤكد مذهب داورين أن الأصلح هو من يستطيع أن يستولي — بأى وسيلة كانت — على ممتلكات الغير ، بالقوة والثورة والعنــــف كما يفعل سكان الغاب من ذى ناب ومخلب وظفر ..

هذا الذى أيده الأستاذ (فريد وجدى) واستدل له بآيات قرآنيـــة ؟ منها قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قــوة ﴾

ان كانت الآيـة تأمر المسلمين بالاستعدادات الحربية ارهابا لقلوب اعـداء الله ، ولكن لا يفهم منها أبدا الحث على أخذ ممتلكت الغير لأجل الغلبـــــة

---

(١) راجع التطور والانسان ، حسن زينو ص ٢٠

(٢) سورة القصص الآية : ٦٨

والعلو فى الأرض فحسب .

المسلمون في جهادهم لم تكن تهمهم أنفسهم بقدر ما يهمهم اعلاء كلمة الله .. اذن لا يمكن الاستدلال بهذه الآية وأمثالها تأييدا لمذهب تنازع البقاء الذى اخترعه داروين وأعوانه ..

وأما مفهوم الأصلح فى الاسلام يتمثل فى الدينونة لله تعالى فى التصور الاعتقادى ، وفى الشريعة والاتباع والشعائر التعبدية ..

وبتعبير آخر : هو الايمان بالله وتطبيق شريعته .. ان ذلك هو سبب بقاء الأمم والحضارات في الدنيا وسبب تغلب الضعفاء المتقين على الأقوياء الكافرين والشيطان ..

وكما ان الذنوب والفسق عن أمر الله واتباع المنكر والشيطان هى سبب الهلاك والزوال ..

ولا ينكر عاقل أن الاستعداد قبل الحرب من أسباب النصر أنه مأمور به ، ولكنه بدون الايمان والصلاح يصبح هزيمة نكراء على أصحابه .. هذا ما تشهد به الآية التالية :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون ﴾

نسوق اليك قصتين لتوضيح هذه النقطة التى خفيت على كثير من الباحثين . قصة فى الماضى البعيد ، وقصة أخرى فى الماضى القريب :

القصة الأولى :

هى قصة استخلاف بنى اسرائيل ونصرهم على الفراعنة ، انها ليست صراع ذئاب ولا غلبة القوى على الضعيف وانما العكس انتصار الايمان والحجة على يد موسى ضد طاغوت فرعون مصر ، انتصار قلب عليه السحرة فآمنوا وآثروا الموت من تلك اللحظة ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا .. انا آمنا بربنا ليغفر

لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ٠٠ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ٠٠ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى * (١)

* ثم أورثنا الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون * (٢)

* قالوا يا نوح انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز * (٣)

والقصة واضحة ولا تحتاج الى توضيح آخر ٠ فهى اذن تخالف تقريرات الأستاذ محمد فريد وجدى مخالفة تامة الذى يرى أن الغلبة للقوى دائما فأرجو من القارئ الكريم امعان النظر فيما قلنا ٠٠

القصة الثانية :

هى قصة قيادة سعد ووصية عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ٠٠

وانتخب عمر رضى الله عنه لقيادة هذا الجيش العظيم سعد بن أبى وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ فولاه ووصاه ، وكان فيما قال له :

* بسم الله الرحمن الرحيم *

أما بعد :

" فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من

---

(١) سورة طه الاية : ٧٤
(٢) سورة الأعراف : ١٣٧
(٣) سورة هود الاية : ٩١

عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولو ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، وعدتنا ليست كعدتهم ، فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ..

فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله .

ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم ، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بالمعاصي كفار المجوس فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا .

وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم وأسأل الله ذلك لنا ولكم " (١)

وهناك العديد من الأمثلة ، ولكن الذى ذكرنا فيه الكفاية من التطويل ..

وهكذا رأينا أن الصراع على البقاء ليس هدفا اسلاميا ، وانما هو فكر مادى استعمارى بحت ، لا أخلاقى .. لانه يهدف أول ما يهدف الى الاستيلاء على الشعوب الضعاف .

ولا يجهل أحد من العقلاء أن الانتصار لا يتم فى هذا العالم المادى بدون معرفة أساليب الحرب ومعرفة كيفية الاستعمال للآلات الحربية ، ولكن ذلك ليس هو القانون العام الذى يسير عليه العالم فى بقاء الأمم وانقراض الآخرين .

كما عرفنا أن شجاعة شخص ما مهما بلغت لا تكفيه ليدق المسمار بقبضته اليدوية فلا بد له من مطرقة .. ولكن هذه الوسائل وحدها لا تكفى — كما هو ظن الملحدين — فلا بد من الصبر على الطاعة أولا والصبر عن المعصية ثانيا والصبر على ضربات العدو ثالثا ..

---

(١) اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضرى رحمه الله تعالى ص ٦٨ مكتبة دار الدعوة بحلب . الطبعة الأولى المحققة ١٣٩٨هـ

وأية أمة تتوفر فيها هذه الشروط الثلاثة هي الغالبة وإن كانت أقل عددا وأضعف جندا .. هذا ما تشهد عليه الآية التالية :

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ (١)

هذه الشروط هي التي توفرت في الفاتح الكبير (صلاح الدين الأيوبي ـ حين هزمت أمامه جيوش الافرنج . انه لم يكن يتمتع بالشجاعة فقط ومعرفة فنون الحرب ، أو لم تكن بلاده تتبوأ ـ من الناحية العسكرية ـ المكانة التي تحتلها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، فحسب .. ولكنه أيضا يتمتع بما هو أقوى من كل ذلك : وهو الايمان بالله وتطبيق شريعته، واجتناب المنكرات . يقول الله تعالى ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ (٢)

وانطلاقا من هذا المبدأ السامي ندرك أن الذين أرادوا أن يدافعوا عن الاسلام بهذه النظرية التي لم تصل بعد الى الحقائق ـ ولن تصل أبدا ـ قد جانبوا الصواب . ولكن الله تعالى سيجزيهم عن نيتهم الطيبة ان شاء الله .. وأما نحن لا نأخذ بهذه النظرية لبعدها عن الصواب .. ولاقامة البراهين القاطعة على بطلانه ..

وبعد هذا ننتقل الى الجزء الأخير ، وهو مصير داروين ..

مصير داروين

ان الذي يتأمل في المعطيات التاريخية ، يجد أن لداروين ثلاثة تطورات

- الطور الأول كان فيه مؤمنا
- الطور الثاني كان فيه شاكا
- الطور الثالث كان فيه ملحدا

---

(١) سورة البقرة الاية :

(٢) سورة التوبة الاية : ٢٥

واليك شرحا موجزا لكل من هذه الأطوار الثلاثة :

الأول :ــ ان داروين كان في البداية أمره ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد فقد كتب مرة الى أحد اصدقائه يقول .. " انه لا يعرف لماذا يتهمه الناس بالكفر والالحاد مع أنه لا يعتقد أن نظريته تنفي وجود اله للكون (١) " هذا يدل على أنه كان مؤمنا .. فلننتقل الى الطور الثاني .

الثاني :ــ بينما نرى داروين هكذا ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد اذ بنا نجده في موضع آخر يعلن تردده في الاعتراف بوجود الله تعالى فقد كتب سنة ١٨٧٩ م الى المستر (فورديس) صاحب كتاب ملامح من الشكوكية ، عندما سأله عن عقيدته الدينية ، كتب اليه يقول :

" ان آرائي الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعني أحدا غيري ، ولكنك سألتني فاسمح لنفسي أن أقول انني متردد ،ولكنني في أقصى خطوات هذا التردد لم أكن قط ملحدا بالمعنى الذي يفهم فيه الالحاد انه انكار وجود الله واحسب أن وصف اللاأدري يصدق في أكثر الأوقات ــ لا في جميعها ــ كلما تقدمت الأيام " .

وقد كتب قبل ذلك .. سنة ١٨٧٣ م الى طالب هولندي سأله عن عقيدته الدينية فقال :

" ان استحالة تصور هذا الكون العظيم العجيب وفي نفوسنا الشاعرة قائما على مجرد المصادفة ــ هي في نظري أقوى البراهين على وجود الله ولكنني لم أستطع أن أقرر قيمة هذا البرهان ..

وأخيرا كتب هذه المقالة / الآتية الى الطالب نفسه فيقول : "انه لا يرى دليلا على الوحي وأن الايمان بالبعث متروك لكل من يشاء أن يتخذ له فيه معتقدا بين المحتملات المتضاربة .. " (٢)

---

(١) عقائد المفكرين ، العقاد ص ٥٥ راجع ايضا الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ص ٢٣

(٢) الاسلام ونظرية داروين ، محمد احمد باشميل ص ١١٢

ان هذه التصريحات من داروين ان دلّ على شيء فانما يدل على أن داروين كان في هذه المرحلة شاكا في وجود الله عز وجل ، وقد يكون أكثر ميلا الى الالحاد والكفر .

ولكن داروين لم يصرح بالالحاد في هذه المرحلة المتوسطة من حياته فانه قد صرح في آخر عمره عن الحاده وكفره بالله تعالى .

الثالث : كفر داروين والحاده :

فقد صح عنه قوله : " لم أكن واثقا من اعتقادى بالله ، ولكنني واثق تماما من اعتقادى بالانسان .

ونقل عنه أنه قال :

" ان الاعتراف بوجود خالق له ارادة في الخلق ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت " (١)

ان هذه اشارة صريحة من داروين الى أنه ينفي تدخل الله في عملية التطور وأن وجوده ليس ضرورة لرعاية هذا الكون المادى" .

هل اكتفى داروين بنفى تدخل الله في الكون فحسب ؟ لا ! بل ذهب الى أبعد من ذلك ، انه قد أعلن كفره والحاده قبل أن يموت ..

وقد اعترف بالحاده في خطاب وجهه الى صديقه (غراى) في جامعة (هارفارد) ، قال فيه : عليّ أن أخبرك -كرجل شريف- بأني بلغت غاية الهرطقة والالحاد في قولي أنه ليس ثمة من أنواع مستقلة الخلق ولعلك مستحقرني من أجل ذلك " .

ولم يكتف داروين بهذا الاعلان الالحادى بل ندم على استعماله لفظ الخلق في كتابه أصل الأنواع .. فهذا الاستاذ يوسف كرم يوضح ذلك بقوله (٢) :

---

(١) الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ص ٢١

(٢) عباقرة العلم ص ١٧٦ نقلا عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ص ١١٤

" وقد كان (دارون) مؤمنا بالله الى وقت ظهور كتابه (أصل الأنواع) الذى قال في ختامه ان الصور الحية الأولى مخلوقة ، ثم تطور فكره شيئا فشيئا حتى أعلن أسفه لاستعماله لفظ الخلق مجاراة للرأى العام ، وصرّح بأن الحياة لغز من الألغاز وأن ما فى العالم من ألم يعدل بنا عن القول بعناية الهيئة .. " (١)

فقد ظهر لنا هنا أن داروين اتخذ وجود الشر فى الكون دليلا لانكار وجود الله عز وجل ..

وشهد شاهد من أهله :

ولعل أقوى شهادة لدينا على كفر داروين والحاده هى شهادة زوجته التى قالت بعد موته :

" لا ريب عندى فى أن داروين قد كفر بالله سبحانه وتعالى ، ولكن الله غفور رحيم وهو سيصفح عنه " (٢)

وهكذا كان مصير داروين .. لقد اتضح سرّ اختلاف الناس فى ايمان داروين . وأن الكل صادق فيما وصف به داروين .

قد كان مؤمنا في أول أمره ، ولذا قال الفريق الأول انه مؤمن ولعل هذا الفريق لم يطلع على ما صرّح به داروين من كفر والحاد . ثم صار شاكا ومصانعا للرأى العام ، ولذا قال الفريق الثانى أنه منافق ، ثم كان مصيره الى الالحاد والتعطيل الصريح آخر أيامه .. ولذا يقول الفريق الثالث أنه ملحد ويدعو الى محاربته ومحاربة أفكاره الالحادية التى كتبها فى كتابه المشهور (أصل الأنواع) .

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ص٣٣٦

(٢) عباقرة العلم ص ١٨٤ نقلا عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ، باشميل ص ١١٤

موقفنا من النظريـــة

لقد نقلنا الأقوال فى خلال هذا البحث ، وناقشنا بعض الآراء لنبرهـــن على أن نظريـة التطور ليست الا من قبيل الفرضيات التى لم يقم عليها برهـان قاطع ، ولولا أن الصهيونية العالمية والشيوعية ، كل واحد منهما تتبناهـــا ، لهوى فى النفس كامن ، لنقضت من زمن نتيجـة للحملات العلمية المركـزة التـى قام بها آلاف من العلماء عليها ... ان بروتوكولات حكماء صهيون ، تذكـــر أنها هى التى مهدت لنجاح داروين وقصدها من ذلك تحطيم الأديـان فى أنفس البشر غـير اليهود ..

والشيوعـية تتمسك بها ـ كتمسك لا بد منه ولو باطلا ـ لاثبات الماديـة الجدليـة .

أما موقفنا نحن المسلمين من هذه القضية فهو الذى ذكرناه سابقا كموقفنا من كل شئ : ما قام عليه البرهان قبلناه ، والا توقفنـا فيه اذا كان النـص القرآنى محتملا ، أمـا اذا جزم النص القرآنى وشك فنحن مع النص جزما ..

* * *

ولا يفهم أحد منا أن البحث عن نشأة الكون ممنوع شرعا ، فقد أمرنا اللــه أن نبحث عن نشأة الحـياة :

﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾

﴿ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ﴾ (١)

ولقد أمرنا أن ننظر كيف وجدت الأحياء : ﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خـلقت ﴾ (٢)

وعند الله علم اليقين : قال تعالى ﴿ فما بال القرون الأولى ؟ . قال : علمها عـند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ﴾ (٣)

---

(١) سورة العنكبوت الاية ١٩ ـ ٢٠
(٢) سورة الغاشية الاية : ١٧
(٣) سورة طـه الاية : ٥١ ـ ٥٢

فما أخبرنا عنه من ذلك لا يكون غيره حقا ولا يكشف العلم عن سواه .
فقد رأينا أن النصوص التي تتعلق بخلق آدم كلها تؤكد الخلق المباشر .
ولا تجد نصا صريحا يدل على الخلق التمهيل المتطور .. اللهم الا اذا كان من قبيل الفرضيات العقلية ..

وقد رأينا العلم الحديث أيضا لا يؤيد هذه النظرية بحال من الأحوال بل اعتبرها اسطورة من الأساطير ..

وآخر دعوانا في ذلك قوله تعالى :

﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾

﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾

﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى ، والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ﴾

﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ﴾

سبحان الذي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات وجعل بعضهم يمشي على بطنه من أصل خلقته وبعضهم على رجلين منذ بداية خلقه وبعضهم على أربع كما أراد الله لأنه يخلق ما يشاء ولا يعجزه شيء .. ولم يسند هذا للطبيعة العمياء ولا للانتخاب الطبيعي كما يدّعون ..
والحمد لله الذي أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من أعضاء وآلات وحواس.
وهيأ الانسان تهيئة خاصة لتحمل أعباء المسئولية والتكاليف الربانية
أحمده وأشكره وأصلي وأسلم على النبي الكريم .

الفصل السادس

دور اليهود في افساد أوربا

لقد رأينا في السطور السابقة أن من أهم العوامل التى أدت الى تمكين الفكرة الالحادية في أوربا الحديثة الأسباب التى ذكرناها ..

ولو هلنا أن نتحدث عن الأسباب الخفية التى قد أهملها كثير من الباحثين :

وهما : (١) دور اليهود في افساد أوربا

(٢) رجوع أوربا الى ارثها الوثنى القديم .

فلنمط .. كلا .. لمحة سريعة ..

دور اليهود في افساد أوربا :

لقد استغلت اليهودية العالمية ، هذه الظروف المحيطة بالكنيسة ورجالها ، لتوسيع الهوة التى قامت بين فكرة الدين وفكر الالحاد .. استغلتها تحقيقا لحقدهم القديم ضد غير اليهود عامة ،وحقدهم على المسيحيين بصفة خاصة من أجل ما لا قوه منهم من اضطهاد ..(١)

---

(١) ثأرهم مع المسيحية في أوربا ثأر قديم .. ثأر الاضطهاد الفظيع الذى نالوه من الحكم الرومانى المسيحى ،والاذلال الذى اصابهم في كل مجتمع مسيحى فلنضرب على ذلك مثلا واحدا .. كان المسيحى يحتاج الى المال فيقترضه من اليهودى ومع ذلك يأبى الا ان يحقر مقرضه ، فلا يسلم عليه بيده ولا يلمسه انما يوقفه بعيدا عنه كالمنبوذ ويقول له آمرا موبخا : (ضع المال بعيدا واغرب عن وجهى يا خنزير . فاذا ابتعد خطوات في ذلة ذليلة ، اقترب (السيد) المسيحى ليأخذ المال الذى اقترضه من اليهودى .. اذلال لا تنساه ذاكرة اليهود .

راجع التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٣٢

راجع أيضا مكائد يهودية عبر التاريخ ،عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ص ٢٢٢

وراجع ايضا كتاب أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليلم غاي كار ص ١

ففكرت هذه اليهودية العالمية في أن أعظم مادة تبنى بها هذا الجدار اللعين (١) مادة الالحاد والكفر بالله عز وجل ، لاقامة الحسابات الرياضية والرغبات المادية مقامه .

لأنهم يدركون جيدا أن هذه المبادئ السامية متى انهارت في قلوب الناس فقدوا — بالضرورة — كل الروادع الداخلية التي تردعهم عن الشر ... فيقعون صرعى لهذه الشرذمة الملعونة أو يكونون حميرا ليركبها "شعب الله المختار".

وتلك كانت مهمة اليهودية العالمية . وقامت بها بنجاح منقطع النظير (٢) ونستطيع أن نجمل المخططات التي قامت بها اليهودية لافساد أوربا ، في دورين هامين :

أحدهما :— دور نظرى ، وثانيهما :— دور عملى . فكل دور منهما له أخطاره الكبيرة فلابد من ايضاح كل منهما ولو قليلا :

الدور العملى :

وأما الدور العملي الذى قام به اليهود لافساد أوربا فأسبابه كثيرة ومتنوعة ولكننا نستطيع أن نجملها فى شيئين اثنين :

(١) الثورة الفرنسية

(٢) الثورة الصناعية

---

(١) راجع كتاب مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى ص ٢٢٥

(٢) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٢٢

راجع ايضا كفاحى : ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص ١٤٦ ، ١٤٧

راجع أيضا كتاب اليهود في القرآن ، عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٥٠ ط : السابعة .

أولا — الثورة الفرنسية الكبرى :

خلال القرن الثامن عشر الميلادى دبر اليهود مكائدهم لاقامة الثورة الفرنسية الكبرى التي اندلعت نارها في عام ١٧٨٩ م (١) كما سبق واستطاعوا أن يجنوا الثمرات لأنفسهم ، على حساب الأمم والشعوب ، والدماء التي اهرقت من جرائها لا تعد ولا تحصى واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بعيدين عن الأضواء ، وأن يزوروا كثيرا من الحقائق التاريخية لستر مكائدهم وغاياتهم وأن يصوروا هذه الثورة وما جرت وراءها بالصورة المحببة الجميلة ، وأن يجعلوها احدى الأعمال التاريخية المجيدة ، وذلك عن طريق الدعايات والاشاعات المزخرفة المقرونة بالشعارات البراقة التي انخدعت بها الجماهير وأخذت ترددها بغفلة وحماقة وجهل بما تهدف اليه كما تردد الببغاوات الكلمات التي تسمعها وهي لا تعلم ما تدل عليه .

واليك جملة تدل على صدق ما نقول :

قالوا في بروتوكولاتهم : (١٨)

" لقد أقنعنا الأمميين بأن مذهب التحررية سيؤدى بهم الى مملكة العقل وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة لأنه سيكون في مقام يقمع كل الثورات ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات .

" حينما لاحظ الجمهور أنه قد أعطى كل أنواع الحقوق باسم التحرر تصور نفسه انه السيد وحاول أن يفرض القوة . وان الجمهور مثله مثل كل أعمى آخر قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى ، ولأنه لم يرغب في الرجوع الى المنهج السابق وضع عندئذ قوته تحت اقدامنا . ثم قالوا وهو محل الشاهد :

" تذكروا الثورة الفرنسية التى نسميها (الكبرى) ان اسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا . ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدما من خيبة الى خيبة " (٢)

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام غاى كار ص ١٤
(٢) البروتوكول الثالث ص (١٢٩)

هذا ما يقوله اليهود بأنهم هم الذين نظموا هذه الثورة والمعلوم أن اليهود ليسوا هم الذين ينشئون الأحداث ولكنهم يستغلونها للقيام بدورهم الخطير.
وقد عرفنا أن المظالم وسوء توزيع الثروة العامة كانت قائمة من قبل الأشراف والنبلاء ورجال الدين ولكنهم (اليهود) استغلوا هذه البيئة الفاسدة لبث مخططاتهم كما قلنا سابقا وليجعلوا من ذلك سندا للعامة والجماهير حتى يعرفوا أن التمسك بالدين والأخلاق والتقاليد تهمة ينبغي التبرؤ منها ..

هذه هي الثورة اليهودية التي سموها ـ بهتانا وزورا بالثورة الفرنسية ـ وهكذا جرت الأمور وتتابعت لصالح اليهودية العالمية وزوروا الحقائق التاريخية هذا ما اعترفت به دائرة المعارف الماسونية على لسان المؤرخ السياسي الاقتصادى لويس بلان : " ان الماسونية كانت معملا للثورة .. فقد مكثت الماسونية نحو نصف قرن تعد محافلها أفكار الشعب الفرنسي للقيام بثورته الكبرى ولا غرابة في الأمر . فالماسونية ،قد اتخذت شعارا لها ،كلمات ثلاث : حرية مساواة ، اخاء اتخذها قبل ان تتخذها الثورة الفرنسية شعارا " (١)

تمويل الثورة الفرنسية

أما عن تمويل الثورة الفرنسية فتعترف دائرة المعارف اليهودية أنه كان وراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها وتذكر اسماءهم صريحة وهم :

دانيال انزج	(١٧٢٢ـ١٧٩٩)	من برلين
ديفد فريد لاندر	(١٧٥٠ـ١٨٣٤)	من برلين
هرز سير فيبر	(١٧٣٠ـ١٨٩٣)	الالزاس
بنجامين جولد سمد	(١٧٥٥ـ١٨٠٨)	من لندن
ابراهيم جولد سمد	(١٧٥٦ـ١٨١٠)	من لندن
موزس موكاتا	(١٧٦٨ـ١٨٥٧)	من لندن

(١) البروتوكول الأول ص ١١٩
وراجع حنا أبو راشد ص ١٥٢
نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص ١٣

وهم عم المليونير الانجليزي مونتفيوري (١) ومن المعروف ان نيكر (—) اليهودي السويسري كان وزيرا لمالية لويس السادس عشر ملك فرنسا ، فاغرق هذا الوزير فرنسا بالديون حتى وصلت الى ١٧٠ مليون جنيه استرليني ، وهي ديون باهظة في ذلك الحين ، فرسموا خطة تجويع فرنسا .. وحينئذ لم يبق للشعب الفرنسي صبر على تحمل هذه المجاعة العامة فقاموا بهذه الثورة اليهودية التلمودية ..

ولن يعد غريبا مثل هذه الافكار الهدامة والأعمال المجرمة ، اذا قرأنا الوثيقة الخطيرة التي وجدت بين أوراق ميرابو (Mirabohn) التي ضبطت في منزل (مدام لجاي) زوج ناشر كتب ميرابو وذلك في ٦ اكتوبر (١٧٨٩) ونصها :

" يجب أن نسحق كل النظم ، وأن نلغي القوانين ، وأن نمحوا كل السلطات وأن نترك الناس في فوضى ، وقد لا تنفذ القوانين التي نسنها في الحال ، ولكنا متى اردنا السلطة الى الشعب فانه سوف يقاتل من أجل حريته يعتقد أنه يقاتل لصونها ،

ولكن لما كان الشعب آلة يحركها المشرعون طبق ارادتهم فمن الضروري أن نستخدمه لتأييدنا ، وأن نحمله على بغض كل ما نرمي الى هدمه ، وأن نغذيه بالخيالات والأوهام ، كذلك يجب ان نشتري كل الاقلام المرتزقة التي تبث مبادئه ، والتي تعرف الشعب باعدائنا الذين نهاجمهم .

" فرجال الدين — مثلا — وهم أقوى الطوائف تأثيرا في الرأى العام لا يمكن هدمهم الا بالسخرية من الدين ، والتشهير بأقطابه ، وتصويرهم أوغادا منافقين

---

(١) راجع :

نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام تأليف عبدالله التل ص١٣

ذلك لأن (محمدا) مهد لانشاء دينه بالطعن في الوثنية التى يعتنقهـا العرب • ومن الواجب ان تقوم النشرات القاذفة في كل وقت بحملات جديدة على رجال الدين • فتبالغ والقتل والكفر كلها مباحة في أوقات الثورة • ثم يجب أن نشين من قدر النبلاء وأن نرجعهم الى أصل ساقط "(١)

وهكذا كان شأن الثورة الفرنسية •• فهى كانت ــ كما قلنا سابقا ــ من أسباب شقاء العالم واذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التى خططت للثورة وموّلتها ونفذتها وجنت أرباحها •

ويكفى أن نذكر الحقيقة المرة وهى أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية الماسونية سنة ١٧٨٩ م قد تحولت تدريجيا الى مزرعة يهودية بمالها وثقافتها وعلمها وسياستها واقتصادها •

كما غدت فرنسا بفضل التسامح الذى فرضته الثورة اليهودية بؤرة فساد • توزع الرذيلة والدعارة والفجور على العالم بأسره ••• واذ فهمنا ذلك فلننتقل الى الدور الثاني الخطير الذى قام به اليهود في بث الأفكار الهدامة ضد الكنيسة ورجالها • وهو الثورة الصناعية •• فالى هناك!

ثانيا ــ الثورة الصناعية :

وقد قلنا ــ وسنظل نقول دائما ــ ان اليهود لا ينشئون الأحداث ولكنهم يستغلونها لتنفيذ مخططاتهم الماسونية التلمودية الصهيونية •

نعم! قد فرحت اليهودية العالمية أيما فرحة بقيام النهضة الاوربية الحديثة على أساس لا دينى (Secularité) • ولم تكن فرحتها ــ بعد ظهور الداروينية ــ أشد من الثورة الصناعية فبذلت اليهودية جهود الجبابرة لتوسيع الهوة التي قامت بين الدين وبين هذه الثورة •

* * *

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة • لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢ • ١٩٥٤ ص ١٤٤ • ١٤٥

لقد استغلت اليهودية العالمية هذا الانقلاب الصناعي استغلالا يتجاوز حدود القياس ...

استغلته لتفتيت الروابط الأسرية وافساد الأخلاق ..

كما استغلته أيضا لنشر التعامل الربوي في أوربا أولا وفي جميع بقاع العالم أخيرا ..

فلا بد - اذن - من ايضاح لهذين الاستغلالين ...

الا أننا نود - قبل هذا الايضاح - أن نعطي للقارئ الكريم فكرة موجزة عن الثورة الصناعية التي كانت بمثابة (النذير العريان) (1) لمجيء الأحداث على الدين والأخلاق والتقاليد في أوربا الحديثة ...

فاليك شرحا مختصرا لهذه الثورة الصناعية :

ان هذه الثورة العجيبة بدأت بظهور الآلة .. فأحدثت انقلابا شاملا للحياة الأوربية .. لا يقف عند حدود العلاقات الاقتصادية أو الاجتماعية فحسب ، وانما يتعداها الى كل نواحي الحياة في أوربا ..

في البيت والشارع ..

في العمل وفي الأفكار ..

في التقاليد والقيم ..

والمبادئ والأخلاق ..

لم يبق شيء على الاطلاق الا أصابته سمومه ..

ان هذا الانقلاب ظهر أول ما ظهر في المدن تلك الصناعية ، حيث بدأت تجتذب اليها الشباب من الرجال العزب ليعملوا في المصانع الجديدة ويعيشون في المدن على صفة لم يعرفوها سابقا ...

جاءوا بدون أسر .. فاجتمعوا في زمالة العمل .. غير متعارفين ولا مترابطين وفجأة بدأت الحياة الأوربية تتغير ..

---

(1) هو الذي ينذر قومه وهو عريان ليعلموا أن الأمر شديد فيستعدوا بالجد قبل نزول الغارة أو المصائب .

الفلاحون الذين كانوا يعملون في الأرض ،أخذوا يعملون في المصانع " التى تجمع حولها الشبان الأقوياء المفتولي العضلات .. الذين يقدرون على الجهد المضلي المنهك .."

وجاء دور تشغيل المرأة في المصانع :

ولما كان العمال الشبان يعملون فوق ما يطيقون ولا يأخذون الا بخس دراهم ، فساءت العلاقة بين العمال والسادات .. ففكروا حينئذ في تشغيل المرأة بأقل الأجور من الرجال " (١)

ثم جاءت المرأة لتعمل مع الشبان في المصانع .

جاءت أيضا بدون أسر .. تشترك مع الشبان في العمل ، وصارت تملك مالها ملكا تاما .. وتعامل مع الرجال الأجانب في المصنع والمتجر والطريق ..

فأحست المرأة أنها "تحررت "

فكان ذلك انقلابا في نفسها ..

فاذا هي تلتقي مع الشباب المتحررين أيضا ..

من هنا خبثت أخلاقهم وانحلوا من ربقة الدين والتحلي بالفضائل ..

ولكن الأمر لم يتوقف عند هذه الحدود ، بل قامت المرأة المتحررة تطالب بجميع حقوقها كاملة غير منقوصة ..

وتطالب المساواة مع الرجل في الأجور ..

تطالب المساواة مع الرجل في التحلل والاباحية والانطلاق ..

تطالب دخولها في الجامعات مع الرجال جنبا الى جنب ..

تطالب دخولها في البرلمان والانتخابات والتمثيل الشعبي والمهني والنقابي ..

تطالب الحرية في القول والعمل ..

" فتحررت المرأة " وتحرر الناس من قيود الدين والأخلاق والتقاليد وأصبحت الاباحية ديانة معترفا بها ، ويقوم بالدعاية اليها رجال على مسمع من الحكومة ،

---

(١) التطور والثبات ، محمد قطب ص٢٣ ولكن بالتصرف .

كتبا وقصصا وبحوثا وصحافة واذاعة وسينما وتلفزيون ..

وكان شعارهم في جميع أنحاء أوربا : دعه يعمل ( )

دعه يمرّ ( )

ومعنى ذلك دع " الفرد " يعمل كما يشاء بلا قيود ودعه يمرّ لحاجاته بلا حواجز ولا عوائق ..

فاندحرت أوربا في ظلمات الالحاد والاباحية ..

هذا جزء ضئيل من قصة الثورة الصناعية ..

وجاء اليهود في وسط هذه الاباحية المطلقة الحرة لينفخوا في صورها ويزينوها للناس في صورة براقة خلابة .. فافهموا هؤلاء المجانين أن الجنس عملية بيولوجية بحتة لا علاقة لها بالأخلاق . فبدوا يحيطون بالمجتمع الأوربي المفتون المسكين ، من المغريات بشتى أشكالها من القصص والمسرحيات وسينما ، وتلفزيون والاذاعة والصحافة ..

كل ذلك يصور الحياة من خلال الجنس! الجنس فقط .. وتصوره على أنه شيء طبيعي ..

ان اليهود أنفسهم قد اعترفوا بهذا الدور الفظيع الذى قاموا به فقالوا في البروتوكول مايلى :

" يجب أن نعمل لتنهار الاخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا .. ان فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقة الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الاكبر هو ارواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه" (١)

وقالوا أيضا فيه :

" لقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونيتشة بالترويج لآرائهم وأن الأثر الهدام للأخلاق الذى تنشئه علومهم في فكر غير اليهودى واضح لنا بكل تأكيد" (٢)

---

(١)

(٢) البروتوكول الثاني ص ١٢٣

وهكذا جعلت اليهودية العالمية ، أوربا بكاملها بين " فكي الكماشة " ولم تستطع أوربا التخلص من بينهما حتى وقعت صريعة بين أيدي اليهودية العالمية . فأسست لها النظريات التي أسس عليها بنيان المجتمع الغربي الحديث ، يمكن حصرها في ثلاثة عناوين :

١ ـ المساواة بين الرجال والنساء

٢ ـ استقلال النساء بشؤون معاشهن

٣ ـ الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء

ولا يخفى على كل ذي عقل ان هذه الكلمات الثلاثة فيها ما فيها من تدمير الأخلاق والخروج بالنساء من الانسانية الكريمة الى البهيمية الهابطة .

١ ـ أنهم فهموا من ساداتهم ـ اليهود ، أن معاني المساواة أن يرخى للمرأة عنان القيود الخلقية مثل ما أرخى للرجل من ذي قبل .. فهذه الفكرة الخاطئة جعلت المرأة غافلة بل منحرفة عن أداء واجبها الفطري الذي يتوقف على ادائه بقاء المدنية بل بقاء الجنس البشري وهو تربية الأولاد في البيوت وبترك هذا الواجب الفطري وصلت أوربا الى نتائج فادحة ..

ومن نتائج هذا الاتجاه المنحرف أن تفككت الأسرة

لماذا ؟ الأب يعمل ..

الأم تعمل ..

والأولاد يعملون ..

فقد أدى هذه الاعمال المرهقة الى تعاطي موانع الحمل وقتل الأولاد ، لأنهم يمنعونهم من أعمالهم .. هل يرضى بذلك البهائم والوحوش من سكان الغاب والبراري ؟ لا والله !

هكذا صارت بنات حواء في المجتمع الغربي الحديث ..

اذا فهمنا هذا فلنتقدم الى خطوة ثانية ..

استقلال المرأة بشئونها :

٢ ـ نـود هنا أن نلقى الأضواء على النظرية الخبيثة التى تقـول : باستقلال النساء بمعايشهن وأن يقمن بحالهن وبشؤونهن الاقتصادية ..

ان هذه النظرية اليهودية ،نظرية باطلة لما ظهر منها من نتائج سيئة تتعارض مع الفطرة الانسانية ..

وبيان ذلك أن هذه النظرية تدعو أن تفوض شؤون البيت الى الفنادق والشركات .. لأن المرأة قد تحررت اقتصاديا ، تذهب صباح مساء الى الشغل وليس عندها وقت لاعداد الطعام في البيت ..

وكذلك الرجل لا يوجد لديه وقت ، لأنه مسئول عن نفسه في كل ما يتعلق بشؤون المنزل .

فلم يبق بعد هذا الانقلاب بينهما من صلة ترغبهما في العشرة البيتية وتجبرهما على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس الحيوانية .

ومن الظاهر أن مجرد اطفاء أوار الشهوة البهيمية ليس بأمر يضطر الرجل والمرأة الى أن يتعاشرا في بيت واحد ، مقرونين في نير الرابطة الزوجية الأبدية .

لأنه من الميسور أن يجد كل واحد منهما مكانا آخر لا طفاء هذه الشهوة ، فما للمرأة ـ اذن ـ ترهق نفسها باعباء خلقية وأثقال قانونية في غير طائل .

وان كانت تخاف من ولد الزنى الذى تلده من فاجر مغمور ،ولكن قد أذهب عن نفسها هذا الخوف ما ابتكر أخيرا من أساليب التخلص منه : وأولها تدابير منع الحمل . فان أخفقت ، فلا بأس باسقاط الجنين .. وان لم يتحقق ، فلا حرج في قتل المولود من وراء الجدران ، في جنح الليل وان أبت عاطفة الأمومة قتل المولود ، فلا لوم على الفتاة في كونها أمّا لا بن زنية ..

وبهذا فقد أصبح الناس في المجتمع الصناعى لا يعتبرون الاتصال الجنسي غير المشروع ، عيبا وازدراء وحطا من شأن الانسان ، بل العكس عندهم

هو الصحيح . وهو أن يفعل الانسان هذا الاتصال الجنسي البهيمي تخلصا من تهمة الرجعية وحكم التخلف والجمود ..

هذا هو الذى أفسد أخلاق أوربا من القواعد . وزلزل كياتـه زلـزالا شـديدا ولا يستطيع أحد أن يتصور مقدار هذه البهيمية التي يعيشونها الا من أتصل بالأوربيين عن كثب ، بل عن كتب أيضا .. يقول أبو الأعلى المودودى في هذه المناسبة :

" كل قطر من أقطارهم ترى مئات الألوف من الفتيات والنساء عوانس ، يرتدن موارد الفحشاء والشهوات من غير تحفظ ولا خجل ..

" ويتفوقهن في كثرة العدد اللاتى يتزوجن في سورة من عاطفة الحب العارضة ، ولكنه لم يبق بين الرجل والمرأة من صلة غير صلة المتعة الجنسية ـ تحوج أحدهما الى الآخر ..

وقد عادت أمثال هـذه الأواصر الزوجية كأوهن ما يكون من الأمور ..

" وهذه الحال الراهنة هي السبب في شيوع المفاسد من منع الحمل واسقاط الأجنة وقتل الأولاد وانخفاض تناسب المواليد وكثرة أولاد الفضول ، وكذلك لها يد وأيّ يد في انتشار الفاحشة والخلاعة وازدياد الأمراض السرية الفتاكة . " (١)

فلا بد أن يصلوا الى هذه النتائج المخيفة لأنهم في انحرافهم هذا قد خالفوا الفطرة الانسانية ، فلا بد اذن من عقوبة الفطرة .

ان فطرة الانسان ترى دائما أن المبدأ الصحيح أن يكسب الرجل وتدبر المرأة شئون البيت .. هناك يحصل التوازن ويحصل الوئام بين الطرفين . بل يحصل هناك السكون والرحمة والمودة ..

هذا ما قرره الاسلام في تكوين المجتمع المسلم / النظيف فقال تعالى :

---

(١) الحجاب لأبى الأعلى المودودى ص٣٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر .

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ﴾

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١)

أى أن البيت السعيد هو الذى يكون فيه السكون والرحمة والمودة .. ويكون الغرض الأساسى للاتصال الجنسى تشجيع على الانجاب والتكاثر الذى يرثك ويدعو لك بعد الموت .. وليس الغرض هذه الشهوات الحيوانية النكراء ...

٣ ـ ولم ينته المكر اليهودى في تضليل الأوربيين حتى جردهم من كل خلق انسانى ، قد استبدله لهم بأخلاق " الكلاب " و " الذئاب " .. قد استبدل هذا البيت السعيد الهادئ ، بالاختلاط المطلق بدون حياء ولا مروءة ... فنتجت عن هذا الاختلاط المطلق ، نتائج فادحة ..

(١) التبرج والعرى في النساء .. لأن الجاذبية الجنسية ـ (Sexual Attraction) التى أودعها الله سبحانه وتعالى ـ في فطرة الرجل والمرأة ، لها سلطانها الذى لا ينكر ..

ان هذه الجاذبية ـ كما يعرف ذلك الجميع حتى الملاحدة ـ تزداد قوة واشتدادا باختلاط الجنسين ..

(٢) ولا ينتهى هذا الافتتان بابداء الزينة والجمال عند حد ... بل يتجاوز الحدود كلها واحدا بعد الآخر ، حتى ينتهى أمره الى غايات العرى المشين ..

ان أوربا الجاهلة شاهدة على ذلك .. فقد ازدادت ـ ولا تزال تزداد في المرأة الأوربية ، غريزة التجمل وحب الظهور بالمظاهر الجذابة للرجال الى حد لا تكاد تظن أنها تعتبر نفسها انسانا ..

تراها تكاد تتجرد من ملابسها وتريد ألا تستر جسمها هدبة ثوب منها .. هذه حال المرأة عندهم ..

---

(١) سورة الروم الاية : ٢١

كل ذلك من تخطيط هذه الخلايا الخفية " اليهودية العالمية " .

وأما رجالهم فما تزيدهم كل هذه المظاهر الخلابة من الجمال النسوى الا نهمة وشرقا ..

لأن نار الشهوة والعاطفة البهيمية المتأججة في الصدور لا تخمد بكل منظر جديد من الخلاعة والسفور .. بل تزداد دائما وتزداد ... (١)

ولا يزال هذا الداء الوبيل — من غلبة الشهوة البهيمية — ينخر في كيان الأمم الغربية وينقص من قوة حياتها بسرعة هائلة ..

والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة الا أوردها موارد التلف والفناء ..

ذلك بأنه يقتل في الانسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية وتقدمه في الحياة ..

وسنتكلم على ذلك بالتفصيل في الباب الذى سنعقده — ان شاء الله — تحت عنوان (من نتائج الالحاد الحديث) .

اندفاع غريب الى الشهوات

لقد تقرر معنا أن اليهودية العالمية ، لا تنشىء الأحداث وانما تستغلها وتنفخ فيها وتغير أهدافها ، ... اذن تعلم أن الاندفاع الى هذه الشهوات الحيوانية كانت موجودة في عروق الأوربيين .. فلا بد أن يكون ذلك لسبب من الأسباب .. لأننا لم نر أهل ديانة يتجردون من دينهم بهذا الشكل الغريب الفظيع الا الأوربيون .. فما هو سبب انحلالهم من الأخلاق بهذا الشكل ؟

---

(١) حكم التبرج والاختلاط في الاسلام ..

الحقيقة أن الدارس لاخلاق المسيحيين يجد ان هذا الاندفاع الى الشهوات بهذا الشكل السريع وقع ، كرد فعل ضد الكبت الكنسي ..

وتفصيل ذلك : ان الفكرة التى كان يحملها الآباء المسيحيون - كما قلنا سابقا - في باب طغيان الكنيسة - عن علاقة ما بين الرجل والمرأة ، كانت قد جاوزت حد التطرف في جانب ، وكانت حربا على الفطرة البشرية في جانب آخر ..

فاليك شرحا موجزا من نظرتهم الى المرأة ..

(١) ان المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور ..

(٢) وهي باب من ابواب جهنم لأن منها انبجست عيون المصائب الانسانية جمعاء

(٣) فبحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة .. وينبغي أن تستحي من جنسها وجمالها .. لأنه سلاح ابليس الأقوى ..

هذه نموذج من الفكرة التى كان يحملها آباء الكنيسة تجاه المرأة ..

وكان ذلك رد فعل لاندلاع هذه النار الشهوانية في ظل الثورة الصناعية .(١)

فلنستمع الى ترتوليان (Tertullion) الذى هو أحد أقطاب المسيحية الأول وأئمتها مبينا نظرية المسيحية في المرأة :

" انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان . وانها دافعة بالمرء الى الشجرة الممنوعة ، ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله - أي الرجل .."(٢)

وكذلك يقول كرائي سوستام (Chrysostem) الذى يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة ..

" هي شر لا بد منه ، ووسوسة جبلية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة و مطلي مموه " (٣)

---

(١) الحجاب ص ٢١
(٢) المصدر السابق ص ٢٢
(٣) المصدر السابق ص ٢٢

أما نظريتهم الثانية في باب النساء ، فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها ، يجب أن تجتنب ، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع "(١)

وان كنا لا نجد مبررا لما نحاول ، ولكنا نقول ان الكبت الكنسي له يد في اندفاع الناس الى هذه الشهوانية البهيمية الحمقاء .

الخلاصة : ان هاتين النظريتين ما وضعتا المرأة المكانة اللائقة بها .. هناك تنفير منها ، وهناك دعوة الى عبادتها .. فالكل متطرف ..

تنبيه :

اذا قلنا أن الدول الأوربية الملحدة قد فسدت أخلاقها وخبثت ليس معنى ذلك انهم لا يوجد لديهم شيء ما من الأخلاق ؟

لا ! ان لديهم ألوانا من الفضائل في مجال التعامل الفردى : الصدق والاخلاص في العمل والاستقامة والأمانة ونظافة التعامل .. ولكنهم - لبعدهم عن منهج الله ، تنحرف عن طريقها القويم .

فقد تحولت - كما سنرى في آخر هذا البحث - الى فضائل " نفعية " يتبعها من يتبعها ، لأنها في مجموعها " نافعة " في التعامل .. تجعل عجلة الحياة تسير بلا احتكاك ..

أما حين تفقد نفعهم تجد الأوربي غير الأوربي وتصبح الأخلاق في نظره حماقة وعدم الفهم لا تستحق الاتباع ومستعمراتهم تشهد على ما نقول ..

هذا ما أريد أن أنبه اليه ..

---

(١) الحجاب ص ٢٢

الثورة الصناعية والتعامل الربوى

قد مر بنا أن الانقلاب الصناعي بدأ بظهور الآلة ، وهي تحتاج الى رؤوس الأموال الضخمة لادارتها .. فليس هناك من كان عنده مثل هذه الأموال الا اليهود المرابون ، لا عند ملاك الأرض الاقطاعيين ولا غيرهم ..

فكانت هذه الفرصة بالنسبة لليهود فرصة سانحة أيضا ..

لأنهم يعلمون جيدا أنهم كما أفسدوا الأخلاق بواسطة النظريات والمنظمات السرية يستطيعون أيضا أن يفسدوا الجو في عالم الاقتصاد بسبب التعامل الربوي ..

فبدوا يقرضون الرأسماليين عن طريق (الربا) غير مبالين تعاليم التوراة التي تقول : " لأخيك لا تبع ربا " .. (١)

اى لا تبع ربا لأخيك في الانسانية .. ولكن اليهود — بنيتهم الخبيثة — حرفوا معنى النص فقالوا : ان معناه كالتالي :

لا تبع ربا لأخيك اليهودى .. أما (الأميون) غير اليهود فلا جناح عليك أن تمتص دماءهم بكل سبيل ..

﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ (٢)

من هنا أباح اليهود الربا لأنفسهم ، فانتشر التعامل الربوى في الرأسمالية الناشئة .. فاتسمت — منذ البدء — برغبة الحصول على الربح الفاحش .. ومن أسهل سبيل .

وهذا هو بدء الكارثة التي أفسدت اقتصاديات أوربا . وأبعدتها من كل معنى الرحمة ومن كل معنى الانسانية .. (٣)

---

(١) سفر اللاويين ، الاصحاح ٢٥ آية ٣٦

(٢) سورة آل عمران الاية : ٧٥

(٣) يراجع في هذا جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص ١٤٢ ، ١٤٥ ، ولكن بالتصرف .

من نتائج التعامل الربـــــوى

ان هذا التعامل الربوى الذى يراه الناس شيئا تافها أو موردا من الموارد المالية ، قد نتجت عنه كوارث عـالمية كبرى .

١ ـ قد أدى الى الاحتكارات الخانقة :

وذلك ان تضخم الرأسمالية المتزايد ، والتقدم العلمى المتزايد ،أدى الى أن رؤوس الأموال الكبيرة صارت أقدر على الربح ـ بامكانياتها العلمية ـ من رؤوس الأموال الصغيرة فأكلتها ! أو اضطرتها الى الدخول معهـــــا في اتحادات .

من المعلـــوم ،حين تتداخل كل رؤوس الأموال العاملة في صناعة ما ،وتكون اتحادا واحدا ،يصبح هذا الاتحاد بالضرورة محتكرا لهذه الصناعة وحده ..

بدليل أنه لا يستطيع أصحاب رؤوس الاموال الصغيرة ان ينافسوه في هذا الميدان الذى تخصص فيه وتهيأ لاحتكاره..

فمن هنا قلنا : ان التعامل الربوى تودى الى الاحتكار والأنانية فلذا حاربه الاسلام بقوله تعالى : * أحل الله البيع وحرم الربا * (١)

ولأجـــل هذا نجد عالمنا كله اليوم يريدون نظاما اقتصاديا عالميـــــا جديدا يخرجهم من هذه الاحتكارات التي تسود عالمنا اليوم الى الاستقرار الاقتصادى .

هذا من مساوئ اليهودى في أوربا أولا وفي العالم بأســـره أخيرا ..

٢ ـ الاحتكار أدى الى فتح باب الاستعمار :

وبيان ذلك : ان الصناعات قد زادت وتكدس الانتاج هنا وهناك .. وأصبح لا بد من تصريف فائض الانتاج ..

ومن هنا سعت الدول الرأسمالية الى الاستعمار والتوســع " الامبريالى " لكى تضمن الأسواق لفائض الانتاج ..

* * *

(١) سورة الآية :

فكان من نصيب الدول الاسلامية والافريقية أن وقعتا تحت نير الاستعمار الأوربي ..

ولم يكتف هؤلاء المستعمرون بمحاولة بيع فائض الانتاج فحسب بل صاروا يمتصون دماء تلك البلاد المستعمرة وينقلون خيراتها الى بلادهم الأوربية .

هذه بعض نتائج التعامل الربوى الذى فتح بابه اليهود المرابون .....

وبعد : حان الأوان أن ننتقل الى الدور النظرى الذى استعمله اليهود في افساد أوربا الجاهلة الضالة ...

الدور النظرى :

وأما الدور النظرى : فهو بث النظريات الالحادية التي تنكر وجود الله وتنفي تدخله في الكون ، وتنزع الأفكار الدينية كلها من رؤوس الناس وقلوبهم . يقول البروتوكول الرابع في ذلك :

" يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية " (١)

ومما لا يختلف فيه اثنان ان رباط الأمة الوثيق الذى يجعلها في مأمن من التدهور والانحطاط هو الايمان بالله وكذلك الأخلاق التى هى أثر من آثار الهداية الالهية والتي سعت الأديان الى اشاعتها فكلما سارت الأمة في مضمار الهداية شوطا ازدهرت حياتها ويشمل السلام ربوعها . ولذا كان تدهور الأخلاق في أمة ما نذيرا بالخراب . ومن الأهداف المرسومة عند هؤلاء الصهاينة تقويض الأخلاق عند الغير لاضعافه والسيطرة عليه فاستغلوا لذلك النظريات الهدامة والأفكار المضللة . هذا ما صرحت به سياستهم في البروتوكول .

---

(١) راجع البروتوكول الرابع — ترجمة خليفة التونسى ص١٢١ الطبعة الرابعة .

" ان الشباب قد انتابه المته لانغماسه في للفسق المبكر الذى دفعه اليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين والنساء اللواتي يعملن في اماكن اللهو ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدنهم في الفسق والترف " (١)

وهذا ما اعترف به " أدولف هتلر " اذ قال : " فمنذ أن وضع اليهود والبلاشفة نصب أعينهم تقويض صرح الدولة الالمانية ، رأينا الرذيلة تنصب شراكها في طريق الشبيبة الألمانية ، كيفما اتجهت وأنى وجدت ، ورأينا عرش الاباحة والخلاعة ينتصب في دور العرض السينمائي والمرابع والحانات وحتى في الساحات العامة "

ثم أبدى أسفه بقوله :

" كيف يرجى من شبيبة هذا شأنها أن تهب للذود عن الوطن وأن تستميت في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده .. " (٢)

ومن الروائع أن القرآن الكريم سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنا ، بما جاء في قوله تعالى عن اليهود :

﴿ ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ (٣)

وقال تعالى في اليهود أيضا :﴿ وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون . لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ﴾ (٤)

فما ذكره القرآن الكريم ينطبق على اليهود الصهاينة - اليوم - أشد الانطباق ، فهم لا يتورعون عن الآثام وافساد الغير بشتى الطرق للسيطرة عليه . ومن طرقهم المنحرفة استغلال النظريات التي توحي الى هدم قواعد الدين وازالة أهله . واليك نموذج لذلك .

---

(١) راجع اليهود في القرآن ، عفيف طبارة ص٥٠ الطبعة السادسة
(٢) راجع كفاحي ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص١٤٦ ، ١٤٧
(٣) سورة المائدة الاية : ٦٤
(٤) المصدر السابق الاية : ٦٣

نظرية دارون ودور اليهود

لقد فرحت اليهودية العالمية أعظم فرحة يوم ظهر دارون ـ المسيحي ـ بنظريته السالفة الذكر في أصل الأنواع وأصل الانسان ، فقد أدركت بذكائها بما وراء ذلك الحدث الضخم من صدام عنيف مع الكنيسة يقول كتاب بروتوكولات حكماء صهيون :

" ان دارون ليس منا ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها فى تحطيم الدين المسيحي " (١)

واستغلت اليهودية العالمية نظرية (دارون) أبشع استغلال ..

استغلتها على يد ثلاثة من أكبر علمائها .. قاموا بصياغة الفكر الأوربي كله في ميدان الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع .. أخطر ميادين ثلاثة في علم الفكر . أولئك هم ماركس وفرويد ودوركايم . وقد أشار اليهود الى هذا الاستغلال في بروتوكولاتهم فقالوا : " لقد رتبنا بنجاح دارون وماركس ونيتشة بالترويج لآرائهم . وان الأثر الهدام للاطلاق الذى تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودى واضح لنا بكل تأكيد " (٢)

ونكتفى بهذا القدر هنا مخافة التطويل والا لو أردنا أن نأتي بأكثر من هذا لفعلنا لأن كتبهم كفيلة لذلك . وانما أردنا هنا أن نثبت فقط انهم استخدموا النظريات لهدم الأديان والأخلاق .

استغلال المنظمات السرية لمحاربة الدين

كما استغلت اليهودية العالمية النظريات لمحاربة الأديان ، استغلت أيضا المنظمات السرية للغرض نفسه . ومن أخطر هذه المنظمات السرية المنظمة الماسونية .

---

(١) البروتوكول الثاني ص ١٢٣
(٢) المصدر السابق

قد استغلت اليهودية هذه المنظمة الخبيثة بشكل فريد • ونصوصهم في هذا الميدان كثيرة جدا • واليك نموذج من هذه النصوص الدالة على حقد اليهود على جميع الأديان والمبادئ النبيلة • ففي احدى الكلمات التي القيت في مؤتمر المشرق الأعظم الماسوني لعام ١٩٢٣ م قول أحدهم (١) :

" يجب أن لا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره ولتحقيق الماسونية العالمية يجب سحق عدونا الأزلي الذي هو الدين مع ازالة رجاله " ••

" ستقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جدا من الحياة وسيكون تأثيرهم وبيلا سيئا على الناس حتى ان تعليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها •• " (٢)

ثم لم يكتف اليهود بافساد المسيحية بل حاولوا العبث بالمؤسسات والهيئات والجمعيات الدينية وادخال عناصر فاسدة فيها وتولية أمورها السذج من رجال الدين الذين لا قدرة لهم على التبصر في الأمور الدقيقة •

جاء في نشر المشرق الأعظم الماسوني الفرنسي لسنة ١٩٢٣ م قولهم :

" على الاخوان أن يتغلغلوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها بل علاعليهم — ان احتاج الأمر أن يقوموا بتأسيس تلك الجمعيات على ان لا تشتم منها أية رائحة حقيقية للدين • عليكم أن تلموا شمل قطيعكم أينما كنتم • حتى في المعابد الصغيرة وعليكم أن تولوا امورها السذج من رجال الدين وليطعموا خفية ذوي القلوب الكبيرة من الرجال بقطرات من سمومكم " •

ثم قال : " وبغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم ان تنتزعوا الأخلاق من أسسها لأن النفوس تميل الى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة • لأنها تفضل الثرثرة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة • وأمثال هؤلاء من الممكن اقناعهم بالدرجات والرتب الماسونية ، وعليكم أن تنتزعوا من بين أطفالهم وزوجاتهم وتقذفوا بهم الى ملاذ الحياة البهيمية "

---

(١) مكائد يهودية ، عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٣٨
(٢) المصدر السابق ص ١٣٨ (٣) المصدر السابق ص ٢١٨

هذه هي مهمة الماسونية وهذه هي مخططاتها الفريدة . لقد أثبتت تاريخ هذه الجمعية أنها من أخطر الجمعيات السرية العالمية التي لعبت أدوارا خطيرة في تاريخ العالم والأمم ، وأثرت تأثيرا مباشرا على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكمت في سياسة معظم دول العالم ، من حيث لم تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهودية دخلت اليها عن طريق المحافل الماسونية التي تديرها من وراء الستار أصابع المكر اليهودى ، ولقد يبلغ الدهش عند من يبحث عن مخططات هذه المنظمة السرية ، مبلغه العظيم حينما يعلم أن حروبا عالمية كبرى قد كان اليهود هم العاملين على اثارتها واشعال نارها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في العالم.

وحينما يعلم أن كثيرا من القادة والزعماء المنحرفين في العالم قد أوصلتهم الى مراكزهم من الحيل اليهودية العالمية عن طريق الجمعية الماسونية و ومحافلها في البلاد .."

(١) قد يرى بعض السطحيين وقصيرى النظر ان هذا ضرب من الوهم ، ومبالغة من مبالغات الحدس ولكن الحقيقة التاريخية والواقعية جديرة بأن يكشفها الباحثون ، ويفتحوا أعين الناس حتى يروها ، مهما كانت بعيدة عن مدى حدسهم ومهما استهان بهم عدم معرفتهم لذلك . ولأجل هؤلاء البسطاء نسوق هذه الأدلة التالية :

جاء في البروتوكول الرابع :

" من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ؟ هذا ما هو حكومتنا الآن . ان المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا ، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه

---

(١) راجع عرض كتاب مكائد اليهود عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢١٩ — ٢٢٠

القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا "(١)

وجاء في البروتوكول الحادى عشر قولهم (٢):

" ان الأميين (اى غير اليهود) كقطيع من الغنم ، واننا الذئاب فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب الى الحظيرة انها لتغمض عيونها عن كل شيء ".

وقضية محاربة الماسونية للدين قضية لا تحتمل أى جدل أو مناقشة ، لأنها من الأمور الكثيرة التي كشفتها تصرفاتهم الدائمة ثم اعترافهم وأقوالهم المنتشرة في كثير من الوثائق الصادرة عنهم من تصريحات وخطب وكتابات . وقد جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة ١٩٢٢ قولهم :

" ويجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ،وعلينا أن لا نألو جهدا في القضاء على مظاهرها "(٣)

وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة ١٩١٣ م قولهم :

" سوف نتخذ الانسانية غاية من دون الله "(٤)

وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة ١٩٠٠ م قولهم :

" اننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، انما غايتنا الأساسية هي ابادتهم من الوجود "(٥)

---

(١) البروتوكول الرابع ص١٣١

(٢) البروتوكول الحادى عشر ص١٥٨

(٣) مكائد يهودية ،عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص١٣٧

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧

(٥) المصدر السابق ص ١٣٧

وفي مجلة أقاسيا الماسونية سنة ١٩٠٣ م قولهم :

" ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته الا بعد فصل الدين عن الدولة " (١)

وجاء في مجلة الشرق الاكبر التركية الماسونية قولهم :

" لا يمنعنا كفر الملحدين أو ثواب المتدين أو وصف الجنة والنار ، واذا وجد من يحاول العمل في ساحة الدين فنتركه وشأنه مع الله ، واذا أصر على رأيه فنرجو منه أن يتركنا وأن لا يدخلنا بينه وبين الله " (٢)

وفي النشرة الرسمية التي أذاعها الشرق الأعظم في فرنسا في تموز سنة ١٨٥٦ م قولهم : " نحن الماسون لا يمكننا ان نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا ، ولا بد من موتها أو موتنا ، ولن يرتاح الماسون الا بعد أن يغلقوا جميع المعابد " (٣)

وقال " كوقيل " في محفل منفيس بلندن :

" اننا اذا سمحنا لمسلم أو نصراني بالدخول في احد هياكلنا ؟ فانما ذلك قائم على شرط أن الداخل يتجرد من أضاليله ، ويجحد خرافاته وأوهامه التي خدع بها في شبابه " ؟

وفي المحاضرة الرابعة لمحفل السلامة الماسوني قولهم :

" ان الماسونية تجرد الافكار من الخرافات والنظريات اللاهوتية المدسوسة من قبل الأديان " (٥)

وفي محاضرات محفل الشرق لعام ١٩٢٣ م قولهم :

" انه يجب أن تبقى الماسونية لملة واحدة ، وعليه يقتضي محو الأديان ومنتسبيها من الأساس " (٦)

واليك نموذجا آخر من نماذج التخطيط اليهودي لهدم الخلافة الاسلامية عن طريق الماسونية .

---

(١) مكائد يهودية ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ١٣٧
(٢) المصدر السابق ص ١٣٧ (٣) المصدر السابق ص ٢٣٧
(٤) المصدر السابق ص ٢٣٨ (٥) المصدر السابق ص ٢٣٨
(٦) المصدر السابق ص ٢٣٨

الماسونية والخلافة الاسلامية

لقد رأينا في تصريحات الماسونية ، أن اليهود يسعون دائما لمحو الأديان ومنتسبيها من الأساس .. وفعلا قد رأينا الأعمال التخريبية التي قاموا بها ضد المسيحية .. فمن المستحسن أيضا وقبل أن ننتقل الى الثورة الصناعية التي أفسدت أخلاق أوربا ـ أن نعطي فكرة موجزة عن دور الماسونية في هدم الخلافة الاسلامية ليتضح لنا :

الدور الخطير الذي قام به اليهود لافساد العالم بأسره

ولما كان تفصيل ذلك وتأييده بالواقع مما لا يحتمله الا كتاب ضخم فاننا نكتفي بذكر الباعث الحقيقي الذي جعل اليهود يقومون دائما بالمؤامرات ضد الاسلام وأهله .

ان الدارس للتاريخ يجد أن الذي دفع اليهود للقيام بهذه المؤامرات ضد الاسلام وأهله يرجع الى عدة أسباب . ولكن نذكر في هذه العجالة سببين أساسيين بارزين هما :

(١) الحسد ضد الاسلام .

(٢) موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية .

فلنعط فكرة سريعة لكل من هذين السببين :

أولا ـ الحسد ضد الاسلام :

ان اليهود قاموا بعدة مؤامرات ضد الاسلام منذ البداية حسدا من عند أنفسهم فقد حاربوا الاسلام في البدء ظاهرا أعنف حرب ، حتى فشلوا في ذلك [١] فارتدوا يسالمونه سلاما كان شرا عليه من حربه الظاهرة .. [٢]

---

(١) راجع الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون ، محمد خليفة التونسي ص٧٤

(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ د. ابراهيم علي شعوط ص ٤٥ سنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦ م شارح يعقوب بالمالية ص١٥

فلنضرب على هذه الحرب الخفية أمثلة بسيطة :

فكعب الأحبار — مثلا — يفسر القرآن ويروى الأخبار ويملأ ذلك كله بما يسمى عندنا " الاسرائيليات " (١) حتى أصبح من الصعب تخليص الكتب الاسلامية الجليلة من الاسرائيليات .. ثم انه من جهة اخرى يشترك في المؤامرة بقتل عمر رضى الله عنه .. (٢)

و ينشط عبدالله بن سبأ نشاطا من نوع آخر .. فهو يثير غضبة المسلمين على خليفتهم (عثمان) لما أحدث من بدع (على حد تعبيرهم) و وكان ينتقل بين العراق ومصر والشام مؤسسا " الخلافة الخفية " التي تثير النقمة على عثمان رضى الله عنه انتهى الأمر بقتل عثمان وانقسام المسلمين أحزابا ..

وهو من ناحية أخرى ينشط لنشر المبادئ الهدامة للاسلام فيدعو الى الايمان برجعة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته (٣) .. وغير ذلك من المؤامرات اليهودية الكثيرة المنتشرة في كتب التاريخ ..

و هكذا انخدع المسلمون فحشدوا في كتبهم خرافات التوراة (٤) ، وجرى بعضهم وراء تلك الأفكار الهدامة التي كان يبثها هذا اليهودى الخبيث (ابن سبأ) .

وهذه أمثلة بسيطة من المؤامرات التي قام بها اليهود ضد ديننا الاسلامي الحنيف ..

* * *

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد ابو شهبه ص ١٢ سنة ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م

(٢) البروتوكولات ص٧٦

(٣) المصدر السابق ص ٧٦

(٤) أباطيل يجب ان تمحى من التاريخ د. ابراهيم على شعوط ص ٥١ — ٥٢ ط ٤ سنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م

فلنقفز قفزة واسعة الى الفقرة الثانية ، وهى موقف عبد الحميد من الماسونية لنرى أن أصبعا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمى الى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الانسان في جميع الأزمان .. فاليهود كانوا وراء هدم الخلافة الاسلامية العظيمة . واتخذوا لذلك وسائل متعددة .. سنبين بعضها فيما يأتى ..

(20)

ثانيا ـ موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية :

ويذكر لنا التاريخ أن السلطان عبد الحميد ، قد تعرض لضغط الصهيونية العالمية برياسة (تيودور هرتسل) الذى زاره في سنتى ١٩٠١ـ١٩٠٢ وعرض عليه السماح لليهود باستيطان فلسطين على نطاق واسع مقابل كميات كبيرة من أموال اليهود .. (١)

وكان مع هرتسل يهوديان آخران هما : (ايمانويل قره صو) رئيس الجالية اليهودية في سلانيك . والحاخام (موسى ليوى) .

وبعد مقدمات مفعمة بالرياء والخداع ، فصح هرتسل عن مطالبه . فلقى من السلطان الازدراء التام لذهب اليهود واطماعهم ووقاحتهم .. ومما قاله السلطان ردا على هرتسل :

" ان أرض وطننا لا تباع بالدراهم . ان بلادنا التى حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشبر منها دون أن تبذل أكثر ما بذلنا من دماء في سبيلها " .. (٢)

وحينما أدرك اليهود ثبات السلطان عبد الحميد في وجه اطماعهم زادوا من تآمرهم لاسقاطه . واستعانوا في هذا السبيل بشتى الوسائل نذكر أهمها :

---

(١) خطر اليهودية العالمية ص ٤٥ عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص ٨٤

(٢) جواد رفعت ص ١٢٤ عن المرجع السابق ص ٨٤

الماسونية والقومية العربية واستغلال المبشرين للوصول الى هدفهم ..

واليك كلمة لكل واحد من هذه الأمور الثلاثة :

أولا ــ الماسونيــة :

لقد جندت الماسونية قواها لخدمة اليهود وهدم الخلافة الاسلامية . واستخدم اليهود محافل الماسون في فرنسا وايطاليا لنشر الدعاية الكاذبة ضد الخلفــاء وبخاصة عبد الحميد الثاني الذى كان عدوا للماسون (١) .

ولم تترك أبواق الماسون عـيـبا من عيوب الحكم الا وألصقته بحكم عبد الحميد الثاني ، حتى أصبح رمزا للظلم والاستبداد والقسـوة .. وأخيرا شاءت الأقدار أن تسقط هذه الخلافة العظيمة التي كانت رمزا للقوة عـند المسلمين ..

والغريب أن الماسون لا يخفى علاقتهم بالانقلاب العثماني الذى أطـاح بالسلطان عبد الحميد الثاني . بل انهم يفخرون بالأدوار الاجراميـة التى قاموا بها في تلك المجالات .. فقد قال الفيلسوف الماسونى (شاربيـا) في حفل اقيم للماسون :

" انظروا الى اخوانكم الماسونيين الذين قاموا بالحركة الدستورية التي قلبت الحكم العثماني في آخر عهد السلطان عبد الحميد دون أن تسيل نقطـة دم واحدة .. أجل فبمثل هذا الشعب الماسونى تفخر الماسونية ويعظم من شأن وسائلها السلمية السليمة .. " (٢)

---

(١) اعلان الحرية والسلطان عبد الحميد الثاني ، استانبول ١٩٦٠ ، نظام الدين نظيف ص١١ وراجع أيضا مجلة المنار العدد الأول سنة ١٣٢٩ هـ مقالة للسـيد محمد رشيد رضا . وراجع أيضا تركية الفتاة د . أرنست رامزور ، ترجمة الدكتـور صالح العلي . مكتبة الحياة بيروت ــ ١٩٦٠ م ص٤١

(٢) دائرة المعارف الماسونية ص١٦٦ نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ،عبدالله التل ص٧٨

وكذلك ضمت جمعيات الماسون السرية المجرمين والارهابيين من اليهود والبلغار واليونـان وغيرهم : فهؤلاء عماد الثورة التي زحفت على استانبول وعزلت السلطان عبد الحميد ..

وكان يرأس الوفد الذي قدم للسلطان وثيقة العزل اليهودي الماسوني (قره صو) الذي صده السلطان مع (هرتسل) في المحاولات الصهيونية الأولى (١).

وبعد عزله أخذت النكبات تتوالى على الامبراطورية الاسلامية العظيمة (٢) فضاعت " ليبيا " واحتلتها (ايطاليا) ، ثم ضاعت مراكش ١٩١٢ م ..

وهكذا تتابعت الويلات اثر ويلات على الخلافة حتى جاء الشيطان الكبير .. مصطفى كمال الذي تم به كل مخططات الماسونية الماكرة ..

واليك نموذجا مما قام بهذا الشيطان الكبير ..

مصطفى كمال رأس الأفعى اليهودية

لقد اختارت اليهودية العالمية هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) للقيام بهدم الخلافة الاسلامية ، لما كانت تعلم أن مصطفى كمال هو الجواد الرابح الذي ينفذ أوامرها ويهدم الخلافة ..

والطريف في الأمر ، ان مصطفى كمال قد نجح في حشد القوى الشعبية التركية بسلاح الاسلام ، حيث يستنهض هممهم للدفاع عن الوطن الذي استباحته الصليبية اليونانية ..

وكان يتظاهر بالتدين والتعلق بأهداب الدين ويصلي في مقدمة الجنود البسطاء .. وكان يتملق العلماء ويعطف عليهم ويستغلهم لشحن النفوس ودفعها الى الاستشهاد في سبيل الله . (٣) (أنظر الصورة المرفقة) ..

---

(١) عمر مفتي زادة ، جهاد ناطق ، الدار البيضاء ١٩٦١ ، ص ٨

(٢) الغارة على العالم الاسلامي ص ١٧٨

(٣) جهاد ناطق ص ١٠ عن كتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص ٨٨

وحالما استتب له الامر وأصبح أبا للأتراك كما كانوا يسمونه (أتاتورك) شرع بتنفيذ الخطة الجهنمية التي رسمت له لمحاربة الاسلام ولهدم الخلافة (١) .

وكانت الخطة الجهنمية ، بعد تفاوضه مع الحلفاء اليهود في الاتفاقية المعروفة باتفاقية " كيرزن " ذات الشروط الأربعة :

(١) ـ الغاء الخلافة الاسلامية نهائيا من تركيا .

(٢) ـ أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة العناصر الاسلامية الباقية في تركيا .

(٣) ـ أن تقطع تركيا كل صلة مع الاسلام .

(٤) ـ أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الاسلام بدستور مدني بحت (٢) .

ولم يقدم مصطفى كمال على تنفيذ خطط اليهود والماسون دفعة واحدة وانما تدرج بها ، ونفذ أجزاء الخطة بحسب الظروف المواتية ..

ففي أول نوفمبر ١٩٢٢ م خلع وحيد الدين (محمد السادس) من الخلافة وبويع عبد المجيد بدلا عنه ، وفي اغسطس ١٩٢٣ م أنشأ حزب الشعب الجمهوري وأغلب اقطابه من يهود الدونمة والماسون .

وفي ٢٠ اكتوبر ١٩٢٣ م أعلنت الجمهورية التركية وانتخبت الجمعية الوطنية " مصطفى كمال رئيسا للجمهورية " .

وفي ٢ مارس ١٩٢٤ م ألغيت الخلافة التي طالما كانت خنجرا في صدر اعداء الاسلام (٣) .

فلنستمع الى المؤرخ " آرمسترونج " يصف هذه الخطوات الملعونة ، بالقول :

---

(١) انظر ايضا فصل صناعة الزعيم ، من كتاب عندما يحكم الطغاة د. جريشة .
وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ٨ : ٨٦
والدبلوماسية والميكافيلية ، محمد صادق ص ١٤٩

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافة الاسلام ، محمد محمود الصواف ١٣٨٩ هـ ص ١٧٤

(٣) كتاب ترك واتاتورك ص ١٨ ـ ٢٠ وراجع ايضا ، مصطفى كمال الذئب الأغبر أرمسترونج دار الهلال ١٩٥٢ ص ٢١٢

" انطلق كمال اتاتورك يكمل عمل التحطيم الشامل الذى شرع فيه وقد قرر أنه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتعفن الفاسد ، يجب عليه أن يزيل جميع الأنقاض التي تحيط بها ، هو حطم فملا النسيج السياسى القديم ، ونقل السلطة الى ديمقراطية ، وحول الامبراطورية الى قطر فحسب ، وجعل الدولة الدينية جمهورية عادية ، انه طرد السلطان (الخليفة) وقطع جميع الصلات عن الامبراطورية العثمانية ، وقد بدأ الآن في تغيير عقلية الشعب بكاملها وتصوراته القديمة واعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وأساليب الحديث ومناهج الحياة المنزلية التي تربطه بالماضي .. " (١)

هذا ما فعلته الماسونية بالخلافة الاسلامية . وكانت ترغب أن تحول الأمة الاسلامية بكاملها الى دولة الحادية كما فعلت ذلك في أوربا ولكن العقيدة الاسلامية الصامدة حالت بينها وبين مآربها .

ومع ذلك استطاعت أن تغير جانبا كبيرا من الحياة الاجتماعية الاسلامية في تركيا ونحوها ..

فلذا نجد مصطفى كمال نصب نفسه الها من دون الله يشرع للأمة كما يشاء فلفق قانونا فريدا يتكون اكثره من القانون السويسرى والقانون الايطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده ومع ذلك يدعى أنه كله من عنده قائلا :

" نحن لا نريد شرعا فيه قال وقالوا ولكن شرعا فيه قلنا ونقول " (٢)

ثم اقتفاه وزير العدل شارحا ومفسرا :

" ان الشعب التركي جدير بأن يفكر بنفسه بدون أن يتقيد بما فكر غيره من قبله وقد كانت كل مادة من مواد متبنا القضائية مبدوءة بكلمة قال (وقالوا) ::

---

(١) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، الندوى ، القاهرة ص١٦

(٢) حاضر العالم الاسلامي ، حواش شكيب ارسلان ٣٤٣/٣

فأما الآن فلا يهمنا أصلا ماذا قالوا في الماضي بل يهمنا أن نفكر نحن ونقول نحن : (١)

ولم يكتف مصطفى كمال بهذه الخطوات الماسونية اليهودية بل تجاوز كل ذلك فقام وألغى بالعنف والارهاب مايلي :

١ — الكتابة التركية بالاحرف العربية .

٢ — وحرم الاذان بالعربية

٣ — وكتب المصحف بلغة الهجين التركية

٤ — وحدد عدد المساجد

٥ — وألغى وزارة الأوقاف

٦ — وألغى الأعياد الاسلامية

٧ — وأخرج النساء من الحشمة والحياء الاسلاميين

ماذا بقي للدين ؟

وبعد هذه الدسائس اليهودية والمؤامرات الماسونية وقعت تركيا في شبكة اليهود واصبحت — كما وصفها الأمير شكيب أرسلان " ليست حكومة دينية من طراز فرنسا وانجلترا فحسب ، بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء .

اذ أنه حتى الدول اللادينية في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخل في حروف الأناجيل وزي رجال الدين وطقوسهم الخاصة وتلغي الكنائس " (٢)

---

(١) المصدر السابق : ٣ : ٣٤٦ ، ٣٤٥

ويراجع كتاب الرجل الصنم ضابط تركي سابق ، ت / عبدالله عبدالرحمن ، بيروت ص ٢٠٥

(٢) حاضر العالم الاسلامي ، الأمير شكيب ارسلان ٣ / ٣٣٦

النموذج للحكام

وبهذه الحقيقة المرة صار هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) النموذج الصارخ للحكام في عالمنا الاسلامي أعني الحكام الذين اتبعوه في هذا الاتجاه المنحرف ..

ولقد كان لأسلوبه الاستبدادى الفذ أثره في سياسة من جاء بعده منهم .. كما أعطى الاستعمار الغربي مبررا كافيا للقضاء على الاسلام .. ولكن ربك لبالمرصاد ...

بهذا القدر نكتفي لتثبيت أن الخلايا الخفية لها يد خفية في جميع الحروب والثورات التي تعصف بحياتنا ، والفوضى التي تسيطر على عالمنا وبعد كل ذلك ندرك يقينا أننا لسنا مع مخلوقات عادية من لحم ودم ، بل مع القوى الروحية والفكرية التي تعمل في الظلام وتسيطر على معظم هؤلاء الذين يشتغلون المراكز العليا في العالم بأسره .. (١)

رأيناها قد أنزلت الويلات على المسيحية حتى أصبحت أوربا دولة الحادية وكما رأينا أصابعها أيضا تحرك الأمة الاسلامية المجيدة حتى أسقطت خلافتها العريقة ، ان دل هذا على شيء فانما يدل على أن القرآن المجيد وحي من عند الله حيث أخبرنا عنهم قبل أربعة عشر قرنا بقوله :

﴿ ويسعون في الأرض فسادا ﴾

* * *

ولكن ليس بأعجب من هذا الرجل عميل الماسونية وزمرته ممن ينادون اليوم — من عالمنا الاسلامي — باقامة حكومات علمانية ويقولون ان مصطفى كمال هو قائدهم الروحي .. يا للعجب !!

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام ذى كار ص ٧

ان السر في قولهم هذا مجرد تقليد أعمى وليس عن دراسة وعلم وانصاف في التحقيق ..

انهم قلدوا في هذا القول بعض الأوربيين الذين يمدحون مصطفى كمال على فعلته هذه ..

فمثلا نجد (توينبي) يمتدح مصطفى كمال على عمله واعتبره أعظم من هتلر عبقرية في معرفة فن الهدم وقطع الصلة بالماضي ، وقال :

" ان الدولة القومية التركية التي أقامها مصطفى كمال على النسق الغربي تبدو — وقت كتابة هذه السطور — عملا ناجحا لم يتحقق مثله حتى ذلك الوقت في أي بلد اسلامي آخر " (١)

وكما امتدحه (ولفرد كانتول سمث) — على طريقته الخاصة — قائلا :

" رأينا تركيا في سبيل رفعة شأنها وخلق مثل عليا جديدة لم تتردد في سحق السلطات الدينية وألغت تعاليمها وحررت الاسلام وكشف النقاب عن الدين الحق القويم " (٢)

وبهذه الأقوال انخدع هؤلاء الدعاة الى اقامة الدولة العلمانية في العالم الاسلامي . ولكن الله غالب على أمره .

---

(١) مختصر دراسة التاريخ ، أرنولد توينبي ، ت فؤاد نبيل القاهرة ١٩٦١م. ١١٣/٣

(٢) الاسلام والخلافة ، علي الحسن الخربوطلي ، بيروت ١٩٦٩ م — ص ٢٨٥ .

ثانيا ـ الدعوات المفروضة للقومية العربية :

ان هذه الدعوات قد أسهمت في تحقيق مآرب اليهود في القضاء على الخلافة وقد استغل اليهود بعض مفكري العرب من النصارى الذين لم يروا الا فساد الخلافة وظلمها فأبرزوا المساوئ على نطاق واسع ودعوا الى القومية العربية بأساليب بعثت الشك في اولئك الدعاة الذين نادوا بتحرير العرب وفصلهم عن الخلافة مقلدين النزعات القومية التي اجتاحت دول أوربا في القرن التاسع عشر .. (١)

و يعترف مؤرخو العرب من النصارى ، بأن الرواد الأوائل لحركة القومية العربية كانوا من (النصارى) ، وأنهم تعاونوا مع الماسونية الأوربية وفروعها ومحافلها في المشرق العربي .. وكان لهذه الحركة أثر فعال في هدم الخلافة الاسلامية ..

وأسهم ادباء النصارى وشعراؤهم في نشر الأفكار القومية منددين بالحكم التركي ومتغذين بأمجاد العرب كما قال شاعرهم ابراهيم البازجي :

" تنبهوا واستفيقوا أيها العرب — فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

كم تظلمون ولستم تشتكون وكم — تستغضبون فلا يبدو لكم غضب

أقداركم في عيون الترك نازلة — وحقكم بين أيدي الترك مغتصب

فشمروا وانهضوا للأمر وابتدروا — من دهركم فرصة ضنت بها الحقب " (٢)

* * *

---

(١) الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص ٨٠

(٢) القومية العربية في القرن العشرين ، تأليف دكتور توفيق برو ، دمشق ، ص ١٦٨ .

الأعمال السياسية

وعلى ضوء هذا كان نصارى العرب على صلة وثيقة بالجمعيات الهدامة اليهودية وشبكات الجاسوسية العالمية ..

ولذلك كونوا الجمعيات السرية التي تناهض الخلافة الاسلامية وتدعو الى حكومة لادينية وطنية أوقومية .

ولنذكر على سبيل الاختصار عددا من هذه الجمعيات منها :

جمعية بيروت (فارس نمر) وجامعة الوطن العربي (نجيب عازوري) والجمعية القحطانية ، ثم الحزب القومى السورى (أنطون سعادة) واخيرا حزب البعث (ميشيل عفلق) (١)

ولم تكتف هذه الجمعيات في تنفيذ المخططات الماسونية في الحقل السياسي وانما نفذوها أيضا في الأعمال الفكرية أيضا . واليك نموذجا من ذلك :

الأعمال الفكرية :

حاول هؤلاء النصارى تنفيذ هذه المخططات الماسونية في الفكر والثقافة فاستعملوا لهذه الوسائل الآتية :

أ ـ الصحافة : فأصدروا صحفا كثيرة منها : الجنان والمقتطف والهلال وكان محرروها أمثال نصيف اليازجي ويعقوب وجرجى زيدان يمثلون طلائع اللادينية فى الشرق الاسلامى .

ب ـ التراث الاسلامي : اتجه قسم منهم الى التراث الاسلامي اتجاها يشابه طريقة المستشرقين فألفوا المعاجم اللغوية والقواميس والموسوعات للترجمة .. ومن هؤلاء أحمد فارس الشدياق وبطرس البستانى ولويس شيخو. (١)

---

(١) القومية العربية في ضوء الاسلام (رسالة ماجستير) صالح العبود ، جامعة الملك عبد العزيز ص ٨٠

جـ — الفلسفة : قد انكب بعضهم — تنفيذا لمخططات الماسونية الجهنمية — على الفلسفات الغربية فنشروا مؤلفاتها ومجدوا زعمائها ، ودعوا العرب الى اعتناقها واقامة حياتهم على أسسها .

من هؤلاء شبلي شميل الدارويني المتطرف وسلامة موسى ..

د — الشعر : قد ظهر من هؤلاء النصارى شعراء أذكو بشعرهم الحماس القوى ضد الاسلام مثل ابراهيم اليازجي وبشارة الخوري والشاعر القروى وشعراء المهجر ..

يقول شبلي شميل :

" ... الأمم تقوى بمقدار ما يضعف الدين فهذه أوربا لم تصبح قوية ومتمدنة — فعلا — الا عندما حطم الاصلاح والثورة الفرنسية سلطة الاكليروس على المجتمع وهذا يصح أيضا على المجتمعات الاسلامية " (١)

ان هذا مما لا يدع مجالا للشك أن الماسونية لها يد في اسقاط الخلافة الاسلامية المجيدة ..

فلننتقل اذن الى الجزء الثالث والأخير لنرى كيف أسهم المبشرون أيضا في الغارة على العالم الاسلامي وفق مخططات الماسونية اليهودية العالمية ..

---

(١) المرجع السابق ص ٨٠

ثالثا ـ الصليبية الغربية الحاقدة :

قد مرّ بنا أن اليهود لما حاولوا بث مخططاتهم في قلب نظام الخلافة الاسلامية استعملوا خطوات عديدة قد ذكرنا منها أولا الماسونية ثم القومية العربية ثانيا والآن نحاول أن نتكلم عن الصليبية الحاقدة بكل ايجاز ... لأن قصدنا هنا بيان خبث الماسونية التي كانت من أسباب الالحاد الخفية في أوربا الحديثة ثم تجاوزت أوربا حتى امتدت الى هدم الخلافة الاسلامية .

الصليبية الماكرة الحمقاء ،بعد أن رأت امتداد رقعة الاسلام ولا سيما بعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح وزحف الاسلام حتى أبواب فيينا ـ فقد وضعت الصليبية الحاقدة نفسها في خدمة اليهودية العالمية ليسخرها رأس الأفعى في مساعدته على تحقيق خطط الهدم والتخريب .

ومن أجل هذا تحالفت قوى الصليبية الأوربية في دول عديدة هي :
(22) (23) (24) (25) (26) (27)
بلغاريا ورومانيا والنمسا وفرنسا وروسيا واليونان وايطاليا ، لمحاربة الدولة العثمانية وحرمانها من الهدوء والاستقرار والتفرغ البناء .

وقد أدى الضغط الصليبي المستمر الى تضييق رقعة الاسلام في أوربا .. كما أدى الى تقطيع أوصال السلطة التي كانت تمتد من تركيا شمالا الى حضرموت جنوبا ومن ايران شرقا الى طنجة غربا . فضاعت الجزائر سنة ١٨٩٠ م ثم احتلت مصر سنة ١٨٨٢ م ومن بعدها تونس وليبيا والمغرب.(١)

وفي الختام نثبت هنا ما قاله رئيس ارساليات التبشير الالمانية في تقرير وضعه عن أعمالها سنة ١٩٠٠ م :

---

(١) انظر الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ،عبدالله التل ص ٧٦ .

" ان نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا في آسيا وافريقيا ، بل ستكون في المراكز التي يستمد الاسلام منها قوته وينتشر سواء أكان في افريقيا أم في آسيا وبما أن الشعوب الاسلامية تولي وجهها نحو الاستانة عاصمة الخلافة ، لأن كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة اذا لم نتوصل الى قضاء لبناتها فيها ..

ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية ارساليات التبشير الالمانية هو بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الاسلامي .. " (١)

حقا انها عاصمة الخلافة — الاستانة — هي المقصودة أولا ، لأن الخلافة كانت الشبح الرهيب الذى يقض مضاجع المبشرين والمستشرقين من اليهود ....

كيف لا ! وهي التي كانت بهيبتها وسيطرتها تزلزل عروش أوربا وتحمل لواء الاسلام بصدق وأمانة .. وتذود عن المقدسات ، التي توحدت دون حدود أو سدود طوال خمسمائة عام ..

ومن أجل هدم الخلافة ابتدع شياطين اليهود فكرة القومية التركية (الطورانية) أولا ثم القومية العربية اقتداء بها ، ونكاية ...

وهذه هي اليد الخفية في أوربا وفي العالم الاسلامي وفي العالم كله ...

---

(١) الغارة على العالم الاسلامي ا. ل شاتليه ت محب الدين الخطيب ط ٢ مصر ص ١٥٧

ثانيا ـ رجوع أوربا الى ارثها القديم

في الجزء الأول قد تحدثنا عن دور اليهود في افساد أوربا وقلنا أنه أحد السببين الخفيين من أسباب الالحاد ، وهنا نود أن نتحدث عن السبب الثاني الذى هو رجوع أوربا الى ارثها القديم . ان أوربا ـ بعد ما كفرت برب الكنيسة رجعت الى ارثها القديم . وهو الوثنية الاغريقية . فخير نموذج له الأسطورة الاغريقية الشهيرة .

" زيوس هو رب الالهة والناس جميعا ، وكانت الصراعات بينه وبين الالهة تنشب باستمرار وكان بينه وبين الاله " بروميثون " عداوة أيضا .. فخلق برميثوس الانسان من الطين وعندما انتهى من تشكيله نفخت فيه الروح الالهية " أثينا " وحقد زيوس على الجنس البشرى وقصد حرمانهم من كل خير في الدنيا وابتلاهم بحرمانهم من النار التي هي ضرورية جدا للانسان ، ولكن (بروميثوس) سرق النار من السماء أو من مصنع (هيفايستوس) اله النار والحرف . وبخاصة الحدادة كما علم البشر الفنون والحرف متحديا الاله الأكبر . فلما تعلم الانسان ذلك ، يئس زيوس من مقدرته على اهلاكه لكنه ظل على الدوام يتحين الفرصة للانتقام منه وتقليل فرص المعرفة أمامه كيلا يتجاوز حدوده فيصبح الها .. " (١)

هكذا ورثت أوربا الحديثة هذه الفكرة المنحرفة ، من الاغريق ، وفهمت من هذا الارث " الكبير " أن كل ظفر للانسان في مجال العلم والمعرفة انما هو هزيمة لارادة الاله وكل كشف يصل اليه انما هو انتصار على هذا الاله المزعوم .

وبقيت هذه الفكرة في أخلاد الناس في أوربا ، وحتى بعد أن تخلت أوربا عن عبادة زيوس وغيره ، ورفضت عبادة اله الكنيسة معتنقة عبادة الطبيعة ، وظلت

---

(١) انظر مثلا أساطير الاغريق ج ٥ سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الأساتذة الهيئة العامة للكتاب ، مصر ..

في أفكارهم هذه الأمنية يعني انتصار الانسان على (الله) عز وجل عن طريق انتصاره على الطبيعة ..

وكلمة اليونسكو في كتاب " تاريخ البشرية توضح هذه النية ..

" كانت الفكرة العامة في معظم المجتمعات في الماضي ، ان الطبيعة موجودة ببساطة ، تؤثر في حياة الانسان على نحو لا يتغير ، وازاء قوتها العارمة لم يحاول أن يطوعها كثيرا لاحتياجاته بل كان عليه أن يكيف نفسه وفق ما يلائمها ولكن انسان القرن العشرين . قد أخذ بخناق الطبيعة مصمما على أن يستخرج أسرارها وأن يستغل مواردها وأن يقهر آثاره الخطرة[1] "

ويقول نخبة من العلماء السوفيت في كتاب أصدروه مايلي :

" الطبيعة كتوم لا تبح بأسرارها . فهي تكتب قوانينها بنظام غامض ثم تحكم غلقها واخفائها بعيدا في خزانات متينة .. وهي لا تكشف عن أسرارها الا قسرا فلا تعطي الباحثين من هذه الأسرار في كثير من الأحيان الا بدلائل للحقيقة فقط .. " (٢)

هذه هي فكرة العلماء الماديين الى الله عز وجل . فهم يحاولون - بكل ما أعطوا من قوة العلم أن يتغلبوا على الله حتى يصبح الانسان هو الله كما مر بنا ذلك سابقا . واعتمادا على هذه الفكرة الالحادية ، ذهب بهم الغلو الى حد أنهم يرفضون ذكر اسم الله على أي بحث علمي .

يحكي لنا استاذ من أساتذتنا في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .. انه قد شهد في أوربا بحثا قدمه طالب من المسلمين فكتب في الصفحة الأولى - (بسم الله الرحمن الرحيم) .. ولما رآه بعض الأساتذة الأوربيين استغرب فقال له : لماذا تكتب اسم الله على كتابك ؟ هل هو الذي بحث لك هذا البحث .. ألست أنت الذي قمت بهذا العمل بدون أي تدخل منه .. فلماذا تكتب اسمه ؟؟

هذا ما فعله هذا الارث اليوناني في افكار الملاحدة الأوربيين الى هذا الحد يظهر لنا بكل وضوح آثار التراث اليوناني في البحث العلمي الحديث.

(١) الفضاء الخارجي والانسان تأليف مجموعة العلماء السوفيت ت/زكريا فهمي ١٩٧ ص ٣٥
(٢) على مفترق الطرق ، محمد أسد ص ٦١
(٣) هذا الاستاذ هو محمد قطب قال ذلك في أثناء القائه لنا الدرس في السنة المنهجية بجامعة الملك عبد العزيز .

حواشي الباب الأول

(1) برتراندرسل (١٨٧٢ ـ) فيلسوف ورياضي انجليزي تعلم بكيمبردج حيث تولى التعليم بعدئذ .. عارض الحرب ابان الحرب العالمية فسجن .. وبعد الحرب كتب مؤلفاته في الاصلاح الاجتماعي .. سمى مذهبه الفلسفي (بالواحدية المحايدة) لانه يرى انه لا فرق بين عقل ومادة الا في طريقة التكوين .. وذلك ان الحوادث لا هي عقل ولا هي مادة .

(2) ستالين جوزيف فساريو نفتش (١٨٧٩ ـ ١٩٥٣) سياسي ودكتاتور روسي وزعيم شيوعي اتهم انه اشترك في سرقة بنك ١٩٠٦ في تفليس وقبض البوليس القيصري عليه خمس مرات بين (١٩٠٢ ـ ١٩١٣) ولكنه كان يهرب في كل مرة ثم صار يحكم روسيا بيد من حديد حتى وفاته في مارس ١٩٥٣

(3) أفيون له رائحة قوية وطعم مر .. ان تعاطى الافيون بالتدخين او المضغ ينتج عنه الادمان مما يسبب تدهورا في عقلية وصحة المدمنين .. وقد منعت بعض الحكومات زراعة الافيون الا ان كل هذه القوانين لم تفلح في منع التجارة فيه واستعماله بطرق غير مشروعة .. الموسوعة ص ١٨٣

(4) جينتر ، سيرجيمس (١٨٧٧ ـ ١٦٤٦) عالم رياضي وفيزيقي وفلك بريطاني ..

(5) ولز هربرت جورج (١٨٦٦ ـ ١٩٤٦) اديب صحفي انجليزي ولد في بروملي وتخرج في جامعة لندن ١٨٨٨

(6) يوحنا الرسول " احد الرسل الاثنى عشر " اخو يعقوب بن زبدي صاحب الانجيل الرابع وله ثلاث رسائل وكتاب الرؤيا كان التلميذ الذي كان يسوع يحبه (يوحنا ١٣ : ٢٤ ، ١٩ : ٢٦) اوصاه المسيح عندما كان مصلوبا ان يتكفل بوالدته (مريم) توفي يوحنا حسب اخبار القرن ؟ في جزيرة باتموس ـ (رؤيا ١ : ٩) توفى أمسس.

(7) متى القديس : احد الرسل الاثنى عشر كان عشارا من كفرناحوم راجع انجيل متى ٩:٩ــ١٣ .. ولوقا ٥ : ٢٧

(8) مادة : كل ما يشغل حيزا من الفراغ وله وزن ومرونة وعزم وقصور هذا هو تعريف المادة في السابق • وعلى هذا يقول الماديون : ان المادة لا تخلق ولا تنعدم بل تتحول من صورة الى اخرى • وطبقا للنظرية الجزيئية ، تتكون المادة من جسيمات صغيرة تسمى "جزيئات" في حركة دائبة داخل الجسم • للمادة ثلاث حالات طبيعية : الصلابة ، والسيولة والغازية ، وأما الان اصبحت المادة لا يمكن تعريفها على وجه الدقة •• لانها اصبحت تنقسم خلافا لمن قال انها لا تنقسم • ثم اصبحت المادة كهارب من بروتين والكترون •• فانفلت من أيدى الماديين كل ما كانوا يعتبرون حقيقة •• تفاصيل ذلك في الصفحة ( ) •

(9) فرساى : مدينة سكانها ٦٣١١٤ نسمة عاصمة محافظة السين ولواز (سن) فرنسا الى الجنوب الغربي من باريس بدأ ١٦٦١ لويس ١٤ تشييد القصر • ونقل اليه بلاطه ١٦٨٢ واكرهت الثورة الفرنسية لويس ١٦ على الانتقال لقصر التويلرى بباريس ١٧٩٠ • حول لويس فيليب القصر الى متحف وطنى • تشتهر هذه المدينة بكثرة قصورها وحدائقها • وفيها وقعت معاهدة فرساى في نهاية حرب استقلال الولايات المتحدة ضد انجلترا ١٧٨٣ وفي نهاية الحرب العالمية ١٩١٩ م راجع الموسوعة ص ١٢٨٩ •

(١٥) باستيل ، حصن وسجن حكومى بباريس كان يقع – حتى هدم ١٧٨٩ م – بالقرب من موضع ميدان الباستيل الحالي •• بدأ تشييده ١٣٦٩ م تقريبا هيو اوبريو حاكم باريس في عهد شارل / ٥ / ثم وسع • ومن بين نزلائه المسجونين السياسيين : نيقولا فوكيه ، وذو القناع الحديدى وفولتير • وفي ١٤ يوليو ١٧٨٩ م هجم شعب باريس الذى غضب لطرد نيكر – على الباستيل أملا في الاستيلاء على الاسلحة •• وقتل حاكمه (المركيز دى لونى) واطلق سراح نزلائه السبعة •• فكان هذا الحادث البداية الحقيقية للثورة الفرنسية واكتسب اهمية رمزية • واصبح يوم ١٤ يوليه العيد القومي للجمهورية الفرنسية • راجع الموسوعة ص ٣١١

(11) القسطنطينيـة : المراد بها هنا المسيحية التي غيرها الامبراطـور القسطنطين في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ واما القسطنطينية : وهي استـنبـول اليوم مدينـة في تركيا على ضفتى البوسفور ٠٠٠ر٨٤٥ هـي بيزنطـا القديمـة أسسها الاغريق الاقدمون (القرن ٧ق٠م) وجعلها قسطنطين من عواصـم الامبراطورية الرومـية بعد ان سماها باسـمه القسطنطينية ٣٣٠ ثم أصبحت قاعدة الامبراطوريـة البيزنطيـة الى ان فتحها الاتراك العثمانيون ١٤٥٣ م وفيها استقر السلاطين وهي مركز تجـارى هام ونقطـة عسكريـة حساسـة في الشرق ، وبلد علـم وفن المبانى التاريخيـة وابدعها آجيا صوفيا وجامع السلطان سليم وخزانات المخطوطات النفيسـة والمتاحـف ٠٠ راجـع شمس العرب ص ١٠٦

(12) غـلاصم

(13) شلتوت محمود (١٨٩٢ ــ ١٩٦٣) عالم بالدين وشيخ الازهـر ١٩٥٨ ــ ١٩٦٣ ولد بمنية بني منصور بالبحيرة ، بمصر التحق بمعهـد الاسكندرية الديني ١٩٠٦ وكان ترتيبـه الاول في جميع سنى الدراسـة حصل على شهادة العالمية ١٩١٨م

عين مدرسا بالقسم العالى بالازهر ١٩٢٧ م ٠ فصله الشيخ الظواهرى من المعهد ١٩٣١ م فمارس المحاماة ٠٠ وبعد شهور اعيد الى منصبـه مدرسا بكلية الشريعة ثم عضوا في لجنـة الفتوى ثم وكيلا لكلية الشريعـة ثم عضوا بالمجمع اللغـوى عين شيخا للازهر في ٢٢ اكتوبر ١٩٥٨ م وظل في منصبه الى وفاته ٠٠ من مؤلفاته : " الاسلام عقيدة وشريعة " و " الدعوة المحمدية " و " القتال فـي الاسلام " و " المسئولية المدنية والجنائية في التشريع الاسلامي " و " فـقـه القرآن " ٠٠ الموسوعة ص ١٠٩١

(14) خلد الماء : حيوان ثديى نصف مائى استرالى يضع البيض ويسمى ايضا منقار البـط وهو بنى اللون ٠ والرأس والجذع والذيل كلها عريضـة مفلطحة وطول الذكر البالغ ٥٠ سـم ٠٠ الموسوعة ص ٧٦٢

(15) صبغي أوكروموسوم : شكل تتخذه المادة الصبغية في نواة الخلية في اثناء مراحل الانقسام غير المباشر والانقسام الاختزالي و يعتمد شكل عدد الصبغيات على النوع • فهي في الانسان ٤٨ وفي ذبابة الفاكهة ٨ واما الاعداد الشائعة في النباتات فهي : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٤ وكلها اعداد زوجية •• واما الخلايا الجنسية الناضجة فتحوى بعد عملية الانقسام الاختزالي ، نصف هذا العدد وعند ما يتحد المشيج الذكرى بالانثى يعود العدد الى اصله •• وتحتوى الصبغيات على المورثات (الجينات) التي تحدد الصفات الوراثية المميزة وهي جوهرية في الوراثة وتحديد الجنس •• الموسوعة ص ١١١٥

(16) مشمش : نبات اسمه العلمى برونس أرمينياكا ، يتبع الفصيلة الوردية مواطنه المناطق الاسيوية المعتدلة •

(17) دراق و يسمى ايضا خوخ اسمه العلمى برونس دومستكا من الفصيلة الوردية •• مواطنها أسيا وتنتشر زراعته في المناطق المعتدلة شجرته صغيرة ازهارها وردية اللون جميلة المنظر تخرج مبكرة في اواخر الشتاء •• الثمرة كروية بديعة الالوان •

(18) بروتوكول : لفظ يطلق على الوثائق الرسمية : او الاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة •• صفاتها موجزة غالبا •

تعقد الوثيقة السياسية باجراء مفاوضات ويجتمع لها مندوبو الدول المتعاقدة كما انها تعقد بالمراسلة ومثل هذه الاتفاقات لا تكون طريقة الاجل بل نافذة لمدة معينة ـ الموسوعة ص ٣٥٧

(19) بلغراد : مدينة ٩٨٨ر٤٦٩ نسمة عاصمة يوغسلافيا على نهر الدانوب والساف وهو مقر لكبير اساقفة كاثوليكي روماني وبطاربرك أرثوذكسي سمى مفتاح البلقان •• نظرا لاهمية موقعها الاستراتيجى منذ عهد الرومان • اصبحت عاصمة صربيا في القرن ١٢ • استولى عليها الاتراك (١٥٢١ م

(20) عبد الحميد الاول ١٧٢٥ ـ ١٧٨٩ سلطان تركـي ٠٠ بدأ حكمه بعقد معاهدة " كوجوك قيترجي " ليس هو المراد هنا ٠٠ وانما المعنى هنا هو عبد الحميد الثاني :

(عبد الحميد الثاني) : ١٨٤٢ ـ ١٩١٨ سلطان تركيا واجلس مكانه مراد أخا عبد الحميد ٠٠ ولكـنه انزل عن العرش بحجـة جنونـه واعـتلى عبـد الحميد الثاني مكانه ٠٠ قبل دستور مدحت باشا ولكـنه ما لبث ان الغاه ٠ استمر على الحكم حتى اكرهوه على منح دستور للبلاد سنة ١٩٠٨ ثم خلعـوه ١٩٠٩ ، وسجن اولا في سالونيك ٠٠ ثم في جهـة قريـبة من ازمير ٠٠ الموسوعة العربية ص ١١٨٠

(21) مصطفى كمال : أتاتورك ١٨٨٠ ـ ١٩٣٨ مؤسس تركيا الحديثة ٠٠ اتخذ هذا الاسم ١٩٢٤ بدلا من اسمه الذى كان معروفا به وهو مصطفى كمال ومعنى (اتاتورك) : أبو الاتراك ولد بسالونيك ٠ أقام جمهورية " تركيا " ١٩٢٣ م وانتخب رئيسا لها ٠٠ واعيد انتخابـه في ١٩٢٧ و ١٩٣١ و ١٩٣٥ ثم شرع في حزم ونشاط كبيرين في تنفيذ برنامج واسع النطاق " من التغيير الداخلي " واقتباس النظم الغربية ٠٠ فغير معالم تركيا تغييرا كليا دون اية معارضـة ٠ فالغى الخلافة ١٩٢٤ م وفصل بين الدين والدولة ٠٠ واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية ٠٠ واستعمال الطربوش والعمامة ٠٠ والحجاب ٠٠ وجعل القانون المدني يقوم على اصول التشريعات الاوربية بدلا من الشريعة الاسلامية وكان يشرب الخمر فأضر ادمانه الخمر بصحته ٠٠ ومات في سن الثامنة والخمسين ٠٠ راجـع الموسوعة ص ٤٥

(22) روما : مدينة سكانها ١٩٫٤٤٠٫٠٠٠ في وسط ايطاليا قرب الساحل الغربي على ضفتي نهر التيـبر عاصمة ايطاليا ٠٠ وفيها الفاتيكان مقـر البابوية يطلق عليها (المدينة الخالدة) وكذلك (المدينة المقدسـة) وهـي مركز ثقافي وفني وديني منذ عهد طويل ٠٠ وقد مرت على روما عصور مختلفة :

(١) قبل عصر اغسطس (٢) وعهد الامبراطورية (٣) وروما في العصور الوسطى (٤) وروما في عصر النهضة والعصر الحديث ٠٠ الموسوعة ص ٨٩٩

(23) النمسا او (اوستريا) جمهورية اتحادية ٨٢٨٥١ كم ٢ و ٦٢٢ر٠٢٠ر٧ نسمة باوربا الوسطى يخترقها نهر الدانوب و تحد يوغسلافيا وايطاليا جنوبا وسويسرا و (لبختنشتاين) غربا .. وباقريا وتشيكوسلوفاكيا شمالا .. والمجر شرقا .. عاصمتها فيينا ومقاطعاتها تسع .. وهي ممثلة في المجلس الاعلى من البرلمان الاتحادى ذى المجلسين .. ويغلب على سكانها المذهب الكاثوليكي واللغة الالمانية .

(24) فرنسا : جمهورية ٥٥٠٨٩٣كم ٢ و ٠٠٠ر٨٤٠ر٤٥ نسمة في اوربا .. يحدها شمالا القنال الانجليزى .. وغربا المحيط الاطلنطي وجنوبا غربا اسبانيا والبحر المتوسط .. وشرقا ال ايطاليا و سويسرا والمانيا وفي الشمال الشرقي لكسمبورغ وبلجيكا .. عاصمتها باريس .

وفرنسا اهم اعضاء (الاتحاد الفرنسي) وتشمل ٨٩ قسما اداريا . ويغلب على فرنسا الثقافة اللاتينية والدين الكاثوليكي .. ويرجع الفصل بين الكنيسة والدولة الى الصراع الذى دار ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ م وقامت الثورة سنة ١٧٨٩م .

راجع الموسوعة ص ١٢٩٢ ـ ١٢٩٣

(25) روسيا .. الاسم الشائع الذى يطلق على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية . قامت بالثورة الشيوعية سنة ١٩١٧م .

( ) اليونان : اسمها الاغريقي القديم (هيلاس او الآمن) تؤلف مملكة ١٢٩٨٨٠ كم ٢ و ٠٠٠ر٣٥٨ر٨ نسمة وتقع في جنوب شرق اوربا وعاصمتها (أثينا) راجع الموسوعة ص ١٩٩٤

(26) ايطاليا : جمهورية مساحتها ١١ر٢٠٢ر٣٠كم ٢ وعدد سكانها ٠٠٠ر٤٦٤ر٥٠ تقع جنوب اوربا وعاصمتها روما .. تفصل جبال الالب شمال ايطاليا عن فرنسا وسويسرا والنمسا ويوجسلافيا .. وهي شبه جزيرة على شكل حذاء .. وتحتوى على مدينة الفاتيكان وسان مارينو ..

الفهـــــــــارس

الموضـــــوع	رقم الصفحة

شهادات من اوربا

الصراع في تاريخ الفكر الأوربي

الموضـــــوع	رقم الصفحـــة

الموضـــوع	رقـم الصفحة

الفصل الثاني :

الفصل الثالث :

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

الفصل السادس :

الفصل السابع :

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الفصل الثامن :

*

جامعة الملك عبدالعزيز
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الإلحاد

وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الاولى (الماجستير)

من الطالب :
صالح اسحاق بابا صالح
باشراف الاستاذ :
محمد الغزالي

١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ

الجزء الثاني

الباب الثاني

مناقشة الملحدين

البـــاب الثاني

منـاقشـــة الملحديـــــن

مستندات الملحدين في انكار وجود الله سبحانه :

توطئـــة :

قبل أن نخوض في مناقشة الملاحدة ، كان علينا أن نبين أولا نقطـة هامة وهي : اننا عندما نناقش مستندات الملاحدة في انكار وجود الله، لا لكونها أدلة قائمـــة على الحـق ، وانما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة في انكار وجـود الله ـ سبحانه ـ والا لا يوجد أحد ـ على الاطـلاق ـ من الملاحدة ومن غـير الملاحدة ، يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول " ان الله موجود " كمـا أن احدا لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول " ان الله غير موجود " .

وقد ينكر منكر وجود الله ولكنه لا يستطيع أن يؤيد انكاره بدليل . وأحيانـــا يشك الانسان في وجود شيء من الأشياء ولا بد في هذه الحالة أن يستند شكه الى أساس فكري [1] . ولكني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلا عقليا واحدا ولاحسيا واحدا على عدم وجوده سبحانه وتعالى .

وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده ، منها مقروءة في الكتب ومنظورة في كتاب الكون من الذرة الى المجرة [2] ...

ولكن لما تسربت تعاليم الملاحدة في عقول كثيرة من الناس فألحدوا ، كان علينا أن نقوم بدورنا من مقاومة هذه الأفكار الهدامة وبيان بطلانه وبعده عـــن الحقائق العلمية .

وعلى هذا الأساس نحاول هنا أن نناقش شيئا من أفكارهم الخطيرة التي يضللون بها الدهماء وضعاف القلوب ..

واليك بعضا من افكارهم ومناقشتها :

---

(١) راجع كتاب الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض ص (١٤٤)

الفصل الأول

قضايا الملاحدة

لقد قامت قضايا الملاحدة على مغالطات كثيرة وشبهات متعددة لا تعدولا تحصى • الا أننا متبعون هنا أمهاتها وأهمها وهى كمايلي :

أولا — اصل الكون ونصيب الصدفة منه

ثانيا — نشأة الحياة وتنوعها

ثالثا — الدين يتعارض مع العلم مطلقا

تلك هى اهم حجج الملاحدة التى يتذرعون بها •• وقد سارت هذه التعاليم ، بواسطة الاستعمار والاستشراق والتبشير ، الى بعض الناس من الدهماء فألحدوا ••

ولسوف ننظر في صحة هذه القضايا الثلاثة ،على أسس علمية ان شاء الله تعالى ••

جهد جهيد بذله الاستعمار والاستشراق والتبشير لتحقيق هذه الغاية ، ثم تلقفه منهم " تلاميذهم " المسلمون في العالم الاسلامي كامثال " د• عظم وطه حسين " فأخذوا يرددون الاسطوانة في عالمنا الاسلامي ••

يقولون : أن أوربا متقدمة ••

وليست متدينة ••

فتقدمت وتحضرت ووصلت الى القمة والسلطان ••

ونحن متدينون ••

وفي الوقت نفسه متأخرون ••

فينبغى أن نسلك الطريق القويم •• ننبذ ديننا — كما فعلت أوربا ••

فنتقدم ونتحضر ونصل الى القوة والسلطان ••

وتلك خلاصة السموم في حياة البشرية ، التى وضعها التبشير والاستشراق والاستعمار• (1)

---

(1) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص٢٦٦
وراجع ايضا (صراع مع الملاحدة حتى العظم) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٥١ سنة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م فيه مقال للدكتور عظم بهذا الصدد • وراجع كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين ص ١٢

أولا - أصل الكـــــون :

من الدعاوى المريضة التي يدعيها أصحاب المذاهب الهدامة ، أنهم يعتمدون على الحقائق العلمية وعلى مناهج البحث العلمى الصحيح ، و يتجنبون الأوهام ، والخيالات التى تعلق بها دعاة الأديان الخادعون والمخدوعون فى كل زمان ومكان ..

وإن كان اصحاب المذاهب الهدامة ، مضللين في كثير من الأمور ، فالأمر الأول منها هو هذه الصفة العلمية التى يزينون بها مذاهبهم الالحادية .. وهو مناقض لكل علم ، مخالف لكل حساب ..

سنرى عما قريب أن النظريات التى ترمى الى تفسير الكون تفسيرا آليا فانها تعجز عجزا تاما عن تفسير كيف بدأ الكون .. وكيف انفصل الكوكب الأرضي عن السماوات .. (١)

تعجز لأنها وقعت في الخطأ من حيث المبدأ لكونها تسند كل ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض "المصادفة " ..

ان هذا يخالف مخالفة تامة قواعد البحث العلمى ، يخالف ما يجب على رجال العلم أن يتبعها في تفكيره وعمله وحياته ، فهو يتبع المبدأ الذى يقول بأنه لا يمكن أن توجد آلة دون صانع ..

و هو يستخدم العقل على أساس الحقائق المعروفة و يدخل الى معمله لكى يصل الى النتائج الصحيحة عن طريق الملاحظات والتجربة ..

---

(١) قلنا : " عن السموات " ، ولم نقل : " عن الشمس " كما فى تعبيرات الملاحدة . لأن القرآن لم يقل بذلك . ولم ندر أى سماء انفصلت عنها الأرض اذن ان القول بأن الارض انفصلت عن الشمس بالذات ، مجرد ظن وليس من باب التجربة الحسية التى يعتمد عليها العلم الحديث .

سنرى ـ عما قريب ـ أبرز العلماء الطبيعيين الذين قد حاولوا أن يعطوا صفة الخالق للمصادفة العمياء ، وأنها هى التي خلقت نفسها بنفسها ..

أليس هذا سخرية على عقول البشر جميعا ؟ واحتقار من قيمة العلم الحديث نفسه ؟

ألا يجب على معجزات المعرفة العلمية المعاصرة في هذا الميدان وغيره ، أن تقود الانسان الذى يتأمل الى نتيجة عكسية تماما ؟ ..

ان ذلك التنظيم الذى يتحكم في الكون ، وفي الحفاظ عليه ، ألا يراه كل من يدرسه متزايدا في التعقيد .. ؟

أفلا يرون كلما تقدمنا في امتلاك العلم ، وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو متناه في الصغر مثل ذرة ، ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع الحكيم العليم الخبير ،... ؟

ولكن الملحد بدلا من أن يمتلىء بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ تكبرا على خالقه وبارئه ..

ذلك هو المجتمع المادى في تمام توسعه ـ الآن في الغرب ..

* * *

فيجب على المؤمنين بالله ـ اذن ـ أن يجابهوا أولياء الشيطان الذين لوثوا عقائد الناس وأفكارهم بهذه الخرافات التى تحمل الصفة العلمية زورا وبهتانا ...

يجابهوهم بحقائق القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

* * *

نعم ! ان هذه الموجة المادية وغزو الالحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز المسيحية عن الصمود .. لماذا ؟ لأنها كانت مشغولة بطغيانها وحماقتها ورهبانيتها

والتمسك بجهلها الموروث[١] .. هكذا كانت .. حتى أصبح الملحد لا يرى فيها الا نظاما تبناه البشر منذ حوالى الفى عام لا رساء سلطة لأقلية قليلة على بشر مثلها .. ولا يجد في كتابها المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) لغة تتشابه مع لغته ولو من بعيد ..

ولكننا — (المسلمين) نريد أن نجابه هؤلاء بقرآننا العظيم لكي نردهم الى حجمهم الطبيعي .. نفهم كل ملحد أن فكرة المصادفة فكرة لا يتبناها الا الجهّال " من العلماء ".

* * *

وأمثال هؤلاء الباحثين اذا سألتهم :

— كيف ظهرت مادة الكون الى حيز الوجود ؟

— ومن أين جاءت ؟ سيقولون : انها جاءت من المصادفة ..

— وما هو نوع القوى التى أدت الى نشوئها وانتظامها ؟ سيقولون : هى المصادفة ؟

— يا عجبا ! من الذى قام بتزويد المادة بطاقة لازمة لهذا النشوء ؟

سيقولون : هو المصادفة !

— لو قلنا أيضا هل كانت لهذا الكون بداية ؟

سيقولون : لا ! ليست لها بداية ولا نهاية لأنها ترجع الى المصادفة

— ما حظ المصادفة — اذن فى نشوء هذا الكون ونظامه ، أهى ممكنة أو مستحيلة ؟ ترى الملاحدة يصدون عنك صدودا ...

فأصبحت القضية اذن — قضية صبيانية .. ومع ذلك كله .. سوف ندرس هذه الادعاءات على أسس علمية مستوحاة من القرآن الكريم والواقع الملموس .. ان شاء الله تعالى ..

---

(١) أى ورثت هذا الجهل المطبق عن آباء الكنيسة الذين غيروا تعاليم المسيح ونسوا حظا مما ذكروا به ... وأما أصل ديانة المسيح كان يفيض بالعلم والنور ..

أصل الكون والفروض التي تقدمها الملاحدة

ان المتأمل في كتب الباحثين الغربيين عن أصل الكون ، يجدهم من خريجي مدرستين اثنتين :

١ — مدرسة المذهب الذرى ..

٢ — مدرسة الفلكيين الطبيعيين ..

وأما المدرسة الأولى هي التي أسسها الفيلسوف الملحد اليوناني (ديمقريطس (٤٦٠ — ٣٧٠ ق.م) . وقد سبق أن تحدثنا عنه ، وقلنا انه يرى العالم مؤلفا من ذرات متجانسة في طبيعتها .. ولا تنقسم ، ولا تفنى . (١)

فقد ناقشنا هذا المذهب في مطلع هذا البحث فلا داعي لاعادته هنا ، وأما الذى يهمنا هنا هو المدرسة الثانية .. لأنها هي التي تدعي أن ما وصلت اليه من علم نفي للدين من تلقاء نفسه .. وأن الذى أتت به قوسها ، هو النهاية .. ولا قول لأحد بعده .. وأنه هو الجد .. وغيره هو الباطل .. (٢)

ان اصحاب هذه المدرسة قد عللوا أصل الكون ، بكثير من الفروض المتعارضة أشهرها ثلاثة و نوجزها في الكلمات التالية :

الفرض الأول :— فرض (دى بوفون) (Bofone) (3) العالم الفرنسي (١٨٠٨ — ١٨٨٨) الذى يقول في كتابه (التاريخ الطبيعي) الذى نشره عام ١٧٤٩ : ان المنظومة الشمسية نشأت من اصطدام الشمس بأحد المذنبات السابحة في الفضاء .. وأن الصدمة أطارت منها السيارات فطفقت تدور حولها بحكم الحركة المركزية والجاذبية (٣).

---

(١) الموسوعة العربية ص ٨٣٧

(٢) الزحف الأحمر ، محمد الغزالي

(٣) راجع عقائد المفكرين ، محمود العقاد ص ٣٥ — ٣٦

ولكن العلماء الذين تبعوه عرفوا من تركيب المذنبات ما لم يكن يعلمه (بوفون) في عصره ، فاستبدلوا بالمذنبات نجما عظيما يقارب الشمس في المظم ، لأن قوام المذنبات أخف من أن يحدث ذلك الاصطدام المنيف الذى فرضه (بوفون) ..

وبذا أصبحت نظرية بوفون ، في زاوية النسيان .. فانتقلوا الى نظرية أخرى وهي :

* * *

الفرض الثاني :– وهو فرض (لا بلاس) (Laplace) الفرنسي أنه أظهر خطأ آخر في نظرية (بوفون) .. لأنه يرى أن السيارات طارت من الشمس على اثر انفجار شديد في باطنها .. وأن هذه السيارات على شكلها الذى نشهده اليوم .. (١)

لا شك ان هذا يخالف فرض (بوفون) مخالفة تامة بل نقول : ان بينهما تناقضا بيّنا لأن (بوفون) يرى أن الانفجار كان بسبب خارجي ..
وأما (لا بلاس) يقول انه كان بسبب داخلي .

فأي الفرضين نأخذ به اذن ؟ ومع ذلك يدعون أنهم هم العلميون الباحثون الحقيقيون وغيرهم هم الجهال لا يعلمون شيئا ..

---

(١) قد تقدم أن أشرنا في مطلع هذا البحث أن نابليون بونابرت وجه سؤالا الى (لا بلاس) هذا عن عمل القدرة الالهية في تنظيم الأفلاك السماوية .. فقال (لا بلاس) : " انني لم أجد في نظام السماء ضرورة القول بتدبير اله " . انطلاقا من هذا التفكير الشارد ، ندرك مدى الضألة التي وقع فيها هؤلاء الباحثون الفلكيون .. راجع عقائد المفكرين محمود العقاد ص ٣٠

ثم قال (لابلاس) ان الأجسام التى تتطاير من الشمس ، ينبغى أن تدور فى شكل بيضاوى ، خلافا لأفلاك السيارات التى تستدير وتقرب من شكل الدائرة التامة ، فأثبت بذلك خطأ (بوفون) الذى يقول ان الدوران كان بشكل دائرى .. فأى القولين أولى بالصواب ؟ (١)

فلنتقدم الى فرض آخر ..

* * *

فرض " كانت " (Kante) (4) : الفيلسوف الألمانى وله رأيا آخر وهو يشبه نظرية (لا بلاس) الا أنه يفوق عليه بالقول ان الشمس هى التى كونت مجموعتها السيارة بنفسها (٢) دون تدخل أى جرم سماوى آخر ولا خالق مدبر حكيم .. يوافق بهذا القول قول (لا بلاس) الذى يقول : " ان نظام الكون لا يحتاج الى أى اسطورة لاهوتية " .

واذا قلنا للفيلسوف " كانت " .. كيف كونت الشمس نفسها ومجموعتها ؟ يقول :

" كانت الشمس في مراحلها الاولى كتلة ضخمة من الغاز المنخفض الحرارة نسبيا . تملأ حيز المجموعة السيارة الحالي بأكمله .. وتدور حول محورها ببطء ، وأخذت حرارتها تنخفض باستمرار لفقدها قسما منه بالاشعاع فى الفضاء المحيط بها ، مما جعلها تتقلص تدريجيا ، ثم تولدت قوة مركزية طاردة ناتجة عن هذا الدوران حول المحور أدت الى التفلطح التدريجى لمادة السديم ، أو الغاز الأصلية مما ترتب عليه طرح عدد من الحلقات الغازية من حافة خطها الاستوائى الممتد .. انظر الشكل (٢) ..

---

(١) عقائد المفكرين ، محمود العقاد ص : ٤٦

(٢) للتوسع انظر ايضا المريخ ، من ص ٦٠ الى ٧٠ وكتاب الجغرافية الطبيعية ص ١٢ وكتاب الفضاء الكونى ، ص ٢٢٠ وكتاب " وجه الأرض " للدكتور محمد متولى .

" وتكوين مثل هذه الحلقات من موارد تدور حول محورها .. ثم تفرض النظرية أن الحلقات الغازية المتكونة بهذه الكيفية تقطعت فيما بعد .. وتكونت منها الكواكب السيارة ، أما نواة السديم ، وهي الجزء الأوسط والأكبر ، فقد بقيت ولم تنفصل منها حلقات ، وتكونت منها الشمس " .

والفيلسوف صريح في أن الصدفة العمياء هي الخالقة الصانعة المدبرة كما ترى .

فلما جاء العالم الانجليزى " كلارك مكسويل " خالفه في شكل الغازات فقال : " ان الغازات - في هذه الحالة - لا تتجمع على شكل كرة بل ينبغي أن تتحلق حلقات متفرقات " .

ولكنه وافقه في أن الصدفة العمياء هي المصدر الوحيد في تشكل الأجرام السماوية كلها ..

ثم صار الناس في أوربا يؤمنون بهذه النظرية الأخيرة ويدرسونها في مدارسهم حتى تبين لهم أنها خطأ فانتقلوا الى فرض آخر وهو :

الفرض الثالث :-

(4)
وجاء العالم الروسى الملحد (جورج جاموف) - (GAMW) فهو يرى : " أن انشقاق السيارات انما نشأ من مرور نجم آخر على بعد من الشمس لم يبلغ من قربه أن تصطدم بها ولم يكن من البعد بحيث يعبرها في طريقه فبرز من الشمس ، نتوء منجذب الى ناحية نجم آخر .. ثم انفصل على شكل مخروط تقطع رؤوسه على التوالي وتداركها الجاذبية وفعل الحركة المركزية فتنعجم منها هذه السيارات ، واحداها هذه الكرة الأرضية " (١) .

---

(١) عقائد المفكرين محمود العقاد ص ٤٦

فلما ظهرت هذه الفكرة الجديدة ،قامت أوربا وقعدت ،فآمنت بها بشكل قطيع ،واعتبرتها من الحقائق العلمية التي لا تجارى ولا تماثل .. وبقيت هذه النظرية مقبولة حتى عهد قريب ،فظهرت في كل المؤلفات والكتب المدرسية التي تبسط العلم للجمهور .. (١)

عودة الى نظرية التصادم

فبينما هم كذلك اذ هم يرجعون أيضا الى نظرية التصادم التي رفضوها أولا .. وكانت هذه العودة على يد ثلاثة من علماء الفلك وهم : (سامبرلن ،ومولتون وجيمس جينز) .

ان هؤلاء الثلاثة رفضوا نظرية الانفجار الداخلي التي تبناها الفيلسوفان " كانت " و " لا بلاس " ورجعوا بأوربا مرة ثانية الى نظرية التصادم التي قد رفضت من قبل ..

الا انهم قالوا : ان سبب التصادم ليس كما يقول (بوفون) ولكنه كان بسبب هجوم جرم كبير على الشمس فاجتزأ من الشمس أجزاء هي " الكواكب " .

تعديلات جديدة على النظرية

ثم ان العلماء الفلكيين غيروا اراءهم خلال العقدين ،تغيرا تاما عن أصل الكون .. لأنهم بدؤا يقولون : " ان تكوين المجموعة السيارة ،لم يكن حادثا استثنائيا .. كما يدعيه الفلكيون الأول .. بل لا بد أنه تكرر عند تكوين الغالبيات العظمى من نجوم الكون ..

وبناء على ذلك : لا بد أن يوجد في مجموعتنا المجرية وحدها ملايين السيارات التي تكاد تماثل الأوضاع الطبيعية لسطح الأرض " (٢)

---

(١) مثل كتاب جورج جامو : " ميلاد الشمس وموتها " الذي صدر عام : ١٩٤٠م
وكتاب " حياة الأرض " الذي صدر عام ١٩٤١م
راجع كتاب : " تاريخ الأرض " لجامو ص ٢١

(٢) نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، شوقي أبو خليل ص ٣٢

هذه هى النتائج التي قدمها علماء أوربا للعالم ، فآمنوا بها لمجرد التعصب الأعمى ...

انها نكسة كبرى و رجعية نكراء ان صح التعبير ..

ان القوم في بداية الأمر اتفقوا جميعا على أن أصل الكون كان كتلة غازية ثم تفرعت الكواكب ... قلنا هذا جميل ولكن كيف تفرعت عن الأصل ، هل تفرعت بارادة منها أو من شيء آخر ؟

قالوا : ليس باختيار نفسها ولكن بصدفة عمياء : قلنا كيف ذلك : ..

قالوا : ان الشمس تصادمت مع مذنبات صغار .. ثم تبين لهم ان ذلك مستحيل .. فقالوا انما تصادمت بنجم أضخم من الشمس نفسها ثم تركوا هذا الرأى بكامله .. فقالوا : ان الصحيح هو الانفجار الداخلى .. فآمنوا بذلك برهة من الزمان ، حتى جاء اليوم الذى أعلنوا فيه مرة أخرى أن الصحيح كل الصحيح هو نظرية التصادم ولكن بسبب هجوم نجم أكبر من الشمس بكثير .. وهى النظرية السائدة الى هذه اللحظة ..

وأخيرا قرروا أن هذا التصادم لم يكن حادثا فريدا في تاريخ الكون — كما هو المظنون — وانما وجد هناك تصادمات عديدة فى الكون .. واستنتجوا من ذلك : ان مجرتنا تحتوى على العديد من السيارات .. أى أن العالم متعدد فى السماء . والأسرة الشمسية هذه واحدة من هذه العوالم ..

تلك هى النتائج المتطرفة التى حاربوا بها الأديان جميعا ..

وكيف لا تكون النتائج من هذه الفروض متطرفة عندما نعرف المواقف المتطرفة التى اتخذها ابرز العلماء كهؤلاء .. الذين حاولوا أن يعطوا صفة الخلق للمصادفة العمياء وانها خلقت نفسها بنفسها .. هذه سخرية على عقول البشر جميعا واحتقار من قيمة العلم الحديث نفسه . الا يجب على معجزات المعرفة العلمية المعاصرة في هذا الميدان وغيره — كما قلنا — أن تقود الانسان الذى يتأمل الى نتيجة عكسية تماما .. ؟ فذلك التنظيم الذى يتحكم فى

الكون وفي الحفاظ عليه ، الا يراه كل من يدرسه متزايدا في التعقيد .. ؟
كلما تقدمنا في امتلاك العلم . وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو متناه في الصغر
مثل الذرة ، ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع الحكيم العليم
الخبير ، كما قلنا سابقا ..

ولكن الملاحدة بدلا من ان يمتلىء عقلهم بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ
تكبرا . هو يعتقد أن من سلطانه السخرية من " فكرة الله " كما يسخر من
كل ما يتصل بالدين من أخلاق وعفة وأمانة وايمان .

ذلك هو المجتمع المادى في تمام توسعه — الآن — في الغرب (١)

ما هى اذن القوى الروحية التي يمكن دفعها لمجابهة تلويث هؤلاء الملاحدة
من العلماء الغربيين المعاصرين .. ؟

فقد رأينا فيما مضى من أول هذا البحث ان هذه الموجة المادية
وغزو الالحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز اليهودية والمسيحية عن الصمود ..
كل منهما غارق في الحيرة ... ان المادى الملحد لا يرى في المسيحية الا نظاما
ابتناه البشر منذ حوالى ألفى عام لارساء سلطة لأقلية قليلة على بشر مثلها ..
ولن يجد فى الكتب المقدسة (العهد القديم والعهد الجديد وغيرهما)
لغة تتشابه مع لغته ولو من بعيد .. فهذه الكتب كما رأينا سابقا — تحتوى
على كثير من الأمور التى لا تتفق مع المعطيات العلمية الحديثة ومن المتناقضات
والأمور غير المعقولة وهل القرآن كذلك ؟ ؟ هذا ما نحاول الاجابة عنه فى
الصفحات التالية ... ان شاء الله تعالى ..

---

(١) وقد تحدثنا عن هذه الجملة فى الصفحات السابقة ، وأعدناها هنا
للأهمية ..

موقف القرآن من أصل الكـــون

ان هذه الدراسة ،دراسة موقف القرآن من اصل الكون ، قد يبدوا لبعـــض الناس انها قليلة الفائدة بدليل ان الناس منذ عهد نزول القرآن قد آمنـــوا بدون معرفة هذه الأشياء وهكذا ،يجب ان يؤمنوا دون أن يحتاجـــوا الى هذه الدراسة الكونية ..

فنحن نخالف هذا الرأى مخالفة حاسمة فنبادرهم بالقول بأن دراســـة الآيات الكونية لها مكانة خاصة في الدعوة الى الله في هذا العصر ، عصـــر العلوم الكونية التي كشف الانسان بعض أسرارها فبلغ من القوة الماديـــة ما بلغ ،وان لم يرع في استثمارها واستغلالها ما شرع الله له .

ولكن هذا النوع من الدراسة يعجـز الالحاد أن يجد موضعا للتشكيـك في الدين الا أن يتبرأ من العقل ..

اذا كانت الكتب المقدســة المسيحية عجزت عن مقاومة الالحاد لمـا اشتملت عليه من معلومات مضللـة ، فجـاء القرآن الكريم بحقائق علمية كونيـة لم تعرفها الانسانية الا في القرن التاسع عشر أو العشرين ، أفلا يدل ذلـك عند كل ذى عقل على أن خالق هذه الحقائق هو منزل القرآن ؟ ؟ .

ونكرر دائما أننا لسنا مع الذين يريدون أن يثبتوا القرآن بالعلم الحديث ولكنا نريد ان نبرز لهؤلاء الملاحـدة جانبا من الكنوز العلمية التى احتواها هـــذا الكتاب العظيم . سواء وافق معطيات العلم الحديث أو لم يوافق وسنرى عـــن قريب أن اشارات القرآن الكريم الى نشـأة الكون تخالف جوهريا ـ كـل معطيـات العلم الحديث في هذا الميدان .

وقد رأينا الفروض الثلاثة التى ذكرها هؤلاء (بوفون ولابلاس وجورج جامو) ومن لف لفهـم ... كلها تشير الى نقطة واحـدة وان اختلفت في مظاهرهـا وهذه النقطة هى :

ان الكون جاء عن طريق المصادفة ولا يحتاج الى تدبير اله خالق • وأن الكون تطور الى ما وصل اليه تطورا عشوائيا بدون ارادة ولا حكمة • هذا ما بينا كذبه في السابق • ولكن هنا نريد أن نبين للناس ان القرآن الكريم تناول الموضوع نفسه ولكن بطريقة نظيفة يقبلها كل عقل سليم •• يقول تعالى :

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ (١)

ان الآية الكريمة من عجائب الاعجاز العلمي في القرآن لأنها سبقت علماء الفلك المحدثين الى ما قرروه من أن الكون كله ، قبل ان تتشكل عوالمه ومجاراته ونجومه ،كان كيانا سديميا غير متميز عن بعضه البعض ثم أخذ يتميز و يتطور ،وهنا وقف العلم وصار ينتقل من فرض الى فرض لكي يصل كيف تطور الكون وتميز بعضها عن بعض الى أن انتهى الى هذه الفروض الثلاثة المذكورة •

* * *

ولكنا اذا رجعنا الى الآية مرة ثانية نجدها تشير الى أن الفتق كان بأمر الله وارادة الله ،هذا ما يفر منه الملاحدة فقال : ﴿ ففتقناهما ﴾ اذن ان القرآن خالف العلم الحديث في كيفية تطور الكون بعدما كان سديما أو دخانا على التعبير القرآني (٢) فانه يرى أن ذلك كان بفعل الله وارادته وأما أرباب العلم الحديث أسندوا كل ذلك الى الصدفة العمياء الخرقاء •

ثم اذا رجعنا الى الاية مرة ثالثة نجد فيها اعجازا آخر مدهشا •• نجد أنها تشير بوضوح الى أصل الحياة وهي المسألة التي شغلت العقول في كل عصور الانسان •

---

(١) الاية في سورة الأنبياء : ٣٠

(٢) اشارة الى قوله تعالى ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾

ان القرآن قد ذكر ذلك بايجاز فقال ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾

فالاية تعني ان كل شيء مصدره المادة كمادة جوهرية ، أو تعني أن اصل كل شيء حي هو الماء . ويتفق هذان المعنيان تماما مع العلمية .. فالعلم الحديث انتهى الى القول الى أن اصل الحياة مائي وأن الماء هو العنصر الأول المكون لكل خلية حية (١) ولكنه لا يعرف من الذي خلق الماء فأسنده الى المصادفة الحمقاء ... فهل هناك غباء اكبر من هذا ؟ ؟

* * *

ان كلمة الماء في الاية شاملة لجميع انواع المياه ، من ماء المطر أو ماء المحيطات أو أي سائل آخر .

تدل على ذلك الايات التالية :

﴿ ... وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ﴾ (٢)

﴿ .... والله خلق كل دابة من ماء ﴾ (٢)

واذن فسواء كان المقصود هو أصل الحياة عموما أو العنصر الذي يجعل النبات تولد في التربة ، أو كان المقصود هو بذرة الحيوان فان كل عبارات القرآن تتفق تماما مع المعطيات العلمية الحديثة الصحيحة ولا مكان مطلقا في نص القرآن لأي خرافة من الخرافات التي كانت سائدة في العالم في عصر تنزيل القرآن الكريم ...

فالحاد الملاحدة بعد ذلك الحق المبين يصبح مجرد التعصب أو مجرد شهوة الالحاد التي لا دليل عليها ..

---

(١)

(٢) سورة (طه) ٢٠ ـ الاية ٥٣

(٣) سورة النور ٢٤ ـ الاية ٤٥

القرآن معجزة قديما وحديثا

ان هذه الايات بقيت معجزة لعصرنا نحن ، كي يبقى القرآن في جدة وكأنه أنزل ليومه هذا ..

معجزات رآها الصحابة من خلال ايات كتاب الله ، لم نرها نحن .. كقوله تعالى : ﴿ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ (١)

وتحقق ما أورده القرآن الكريم ، فغلبت الروم وانتصر الفرس .. ثم قال عز شأنه مخبرا عمن ستكون له العاقبة ﴿ وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ وحددها ﴿ في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد .. ﴾ (١)

هذا ما حدث فعلا حسب أخبار القرآن الكريم ، حيث جمع هرقل جموعه بتركيز كبير وهاجم الفرس الذين استكانوا للنصر ولذاته ، وغفلوا عن الحفاظ عليه ، فانتصر عليهم ، أيام انتصار المسلمين في بدر (٢) .

ولما ملك " شيرويه " في فارس صالح الروم عام ٦٢٨ م ورد أسراهم وردوا أسراه ..

انها لمعجزة كبيرة تفوق حدود القياس والمعارف الانسانية ...

* * *

معجزة الوعد والوعيد !

وقال عز وجل قبل غزوة بدر الكبرى ﴿ واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ (٣)

---

(١) سورة الروم : الاية الكريمة ٣ ، ٤

(٢) في شهر أيار عام ٦٢٤ ميلاديا : عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، خليل شوقي ص٤٣

(٣) سورة الانفال : الاية الكريمة ٧ ، ٨

هذه الايات تنبأت بمستقبل غيبي آت .. انها ايات دقيقة وحساسة جدا ..

فالدعوة الاسلامية في بدئها . فلو جاءت آية واحدة مخالفة لما تنبأت به لشك الناس بالنبوة وشكوا بصحة القرآن الكريم ولجعلها الكافرون والمشركون سلاحا اعلاميا مضادا ..

ولكنه القرآن الكريم .. وحي السماء الى الأرض .. ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (١)

* * *

هذه من المعجزات التي رآها الصحابة .. وها نحن اليوم نرى معجزات كثيرة من معجزات القرآن الكريم .. ومن هذه المعجزات (أصل الكون) وتكوينه من الدخان ثم فتقه الى ما شاء الله تعالى .. وعندما أراد العلم الحديث أن يتطاول الى ذلك أخفق وسنرى في خلال هذا الفصل معجزات أخرى كلها تؤكد أن القرآن وحي من عند الله .. ولكن الملاحدة قصارى النظر .. لا يهتمون بالدين وكل ما يتصل به .. فلذلك تراهم في طغيانهم يعمهون ..

* * *

ومن أهم ما اتخذه الملاحدة سندا لنقض الأديان هو قضية نشأة الحياة انهم يدعون أنهم قد عرفوا ذلك بطريقة العلم الحديث ..

وفي الصفحات الاتية محاولات لبيان كذبهم وافترائهم .. وقبل ذلك نود أن نسجل هنا كلمة لبعض الباحثين المنصفين من الغربيين وهو (د . واين أولت) اذ يقول :

" أما النظريات التي ترمي الى تفسير الكون تفسيرا آليا فانها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون .. ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض المصادفة " (٢)

---

(١) سورة فصلت الاية الكريمة : ٤٢

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص : ٣٨

الفصل الثانـــى

نشـــأة الحيـــاة وتـنـوعهـــا

لقد رأينا في السطور الماضية أن الملحدين يقولون : ان الحياة بدأت خلية واحدة ،ثم بدأ التكاثر يعمل عمله (١) ، والانتخاب الطبيعي يعمل عملـــه يطور ــ حينا ــ بعض الكائنات من جرثومة صغيرة الى حيوان كبير ٠٠ ثـم يتطور الكبير الى جرثومـة صغيرة أيضا ٠٠ وهكذا يعمل التطـور عمله حـتـى وصلت الحياة الى ما وصلت اليه الآن ٠٠

ولكن هل لهم على هذا من برهان ؟ ٠٠

والجواب لا ! لو كان عندهم برهان لفعلوا ذلك في معاملهم ،لأنهـــم يدّعون أن كل شيء في الحياة معروف ــ وكل شرط تحتاجـه الحيـاة يمكـــن أن تتوفر في المصنـع ٠

والعناصر التي تتركب منها الاحياء ــ يقولون ــ انها معروفـة ،ونسبهـــا معروفة ، وأجزتها معروفـة ٠٠

فبقيت الظروف ، لأنهم يقولون : ان الظروف الأولى التي ولدت فيها الحيـاة لا تتوفر بالسهولة ٠٠

فنقول لهم : يمكن لكم أن تقدروها وتوجدوا ظروفا مثلها ؟

هيهات! لن تستطيعوا أبدا ! والا فجربوها !

وقد ناقشهم القرآن ـــ ومن قبل مناقشة هادئة لا مفرّ منها أبدا فقال :

﴿ ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون اللـــه لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ،وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ٠٠ ما قدروا الله حق قدره ﴾ (٢)

---

(١) الله جل جلاله ، سعيد حوى ص٥٦

(٢) سورة الحج الآية : ٧٣ ــ ٧٤

روسيا الملحدة تبحث عن نشأة الحياة

ولقد حاول الملحدون في روسيا الملحدة أن يبرهنوا على امكانية نشأة الحياة كيماوية ،وذلك – في زعمها – كدليل تثبت به مذهبها الالحادى ..

وكيف كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة كالتالي :

وقد كلفت هذه الدولة الملحدة ، بهذا الموضوع " أوبارين " رئيس المعهد الكيميائى في الاتحاد السوفياتى ، وطلبت أن يتفرغ للبحث في أمر واحد ، وهو مدى امكانية ايجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائى .

وبعد عمل متواصل قارب (عشرين عاما) أعلن حوالى سنة ٦٣ عن انتهائه من دراسة هذا البحث ،وأعلن عن النتيجة التى توصل اليها ،في تقرير رسمى أذاعته جميع وكالات الأنباء في العالم اذ ذاك ، وهى :

أن العالم الكيميائى عاجز عن ايجاد الحياة في المخبر ..

والعلم لا شأن له الا بالمادة المحسّة ..

* * *

وكانت الفرصة مهيأة لهذا الرجل ولأهل روسيا أن يؤمنوا بالله ويتوبوا عن الحادهم وتمردهم على الله ،ولكن سبقت اليهم شقوتهم .. وبدل أن يعترف هذا الباحث الملحد بأن الله هو خالق الحياة ، أجاب على سؤال كانت صيغته :

" هل التفاعل الكيمى في المادة قادر على بعث الحياة ، كما انبعثت الحياة الأولى منذ ملايين السنين وعلى الصورة التى دعاها أرنست هيكل ؟

– ان هذا ممكن ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا .(١)

هل رأيت – أيها القارئ الكريم – تهربا واضحا اكثر من هذا الجواب ؟

---

(١) راجع الله جل جلاله ،سعيد حوّى ص ٥٧

ومع هذا التهرب الواضح نقول لهم :

اذن لم لـم تستطيعوا صناعة الحياة وكل شئ متوفر ؟

أفلا يدل هذا العجز الانساني على أن هناك قوة عظيمة أقوى من كل ما يتصـور ؟ هي موهب الحياة كلها ؟

أفلا يدل ذلك على أن تلك القوة هي خالق الحب والنوى ؟

يخرج الميت من الحي .. ويخرج الحي من الميت ؟

ويحيى الأرض بعد موتها ؟ ؟

* * *

والواقع ان عامة الذين لا يؤمنون بالله يتهربون من هذا الموضوع بمثـل هذه الادعاءات ؟

تصور معنا أيها القارئ في قولهم :

" ان الحياة قد جـاءت من بعض الكواكب في شكل جرثومـة انسلت دون أن يصيبها تلف ، وبعد أن بقيت زمنا غـير محدود في الفضاء استقـرت على الأرض ، ومن ثم تسلسلت الحياة عن تلك الجرثومة ، أو يقولون .. انهـا وصلتنا عن طريق نيزك أصاب أرضنا " (١)

هل هذا الكلام معقول ؟

هل هذا الكلام يفسر لنا حقيقة علمية ؟

الجواب : لا !

اذ كيف استطاعت هذه الجرثومة أن تبقى حيـة في درجـة الصفر المطلـق في هذا الفضـاء الواسـع ؟

فلنقل نعم استطاعت أن تبقى رغم ذلك ، ولكن كيف نجت من الاشعاع الكثيف ذى الموجـة القصيرة الذى يقتل أمثالها ؟

---

(١) المرجع السابق ص ٥٨

فلنقل أيضا ـ مجاراة معهم ـ انها بقيت حية رغم ذلك ، ولكن كيف وجدت لنفسها مكانا ملائما في الأرض ؟

وكيف وجدت هذا الاتفاق المدهش في الظروف ، حتى توالدت فبدأت الحياة ، وكم من السنين استغرقت هذه الرحلة التطورية حتى وصلت ؟

* * *

فلنقل نعم ! كل ذلك ممكن وحق ..

ولكن كيف بدأت الحياة على ذلك الكوكب الأول ؟

هذا سؤال يبقى دائما ـ بدون جواب الى يوم القيامة ..

اذن ان المنطق الوحيد المعقول ، هو أن الله الحيّ هو وحده خالق الحياة ..

* والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون .. أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون * (١)

ولا يستويان في منطق العقل :

* أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون * (١)

ولا يستويان كذلك عقليا :

انسان نسب الحياة الى المصادفة العمياء ، وآخر ينسبها الى الله ...

والقرآن يقول ان الذى يجعل الملاحدة ينسبونها الى المصادفة هو : الغفلة .. فهم لا يستعملون قلوبهم ، استعمال الفقه والفهم الصحيح . ولا ينظرون الى المخلوقات نظر الاعتبار والتفكر ، ولا يسمعون نداء الله بواسطة رسله ـ سماع من يطلب الخير لنفسه .. فلذلك نزلوا بقلوبهم هذه ، وأعينهم هذه ، وآذانهم هذه ، الى مستوى البهيمة .. وبتعبير أدق ان البهيمة أعقل وأبصر وأسمع من هؤلاء الملحدين :

---

(١) سورة النحل الاية : ٢٠ ـ ٢١

(٢) المصدر السابق الاية : ١٧

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بهـا ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ (١)

﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ (٢)

ان الكون مخلوق لا خالق ، ومن أعطى الكون أو الطبيعة صفة الخلق ، فقد أشرك بالله جهلا وسفاهة • بل قد ألحد في الله تعالى •

فنشأة الحياة لا تعلل الا بالله ،

ووجود الأنواع والأجناس لا يعلل الا بالله ،

وما في الحياة من عجب لا يعلل الا بالله ،

وكل جزئية من هذا كله آية من آيات الله •

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ (٣)

ونختم هذا الفصل بقولنا :

ان نشأة الحياة دليل على الله •

وتعقيدات الحياة دليل على الله •

وتنوع الأحياء دليل على الله •

ومركز الانسان في هذا الكون بصفاته العليا دليل على الله •

وفي النفس البشرية ـ اخلاقها وعجائبها ـ دليل على الله •

فهل يبقى لملحد بعد ذلك من حجة أو سبيل ؟ الا حجة الجهل وسبيل السوء المؤدي الى البوار ثم النار ﴿ ألا لعنة الله على الملحدين ﴾ والعياذ بالله من الالحاد ••

---

(١) سورة الاعراف الاية : ١٧٩

(٢) = = = : ١٩١

(٣) سورة الاسراء الاية : ٨٥

الفصل الثالث

الطبيعة أو الصدفة

بعد ما تبين لنا ، بما لا يقبل الشك ، أن الالحاد ينتج عن الجهل لا عن العلم ، وتبددت أمامنا تلك الشبهات بقيت هناك شبهة من شبهات العصر وضلالة أخرى من ضلالته وهي - كما يظهر لك - مصطنعة كما تصطنع الأصنام .. مخيمة على الافكار كما تخيم الأوهام ، ولكنها - بكل أسف - مع اصطناعها هذا ، وعدم استنادها الى أساس ، نجدها مسيطرة على عقول كثير ممن يدعون " الثقافة والمعرفة " ، وقد أصبحت غشاوة على قلوبهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتمحيص .. تلك الشبهة هي : قولهم : ان الطبيعة هي التي أوجدت نفسها .. وبتعبير آخر ، ان الطبيعة وجدت عن طريق المصادفة ... اله العصر المزعوم ...

* * *

حينما تبادر أحد الطبيعيين بالقول :

من خلق السموات والأرض ، يقول : الطبيعة ..

من خلق النبات والحيوان ؟ يقول : الطبيعة ..

من خلق الانسان ؟ يقول لك : الطبيعة ..

من يدبر جميع هذه الأمور الفلكية ، والحيوانية والغريزية . وكل بحساب دقيق ونظام لا يحيد ، فسيقول لك : الطبيعة..(١)

وكل ما خفي عن الادراك ، سببه ، فسببه الطبيعة ..

واذا قلت كيف جاءت الطبيعة نفسها ؟ قالوا : انها جاءت عن طريق المصادفة أو أوجدت نفسها بنفسها .. يا للعجب !

---

(١) راجع كتاب الله جل جلاله ، سعيد حوى ص ١٢٣

وكل منطق يؤدى في نهايته الى التسليم بوجود خالق مدبر حكيم عند المؤمنين ينتهى عند الملاحدة بوجود شئ لا وجود له هو المصادفة .. وكل ما كان وكل ما يكون ، وكل ما هو كائن فعلته الأولى هى المصادفة وأساسه الحقيقى هو المصادفة ، منها صدر ، وعليها يقوم ، وبها يتخذ ما شاءت له المصادفة من شكل أو كيف أو اتجاه .. (١)

وليس شأننا في هذا البحث أن نكتفى بالتسفيه والتشنيع ، ولكننا نناقش الأمر من جميع الوجوه .. نناقشه بأقوال الكثرة الكاثرة والأغلبية الساحقة من امثالهم من أساطين العلم الحديث ..

ثم نترك المجال للطبيعة نفسها لتكذب فكرة الصدفة العمياء . وبعد ذلك ننتقل الى مناقشة افكار بعض الملاحدة المؤيدين للصدفة وأخيرا نقرر للملاحدة قانون الصدفة للبيان أن الصدفة ليس لها عمل فى الخلق ..

* * *

أولا ـ الطبيعة والكون :

الطبيعة في اللغة ، تعنى الخلق والسجية ، وقد جاء في تاج العروس قوله : " والطبع والطبيعة والطباع ككتاب الخلقة والسجية التى جبل عليها الانسان . (٢)

أما الكون فى اللغة : فهو (الحدث) (٣) اذ أن لفظة (كون) فى الأصل تدل على حدوث شئ اما في زمان ماض أو زمان حاضر .. (٤)

اذن ان كلمة الطبيعة تختلف عن كلمة الكون اختلافا بينا ..

---

(١) راجع الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد على يوسف ص٣٤ ـ ٣٥

(٢) الزبيدى . تاج العروس من جواهر القاموس ج ٥ ص١٤٣٨

(٣) ابن منظور لسان العرب ج ١٣ مادة الكون

(٤) ابن فارس ، مقاييس اللغة ج ٥ مادة الكون

والكون عند المتكلمين مرادف للوجود [١] . وأما معنى الكون في القرآن هو عبارة عما يكون بالارادة الالهية من الموجودات على اختلاف الوانها واشكالها بعد أن لم تكن [٢] . يقول تعالى ﴿ اذا قضى أمر فانما يقول له كن فيكون ﴾ [٣] وتطلق الكلمتان : الكون والعالم على كل شيء سوى الله لعدم اتصافه بالحدوث ..

وقد استعمل الأوربيون كلمة الطبيعة (Nature) بمعنى الكون أو العالم . فالطبيعة في اصطلاحهم : هي العالم بما فيه من أشياء مختلفة [٤] وهي تنقسم الى مفهومين في عقولهم :

المفهوم الأول :ــ انها عبارة عن الأشياء بذاتها ، فالجماد والنبات والحيوان كل هذه الكائنات هي الطبيعة وهو مفهوم غير دقيق ، وحكم غير سديد كما سيتضح لنا فيما يلي :

المفهوم الثاني :ــ انها عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها فهذه الصفات من حرارة وبرودة ،ورطوبة ويبوسة وملامسة وخشونة ، وهذه القابليات من حركة وسكون ،ونمو واغتذاء وتزاوج وتوالد كل هذه الصفات والقابليات هي : الطبيعة .

هذان هما المفهومان لمعنى الطبيعة عند الأوربيين . فما نصيبهما من الحق اذن ؟ ؟

أما القول الأول فلا يخرج بالطبيعة ــ بالنسبة لخلق الوجود ــ عن تفسير الماء بالماء . يقولون : الأرض خلقت الأرض ،والسماء خلقت السماء والأصناف صنعت نفسها وكل شيء أوجد ذاته . وهو في الوقت نفسه ، الخالق والمخلوق ، والحادث والمحدث ..

---

(١) البستاني ، بطرس ، محيط المحيط مادة الكون مكتبة البيان

(٢) التهانوني . كشاف مصطلحات الفنون مادة التكوين

(٣) سورة مريم ٦ اية رقم ٣٥

(٤) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين : محمد علي يوسف ص٤١

وبطلان هذا القول واضح ، لا يحتاج الى أية مناقشة ،فهو ادعاء بـان الشيء وجد بذاته من غير سبب . وقانون السببية عند جميع العقلاء – ما عدا الملاحدة – يبطل ذلك .. فمذهبهم هذا يدل على اندماج الخالق والمخلوق في كائن واحد فالسبب هو عين المسبب وهو مستحيل ، بل هو من التهافت والتناقض الصريح بحيث لا يحتاج الى الوقوف والشرح ..

أما القول الثاني : الذى هو جعل قابليات الاشياء خالقا لها . نقول : لو تكلف هؤلاء في البحث عن قابليات الأشياء التى اعتمدوا عليها في خلق الأشياء لوجدوها سرابا خادعا يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجد شيئا .. ولا بد من توضيح ذلك بطريقة علمية :

لو أردنا استنبات حبة قمح ، نضعها في التراب أو القطن المبلل بالماء فتنتفخ هذه الحبة وتنفلق فيظهر منها – أولا – الجذر متوجها نحو الأسفل ثم يظهر الساق يتوجه الى الأعلى ، ثم تظهر الأوراق فالأزهار فالثمار .

وفي هذه الحالة ، اذا سألت الملحد من الذى أنبت هذه الحبة يقول انه القابلية .. القابلية فقط !

فلا بد – اذن – أن نبحث عن هذه القابلية وعن حقيقتها :

لو لم تنتفخ الحبة وتنفلق لما نشأ شيء.. فمن الذى نفخها وفلقها ، لو كان للحبة عقل وتدبير لقلنا : ان عقلها هو الذى هيأ لها ذلك ،ولو أن الماء هو الذى نفخها وفلقها ،لأمكن للماء أن ينفخ في الحديد ويفلقه ، اذن فلا بد من مؤثر وقبول لذلك المؤثر ،وان كانت الحبة بذاتها – جدلا – انتفخت وانفلقت فلماذا لم يجمد وتضمر بدلا من أن تنتفخ وتنمو ولكى يحصل التكاثر والبقاء يحتاج الأمر الى عقل وادراك ، ومنهاج مرسوم من قبل تلك البذرة ونعلم ومعنا الملاحدة ، أن البذرة لا تملك شيئا من ذلك ، فكيف حصلت اذن ثمرة بعينها ؟ بل كيف حصلت ثمار كثيرة متنوعة ؟؟

وكيف كمنت الغاية المعينة والصفات المقصودة في صميم كل بذرة منها ؟

والحقيقة أن من أنعم النظر في تعبير الملاحدة المستندين الى القابلية حينما يقولون : طبع النبات على ذلك ، انتفخت الحبة وانفلقت وتوالدت الخلايا ، تميل الخلية الحية الى الانقسام ... يجد أنها افعال مبنية للمجهول لجهلهم أو تجاهلهم الفاعل الحقيقي .. فكأن الملحد الطبيعي أغمض العين عن السبب الحقيقي وبنى الفعل للمجهول تخلصا من ذكر الله تعالى .

فتقول له : فمن الذى نفخ في الحبة ؟ ومن الذى فلقها ؟ ومن الذى أدى الى التواليد ؟ ومن جبل الخلية على الانقسام ؟ ومن الذى جعلها تنتفخ بدلا من أن تضمر ، كل هذا التحقيق لا تصل اليه نظرة الملاحدة الطبيعيين القصيرة ! بل هى مقتصرة على وصف الظواهر دون الذهاب لذا الى أسبابها ، بل هي مخطئة في جعل الصفة المنفعلة سببا فاعلا ، والقابلية مؤثرا ، والظاهرة المجهولة عاملا مكونا ..

والعجيب أن تجد الملحد الطبيعي يجعل من مجموع هذه الصفات مفهوما مركبا سماه (قابلية التوالد والنمو) ، فجعل من القابلية التى هى عرض من أعراض الشىء سببا فى الخلق ومن الصفة الانفعالية التى لا تعى ولا تدرك سببا فاعلا واعيا في تكوين الأشياء !

اذن فمن الذى ركز الطبيعة في العناصر ؟ ومن الذى نوع تلك الطبائع ؟ اذا قلت ذلك ترى الملحدين — بدون حياء — يقولون : ان ذلك كله من فعل الصدفة ! الصدفة وحدها التى اعطت الطبيعة قانون الطبيعة ....

واذا قلت ان بذرة المشمش وبذرة الأرز مثلا حين توضعان في التراب تنتج كل واحدة منهما ثمرا يختلف عن الاخر ، بلونه ، وطعمه ، ورائحته مع أنه يسقى بماء واحد ، ومع اتفاقنا على أنه ليس للبذرة عقل ولا لجذر الشجرة ادراك ، فكيف كان الجذر يمتص الماء ويصطفى ذرات بعينها ، ويكون العصارة ، وينشىء الحلاوة اذا قلت له ذلك يرجع الى صنمه الأول فيقول : ان ذلك من فعل الصدفة وقوانين الطبيعة واليك قول هكسلى :

اذا كانت الوقائع نتيجة لعلل طبيعية فهي بالطبع ليست نتيجة لعلل ما فوق الطبيعة » (١)

* * *

أين يكمن الضعف في استدلال الملاحدة الطبيعيين ؟

اننا نستطيع فهم هذا الضعف من المثال البسيط التالي :

قد يشاهد احد الرجال قاطرة تجرى على قضبان الحديد فيتبادر الى ذهنه سؤال : كيف تجرى هذه العجلات الثقيلة ؟

وبعد قليل من المشاهدة يصل الرجل الى الات وتروس القاطرة فيرى ان العجلات الثقيلة تتحرك بتحرك التروس والالات . أفبعد هذا الاكتشاف يحق لهذا الرجل أن يزعم أن الات القاطرة وحدها هى السبب في تحرك عجلاتها .

ومن الواضح أن الأمر ليس كذلك بهذه البساطة ، لأنه يجب أن نعترف بالسائق الذى يدير الماكينات ، ثم بالمهندس الذى صنع تلك الماكينات وأوجد القاطرة ، فلا وجود في الحقيقة للقاطرة ، ولا يمكن احداث الحركة فى الاتها بدون عمل المهندس والسائق . فالماكينات الداخلية ليست هى الختام في قصة القاطرة بل ان الحقيقة النهائية هي " العقل " الذى أوجد تلك الماكينات ثم أدارها وحركها وفق ارادة مرسومة .

لقد أصاب عالم مسيحى حين قال : " ان الطبيعة لا تفسّر الكون ، وانما هي نفسها في حاجة الى تفسير " (٢)

وذلك لأن الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيرا له ..

---

(١) راجع الدين ، وحيد الدين خان ص ٦٥

(٢) نفس المرجع السابق ص ٦٦

ولنفهم هذا من مثال آخر .

ان الكتكوت يعيش أيامه الاولى داخل قشرة البيضة القوية ، ويخرج منها بعد ما تتكسر منضية لحم . لقد كان الانسان القديم يؤمن بأن الله أخرجه ، ولكنا شاهدنا اليوم ـ بالمنظار ـ أنه في اليوم الحادي والعشرين يظهر قرن صغير على منقار الكتكوت يستعمله في تكسير قشرة البيضة لينطلق خارجا منها ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة ..

* * *

هذه المشاهدة ـ كما يزعم الملاحدة ـ أبطلت الفكرة القديمة القائلة بأن الاله يخرج الكتكوت من البيضة اذ قد رأينا بعيننا أن قانون " الواحد والعشرين يوما " يحدث هذه العملية . والحقيقة أن المشاهدة الجديدة لا تدلنا الا على حلقات جديدة للحادث ، ولا تكشف عن سببه الحقيقي ، فقد تغير الوضع الان فاصبح السؤال لا عن (تكسر البيضة) بل عن (كيف يظهر القرن) ؟ ان السبب الحقيقي سوف يتجلى لأعيننا حين نبحث عن العلة التي جاءت بهذا القرن ، العلة التي كانت على معرفة كاملة بأن الكتكوت سوف يحتاج الى هذا القرن ليخرج من البيضة ، فنحن لا نستطيع أن نعتبر الوضع الأخير (وهو مشاهدتنا بالمنظار) الا أنه مشاهدة للواقع على نطاق أوسع " ولكنه ليس تفسيرا له .

ان الاكتشاف الذى اعتبروه بديلا " للاله " يمكننا أن نفسره بسهولة بأنه " أسلوب عمل الطبيعة " . اننا نستطيع أن نقول بكل قوة ، ان الله يجرى ارادته في الكون بواسطة هذه القوانين التي كشفت علومنا الحديثة بعض أجزائها فقط حتى الآن ـ يقول الله تعالى ﴿ وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا ﴾ (1) فالله تعالى جعل هذه القوانين اسبابا تسير بمقتضاها الدنيا .

---

(1) سورة الكهف : ٨٤

وليست هذه الأسباب أو هذه القوانين هي الخالقة المدبرة . وأما الفاعل الحقيقي هو الله جل جلاله وعز كماله ..

ولو قصر النظر عند الملاحدة على هذه الأسباب ، لوجدنا الجواب شافيا منطقيا منسجما مع ما تقدم من التحقيق العلمي في الآية الكريمة التالية :

﴿ ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ذلكم الله ربكم فأنى تؤفكون ﴾ (١) بذلك توجه الاسباب كلها الى الخالق الأول وتعرف المجاهيل ، ويحسم الأمر ...

* * *

ولكي نزيد الأمر وضوحا ، نضرب لذلك مثلا آخر :

لنفرض ان رجال الدين يعتقدون ان الله ياتي بالمد والجزر في البحار ثم يأتي عالم من " علمائنا " الجدد ويقول لنا : ان المد والجزر له سببان هما قوة الجاذبية في القمر ، والتكوين الجغرافي أي الوضع الجغرافي لأجزاء الأرض البرية والبحرية .

اننا سنقبل هذا الكشف العلمي بكل سرور فليس هناك من داع يقتضي رفض هذا الكشف لأنه لا يؤثر اطلاقا على صواب عقيدتنا ، اننا نسلم بأن حدوث المد والجزر يقتضي قوة الجاذبية القمرية ، ويقتضي وضعا جغرافيا معينا لأجزاء الارض . ولكن ما هي قوة الجاذبية ، وما هو الوضع الجغرافي الأرضي ؟ انهما - ايضا - من خلق الله ، والله يستخدم هذه الوسائل لتنفيذ ارادته وفعله ، ولولا استخدامه لهذه الوسائل المحددة لتنفيذ مشيئته لحلت الفوضى في الكون ولا نعدم النظام . فالله سبحانه وتعالى لا يزال هو السبب الاول والحقيقي لطوفان البحار وفلق الحبوب والزارع الحقيقي كما ورد ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ أفرأيتم ما تحرثون ؟ أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ؟ لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون : انا لمغرمون بل نحن محرومون ﴾ (٢)

---

(١) في سورة الانعام : ٩٥ (٢) في سورة الواقعة : ٦٣

هذا الزرع الذى ينبت بين ايديهم وينمو ويأتى ثماره . ما دورهم فيه ؟ انهم يحرثون ويلقون الحب والبذور التي صنعها الله . ثم ينتهى دورهم وتأخذ يد القدرة في عملها المعجز الخارق العجيب ... تأخذ الحبة أو البذرة طريقها لاعادة نوعها . تبدؤه وتسير فيه سيرة العاقل العارف الخبير بمراحل الطريق . الذى لا يخطىء مرة كما يخطىء الانسان في عمله ولا ينحرف عن طريقه ولا يضل الهدف المرسوم ! ..

هل هذه البذرة الصغيرة عاقلة حتى تعمل هذه الاعمال العجيبة ؟ لا! ف والله ! بل يد القدرة الالهية هى التي تتولى خطاها على طول الطريق . ولولا ذلك تصبح هذه البذرة الصغيرة اعقل من الانسان ! لأن الانسان يخطىء في جميع أعماله . حتى اتخذ العلم الحديث الخطأ والاحتمال قاعدة تنطلق منها للوصول الى الحقائق العلمية . واذا انتفى أن هذه البذرة عاقلة لا يبقى هناك الا ان نقول ان العجيبة التى نراها في هذه الحبة هى من صنع الله العليم الحكيم .

* * *

ولولا ذلك كيف تأخذ هذه الحبة رحلتها العجيبة ، الرحلة التي ماكان تل العقل ليصدقها ، وما كان الخيال ليتصورها ،ولولا أنها حدثت وتحدث ويراها كل انسان في صورة من الصور . ونوع من الأنواع . والا فأى عقل كان يصدق . وأى خيال كان يتصور أن حبة القمح ـ مثلا ـ يكمن فيها هذا العود وهذا الورق وهذه السنبلة ، وهذا الحب الكثير ؟ أو أن ألنواة تكمن فيها نخلة كاملة سامقة بكل ماتحتويه ؟!

* * *

---

(١) هذا الشرح أخذناه من كتاب في ظلال القرآن ،سيد قطب ج ٢٧ ص٧٠٣ المجلد السابع ولكن بالتصرف .

أى عقل كان يتطاول به الخيال الى تصور هذه العجيبة . لولا أنه يراهـــا تقع بين يديه صباح مساء ولولا أن هذه القصـة تتكرر على مرأى ومسمع مـــن جميع الناس ؟

وأى انسان يمكنه أن يدعى انه صنع شيئا في هذه العجيبة سوى الحرث والقاء البذور التى صنعها الله ؟

ثم يقول الناس : زرعنا !! وهم لا يتجاوزون (الحرث) والقاء البذور . أما القصة العجيبة التى تشلها كل حبة وكل بذرة ، وأما الخارقة التـــي تنبت من قبلها وتنمو وترتفع فكلها من (صنع الله) الخالق الزارع الحقيقى . بل ولو شاء الله لم تبدأ رحلتها . ولو شاء لم تتم قصتها . ولو شاء لجعلهـــا حطاما قبل ان تؤتى ثمارها وهى بمشيئته تقطع رحلتها من البدء الـــى الختام !

ولو وقع ذلك لظل الناس يلونون الحديث وينوعونه يقولون : * انا لمغرمون * : غارمون * بل نحن محرومون * ولكن فضل الله يمنحهم الثمر ويسمح للنبتة أن تتم دورتها ، وتكمل رحلتها ، وهى ذاتها التى تقوم بها الخليـــة التى تمنى .. وهى صورة من صور الحياة التى تنشئها القدرة الالهيـــة وترعاها .. (١)

ومع هذا كله نقول للملاحدة : ان القابليات والاسباب كل اولئك ارادة اللـه في الكون . وان الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون ، وليست تفسيرا له ..

ومع كل ذلك تجد الملاحدة يصدون عنك صدودا ويقولون : ان فاعل ذلـك كله ، هو الصدفـة ! الصدفـة هي تعمل عملها في الظلام بدون ارادة ولا علم ولا عقل وانما هي تخبط خبط عشواء ...

---

(١) لخصنا هذا الشـرح أيضا من كتاب في ظـلال القرآن ،لسيد قطب المجلد السابع الجزء ٢٧ /ص٧٠٤

وان بدت سخافة هذه المقالة الصبيانية ، فانها تستحق النظر لأنهـــا أفسدت في العالم قلوبا وأفكارا ..

اذن فما هي الصدفة وما قيمتها عند العلماء وعند البحث العلمي الصحيح البعيد من الهوى والالحاد ؟

العلم والدين يقاتلان فكرة المصادفة العمياء

كثيرا نسمع من الملاحدة المعاصرين يقولون : " ان هذا الكون المادى لا يحتاج الى خالق ويلخص بيرتراند رسل هذه النظرية المادية المتطرفة فيقول :

" ليس وراء نشأة الانسان غاية او تدبير . ان نشأته وحياته وآماله ومخاوفه وعواطفه وعقائده ليست الا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة .. ولا تستطيع حماسته أو بطولته أو فكره أو شعوره أن تحول بينه وبين الموت .. وجميع ما قام به الانسان عبر الاجيال من اعمال فذة وما اتصف به من ذكاء واخلاص مصيره الفناء المرتبط بنهاية المجموعة الشمسية . ولا بد أن يدفن جميع ما حققه الانسان من نصر وما بناه من صروح المدنية تحت انقاض هذا الكون .. ان هذه الامور جميعا حقائق لا تقوى فلسفة من الفلسفات على انكارها " (١)

ذلك هو منطق الملحدين الذى عبر عنه هذا الملحد العاتي ولكنه منطق سلبي .. لأنه ليس كل العلماء الطبيعيين يعتقدون في قدرة العلوم على كل شيء حتى تستطيع أن تجد تفسيرا لكل شيء . كما مر ذلك سابقا .

فالعلوم لا تستطيع أن تحلل (الحق والجمال والسعادة) وذلك باعتراف جميع الماديين . كما أنها عاجزة عن ان تجد تفسيرا لظاهرة الحياة او وسيلة لادراك غايتها .. بل ان العلوم اشد عجزا عن ان تثبت عدم وجود الله سبحانه وتعالى ..

---

(١) الله يتجلى ص ٥٢

والكل يعلم - حقيقة - أن العلوم لا تستطيع ان تفسر لنا كيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية في صغرها والتي لا يحصيها عدّ وهى التى تتكون منها جميع المواد ٠ كما لا تستطيع العلوم ان تفسر لنا بالاعتماد على (فكرة المصادفة) وحدها كيف تتجمع هذه الحقائق الصغيرة لكى تكون الحياة ٠ ولا يوجد عند احد دليل قديما وحديثا على ذلك٠٠

بل نتحدى هذا الملحد وغيره ان يبين لنا كيف تستطيع المصادفة أن تخلق هذا الكون٠ بل ان العلوم نفسها قد أيدت فعلا كثيرا من النبوءات التي جاءت بها الأديان الحقة٠ كما قاتلت العلوم ، فكرة المصادفة - مع الأديان جنبا الى جنب كأنها من مشكاة واحدة٠ بل انهما من مشكاة واحدة لأن الاديان أتت بكتب الله المقروءة وأما العلوم فهي تدرس كتب الله المنظورة وهى هذا الكون الفسيح من الذرة الى الاجرام السماوية ٠٠٠ هذا ما صرح به العالم الطبيعي والكاتب اللامع (أوليفر وندل) في هذه المناسبة : " كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف ، فالفهم الحقيقي للعلوم يدعو الى زيادة الايمان بالله " (١)

وأيده (ايرفنج وليام نوبلوتشي) أستاذ العلوم الطبيعية - الحاصل على درجة الدكتوراة من جامعة أيووا - اخصائي الحياة البرية في الولايات المتحدة - أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميشيجان منذ سنة ١٩٤٥ م اخصائي في وراثة النباتات ودراسة شكلها الظاهرى ٠ أيده بقوله : (٢)

" أما بالنسبة الى نفسى بوصفى احد المشتغلين بالعلوم ، فاننى لا أستطيع أن انفى قوانين المصادفة (٣) لأننى ألمس نتائجها في كثير من أمور حياتنا

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص٥٢

(٢) المرجع السابق ص ٥٣

(٣) يرى فريق من العلماء المعاصرين ان استخدام لفظ المصادفة هو تخلص من تفسير الظاهرة او الأمر الذى حدث تفسيرا طبيعيا ، وعلة ذلك اننا لم نصل بعد الى تلك التفسيرات الطبيعية٠ هذا يقصده هذا العالم في استعمال لفظة المصادفة٠

اليومية . ولا أستطيع كذلك أن أرفض النظريات المادية رفضا باتا لأن نجاح المشتغلين بالعلوم يتوقف على مدى وصولهم الى تفسيرات طبيعية للظواهر العويصة التي يدرسونها ..

" ولكنني اؤمن بوجود الله . انني اعتقد في وجوده – سبحانه – لأنني لا أستطيع أن اتصور ان المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الالكترونات والبروتونات الاولى او الذرات الأولى او الأحماض الأمينية الأولى او البروتوبلازم الأول أو البذرة الأولى او العقل الأول . انني اعتقد في وجود الله لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التي نشاهدها " (١)

وبعد هذا التقرير الصريح من عالم أتيحت له هذه الفرصة السانحة للاطلاع على نتائج هذه العلوم كلها ، ننتقل الى استعراض صورة من العلم الحديث في ابطال الصدفة ، واستعراض بعض الايات القرآنية للاثبات أن العلم والدين يقاتلان معا ضد الصدفة العمياء .

العلم يبطل فكرة المصادفة

أولا – شهادة علم الهندسة :

ان هذه الشهادة يؤديها عالم من العلماء الطبيعيين بل هو الذى استطاع أن يخترع المخ الالكتروني (٢) فلندعه يتكلم (٣) :

---

(١) المرجع السابق ص٥٤

(٢) مستشار هندسي – حاصل على درجة الماجستير من جامعة كلوراد و ومستشار هندسي بمعامل جنرال (الكتريك – مصمم العقل الالكتروني للجمعية العلمية لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لا نجلي فيلد) اخصائي في الالات الكهربائي والطبيعية للقياس .
المرجع السابق ص ٨٨

(٣) تنبيه : لا اعتراض بين ما قررنا أولا أن الملاحدة اتخذوا العلم لضرب الأديان وبين ما نقرره هنا من ان العلم يدل على الايمان .. في التقرير الاول/ هم الذين اتخذوا العلم سلاحا للالحاد والعلم بريء من ذلك . ان الملاحدة

" وانى احب ان أبدأ بذكر الحقائق التي لا سبيل الى انكارها والتى لا أشك فى أن غيرى ممن اسهموا في هذا الكتاب قد تناولوها : وهى ان التصميم يحتاج الى مصمم • وقد دعم هذا السبب القوى من اسباب ايمانى بالله ما أقوم به من الاعمال الهندسية •• فبعد اشتغالى سنوات عديدة في عمل تصميمات لأجهزة وأدوات كهربائية ، ازداد تقديرى لكل تصميم أو ابداع اينما وجدته •• وعلى ذلك فانه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا الا من ابداع اله أعظم لا نهاية لتدبيره وابداعه وعبقريته ••

* * *

" حقيقة ان هذه طريقة من طرق الاستدلال على وجود الله ، ولكن العلوم الحديثة قد جعلتها أشد بيانا وأقوى حجة منها فى أى وقت مضى ••

ثم زاد قائلا :

" ان المهندس يعلم كيف يمجد النظام ، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والمواد والقوانين الطبيعية في تحقيق هدف معين ، انه يقدر الابداع بسبب ما يواجهه من الصعاب والمشكلات عندما يحاول ان يضع تصميما جديدا •

* * *

لقد اشتغلت منذ سنوات عديدة بتصميم مخ الكترونى يستطيع ان يحل بسرعة بعض المعادلات المعقدة المتعلقة بنظرية " الشد في اتجاهين " • وقد حققنا هدفنا باستخدام مئات من الانابيب المفرغة والادوات الكهربية والميكانيكية والدوائر المعقدة ووضعها داخل صندوق بلغ حجمه ثلاث اضعاف حجم اكبر " بيانو " ولا تزال الجمعية الاستشارية العلمية في (لانجلى فيلد) تستخدم هذا المخ حتى الان •• وبعد اختراعى هذا الجهاز سنة أو سنتين ، وبعد أن واجهت كثيرا من المشكلات التى تطلبها تصميمه ووصلت الى حلها ، صار من المستحيلات بالنسبة

الى أن يتصور عقلي أن مثل هذا الجهاز يمكن عمله بأية طريقة اخرى غير استخدام العقل والذكاء والتصميم .. " (١)

" وليس العالم من حولنا الا مجموعة هائلة من التصميم والابداع والتنظيم وبرغم استقلال بعضها عن بعض ، فانها متشابكة متداخلة ، وكل منها أكثر تعقيدا في كل ذرة من ذرات تركيبها من (ذلك المخ الالكتروني) الذى صنعته ..

فاذا كان هذا الجهاز يحتاج الى تصميم أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكيمي البيولوجي الذى هو في جسمي ، والذى ليس — بدوره — الا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وابداعه ، الى مبدع يبدعه ..

ان التصميم أو النظام أو الترتيب ، أو سمها ما شئت لا يمكن أن تنشأ الا بطريقين : طريق المصادفة أو طريق الابداع والتصميم . وكلما كان النظام اكثر تعقيدا ، بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة ..

ونحن في خضم هذا اللانهائي لا نستطيع الا أن نسلم بوجود الله تعالى .. (٢)

شهادة العلوم الطبيعية

يتساءل العلامة ا. كريسي موريسون عن سر الحياة وهل هي من صنع المادة :

" ان المتفق عليه عموما هو أنه لا البيئة وحدها ولا المادة مهما كانت موائمة للحياة ولا أى اتفاق في الظروف الكيماوية والطبيعية قد تخلقه المصادفة يمكنها أن تأتي بالحياة الى الوجود " (٣) ويقول :

" فالحياة هى المصدر الوحيد للوعي والشعور وهى وحدها التي تجعلنا ندرك صنع الله ويبهرنا جماله وان كانت أعيننا لا تزال فوقها غشاوة " .

---

(١) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٨٩

(٢) المصدر السابق ص ٩٠

(٣) العلم يدعو الى الايمان . تاليف ا . كريسي موريسون ص ٩٧

(٤) المصدر السابق ص ٩٠ الطبعة الخامسة يونية سنة ١٩٦٥ م .

ويقول : " والطبيعة لم تخلق الحياة ، فان الصخور التي حرقتها النار ، والبحار الخالية من الملح ، لم تتوافر فيها الشروط اللازمة " .

" نرى انه مما يدعو الى الدهشة على الاقل ان يكون تنظيم الطبيعة على هذا الشكل بالغا هذه الدقة الفائقة . لأنه ، لو كانت قشرة الأرض أسمك مما هي مبقدار بضع أقدام ، لا متص ثاني اوكسيد الكربون والاوكسجين ، ولما امكن وجود حياة النبات ، وهناك احتمال بأن قشرة الأرض والمحيطات السبعة قد امتصت كل الاوكسجين ، وأن ظهور جميع الحيوانات التي تستنشق الاوكسجين وأن الحساب الدقيق قد يجعل هذا المصدر للأوكسجين في حيز الامكان ولكن مهما كان مصدره فان كميته هي بالضبط مطابقة لاحتياجاتنا .

ولو كان الهواء ارفع كثيرا مما هو ، فان بعض الشهب التي تحترق الان كل يوم بالملايين في الهواء الخارجي ، كانت تضرب في جميع أجزاء الكرة الأرضية . وهي تسير بسرعة تتراوح بين ستة اميال واربعين ميلا في الثانية ، وكان في امكانها ان تشعل كل شيء قابل للاحتراق ...

وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء أي المحيط الذى استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل والنباتات ، وأخيرا الانسان نفسه .. فدع الذى يدرك ذلك يقف في روعة أمام عظمته . ويقر بواجباته شاكرا " .

---

(١) العلم يدعو للايمان ا . كريسي موريسون ص ٨٩

(٢) العلم يدعو للايمان ا . كريسي ص ٦٦ .

قد أصاب هذا الباحث حيث اثبت ان الحياة مستمدة من الماء لأن الله تعالى يقول : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ سورة النساء

وقد استدللنا بهذه الاية في مبحث " موقف القرآن من أصل الكون ولكننا رجعنا اليها هنا لعلاقتها الواضحة بما نحن بصدده .

شهادة علم الفلك في ابطال فكرة المصادفــة

ورائدنا في هذه الشهادة رائد الفضاء الامريكي الذى يقول :

" ... عندما وقع عليّ الاختيار لبرنامج الفضاء كان بين اوائل الأشياء التـــى اعطيت لي ، كتيب (صغيرة) يحوى الكثير من المعلومات عن الفضاء ،وكان بيــن محتوياته فقرتان تتعلقان بضخامــة الكون أثرتا فيّ تأثيرا بالغا ..

" ولكي ندرك هاتين الفقرتين يجب ان تعرف أولا ما هى السنة الضوئيــة : ان الضوء يسير بسرعة تبلغ ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية ــ أى ما يعــــادل الدوران حول الأرض حوالى سبع مرات في الثانية ــ فاذا أطلقــت هذا الشعاع من الضوء وجملته يستمر لمدة عام فان تل المسافة التي يقطعها ــ وتبلغ حوالى ٥ر٩ مليون مليون كيلو متر ــ وهى السنة الضوئية !

وانى اقتبس هنا ما ورد في الكتيب عن حجم الكون الذى نعيش فيه .. وعندما نذكر أن المجرة التي تضم كوكبنا يبلغ قطرها حوالى ١٠٠ الف سنة ضوئيــــة نشعر بدهشـــة .

" ولما كانت الشمس نجما لا يعتد به يقع على مسافة حوالى ٣٠ الف سنة ضوئية من مركز المجرة ، ويدور في مدار خاص به كل ٢٠٠ مليون سنة أثناء دوران المجرة فاننا ندرك مدى صعوبة المقياس الهائل للكون الواقع وراء المجموعة الشمسية ..

" بل ان الفضاء الذى يقع بين النجــوم في مجرتنا ليس نهاية هذا الكـــــون فوراء ، ملا يين من المجرات ، الأخرى تندفع جميعا فيما يــبدو ومتباعدة عن بعضها البعض بسرعة خيالية وتمتد حدود الكون المرئي بالمجــهر مسافة ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية على الأقل في كــل اتجــاه .

" ان هذا الوصف يظهر مدى ضخامة الكون الذى نعيش فيه ... "

---

(١) راجــع كتاب قذائف الحــق ، للأستاذ محمد الغزالى ص ١٦ ــ منشورات المكتبة العصرية صيدا ــ بيروت .

" ... ولنعد الان لما نعرفه عن تكوين الذرة[1] وهي أصغر جسم حتى الآن فنجد ان هناك تشابها كبيرا بين الذرات ومجموعتنا الشمسية في الكون ... "

" ذلك ان هذه الذرات لها الكترونات تدور حول النواة بصورة منتظمة كدوران الأسرة الشمسية حول امها الشمس .. "

ثم قال :

" والآن ماذا أريد أن أقول ؟ أريد التحدث عن نظام الكون بأسره من حولنا ...

" من أصغر تكوين ذرى الى اضخم شيء يمكن تصوره . مجرات تبعد ملا يين السنين الضوئية ،كلها يسير في مدارات مرسومة محدودة تضبط علاقة كل منها بالأخرى . فهل يمكن ان يكون ذلك كله قد حدث اتفاقا ؟

" أكانت مصادفة ان حزمة من نفايات الغازات الطافية بدات فجأة في صنع هذه المدارات وفقا لاتفاقها الخاص ؟

فقال في صراحة وصرامة :

" انى لا أستطيع تصديق ذلك .. بل ان ذلك مستحيل .. والمؤكد ان ذلك تم وفق خطة مرسومة محددة .. وهذا واحد من الأشياء الكثيرة في الفضاء التي تبين لي أن هناك الها ... وأن قوة ما قد وضعت كل ذرة الأشياء في مدارات وأبقتها هناك تؤدى وظيفتها المتيدة ..

" ولنقارن السرعة في مشروعنا " عطارد " مع بعض هذه الأشياء التى نتحدث عنها :

" اننا نظن أحيانا ان المشروع على ما يرام و فقد بلغنا سرعة تصل الى حوالى ٢٩ الف كيلو متر في الساعة في الدوران حول الارض ـ أى حوالى ٨ كيلو مترات في الثانية ـ وهى سرعة كبيرة حقا بالنسبة لمقاييسنا الأرضية كما أنها سرعة

---

(١) راجع المصدر السابق ص ١٧ مع تغييرات طفيفة .

مرتفعة الى حد مناسب ونحن على ارتفاع يزيد قليلا على ١٦٠ كيلومتر .
أما بالنسبة لما يجرى فعلا في الفضاء فان مجهوداتنا هذه تعد ضئيلة جدا " اهـ . (١)

وصدق رائد الفضاء في كلمته تلك ، فان ما يصل اليه الانسان بجهده وفكره شيء محدود القيمة بالنسبة الى ما يقع في العالم حوله ، ان الذى يتجول فى مصانع السكر — مثلا — يرى الانابيب الطافحة بالعصير والأفران المليئة بالوقود ، والآلات التى تغطى مساحة شاسعة من الأرض ... فلا بد أن يتعجب من ذلك ...

ولكن لو تأمل هذا الانسان في بطن نحلة صغيرة يؤدى هذه الوظيفة .. وظيفة صنع السكر دون كل تلك الاجهزة الدوارة والضجيج العالي : لو تأمل فى ذلك لقال سبحان الله ﴿ هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ﴾ (٢)

وأين نصيب المصادفة في كل ذلك ؟ هل للمصادفة نصيب في قطرة الماء التي ترى تحت المجهر وهى تحتوى الكترونات تدور حول نواة في المركز وهي تتشابه بتلك النجوم التي تشاهد خلال المنظار المكبر ؟ ؟

ان العقل السليم لا يقبل هذا بحال من الأحوال . بل لا يسعه الا أن يمجد ذلك النظام الرائع وتلك الدقة البالغة والقوانين التي تعبر عن تماثل طواف الكترونات حول كعبتها (البروتون) وطواف الأسرة الشمسية حول كعبتها أيضا التى هي الشمس . هل في ذلك نصيب للمصادفة المزعومة . ﴿ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (٣) .

---

(١) المصدر السابق ص ١٩
(٢) الاية من سورة لقمان / ١١
(٣) الاية من سورة الحج / ٤٦

هذا غريب من غرائب الفكر الالحادى

ولست أدرى كيف يفسر الملاحدة على أساس المصادفة ما أثبته العلم الحديث للأرض من صور الملاءمات الحديدة .. ان العلم الحديث يرى أن الأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها ، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار ، وهى تسبح حول الشمس مرة في كل عام ، فيكون في ذلك تتابع الفصول الذى يؤدى بدوره الى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية اكثر مما لو كانت الأرض ساكنة ..

ولست أدرى كيف يفهمون على أساس المصادفة ما قرره العلم الحديث من أن الأرض محيطة بغلاف غازى يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها الى ارتفاع كبير يزيد على ٥٠٠ ميل .. ويبلغ هذا الغلاف الغازى من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة ..

والغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ، ويحمل بخار الماء من المحيطات الى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يمكن أن يتكاثف مطرا يحيى الأرض بعد موتها ، والمطر مصدر الماء العذب ، ولولاه لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة . ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة (١) كما أفاد بذلك ا. كريسي موريسون في شهادته السابقة ...

ان الغريبة كل الغريبة كون الملاحدة يؤمنون بكل ذلك ولكنهم ينحرفون عن نتائجها اللازمة وهى اثبات اله لهذا الكون الغريب .

---

(١) يراجع في ذلك كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص٦ ـ ٧

ولست أفهم ايضا كيف يقررون للماء خواصا هامة ثم ينسبونها الى شـــــىء لا عقل له بل هو يخبط — على زعمهم — خبط عشواء — ان ذلك لهـــــو الضـــلال المبين •

فهم يقررون ما أقره العلم الحديث من أن الماء يمتاز بأربع خواص هامة تعمل علـى صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والانهار ، وخاصـــة حينما يكون الشتاء قارســا و طويلا ، فالماء — كما يقرر العلم الحديث — يمتص كميات كبيرة مـــــن الاوكســجين عندما تكون درجـــة حرارته منخفضـــة •• وتبلغ كثافة المـــــاء أقصاها في درجـــة أربعة مئوية •• والثلج أقل كثافـــة من الماء مما يجعل الجليد المتكون في البحيرات والانهار يطفو على سطح الماء لخفته النسبية فهـــى بذلك الفرصة لا ستمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة • وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حـــياة الأحـــياء التي تعيش في البحار •• هذا بعض ما قرره العلم الحديث (رب الملاحدة) ولكنهم يهربون من د لالات العلم الحديث • العلم يقول ان التصميم لا بد أن يكون له مصمم ••• ولكن الملاحدة يرون خلاف ذلك •• فهـــم يعترفون بالتصميم الموجود في الكون ولكنهم ينكرون المصمم و يقولون : ان نظام الكون لا يحتاج الى أية اسطورة لا هوتـــية ، واذا وضعنا خواص الماء جانبـــا وانتقلنا الى الأرض اليابسة التى تعمل في صمت ولكنـها عجـــيبة • نجـــد الملاحدة يعترفون بتلك الأعاجيب كلها ثم ينحرفون عن لوازمها و دلالاتها •

فالأرض اليابسة — كما يقول العلم الحديث — فهى بيئـــة ثابتة لحياة كثيرة من الكائنــــات الأرضـــية ، فالتربـــة تحتوى العناصر التى يمتصها النبات ويحولها الى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر اليها الحيوان •• ويوجد كثير من المعادن قريبـــا من سطح الأرض ، مما هيأ السبيل لقيام الحضارة الراهـــنة ونشأة كثير مـــــن الصناعات والفنون •

---

(١) المرجع السابق ص ٧ ولكـــن بالتصرف

وعلى ذلك فان الأرض – بلغة العلم الحديث – مهيأة على أحسن صورة للحياة وهذا – بلا شك – من تدبير حكيم عليم لا يضل ولا ينسى ، وليس من المعقول ولا من المألوف ان يكون كل ذلك مجرد مصادفة أو خبط عشواء ..

وأخيرا لست ادرى كيف عميت قلوبهم حينما يعترفون بوجود البروتونات وقوانينها المعقدة التى تحيرت منها قلوب الباحثين ، ثم يقولون بالصدفة العمياء ..

أليس العلم الحديث (خالقهم الأوحد) يقول على لسان (فرانك ألن) البيولوجى .. " ان البروتينات من المركبات الاساسية في جميع الخلايا الحية . وهي تتكون من خمسة عناصر هى : الكربون ، والايدروجين والنتروجين والاوكسجين ، والكبريت .

" ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتينى الواحد ٤٠٠٠٠٠ ذرة ، ولما كان عدد العناصر الكيموية في الطبيعة ٩٢ عنصرا موزعة كلها توزيعا عشوائيا ، فان احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكى تكون جزيئا من جزئيات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغى أن تخلط خلطا لكى تؤلف هذا الجزيء ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكى يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد ...

" وقد قام العالم الرياضى السويسرى (تشارلز بوجين جاى) بحساب هذه العوامل جميعا فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتينى واحد الا بنسبة (١) الى ١٠/١٦٠ أى بنسبة الى رقم عشرة مضروبا في نفسه ١٦٠ مرة . وهو رقم لا يمكن النطق به او للتعبير عنه بكلمات . وينبغى أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد اكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات و يتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بملايين لا تحصى

---

(١) الله يتجلى ص ٩ – ١٠

من السنوات قدرها العالم السويسرى بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين ($١٠^{٢٤٣}$ سنة) .

ثم يقول متسائلا :

" ان البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية فكيف تتألف ذرات هذه الجزئيات ؟ انها اذا تألفت بطريقة اخرى غير التى تتألف بها ، تصير غير صالحة للحياة ، بل تصير في بعض الأحيان سموما . وقد حسب العالم الانجليزى ج . ب ليتز (J.B. Letz) الطرق التي يمكن ان تتألف بها الذرات في أحد الجزئيات البسيطة من البروتينات فوجد أن عددها يبلغ ($١٠^{٤٨}$) وعلى ذلك فانه من المحال عقلا أن تتآلف كل هذه المصادفات لكى تبنى جزئيا بروتينيا واحدا .

* * *

ثم صرح بأن المصادفة لا تعجز عن تأليف الذرات فقط ولكنها تعجز بشكل واضح عن ايجاد الحياة في المواد الكيماوية فقال :

" ولكن البروتينات ليست الا مواد كيماوية عديمة الحياة ، ولا تدب فيها الحياة الا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذى لا ندرى من كنهه شيئا . انه العقل اللانهائي ، (١) وهو الله وحده ، الذى استطاع أن يدرك ببالغ حكمته أن مثل ذلك الجزئ البروتيني يصلح لأن يكون مستقرا للحياة فبناه وصوره وأغدق عليه سر الحياة .. " (٢)

---

(١) اننا لا ننكر المجهود الجبار الذى قدمه العالم للوصول الى الايمان بالله وحده ولكنه لم يزل ـ بعد ـ يحمل في ذاكرته بعض المصطلحات الالحادية وهو : تسمية الله سبحانه وتعالى " بالعقل اللانهائى " ان هذه التسمية ولو كان يراد بها اثبات وجود الله ، ولكنها في الوقت نفسه لا يجوز لمسلم أن يسمى الله بها لانها ليست من الاسماء الحسنى . ولقوله تعالى ﴿ فلله الاسماء الحسنى فادعوه بها . وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ .

(٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ١٠

وقد رأينا في هذا الاستعراض السريع ان العلم الحديث يحارب فكرة الصدفة محاربة شديدة الا أن الملاحدة الجهلاء الذين ليس لديهم علم واسع في العلوم الطبيعية ولا في العلوم الدينية ، هم الذين ينكرون وجود الله الخالق المدبر . هذا ما أكده " آينشتاين " :

" ان التجربة الدينية للكون افضل وأقوى من كل ما يتفجر من أعماق البحوث العلمية والذى لا يفهم المجهودات الجبارة والثقة بالنفس التى من دونها لا يكتشف شئ جديد في التفكير العلمى فهو لا يستطيع أن يقدر قوة الشعور الذى ينشأ من خلال هذا العمل العلمى البعيد عن الحياة اليومية المباشرة . ولا بد أنه يوجد عند كيبلير ونيوتن مثلا ايمان عميق بحكمة نظام الكون وارادة قوية لفهمه وحتى لو لم يكن هذا الفهم الا شعاعا ضئيلا من الحكمة المنزلة في الدنيا " (١)

ويقول أيضا : " ان العلم لا يستطيع أبدا أن ينفى بجد وجود الاله الواحد الذى يقدر جميع الحوادث الطبيعية " .

ويقول : " والعلم لا يكتشف الا من طرف من هو متشبع جدا بطموح معرفة الحقيقة بتمامها وانما هذا الشعور مستمد من الدين ومن أيضا يظهر الايمان بأن القواعد المطبقة في عالمنا هذا منطقية أى ان العقل يدركها وانى لا أتصور عالما لا يملك هذا الايمان العميق وانى أعبر عن الحالة تلك بهاته الصورة : " العلم بلا دين أعرج والدين بلا علم أعمى " (٢) .

هكذا يتضح خلال هذا المثال البسيط الذى يخص الضوء أن الموقف الفكرى عند أصحاب العلم الحديث الجهابذة ، يتنافى مع فكرة الصدفة وبعد هذا نود أن نرى أيضا موقف الدين .. في هذا المجال ..

---

(١) راجع كتاب لله العلم : بشير التركى ص٣٣

(٢) المرجع السابق ص٣٣

الدين يبطل عقيدة الصدفة العمياء

ليست مصادفة ان تكون اول كلمات القرآن الكريم امرا بالدعوة الى القراءة ٠٠ وأن تدعو اول آياته الى العلم ٠٠ فان أول ما نزل من الآيات الشريفة هي :

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ٠ خلق الانسان من علق ٠ اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ٠ علم الانسان ما لم يعلم ﴾ (١)

وهي دعوة صريحة لتعلم القراءة والكتابة ٠٠ بل وجهت نظر الانسان الى ادق العلوم التى تخرجه من ظلمات فكرة المصادفة الى العلم بالايمان العميق ٠٠ وهى علم الحياة وخلق الانسان ٠٠

فما نصيب الصدفة العمياء في خلق الجنين في بطن امه كما أخبرنا به القرآن الكريم في الايات التالية :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ٠ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ٠ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (٢)

ثم بعد مئات السنين يقرر العلم الحديث ، بعد الاستعانة بالمجاهر وأجهزة للتصوير والأشعة ، أن الترتيب المنصوص عليه في هذه السورة هو ترتيب خلق الجنين ، والأكثر من هذا أنه حتى لم يمكن الاستعاضة من ألفاظ القرآن بغيرها ٠ فهي الألفاظ التى تدل على المعنى بغير لبس أو غموض أو زيادة أو نقصان ٠٠ فهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن الدين والعلم يقاتلان معا هذه الفكرة الخاطئة ، فكرة الصدفة العمياء التي لا وجود لها في عالم الواقع ٠٠ كما يدل أن القرآن حق ٠

ثم تتابع الايات التى توجه النظر الى دقائق خلق الانسان فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فلينظر الانسان مم خلق ٠٠ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ (٣)

---

(١) في سورة العلق آية : ٥

(٢) في سورة المؤمنون آية : ١٤

(٣) في سورة الطارق آية : ٧

ثم يقرر القرآن حقائق وراثة الصفات في خلق الانسان فيقول المولى في سورة الانسان :

﴿ انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾ (١)

أفبعد ذلك مكان للصدفة العمياء في العقول النيرة ؟ أفليس ذلك دعوة صريحة من الله عز وجل للمسلمين بأن يتعلموا ؟ وليست مصادفة كذلك أن تتكرر في القرآن الكريم آيات الدعوة الصريحة الى النظر في خلق السموات والأرض وما فيها مثل :

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (٢)

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (٣)

﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ (٤)

ولم يكتف القرآن بذلك بل دعا الى النظر في خلق النبات ومراقبة نموه ودراسة حياته اذ يقول المولى :

﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخيل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب ﴾ (٥)

وقال : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا .. ﴾ (٦)

تؤكد هذه الايات ان مراقبة نمو النبات ودراسة حياته شيء ينفي الصدفة العمياء التي لا تتفق مع العقل السليم ثم أكدت الآيات كذلك على اهمية العيون المائية وتموينها بماء المطر الذى يتجه اليها . ويستحق الأمر وقفة لنذكر بتسلط بعض المفاهيم في القرون الوسطى كمفهوم (أرسطو) الذى كان يرى أن الينابيع المائية تتمون بواسطة بحيرات جوفية . ويصف ر . آمينيراس (R. Remeneras) الأستاذ بالمدرسة الوطنية للهندسة الزراعية

---

(١) سورة الانسان آية : ٢
(٢) سورة يونس اية : ١٠١
(٣) سورة الاعراف اية : ١٨٥
(٤) سورة ق اية : ٦
(٥) سورة الانعام اية : ٩٩
(٦) سورة الرعد اية : ١٧

والمياه والغابات في مقاله " الهيدرولوجيا " (Hydrologie)
بدائرة معارف اونيفرسال يصف المراحل الرئيسية في علم المياه ويستشهد
بأعمال الرى القديمة الرائعة وخاصة تلك التى انجزت في الشرط الاوسط ، وهو
يلاحظ أن المعرفة العلمية قد سادت كل هذه الانجازات على حين كانت
الافكار صادرة عن مفاهيم مغلوطة . ويردف المؤلف قائلا : " ويجب أن
ننتظر حتى عصر النهضة ما بين ١٤٠٠ و ١٦٠٠ تقريبا حتى تخلى
المفاهيم الفلسفية الصرفة المكان لأبحاث تعتمد على الملاحظة
الموضوعية للظاهرات الهيدرولوجية . (١)

فقد ثار (ليونارد و دافنشى) (Leonardo De Vinci)
(١٤٥٢ ـ ١٥١٩) على دعاوى أرسطو ..

ويعطى (برنارد باليس) (Bernard palessy)
في بحث له بعنوان " خطاب في روعة طبيعة المياه والعيون الطبيعية
منها والصناعية Discours Admirable De La Nature Des Eaux Et Fontaine Tant Naturelles qu'artificielles.
(باريس ١٥٧٠) يعطى تفسيرا صحيحا في دور المياه وخاصة عن تموين الأمطار
للينابيع " .. (٢)

أليست هذه بالتحديد هي الاشارة التى نجدها في الاية التالية التى تذكر
اتجاه مياه الأمطار نحو الينابيع في الأرض ..

﴿ ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق
يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه
عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ (٣)

---

(١) راجع عرضا كتاب دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى
ص ٢٠٢
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢ (٣) سورة النور آية : ٤٣

ويقول تعالى : ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟ أأنتم أنزلتموه من المـزن أم نحن المنزلون لونشاء لجعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴾ (١)

الاستشهاد بأن الله تعالى كان يستطيع أن يجعل الماء الطيب بطبيعته مالحا شديد الملوحة هو يدل على عجز الانسان وقصور فهمه عن طبائع المخلوقات ومنها المياه ٠

وقد كتب م٠١٠ فاس (M.A. Facy) مهندس عام الارصاد الجوية الوطنية في مقالة " الهواطل " بدائرة معارف (أونيفرساليس) مايلى (٢) :

" لن يمكن أبدا اسقاط المطر من سحابة لا تحتوى على سمات السحابة القابلة للهطول او من سحابة لم تصل الى درجة مناسبة من التطور (أو النضج) ، وبالتالى فان الانسان لا يستطيع الا أن يعجل بعملية الهطول مستعينا في ذلك بالوسائل التقنية الملائمة ، على شرط ان تكون الظروف الطبيعية لذلك جاهزة سلفا ٠ ولو كان الامر غير ذلك لما كان الجفاف عمليا ٠ وهذا غير حادث ٠ كما هو واضح ٠٠ التحكم في المطر والطقس الجميل ما زال حتى اليوم حلما ٠٠

" لا يستطيع الانسان ان يقطع كيفما يشاء الدورة الثابتة التي تضمن حركة المياه في الطبيعة وعلى حسب تعليمات (الهيدرولوجيا) الحديثة فيمكن تلخيص هذه الدورة كمايلى :

" يشير الاشعاع الحرارى للشمس تبخر الماء في المحيطات وكل السطوح الأرضية المغطاة أو المشبعة بالماء ٠ يتصاعد بخار الماء بهذا الشكل نحو الجو ويشكل سحبا عن طريق تكاثفه ٠٠ عندئذ تدخل الرياح لتؤدى دورها في نقل السحب بعد تشكلها الى مسافات متنوعة ٠٠ وقد تختفى السحب دون أن تعطى

---

(١) سورة الواقعة الايات ٦٨ ــ ٧٠

(٢) الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٢٠٣

مطـرا • كما يمكن أن تلتقي كـتل السحاب مع كتل اخرى لتعطي بذلـك سحبا ذات كثافـة كبرى ، وقد تتجـزأ لتعطي مطارا في مرحلة من تطورها • وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر الى البحار التى تشكل ٧٠ ٪ من سطح الكـرة الأرضيـة •

أما المطر الذى يصل الى الأرض فقد يمتص جزئيا بواسطة النباتات • مساهما بذلك في نموها وهذه بدورها تقوم خلال ترشحها باعطاء جزء من الماء الـى الجـو • أما الجزء الاخر فانه يتسلل بمقدار قد يقل او يكثر الى التربـة ليتجه نحو المحيطات عـبر مجارى الماء أو قد يتسرب في التربـة ليعود نحـو الشبكة السطحية عن طريق الينابيع أو الاماكن الأخرى التي يخرج منهـــا الماء الى السـطح " •

ولو قارنا معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث بتلك التي نجدها في كثـير من الايات القرآنية المذكورة في هذه الفقرة ، سنلاحظ وجود توافق رائـــع بين الاثنين •

فعلى أى يدل هذا التوافق العجيب ؟ ؟ يدل على أن العلم والديـــن من منبع واحد ، لأن أحدهما كتب تتلى وللآخر كتب تنظر ضيرها ••• ان النتيجـــة الحتميـة لهذا التوافق تراجـع الى شـيء واحد لا ثاني له هو :

أن خالق هذا الكون اله واحد لا شريك له وليس له معين في الخلق لا من العقلاء ولا من غـير العقلاء مثل الصدفـة المزعومـة ••

الآفاق والأنفـــس

فمخلوقات الله في السماء والأرض اكثر من أن تحصى ، فهل الى ذكرهـــا من سبيل ؟ الجواب : لا ولكـنا لو اتبعنا طريقـة القرآن في عرض هذه الأشياء لكان أيسر لأن القرآن يحض على النظرة الشاملة الكاملة حين يقول :

---

(١) يراجع في هذا التقرير الى المصدر السابق ص ٢٠٣

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (١)

ثم نجد القرآن الكريم يقسم هذه النظرة الشاملة الكاملة الى قسمين : ويقول :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ (٢)

اذا يحسن بنا أن نسير في هذه الفقرة على طريقة القرآن في اختيار بعض آياته في الآفاق بالذكر . وقصدنا في كل ذلك : اثبات ان العلم والدين لا يعترفان — بحال من الاحوال — بوجود المصادفة المزعومة بل انهما يحاربانها محاربة عنيفة . فلنقرأ هذه الايات من كلمات ربي . يقول الخلاق العظيم في كتابه الكريم :

﴿ والسماء بنيناها بأيدينا وانا لموسعون ﴾ (٣)

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ﴾ (٤)

﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ﴾ (٥)

﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ﴾ (٦)

﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾ (٧)

﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ (٨)

﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها ورفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها ﴾ (٩)

﴿ ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ (١٠)

﴿ تبارك الذى جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ (١١)

﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (١٢)

﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (١٣)

---

(١) سورة الاعراف اية : ١٨٥ (٢) سورة فصلت اية : ٥٣
(٣) الذاريات اية : ٤٧ (٤) الاعراف اية : ٧٥
(٥) ق اية : ٧ (٦) الرعد اية : ٢ (٧) الأنبياء اية : ٣٢
(٨) سورة الملك آية : ٦ (٩) النازعات آية : ٢٨ (١٠) فاطر آية : ٤١
(١١) الفرقان آية : ٤١ (١٢) يس آية : ٢٨ (١٣) الواقعة اية : ٧٦

فتعال أيها الملحد المفترى ، ننظر ، كما أشارت الايات على ضوء العلم الحديث الذى تعتبرونه الخالق المدبر ، الى ما في هذه السماء من مخلوقات ثم تبدى رأيك في الصدفة الخرقاء العمياء ..

هل نظرت الى هذه السماء وما تحتويه من شيء مخلوق بلا تفاوت ، وبنيان مشيد بلا عمد وسقف محفوظ بلا فطور وسمك مرفوع بلا فروج والى ما في بنائها من نجوم لا تعد ولا تحصى وما لهذه النجوم من (مواقع)تستحق أن تكون محلا للقسم العظيم يقسمه الخلاق العظيم .

بماذا أحدثتك هذه الجولة عن سعة السماء يا ملحد وان كنت لا تؤمن بهذه الايات القرآنية النيرة المباركة وما تحدثت عنه من سعة السماء ؟ فتعال مرة ثانية الى معطيات العلم الحديث في هذا المجال سترى ان السعةالتي عرفها العلم اليوم عن السماء لم تكن تخطر على قلب بشر في العصر الذى نزل فيه القرآن .

انت قد درست فيما درست معنا فيما مضى من هذا البحث ، وبالتحديد في مبحث " شهادة علم الفلك " ، " وأن الضوء يقطع في الثانية ١٨٦ الف ميل أو ٣٠٠ ألف كيلومتر أى أنه يقطع في الثانية (١١ مليون و ١٦٠ الف ميل) في السنة الواحدة من سنينا يقطع ستة ملايين مليون او ستة الاف مليار ميل تقريبا) ..

وهذه المسافة هى التي اصطلحوا على تسميتها (السنة الضوئية) ليعبروا عن ابعاد السماء الهائلة ، فمتى قيل لنا ان نجما يبعد عنا سنة ضوئية فهمنا أنه يبعد عنا ستة ملايين مليون ميل ..(١)

أليس هذا ما تؤمنون به يا ملحد ! نعم ! نعم ! هذا هو الحق ان العلم لا ينطق الا بعد التجربة الحسية .

اذن نتقدم خطوة اخرى معك يا ملحد !

---

(١) راجع كتابة قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص ٣٠٥

" فالقمر يا ملحد ، وهو أقرب الاجرام لسماوية الى الأرض ، يصل نوره الينا في أقل من ثانيتين لأن بعده عن الأرض ٢٤٠ الف ميل تقريبا أليس هذا يقره العلم الحديث يا ملحد ! نعم هذا هو ما تعتقده وتموت عليه . أحسنت يا ملحد فلنتقدم أيضا الى الأمام ..

" أما الشمس فيصل نورها الينا في نحو ٨ دقائق لأن بعدها عن الأرض ٩٣ مليون ميل تقريبا . فهل أزيدك يا ملحد ! نعم زدني !

فاعلم أن اقرب نجم الينا بعد الشمس يبعد عنا أربع سنوات ضوئية تقريبا ومعنى ذلك انه يبعد عنا ٢٣ مليون مليون ميل تقريبا .

أتؤ من بهذا التقرير العلمي الحديث يا ملحد ! طبعا طبعا فكل ما يصدر عن العلم لا مساومة فيه ابدا .. طيب ! ان هذا العدد تافه جدا امام التقارير الحديثة التي تقول : " ان وراء ذلك (النسر الطائر) الذى يبعد عنا ١٤ سنة ضوئية و (النسر الواقع) الذى يبعد عنا ٣٠ سنة ضوئية و (السمك الرامح) الذى يبعد عنا ٥٠ سنة ضوئية أى ٢٩٤ مليون مليون ميل تقريبا .

فما رأيك في هذا ؟ يا ملحد ! ان الحقيقة ان هذا الاخير شيء مدهش (١) .. وهذا أيضا تافه يا ملحد !

" فوراء ذلك نجوم تبعد عنا الف سنة ضوئية ، ووراء مجرتنا هذه سدم منها سديم " المرأة المسلسلة " الذى يبعد عنا مليون سنة ضوئية ، ووراءه من السدم ما هو أبعد في تقدير العلماء " .

أليس هذا الذى وصل اليه العلم الحديث يا ملحد ! انه هو !

" هذا في سعة السماء ، أما عدد النجوم فبماذا أحدثك عنه العلم الحديث يا ملحد ؟ واصل حديثك انني موافق لكل ما ذكر ..

---

(١) ان هذا الحوار نقلناه عن المصدر السابق مع تغييرات كثيرة ص ٣٠٥

" ان العلم يذكر ان النجوم يعدّ اليوم بالملا يين بعد ان كان الناس في السابق يعدونها بالالوف ... فقد وصلوا ـ الآن ـ الى ثلاثين مليار في مجراتنا التى نحن من عالمها ، هذا شيء يسير في سعة هذا العالم ، اليس كذلك يا ملحد ! نعم لأنه من نتائج العلم الحديث الصرفة .. أفلا تحدثنا يا ملحد عن مواقع النجوم؟

لا ! لا ! واصل كلامك اذا وجد هناك خطأ فسوف أبينه !

" لقد رأى العلماء ان لهذه النجوم مواقع لا تتبدل ولا تتغير ، فظنوها ثابتة وسموها (الثوابت) ومنها شمسنا ، وما هي بثوابت كما حقق العلماء في هذا العصر ، بل كلها تدور وتجرى لمستقر لها في مجريين مختلفين متداخل احداهما في الاخر ..

هل توافق العلم في تقريره الاول أم الثاني ؟

الملحد : أوافقه في الثاني ! ولماذا لا توافقه في الأول ؟

الملحد : انه قد تبين انه خطأ .

أيقع العلم الحديث في خطأ ؟ ؟

الملحد : وكيف لا ! انه في تطور دائم ومحاولات جديدة مستمرة ..

وكيف تؤمنون بشيء في كل شئونكم مع الاعتراف بأنه متعرض للخطأ ؟ ولما طالت مدة انتظار الجواب من الملحد قلنا : فلنتقدم اذن يا ملحد الى الامام مع هذا المأخذ الواضح على العلم الحديث الذى لا مفر منه ..

يا ملحد ! استقرأت معنا الايات السابقة أن القرآن يقول : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

الملحد : نعم قد قرأنا هذه الاية .

هل هي تتنافى مع حقائق العلم الحديث التي توصل اليها اخيرا ؟

الملحد : لا منافاة بينهما !

لماذا لا تؤمن بالحقائق التي جاءت بها الأديان والتى وافقت معلوماتك ؟

الملحد : أعرف بعد هذا الحوار ان الدين كذلك قام على حقائق علميــة ولكنا لا نستطيع ان نتصور ان لهذا الكون خالقا لأن بعض علمائنا المشهورين مثل برتراند رسل أثبت أن هذا الكون لا يحتاج الى موجــد ومثل لا بلاس الذى يقول : ان هذا الكون لا يحتاج الى اية اسطورة لا هوتية وكما قال داروين : ان تدخل الله في الكون بمثابة / تدخل عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت / فكيــف اذن أترك هذه التقارير من هـــؤلاء العلماء الفطاحل ؟

يا ملحد : ما زلت على ضلالك القديم ؟ اذن نغير معك اسلوب الحـــوار فلننتقل سريعا الى قانون المصادفــة لنرى معك نصيب المصادفــة من هذا العالم المنظــم المتفق ..

الملحد : طيب فلننتقل اليه فهو الفيصل في هذا الباب ..

وهكذا رأينا ان الالحاد مبنى على تقليد أعمى اكثر من ان يكون مبنيـــا على علم ودراســة . ان الملحد اقرّ بأن الشمس تجرى كما قال القـــرآن ولكــنه لا يستطيع أن يؤمن بقيمة هذه النتيجــة لأن علمائهم اثبتوا في اقوالهم أن هذا العالم لا يحتاج الى موجد مدبر حكيم . فلا يؤمن بالــــه الا اذا اثبتنا علميا أن الصدفــة عاجــزة عن خلق هذا الكون ، / ولذا فنود ان نتقدم له — اذن —/ قانون الصدفــة الذى اتفق عليــه علماء الطبيعــة ومعهم الملاحدة ايضا .

قانــون الصدفـــــة

ان المصادفــة تبدو شاردة ،غير منتظمة ، وغير خاضعة لأية طريقـــة من طرق الحساب ، ولكن اذا كنا تدهشنا مفاجآتها فانها مع ذلك خاضعة لقانون صارم نافذ .(١) ولا بد من ايضاح ذلك بضرب الأمثلة :

---

(١) العلم يدعو للايمان ، ١٠ كريسى موريسون ص١٣

اذا أخذنا — مثلا — لوحا ، واغرزنا فيه ابرة ، ووضعنا في ثقبه ابرة ثانية أخرى وقل لي يا ملحد ، اذا رأى انسان عاقل هاتين الابرتين ، وسأل كيف أدخلت الثانية في ثقب الأولى ؟ فأخبره انسان ، معروف بالصدق ، ان الذى ادخلها رجل ماهر قذف بها ، من بعد عشرة أمتار ، فاستطاع أن يدخلها في شق الابرة الاولى ..

ثم أخبره انسان ، معروف بالصدق ، ان الذى ادخلها في ثقب الاولى ، صبي صغير ولد من بطن أمه أعمى ، فوقعت في الشق (بطريق المصادفة)

فأى الخبرين تصدق يا ملحد !

الملحد : انه ولا ريب أميل الى تصديق الخبر الأول وكما يميل اليه كل عاقل ، ولكنني مع ذلك أرى أن المصادفة ممكنة ، فلذا لا أستطيع بهذا المثال أن أجزم بترجيح أحد الخبرين على الآخر ... اذا كان عندك شيء آخر غير هذا فات به !(١)

فاسمع اذن يا ملحد ! لو اذا رأى هذا الرجل ابرة ثالثة مغروزة في شق الابرة الثانية ايضا ، فهل يبقى عدم الترجيح على حاله عندك ؟

الملحد : كلا بل يتقوى ترجيح (القصد) على المصادفة ، ولكنه مع كل ذلك لا أستطيع أن انفى فكرة المصادفة كليا وانما ارجح القصد ترجيحا ضعيفا ..

يا عجبا . ولكن اذا رأيت أن هناك عشر ابر ، كل واحدة منها مغروزة في ثقب الاخرى التى تليها ، فهل ترجح فكرة القصد ترجيحا ضعيفا أو قويا .

الملحد : الآن القصد مرجح عندى ترجيحا قويا حتى يبدو ان أقول ان فكرة المصادفة كادت أن تتلاشى .. ولكنى أجد في نفسي دائما — أن المصادفة موجودة ولكنها تكون مستبعدة احيانا كهذه الحال وليست مستحيلة ؟

---

(١) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ، ولكن أغلب الالفاظ قد تصرفنا فيها .. ص ٢٩٢

الى الان ما زلت على فكرتك القديمة يا ملحد ؟

اذن فلا بد أن نغير معك اسلوب الحوار أيضا وصدق الله : ﴿ وكان الانسان اكثر شيء جدلا ﴾ فخذ مثلا آخر لعلك به تهتدى :

يا ملحد ! لو رأيت احدا يقول لك ان حرف مطبعة كونت بنفسها عند اختلاطها ، بالمصادفة كتابا كاملا من (٥٠٠) صفحة ينطوى على قصيدة واحدة تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة متلائمة منسجمة بالفاظها واوزانها وقوافيها ومعانيها ومغازيها ، فهل كنت تصدق ذلك يا ملحد ؟

الملحد : لا ! لا ! أبدا لا أصدقه !

ولماذا لا تصدقه يا ملحد ! (١)

الملحد : لأني هنا أجد الاستحالة بديهية حقا بخلاف الابر العشر ، لا أجد وجه الاستحالة واضحا وبديهيا كما أجده في مثل هذا الكتاب .

أتدرى – يا ملحد – ما هو السبب في ذلك ؟

السبب يرتكز على قانون المصادفة نفسه : فالتزاحم بين الابر يجرى بين عدد قليل فيجعل خط المصادفة بنسبة معينة .. وهذه النسبة وإن كانت تكفى لا بطال فكرة المصادفة ، ولكن التزاحم بين حروف الكتابة يجرى بين (٥٠٠) الف حرف على تكوين (١٢٥) ألف كلمة تقريبا ، بأشكال وترتيبات لا تعد ولا تحصى أبدا . وهذا ما يجعل خط المصادفة بنسبة واحد ضد عدد هائل جدا جدا لو قلت عنه أنه مليار مليار مليار لكان قليلا ...

هذا في كتاب المطبعة وكلماته المحدودة المعدودة يا ملحد !

فما قولك في كتاب الله الأعظم وكلماته التي يقول عنه جلت قدرته :

﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ﴾

ويقول : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ .. ؟

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٥

وبهذا الاستعراض نصل الى النتيجة التالية :

" ان حظ المصادفة ، من الاعتبار يزداد وينقص ، بنسبة معكوسة مع عدد الامكانيات المتكافئة المتزاحمة " (١)

وتوضيح ذلك : انه كلما قل عدد الأشياء المتزاحمة ، ازداد حظ المصادفة من النجاح ، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة . فاذا كان التزاحم بين شيئين اثنين متكافئين ، يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد اثنين) واذا كان التزاحم بين عشرة يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد عشرة) وهكذا الأمر حتى تصبح المصادفة في حكم العدم ، بل المستحيل ..

فتعال نتصور في عدد ما في عالم الخلق (من شيء) في ملكوت السموات والارض ، من الذرة الى المجرة ، وعدد ما يربط بينهما ، في عالم الأمر ، من روابط وعلائق على اختلاف النواميس ، والاقدار ، والمدد ، والأشكال والحركات والأوضاع .. هل يتصور أن توجد هذه الأشياء بطريق الصدفة ؟ انه مستحيل في حكم العقل السليم .. ؟

هذا ما أكده الدكتور (واين اولست) بقوله :

" أما النظريات التي ترمي الى تفسير الكون تفسيرا آليا فانها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون ، ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الاولى الى محض المصادفة ، فالمصادفة هنا فكرة يستعاض بها عن فكرة وجود الله بقصد اكمال الصورة والبعد بها عن التشويه .. ولكن حتى بغض النظر عن الاعتبارات الدينية عامة ، نجد ان فكرة وجود الله أقرب الى العقل والمنطق من فكرة الصدفة ولا شك ، بل ان ذلك النظام البديع الذي يسود هذا الكون يدل دلالة حتمية على وجود اله منظم وليس على وجود مصادفة عمياء تخبط خبط عشواء " (٢)

---

(١) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن – نديم الجسر ص٢٩٣

(٢) عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص١٣٣ – ١٣٤

ويقول (أدوين فاست) : " واذا نظرنا الى الكائنات الحية الراقية فاننا نرى من بينها ما لديه من الذكاء ما يجعله قادرا على التخطيط والابتكار والقيام باعمال تقرب من حدّ الاعجاز وتحاول أن تتغلب على القوانين الطبيعية ... فاذا تصورنا أن كل ذلك يتم بمحض المصادفة التي تجعل الجزئيات تجتمع بصورة معينة لكى تكون ذرات يتآلف بعضها مع بعض لكى تكون أجساما تقوم بدورها بالتكاثر وأداء سائر وظائف الحياة ويكون لها عقل وتفكير دون ان يكون وراء كل ذلك اله مدبر هو الذى خلق فصور فأبدع .. فان ذلك ما لا يقبله عقل او يتصوره فكر .. (١)

" وحتى اذا فعلنا ذلك فاننا نكون قد أخذنا بفرض مستحيل من الوجهة العلمية ، وطرحنا وراء ظهورنا فرضا منطقيا ألا وهو وجود الله الذى أنشأ هذا الكون وبدأه بقدرته . فالله هو المبدىء " (٢)

وهكذا رأينا مع الملحد أن نظرية المصادفة لا تقوم على أى دليل علمى مقبول ولا يقبلها أى عقل سليم .. ولهذا نرى القرآن يخاطب هؤلاء المتشككين بأسلوب اقناعى يبين فيه أن الكون لا بد له من مسبب وهو الله سبحانه (أفى الله شك فاطر السموات والأرض) أى أفى وجود الله وألوهيته وحده شك وهو خالق السموات والأرض ؟

ويلفت القرآن النظر الى الحكمة المتمثلة في خلق المخلوقات والتى تدل على خالق في نهاية العلم والحكمة . ﴿ صنع الله الذى أتقن كل شيء ﴾ فالمصادفة لا تخلق وجودا فيه علم وحكمة واتقان صنع ...

والغرض في هذه الفقرة ، اثبات أن العلم والدين يحاربان المصادفة معا . وقد حصل ذلك بمنه وكرمه .. فقد رأينا مختلف العلوم الحديثة قد حاربت هذه الفكرة وكما رأينا القرآن حاربها ثم رأينا أخيرا قانون الصدفة الذى يعترف به الملاحدة قد حاربها : والحمد لله على ذلك .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٦ ـ ٩٧ (٢) المرجع السابق ص ٩٦ ـ ٩٧

وليس معنى ذلك أن الملحد يرفض الالحاد بمجرد اثبات الدليل على بطلانه لا! ان ذلك بتوفيق الله وعنايته لأن الملحد قد تعطلت فيه أجهزة الاستقبال الفطرى فليس في استطاعته أن يؤمن بمجرد وضوح دليل هذا ما أشار اليه القرآن بقوله :

﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ (١)

ولولا ذلك كيف يلحد الانسان وهو يتلو الايات التالية :

﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (٢)

﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ (٣)

﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ (٤)

﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ (٥)

﴿ وان من شيء الا عنده خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ﴾ (٦)

﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر ﴾ (٧)

﴿ الذى أحسن كل شيء خلقه ﴾ (٨)

﴿ لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ﴾ (٩)

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ (١٠)

﴿ ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت ﴾ (١١)

﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ (١٢)

﴿ سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾ (١٣)

---

(١) سورة الانعام اية ١٢: (٢) سورة القمر اية : ٤٩ (٣) الفرقان آية : ٢

(٤) سورة الرعد اية : ٨ (٥) سورة الحجر اية : ١٩

(٦) سورة الحجر اية : ٢١ (٧) سورة المؤمنون اية : ١٨

(٨) سورة السجدة اية : ٧ (٩) سورة التين اية : ٤

(١٠) سورة يونس اية : ١٠١ (١١) سورة الملك اية : ٣

(١٢) سورة يوسف اية : ١٠٥ (١٣) سورة فصلت اية : ٥٣

هذا يا ملحد بعض آيات الله التي أنزلها على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأمي سليل القبيلة الأمية وربيب البيئة الأمية ، منذ أربعة عشر قرنا .

والملاحدة قديما وحديثا اذا اقيمت عليهم أدلة الاثبات لوجود الله تراهم ينتقلون الى حجة شيطانية خبيثة لا يستطيع المؤمن أن يردها الا بعد تعمق في العلوم الدينية والفلسفية والمادية .

فما هي اذن هذه الحجة الشيطانية ؟

وفيما يلي محاولات لبيانها وابطالها :

حجة شيطانية

رغم أننا قد ابطلنا في الفقرة السابقة ، فكرة المصادفة ، ولكن تبقى هناك حجة شيطانية يتمسكون بها — قديما وحديثا — لاثارة الشكوك في قلوب المؤمنين الذين لم يجربوا الأمور ..

وهذه الحجة الشيطانية قولهم : " اذا كان الله هو الخالق ، فمن الذي خلقه " ؟ (١) ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم . سبحان الله عما يشركون ﴾

ان هذا الهذيان لا يقوله مؤمن جاد ، ولا عالم طبيعي جاد ، وانما يقوله جاهل بالدين وجاهل بالعلم الحديث " والقديم " .

فالمؤمن الجاد يعلم يقينا ان للخالق صفات تخصه ، وللمخلوق صفات تخصه فلا يجعل من كان وجوده ذاتيا وواجبا في درجة من كان وجوده جائزا ان الخالق ليس بحادث ، فينطبق عليه قانون الحوادث في السؤال عن خالق له فذلك غير سائغ . لأنه كامل مطلق . والكامل المطلق لا يحتاج الى غيره ..

---

(١) الوجود الحق ، الدكتور حسن الهويدي ص ٣٢

وقول الملحد هنا ، بعد اقراره بأن الله يجب ان يكون هو الكامل المطلق :
أين موجود الكامل المطلق ؟ تناقض بيّن ، وخطأ ذريع تشتمل عليه
الجملة في طرفيها ، فأولها عجز وافتقار : (أين موجده) ؟ وآخرها
(كمال مطلق) لا يتطرق اليه العجز والافتقار ! اذن فالكامل المطلق
لا يفتقر بحكم كماله الى سبب يحدثه ، والا كنا مضطرين الى نقض كماله . وذلك
أمر ثابت مقرر عندنا ..

ولعل بعض السطحيين يظن أن هذه المفاجأة بهذا السؤال غريبة على
عقول المؤمنين بالخالق . والحق ان السؤال ليس مفاجئا ، فقد أشار اليه
الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه البخارى :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق
كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلغه
فليستعذ بالله ولينته " (١)

وقد ورد معناه في حديث اخر ، يرويه البخارى ايضا ومسلم عن ابي هريرة قال
" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا
خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنت
بالله ورسله " .

والتورط في هذا الخطأ راجع الى علة نفسية وجهل صاحب السؤال بالدين
والعلم . ذلك ان شدة سيطرة القاعدة الاولى الخاصة بالحوادث (لا بد لكل
حادث من محدث) والتي تبرز لأعيننا في مئات الحوادث كل يوم ، جعلته يطبق
(بقصد او بغير قصد) هذه القاعدة على الله الذى ليس كمثله شيء .

---

(١) رواه البخارى في باب الاعتصام ١٣ ورواه مسلم في باب الايمان ٢١٢
(٢) رواه البخارى » » بدء الخلق ١١ ورواه مسلم » » » ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧

وشأنه في هذا القياس الشمولى ، شأن رجل يشتغل طوال عمره بكيمياء النحاس فعرض له الذهب فجأة ، فراح يطبق عليه قوانين النحاس ، افتراه يصيب أم يخطىء ؟ لا جرم انه مخطىء .. وأن خطأه نشأ من انهماكه الدائم في قانون معين و غفلته عن التفريق بين القوانين حينما اختلفت مجالاتها التطبيقية و تعرف كل فطرة سليمة أن خالق الحوادث لا يتصف بالحدوث قطعا فكيف نطبق عليه قانون الحوادث .

ان هذه الشبهة مع سخافتها وحماقتها ، يقيم في ظلماتها الكثيرون ، هى التي ردت كثيرا من الناس اليوم عن قبول الحق ، وهى نتيجة سيئة لامتداد الفلسفة الى ما وراء حدود اهلها ، حتى بلغت عقول العامة من المتطفلين على الفلسفة ، أو ادعاء العلم الحديث ، فأصبحوا فى كل واد يهيمون و يتكلمون فيما لا يعرفون ، وهم لقصور باعهم في هذا المضمار ، لا يستطيعون تمحيص الحق من الباطل ، ولو اخلصوا في ذلك ، لعدم الاستعداد ، كالرجل الذى لم يدرس الهندسة والحساب ، ويحاول ان يبرهن لك صحة نظرية (فيثاغورس) مثلا واليك نموذج من هؤلاء المتطفلين :

الدكتور العظم والحجة الشيطانية

خذ مثلا الدكتور صادق جلال الدين العظم . الذى ألف كتابا سماه : نقد الفكر الدينى . ومن قرأ هذا الكتاب يرى فيه عجبا من المغالطات والأباطيل والافتراءات . وسائر وسائل الجدال بالباطل كدحض قضية الحق ..

ومن هذه الافتراءات قوله :

" ان قولنا باحتضار الله في المجتمعات المتخلفة يشكل تمثيلا رمزيا لحالة الثورة والفوران ، وفقدان الجذور التي تعانيها هذه المجتمعات في محاولاتها الوصول الى نوع من التعايش المرحلى بين الافكار العلمية الجديدة وتطبيقاتها

---

(١) راجع كتاب نقد الفكر الدينى ، د. عظم ص٢٨ .

العملية والصناعية ، وبين تراثها الديني السحيق • دون أن يتنازل كليا ومرة واحدة عما في ماضيه من قيم غيبية • لذلك نسمع دائما أصداء صرخة تقول :

" حتى لو سلمنا كليا بالنظرة العلمية للأشياء ستبقى أمامنا مشكلة (المصدر الأول) لهذا الكون •

لنفترض مع(رسل) (٢) ان الكون بدأ بسديم • ولكن العلم لا يقول لنا : من أين جاء هذا السديم • انه لا يتبين لنا من أين جاءت هذه المادة الأولى التي تطور منها كل شيء ؟ فلا بد للعلم اذن من أن يتصل بالدين في نهاية المطاف •

" ولكن السؤال بهذه الصورة يبين لنا مدى تحكم تربيتنا الدينية ، وتراثنا الغيبي في كل تفكيرنا ••

" لنفرض اننا سلمنا بأن الله وحده هو مصدر وجود المادة الأولى ، هل يحل ذلك المشكلة ؟ هل يجيب هذا الافتراض على سؤالنا عن مصدر السديم الأول ؟

والجواب هو طبعا بالنفي • أنت تسأل عن علة وجود السديم الأول وتجيب بأنها (الله) ••

وأنا أسألك بدوري : " وما علة وجود الله " ؟

وستجيبني بأن الله غير معلول الوجود •

وهنا أجيبك : ولماذا لا نفترض أن المادة الأولى غير معلولة الوجود ؟ أبهذا يحسم النقاش دون اللجوء الى عالم الغيبيات ، والى كائنات روحية بحتة لا دليل لدينا على وجودها • علما بأن ميل الفلاسفة القدماء بما فيهم المسلمون كان دائما نحو هذا الرأي اذ قالوا : (بقدم العالم) ولكنهم اضطروا

---

(١) راجع ايضا كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص١٠١

(٢) يقصد (رسل) الملحد العاتي (برتراند رسل) الذي تحدثنا عنه مرارا •

للمداورة والمداراة بسبب التعصب الديني ضد هذه الفكرة الفلسفية للموضوع.(١)

" في الواقع علينا أن نعترف بكل تواضع بجهلنا حول كل ما يتعلق بمشكلة المصدر الأول للكون ..

عندما تقول لي : " وما علة وجود الله " ؟ ان أقصى ما تستطيع الاجابة به ، " لا أعرف الا أن وجود الله غير معلول ". (٢)

ومن جهة اخرى عندما تسألني : وما علة وجود المادة الأولى فان أقصى ما أستطيع الاجابة به : " لا أعرف الا أنها غير معلولة الوجود " ..

في نهاية الأمر اعترف كل منا بجهله حيال المصدر الأول للأشياء .

ولكنك اعترفت بعدى بخطوة واحدة ، وأدخلت عناصر غيبية لا لزوم لها لحل المشكلة . ثم قال :

" والخلاصة ، اذا قلنا : ان المادة الاولى قديمة وغير محدثة ، وأن الله قديم وغير محدث ، نكون قد اعترفنا بأننا لا نعرف ولن نعرف كيف يكون الجواب على مشكلة المصدر الأول للأشياء .

فالأفضل — اذن — أن نعترف بجهلنا صراحة ومباشرة عوضا عن الاعتراف به (بطرق ملتوية) وبكلمات وعبارات رنانة ..

ليس من العيب أن نعترف بجهلنا ، لأن الاعتراف الصريح بأننا لا نعرف ما لا نعرفه من أهم مقومات التفكير العلمي .

وتعرفون أن العالم ملزم على تعليق الحكم عندما لا تتوفر لديه الأدلة والشواهد والبراهين الكافية لاثبات أو لنفي قضية ما .

" هذا هو الحد الأدنى من متطلبات الأمانة الفكرية في البحث الجاد عن المعرفة والحقيقة " (٣) .

* * *

---

(١) المصدر الأول ص ١٠٢

(٢) المصدر الأول ص ١٠٣

(٣) المصدر الأول ص ١٠٣

هذا كلام "المعظم" حرفيا ، وعلينا أن نقوم بدورنا لتعرية أباطيله أمام القارئ وبيان مغالطاته السخيفة ..

اننا لا نرد عليه في سخافته حيث أطلق على هذا الخلاق العلي القدير كلمة (الاحتضار) ، وقد سبق لنا في هذا البحث أن (نيتشة) يقول : ان الله قد مات . ان مثل هذه الحماقة لا تستحق الوقوف عندها ولا تدخل في أى مجال أو في أى مستوى من مستويات النقاش العلمي أو البحث المنطقي . ولا جواب لها في الحقيقة الا أن ينزل الله عليه صاعقة . ولكن الله يمهل ولا يهمل حتى اذا أخذه بالعذاب لا تجد له من نصير ..

ومن تأمل هذه المقالة الشنيعة ، يجدها ترتكز على النقاط التالية :

أولا :ـ ان المؤمن والملحد سواء . فكل منهما لا يجد جوابا في اثبات ما يعتقده الا أن يقول : لا أعرف الا أن وجود هذا الاصل غير معلول .. اذن فلا فضل للايمان على الالحاد .. لأن كلا منهما يؤمن بشيء غير معلول . وكلاهما قديم .

ثانيا :ـ وبعبارة اخرى : ان كلا من الله والسديم يصلح أن يكون هو الموجد لهذا الكون على حد سواء ..

ثالثا :ـ اذا كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ علة لوجود الكون فما هو علة وجوده ؟ لأن القاعدة الفلسفية تقول : " كل موجود لا بد له من موجد " .

فهذه هي أهم النقاط التي دار حولها كلام هذا الملحد : فلنحط " كلا " كلمة ..

أولا ـ قوله ما دام الله غير معلول فلم لا يكون السديم غير معلول أيضا ؟ (١)

ولدى البحث المنطقي الهادئ . يتبين لكل ذى فكر صحيح . ان هذه الحجة التي ساقها ليست الا مغالطة من المغالطات الفكرية ..

---

(١) راجع كتاب صراع مع الملاحدة ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص١٠٤ـ١٠٥

وهذه المغالطة قائمة على التسوية بين أمرين متباينين تباينا كليا ولا يصح التسوية بينهما في الحكم . وفيما يلي تعرية تامة لهذه المغالطة من كل التلبيسات التى جللها بها .

فاذا أردنا أن نبين المغالطة في قوله هذا ، يكون التعبير كالتالي :

ما دام الموجود الأزلى غير معلول الوجود فلم لا يكون الموجود الحادث غير معلول الوجود أيضا ؟

وقد رأينا في الصفحات السابقة أن قياس الحادث على القديم الأزلى الذى لا أول له . من سخافة العقول ومن الحماقة والجهل ..

واذا قال الملحد : ولم لا تكون المادة الاولى لهذا الكون (كالسديم مثلا) قديمة أزلية غير حادثة . يصدر منها الخلق ثم يعود عليها ؟

نقول ان جوابه يؤخذ من طبيعة هذا الكون وما فيه من صفات وخصائص .

لقد اتفق العلماء الطبيعيون المنصفون على حدوث العالم . وقد رأينا فيما مضى حينما ناقشنا الملحد الأول (ديمقريطس) القانون الثاني للحرارة الديناميكية وهو القانون الذى يسمونه (قانون الطاقة المتاحة) أو يسمونه (ضابط التغير) ان هذا القانون يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون آزليا : اذ هو يفيد تناقص عمل الكون يوما بعد يوم . ولا بد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات . وحينئذ لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل وتنتهي العمليات الكيماوية والطبيعية وبذلك تنتهي الحياة ..

يذكر هذا التحقيق العلمي عالم امريكي في عالم الحيوان ، هو : " ادوارد لوثر كيسل " ثم يقول :

" وهكذا تلقائيا وجود الاله ، لأن كل شيء ذى بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته . ولا بد أن يحتاج الى المحرك الأول الخالق الاله " .

ونجد مثل هذا في كلام (السير جيمس) اذ يقول في كلام له :

" تؤ من العلوم الحديثة بأن (عملية تغير الحرارة) سوف تستمر حتى تنتهي طاقاتها كلية • ولم تصل هذه العملية حتى الان الى آخر درجاتها • لأنه لو حدث شيء مثل هذا لما كنا الآن موجودين على ظهر الأرض حتى نفكر فيها • ان هذه العملية تتقدم بسرعة مع الزمن • ومن ثم لا بد لها من بداية ، ولا بد أنه قد حدثت عملية في الكون يمكن أن نسميها (خلقا في وقت ما) حيث لا يمكن هذا الكون أزليا " (١)

اذن ــ فحدوث الكون أمر معترف به عند العلماء الماديين • ولكن الملحدين بالله يغالطون في الحقائق • ويتظاهرون بالانتماء الى قافلة العلم والبحث العلمي زورا وبهتانا •

فيبدو لنا بعد ذلك ــ أن تسوية (العظم) بين الاله الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق الحادث في موضوع الأزلية ، تسوية مبنية على الهوى لا على العلم والانصاف في التحقيق •••

وقد حققنا فيما مضى أن من كان أصله الوجود ، ووجوده أزلي • فانه لا يحتاج أصلا الى علة لوجوده • واذا كان لا يحتاج الى علة لوجوده فالسؤال عن هذه العلة خطأ وضلال •• ومخالف للمنطق السليم ••

وأما قوله ان المؤمن بالله ليس في استطاعته أن يثبت وجود الله الا أنه غير معلول • ان القول فيه حقائق وأباطيل •

وأما الحقائق في هذا القول ان الانسان لا يستطيع أن يدرك كنه الله لأنه لم يعط ــ بعد ــ الوسائل الكافية في معرفة الله عز وجل حسيا ، بل أن المنطق الصحيح يقضي أن الصغير لا يستوعب الكبير ، وأن الناقص لا يحيط بالكامل ، وقد عرفنا أن الانسان لا يتمتع اكثر من الكمال النسبي وأن الخالق يتصف بالكمال المطلق ••

---

(١) نشقلا عن كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم ص ١٠٧

ومعنى ذلك ان الكمال النسبي لا يمكن ان يحيط بالكامل المطلق ، كما لا يحيط العدد المحدود باللانهاية ، أى : ان الانسان لا يمكن ان يحيط بالخالق حين البحث في معرفته او أن يدركه ادراكه للمحسوسات التي بين يديه ..

ولكن ليس معنى ذلك ان عدم الاحاطة يقتضي عدم المعرفة ، كما يظنه هذا الدكتور المعظم ، فان الطفل الصغير يمكن أن يعرف رجلا كبيرا دون ان يحيط بجميع صفاته فالطفل عرفه ولكنه لم يحط به ، فالعجز عن درك الادراك ادراكه " فمن نفي ذلك فانه اما مصاب في عقله او متعصب لالحاده واغوائه ..

الفطرة السليمة تقر معرفة الله بدون احاطته

ان هذا يعرفه كل ذى فطرة سليمة . تجد ذلك مصورا تصويرا حسيا فيما يروى " عن رجل مرتاب مر برجل مؤمن على ساحل البحر ، فدعاه الى الايمان فأبى الا أن يرى الله جهرة - كما يحتج بذلك كل ملحد - فانتحى المؤمن جانبا وحفر حفرة صغيرة وأخذ يصب من ماء البحر والماء يطفح من جوانبها ، واستمر على ذلك ، حتى عجب منه صاحبه الملحد ، فأقبل عليه قائلا :

ماذا تفعل ؟ قال : أريد أن انقل البحر الى هذه الحفرة ! قال : وهل يفعل ذلك عاقل ؟ وهل يستوعب هذه الحفرة الصغيرة مياه البحر الكبير ؟ قال المؤمن : "وهل يستوعب هذا الانسان الصغير الخالق الكبير ؟ " (١) . انك لتجد تحديد هذا النوع من المعرفة في آيات القرآن الكريم " (٢)

﴿ لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ (٣)

لأن ادراك الاحاطة من خصائص الأكبر بالنسبة الى الأصغر ، وهو مفقود في الأصغر بالنسبة الى الأكبر .

---

(١) الوجود الحق الدكتور حسن هويدى ص ٣١
وراجع أيضا في ظلال القرآن ط ١ ص ١٣ في المقدمة
(٢) المرجع السابق ص ٣١ (٣) سورة الانعام اية : ١٠٣

﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ (١) لاستحالة اشتمال العين عليه ، لأنه ليس من الحوادث المحسوسة فينتقل بطريق الحس . أي انه غير مادى فينطبق عليه قانون المادة .

﴿ قال رب أرني انظر اليك ، قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ﴾ (٢)

وفيه اشارة الى أن الخالق لم يحجب نفسه ضنا على المخلوق بل ان نقص المخلوق الذى يتناسب مع الخلافة في الأرض هو الذى حجبه عن الرؤية ولذا يقول تعالى :

﴿ وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ﴾ (٣)

لماذا لا يستطيع البشر أن يرى الله في هذه الدنيا ؟ فتجيب الآية :

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٤)

وما دام لا يماثل الأشياء ولا تماثله فلن يدرك ادراك الأشياء اذن فالذى نخلص اليه أن المبدع الأول لا يمكن أن يحيط به حين معرفته ولا أن ندركه ادراك المحسوس فهو يعرف معرفة كما قال تعالى :

﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ﴾ (٥)

ولكنه لا يحاط به احاطة .. وبهذا تتضح للناس مغالطات الدكتور المعظم وتطرفاته بل الحاده المضل .

* * *

---

(١) سورة البقرة آية : ٥٥

(٢) سورة الاعراف آية : ١٤٣

(٣)

(٤) سورة الشورى اية : ١١

(٥) سورة ابراهيم اية : ١٠

وهنا يطرح الملحدون على عوام المسلمين مغالطة في سوق الدليل على وجود الله فيقولون لهم : ألستم تقولون : " ان كل موجود لا بد له من موجد " وان هذا الكون موجود فلا بد له من موجد ، وذلك هو الله تعالى ...

فيقول له العامي الذى لا يعرف أصول المغالطات : بلى . عندئذ يستدرجه الملحد فيقول له : الله موجود وهو على حسب الدليل لا بد له من موجد فيجد العامي نفسه قد انقطع اذ لم يستطع جوابا ..

لكن الخبير الذى يسير على ضوء الكتاب والسنة ، لا يقبل أصلا صيغة الدليل على هذا الوجه القائم على المغالطة ..

وذلك لأن المقدمة (كل موجود لا بد له من موجد) مقدمة كاذبة غير صادقة . فالخبير لا يسلم بها لفسادها لأنه قياس شمولي .

فالله تعالى لا يتناوله القياس الشمولي ولا قياس التمثيل والذى ينبغي في حقه هو قياس الأولى ..

فماذا يقول الخبير ؟ فالخبير يقول بدل ذلك (كل موجود حادث لم يكن ثم كان لا بد له من موجد) .. ثم يقول :

(وهذا الكون موجود حادث لم يكن ثم كان بشهادة العقل وشهادة البحوث العلمية) عندئذ تتحصل النتيجة على النحو التالي : (اذن فلا بد لهذا الكون من محدث) وهذا المحدث للكون لا بد أن يكون موجودا أزليا غير حادث ولا بد أن يكون منزها عن كل الصفات التي يلزم منها حدوثه ، حتى لا يحتاج الى موجد يوجده ، بمقتضى الدليل الذى أثبتنا فيه وجود الله ..

وهكذا تجرى مغالطات الملحدين ، ليتصيدوا بها الجهلة والغافلين من المسلمين .. بغية استدراجهم واحراجهم . ونقلهم من مرحلة الايمان الى مرحلة التشكك .

فالمؤمن يعلم أن الخالق أزلي ليس له من الصفات ما يلزم حدوثه ، وليس من الكائنات التي ندركها في العالم الخارجي . لأن الكائنات عرضة للتغيير

والأفول ، وأن صفاتها الطارئة تملى عليها املاء وتتحكم بها قهرا والزاما ، وأن اكمل الكائنات هو هذا الانسان الذى نجده مقهورا لأسباب كثيرة فهو يولد ، ثم يعانى الام الحياة ثم يموت ، يجرى عليه كل ذلك رغم أنفه .

فما أروع ما استدل به أبو حنيفة على الفرق بين واجب الوجوب وبين الانسان العاجز ... لقد سئل أبو حنيفة رضى الله عنه عن الدليل . فتمسك بأن الانسان يريد أن يكون له ابن فتكون انثى وبالعكس فدل على وجود الصانع المختار ... وهو الله تعالى وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فيقول ﴿ يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ﴾ (٢)

وانك لتجد ذلك التحقيق واضحا في القرآن الكريم في عدة صور . منها ما ورد بشكل حجة منطقية ، ومنها ما استند الى الواقع في آياته الكونية والله أعلم ...

---

(١) مع الله نظرات في الكون والحياة ، عبد الجواب رجب ص٥٣

(٢) سورة آل عمران آية/٦

الفصل الثالث

الدين يتعارض مع العلم الحديث

ان الدين — كما يزعم الملحدون — من " العلماء " : شيء لا حقيقة له ، وهو مظهر للغريزة الانسانية الباحثة عن حقائق الكون ..

بل لا يعتقدون بأن للوجود خالقا ، انما يقولون أن كل ما في الوجود أزلي صادر عن المادة ..

فلذا سخروا جميع علومهم لمحاربة الله ودينه ، وتشنيع " الغيبيات " وتسفيه المؤمنين بها .. (١)

فهذا الفيلسوف الفرنسي " أوجست كونت " يدعى أن التاريخ الانساني قد وصل — الان — الى المرحلة الأخيرة .. يعني المرحلة الوضعية (positive stage) حيث لا تذكر الأرواح والالهة والقوى المطلقة .. فقد سبق وتحدثنا عن كل ذلك وأما هنا نود أن نشير الى منشأ هذا الضلال وهذه السخافة التي يترنم بها الملاحدة أمام العوام السذج البسطاء ..

* * *

ان المتتبع لأقوال الملاحدة ، يجد أن قضية العصر الحاضر ، ضد الدين هي : قضية " طريقة الاستدلال العلمي " (٢) أعني الطريقة التي اتخذوها للوصول الى الحقائق العلمية المادية ..

هذه الطريقة الجديدة ، هي معرفة الحقيقة بالتجربة والمشاهدة ، على حين تتصل عقائد الدين — في زعمهم — بعالم ما وراء حواسنا ، ولا يمكن اخضاعها للتجربة وهو ما يجعله متعارضا للعلم ..

---

(١) أسس المادية الديلكتيكية والمادية التاريخية ، تأليف سبيركين ، " ياخوت " ت ، محمد الجندى ، دار التقدم موسكو ص ٤٤

(٢) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٠

هذا هو مصدر الضلال والالحاد الذى حال بين الملاحدة وبين الايمان بالله وقد نقلنا عنهم قولهم :

" كل معرفة حقة ، مرتبطة بالتجارب ... بحيث يمكن فحصها أو اثباتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة " (١)

بناء على هذا يدعي الملحدون المعاصرون أن التطور الذى بلغ به الانسان ـ اليوم ـ أعلى مستوى من الانسانية ، وهو نفي للدين من تلقاء نفسه ...

وذلك أن (نيوتن) أثبت " أنه لا وجود لا له يحكم النجوم " ..

وقال (لا بلاس) الفرنسي قولته المشهورة ، التي تحدثنا عنها مرارا ـ وهي : " ان النظام الفلكي لا يحتاج الى أى اسطورة لا هوتية " (١)

* * *

وقبل ان ننقل اليك اقوال بعض العلماء الطبيعيين الذين ردوا على الملاحدة ، نقول اولا : ان قضية العصر الحاضر باطلة .. لأنها لا تقوم على أسس علمية .. وذلك ان الطريقة الجديدة ، لا تنفي وجود أشياء لم تجرب مباشرة ، كما لا تنفي الأشياء التي لا تدخل ـ بطبيعتها ـ تحت التجارب الحسية .. مثل وجود الارواح ، والعقل ، والذات الالهية ... وما أشبه ذلك .. ان مجاله أن يسأل فقط عن (ما هذا) ؟ ولا يدخل في نطاقه السؤال الذى صيغته : (لماذا) ؟ .. فالدين من النوع الثاني ..

فليس من الممكن البحث عن حقائق الدين ، كما يبحث عن تطورات فنون العمارة ، والنسيج والحياكة والسيارات ..

فالدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع أو يرفضها ، أو يقبلها في شكل ناقص كالمسيحية مثلا .. ويبقى الدين في جميع هذه الأحوال ، حقيقة واحدة في ذاتها .. وانما تختلف في أشكاله المقبولة ..

---

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص : ٢٤ نقلا عن كتاب :

ولهذا لا يمكن ان نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع الأشكال الموجودة في المجتمعات باسم الدين ٠٠ أو بدراسة الشعوب البدائية في استراليا أو في افريقيا كما فعل ذلك (أميل دوركائم) وأمثاله ٠٠ (١)

وكما فعل (كارل ماركس) الملعون الذى يقول : " ان الدين وليد التطور الاقتصادى ولا ارادة للانسان أن يتخلص منه أو هو أفيون الشعوب ٠٠ " (٢)

اننا لا نرد على كارل ماركس هنا اكثر من اشارتنا : اذا كانت هذه السخافة صحيحة ، فكيف تمكن كارل ماركس — وليد النظام الرأسمالي — من أن يفكر ضد العوامل الاقتصادية الرائجة في عصره ، هل صعد القمر لكي يبحث في أحوال الأرض ؟

وبعبارة أخرى : لو صح أن الدين وليد عصر مخصوص فكيف لم تكن الماركسية وليد النظام الرأسمالي لعصرها ؟ ٠٠

واذا لم تسغ هذا الوضع فيما يتعلق بالماركسية فكيف نسيغه بالنسبة الى الدين ؟

الحق ان هذه الفكرة ، فكرة معارضة الدين لحقائق العلم ، عبث مثير لا يحمل على ظهره أ ى دليل علمي أو عقلي كما ترى ٠٠ (١)

فلذا تصدى لهم علماء آخرون من علماء الطبيعة وبينوا أن العلم الحقيقي لا يتنافى مع الدين الصحيح ٠٠ وأن الالحاد ينتج عن الجهل ٠٠ الجهل فقط واليك بعضا من أقوالهم :

يقول الفيلسوف الانجليزى فرانسيس بيكون الذى نقلنا عنه قوله سابقا : " ان قليلا من الفلسفة يقرب الانسان من الالحاد وان التعمق في الفلسفة فيرده الى الدين ٠٠ "

---

(١) تهافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص٣٦ / مؤسسة الرسالة ٠

(٢) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص ١٢٥

ومما يسجل للقرآن كونه سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنا فقد حصر خشية الله على وجهها الأكمل في العلماء .. قال تعالى :

﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (١)

لأن العلماء ـ بما أوتوا ـ من صفات النظر العميق والتحقيق الدقيق يقفون على أسرار الابداع الالهي في الوجود ونواحي الاعجاز فيما لا يظهر لغيرهم من الملاحدة الماديين .

ويؤكد العلامة المؤرخ الطبيعي (فابر) (٢)

"كل عهد له أهواء جنونه ، فاني اعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية وهو مرض العهد الحالي وأيسر عندي ان ينزعوا جلدي من أن ينزعوا مني العقيدة بالله " .

هذه بعض أقوال المنصفين من العلماء الطبيعيين . وهناك أقطاب آخرون يرون ان العلم هو سبب تقوية ايمانهم .

يحسن بنا اذن ان ننقل اليك بعض تصريحاتهم في هذا المجال ليعرف حشرات الالحاد أنهم بعيدون عن العلم والدين معا ...

---

(١) سورة فاطر / ٢٨

(٢) روح الدين الاسلامي ، عفيف طبارة ص١٣

العلم يدعو الى الايمـــان

ان الملاحدين صرحـوا أن الكفر من ضرورات العلم ، وأن أكثر الناس علما هم اكثرهم الحادا .. (١) فتصدى لهم جمهرة من اقطابهم فقالوا ان العلـم يدعو الى الايمان وان الالحاد ينتج عن الجهل ..

واليك شواهد على ذلك ..

قد نشر الدكتور " دينرت " الالماني بحثا حلل فيه الاراء الفلسفيـة لأكابر العلماء الذين أناروا العقول في القرون الاربعة الأخيـرة وتوخى أن يدقق في تعرف عقائدهم فتبين له من دراسات ٢٩٠ منهم أن :

٢٨ منهم لم يصلوا الى عقيدة ما ..

٢٤٢ أعلنوا على رؤوس الأشهاد الايمان بالله ..

٢٠ فقط تبين أنهم غير مبالين بالوجهة الدينية أو ملاحدة .." (٢)

واذا اعتبرنا غير المبالين ملاحدة ، وجدنا ان ٩٢ في المئة من كبار العلماء يعتقدون بوجود الله تعالى ..

فهذه النسبة الكبيرة تدل دلالة واضحة على أن التناقض بين الايمـان والعلم الذي يزعم الماديون أنه وصف مميز للعلماء ،ليس له أصل ..

وكما تشير ايضا الى أن الايمان والعلم يتكاملان ولا يتنافيـان ..

واذا أردنا مزيدا فلنقرأ الكلمات الآتـية :

يقول ا٠كرسي موريسون :

" ان وجود الله ـ تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها .. تكون الحيـاة بدونها مستحيلة " ..

وان وجود الانسان على ظهر الأرض ، والمظاهر الفاخرة لذكائه .. انمـا هي جزء من برنامج ينفذه بارئ الكون ..

---

(١) الله والعلم الحديث ، عبدالرزاق نوفل ص ٥ ط الثالثة سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣ م

(٢) روح الدين ،عفيف طبارة ص ٨٢

وقـــال :

" واني لأورد قول أوسبورن (Osborn) في هــذا المجال : " بين جميع الأشياء التي لا يمكن ادراكها في الانسان ،تتركز الصعوبة الكبرى فيما له من مخ ، وذكاء ، وذاكرة وآمال ، وقوة كشف وبحث ، وقدرة على تذليل العقبات .. (١)

ولنقرأ ايضا للدكتور (وتز) الكيمياوى وعضو اكاديمية العلوم وعميد كلية الطب الباريزية فقد كتب يقول :

" اذا احسست في حين من الاحيان ان عقيدتي بالله قد تزعزعت ، وجهت وجهي الى اكاديمية العلوم لتثبيتها ".

وقال (فاى) : " من الخطأ القول بأن العلم يفضي بصاحبه الى نكران وجود الله ".

فلندع الكلام — الان — للجيلوجي الذائع الصيت (أدمون هربرت) المدرس بجامعة السوربون ، اذ يقول :

" العلم لا يمكن أن يؤدى الى الكفر ، ولا الى المادية ، ولا يفضي الى التشكيك ".

وقال الأستاذ الرياضي المشهور (كوشي) : ليست عقائدى ثمرة أوهامى الوراثية ولكنها نتيجة تحقيقاتي العميقة " (٢).

وهكذا رأينا ان الالحاد ينتج عن الجهل ، وليس ما يقابل العلم والدين الصحيح .. لأن اكبر دعائم العلم .. كل العلم — هو الايمان بقانون السببية ثم قانون العناية في الخلق ..

ولما كان الالحاد لا يؤمن بهذين القانونين اللذين — بدونهما — لا تستقر الحياة الدنيا — عرف انه ينتج عن الجهل والخرافة ..

---

(١) براجع العلم يدعو الى الايمان : ا ٠كرسي موريسون ص٤٦ من الطبعة العربية

(٢) روح الدين الاسلامي ، عفيف طبارة ص٨٣

أو ينتج عن جهل مركب بتعبير أدق •• وبيان ذلك : ان الملاحدة لما رأوا ان الذى يدعو الباحثين الى الايمان بالله ونسبة الأفعال الكونية اليه هو ما يرونه في الكون من دقة وحكمة واتقان تدل بوضوح على أن له غاية محدودة ، وهدفا مقصودا ، مما يدعم الايمان بالله – لما رأوا ذلك – بحثوا عن احدى السبل للحيلولة دون الوصول الى هذه النتيجة فلم يجدوا الا القول المتعصب المتحكم بأن الوجود ليس له غاية أصلا (١) وأن القول بذلك ينافى فن البحث العلمي لذا قال قائل منهم :

" ان العلماء يجب أن يتساءلوا عن " الكيفية " لا عن السبب •• ان السؤال عن السبب يعنى ان هناك غرضا عاقلا وراء تصميم الأشياء •• وأن عوامل فوق الطبيعة توجه الأفعال نحو غايات معينة ••

ولهذا عرفنا ان هؤلاء الملاحدة الذين يرفضون الدين باسم العلم يرفضونه بجهل مركب فلذا يقول (فون بروكه) ذات مرة قائلا :

" ان الغائية سيدة لا يقدر عالم بيولوجي ان يحيا بدونها ومع ذلك فهو يخجل ان يظهر بصحبتها امام الناس " (٢)

---

(١) مصير الانسان ، ليكونت دى نوى ، ت خليل الجسر ، المنشورات العربية ص ٢٧٧ •

(٢) في البحث العلمى د • ا • ب بفروج • ت زكريا فهمي ، الألف كتاب ١٩٦٣م ص: ١٠٧ – ١٠٨

المادة أم الله ؟

ولنقف قليلا ، عند أولئك الذين يقدسون التجربة والحس العلمي ..
ويعلنون بكل وقاحة : " اننا لا نؤمن بأن فكرة ، ما لم تثبت بالتجربة ،
ولم يبرهن عليها عن طريق الحس . ومادامت المسألة الالهية مسألة غيبية ،
وراء حدود الحس والتجربة ، فيجب أن نطرحها جانبا ، وننصرف الى ما
يمكن الظفر به في الميدان التجريبي ، من حقائق ومعارف ... " (١)

ويقول وليم جيمس لا يزال بعض رجال العلم يقولون : " ان الحقيقة
العلمية ، هي الهنا الوحيد ، فهو ليس له الا امر واحد وقول واحد ، وهو
أن ليس لكم أن تؤمنوا بالله " (٢) نقف عندهم لنسألهم ، ماذا تريدون
بالتجربة ؟ وماذا تعنون برفض كل عقيدة لا برهان عليها من الحسّ ؟

فان كان فحوى هذا الكلام ، انهم لا يؤمنون بوجود شيء ، ما لم يحسوا
بوجوده احساسا مباشرا ، ويرفضون كل فكرة ما لم يدركوا واقعها الموضوعي .
بأحد حواسهم ، فقد نسفوا بذلك الكيان العلمي كله ، وأبطلوا جميع
الحقائق الكبرى ، المبرهن عليها بالتجربة التي يقدسونها . فان اثبات
حقيقة علمية بالتجربة ليس معناه الاحساس المباشر بتلك الحقيقة ، في
الميدان التجريبي . فلنضرب على ذلك أمثلة بسيطة ..

قانون الجاذبية :

ف (نيوتن — مثلا — حين وضع قانون الجاذبية العامة ، على ضوء التجربة
وانما اكتشفها عن طريق ظاهرة اخرى محسوسة لم يجد لها تفسيرا الا بافتراض وجود
القوة الجاذبية .. (٣)

---

(١) فلسفتنا ، محمد باقر الصدر ص ٣٤٢

(٢) العقل والدين ، وليم جيمس ، ت محمود حسب الله ، مصر ١٣٦٨ هـ ص ٩٨

(٣) فلسفتنا محمد باقر الصدر ص ٣٤٣

فقد رأى أن السيارات لا تسير في خط مستقيم ، بل تدور دورانا ، وهذه الظاهرة لا يمكن ان تتم — في نظر نيوتن — لو لم تكن هناك قوة جاذبة لأن مبدأ القصور الذاتي يقضي بسير الجسم المتحرك ، في اتجاه مستقيم ما لم يفرض عليه أسلوب آخر من قوة خارجية .. فانتهى من ذلك الى قانون الجاذبية ، الذى يقرر ان السيارات تخضع لقوة مركزية هي الجاذبية .

والجاذبية ، لم تزل فرضا من الفروض .. وما يزال الأثير فضاء أو كالفضاء ولا ريب أن هذا مأزق من أشد مآزق التجريبيين .. (١)

* * *

ثم نسألهم ماذا تعنون — أيها التجريبيون — الذين ينادون بالتجربة ويقدسونها ؟

هل تعنون نفس الاسلوب الذى تم به علميا — قوى الكون وأسراره ، وهو درس ظواهر محسوسة ثابتة بالتجربة ، واستنتج شيء آخر منها استنتاجا عقليا ، باعتبار التفسير الوحيد لوجودها ..

فهذا هو اسلوب الاستدلال على المسألة الالهية تماما .. بل ان الاستدلال بالمخلوقات على الخالق أبين وأظهر من استدلال دوران الأجسام حول نفسها على وجود الجاذبية ..

وذلك ان ظاهر الحياة يدل على الله ،

أعني نشأتها وتنوعها والانسان والأخلاق ..

ظاهرة الاجابة تدل عليه ..

ظاهرة الهداية تدل عليه ..

ظاهرة الابداء تدل عليه ..

ظاهرة الحكمة تدل عليه ..

ظاهرة العناية تدل عليه ..

---

(١) هزيمة الشيوعية ، أنور الجندى ص٩٣

ظاهرة وحدة الكون تدل عليه ..

ظاهرة الكون بضخامته تدل عليه ..

ظاهرة الليل و النهار تدل عليه ..

ظاهرة الحياة والموت تدل عليه (١) (بل) .. في كل له آية تدل على أنـــه واحـــد ..

حقيقة المادة ومصيرها :

كان تعريف المادة عند الماديين هو : " كل ما تقع عليه الحواس " .. وكان هو التعريف الوحيد عندهم حتى تقدم العلم من بعد .. وتوالـــت الاكتشافات العلمية .. فاذا هم بالمادة تتجاوز ما يقع عليه الحـــس الى عالم الذرة .. ومن ثم أعدوا صياغة التعريف فقالوا :

" ان المادة هي الموجود الموضوعي خارج الذهن " (٢)

وبدراسة الذرى ، ثبت أن كل ذرة ، تشابه المجموعة الشمسية فـي تركيبها ونظامها فكما كان المجموعات الشمسية ، تتكون من الشمس التـي تدور الكواكـب حولها في سباحة طويلة ..

كذلك الذرة تتكون من بروتونات مركزية موجـبة الشحنة ، والكترونـــات سالبة الشحنة ، وتدور حول البروتونات .. مما تعتبر في ذاتها سرعـــة خيالية .. (٣)

* * *

---

(١) يراجع لتفاصيل كل ذلك الكتاب " الله جـل جـلاله " سـعيد حـوّى من ص ٥٥ ــ ١١٨

(٢) هزيمة الشيوعية في العالم الاسلامي ، أنور الجندى ص ٩١

(٣) الله والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص : ١٩٧

راجع فلسفتنا ، محمد باقر الصدر ص ٣٤٤

فقد افتتح في باريس في أوائل عام ١٩٥٦ م معرض للسرعة .. ثبت أن سرعة مرور الدم في عروق الانسان هي (٣٠ سنتمتر في الثانية) وسرعة أسرع كائن حي ، وهو نوع من الذباب اسمه : سيفينوميا ، بلغت (١٣٠٨) كيلو متر في الساعة ..

أما سرعة الالكترونات في ذرة الهيدروجين فقد بلغت (ألفي كيلو متر) في الثانية .. وهذا فيما يعرفه العلم والعلماء ، أقصى سرعة أمكن أو يمكن معرفتها على وجه الأرض اطلاقا ..

* * *

وهم يقفون حائرين – اليوم – بعد أن أفلتت جميع التعريفات من أيديهم فصاروا يعرفونها بالتعريفات الآتية ..

قال (أرستوالد) : "ان المادة صورة من صور الطاقة فحسب "

وقال (ليبون) : " ان المادة صور مختلفة من الطاقة ".

وقال ادنجتون : " ان المادة مركبة من بروتونات والكترونات " أى شحنات موجبة وسالبة من الكهرباء ..

وقال (هوايتهد) : " ان مفهوم الكتلة في طريقه الى فقدان امتيازه الواحد الدائم في النهاية فالكتلة الآن اسم لكمية من الطاقة في علاقتها ببعض آثارها الديناميكية ".

وقال ليبون) أيضا :

" ان عناصر الذرات التي تنحل تفنى تماما ، فهي تفقد كل صفة المادة بما فيها ذلك الثقل الذى هو اكثر صفاتها الأساسية . ذلك أن الميزان يعجز عن وزنها ولا شيء يستطيع أن يعيدها الى حالة المادة فقد اختفت في عظمة الأثير والحرارة والكهرباء والضوء ، يمثل آخر من مراحل المادة قبل اختفائها في الأثير ..

ولكن ما هو الأثير : لا أحد يعرف ..

يقول (لورد سالسبوري) : : " ان الاثير ليس اسماعلى الفعل يتموج ..

والأثير خرافة ابتدعت لا خفاء جهل المثقف للعلم الحديث فهو غامض غموض

الشبح أو الروح .

ونختتم هذه النقول بقول الأستاذ (ادنجتون) :

" ليس الأثير نوعا من المادة فهو لا مادى " (١)

وهكذا انفلت من المادة كل شيء ثابت أوكانوا يحسونه مضرب المثل في

الثبوت ونتيجة تقدم العلم بالكهرب والذرة أصبحت المادة كلها كهارب وذرات ..

واذا بالذرات تنفلق فتنطلق شعاعا كشعاع النور ..

* * *

سؤال :

كيف عرفوا أن الذرة بما فيها من بروتونات والكترونات ، طاقة ؟

ويجيب على هذا السؤال آنشتين في معادلته اذ يقول :

" ان الطاقة = كتلة المادة × مربع سرعة الضوء (وسرعة الضوء تساوى

١٦٠٠٠٨١) ميلا في الثانية ..

كما ان الكتلة = طاقة ÷ مربع سرعة الضوء " (٢)

وبذلك ثبت ان الذرة بما فيها من بروتون والكترون ليس في الحقيقة

الا طاقة متكاثفة ، يمكن تحليلها وارجاعها الى حالتها الأولى .

وكما ثبت ان المذهب الذرى (الديمقريطيسى) الذى يقول ان المادة

لم تخلق ولا تفنى ولا تنقسم ،خرافة من خرافات الدنيا ..

* * *

---

(١) هذه التعريفات نقلناها عن كتاب هزيمة الشيوعية ، أنور الجندى ص :

٩١ = ٩٢

(٢) فلسفتنا : محمد باقر الصدر ص ٣٢٨

ان هذه الطاقة هي الأصل العلمي للعالم في التحليل الحديث ،وهي التي تظهر في اشكال مختلفة ، وصور متعددة ،صوتية ، ومغناطيسية وكهربائية وكيماوية ،وميكانيكية ..

اذن فاسمعوا ـ أيها الملاحدة ـ أن المادة لها بداية . فما كان له بداية فلا بد أن ينتهي الى نهاية .. اذن ان المادة حادث ، فيجب أن يبحث عن خالقها .. (انه هو الله تعالى) وبهذا تسقط مزاعم جوليان هكسلي حيث يقول :

" ان الطبيعة تحتوي في ذاتها على كل القوى المطلوبة لاحداث جميع صور الوجود فيها والأنواع ينشأ بعضها من بعض بالتحول طبقا لقوانين وتبعا لترتيب في الامكان منذ الان تحديده.. فلا شيء في الطبيعة لا يفسر بالطبيعة ولا شيء تقدم على الطبيعة ولا شيء يسمو عليها .. فالطبيعة عند من يعرف قوانينها وبخاصة الانتخاب الطبيعي والتطور هي ذاتها التي خلقت نفسها " (١)

مفهوم المادة والمادية

قبل أن ننتقل الى موضوع (قوانين المادة) يحسن بنا أن نقدم فكرة موجزة عن مفهوم المادة والمادية لأننا نرى كثيرا من الناس يغالطون فيهما ..

نقول : المادة شيء والمذهب المادى شيء آخر ..

ان المادة هي الحياة .. والمذهب المادى .. هو الايمان بهذه المواد وحدها بحركاتها وقوانينها ، دون شيء آخر ..

نحن المسلمون لا نرفض " المادة " لأننا لا نرفض الحياة التي أعطانا الله .. ولكننا نستعملها بعقيدة أخرى .. نرى المادة وسيلة ، والله غاية .. المادة اذن ليست (حراما) لأنها نعمة الله بالحياة .

---

(١) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة (اميل بوترو) : ١٠٥ ـ ١٠٦

ولكن الحرام : هو سوء استخدام هذه النعمة بالاسراف الذى يصنع الترف ٠٠ أو اعتبارها هى الخالقة الصانعة ٠٠ كما فعله الملاحدة قديما وحديثا ٠٠ (١)

الالحاد وقوانين المــــادة

قد سبق أن قلنا أن فضيلة المذاهب المادية ، كانت عند الماديين أنها تقوم على الوقائع والحقائق ولا تقوم على الظنون والأوهام ٠٠

ثم شاعت القوانين التي سميت بالقوانين الطبيعية ٠٠ وبطل هـــذا الانقلاب هو (نيوتن) الذى عرض على الدنيا فكرة تثبيت أن الكـــون مرتبط بقوانين ثابتــة تتحرك في نطاقها الأجرام السماوية ٠

ثم جاء بعده آخرون فاعطوا هذه الفكرة مجالا علميا أوسع حتى قيل : " ان كل ما يحدث في الكون من الأرض الى السماء خاضع لقانون معلوم ٠٠

فقال هكسلى : " اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغى أن ننسبها الى أسباب فوق الطبيعة " (٢)

فلما تقدمت الايام بهم وانتهى هذا الجو المليء بالحقد ضد الأديان ، عاد التجريبيون الى القوانين الطبيعية التى تحكم الحرارة والحركة والضوء وكل ما في علم المادة من كهارب وذرات فوجدوا لها قانونا واحدا هو : (الخطأ والاحتمال) وعرفوا أن للعلم الحديث مجالات لا يمكن أن يتجاوزها لكونها لا تدخل تحت نطاقه ٠٠

ان هذه الحقيقة ليست من بنات أفكارنا وانما أخذناها من تقارير بعض أقطابهم العالميين وهم : (٣)

---

(١) راجع كتاب الاسلام وقضايانا المعاصرة ، احمد موسى سالم ص ٢٢٢ ٠٠ دار الجيل ببيروت سنة ١٩٧٥م

(٢) راجع الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص

(٣) عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٥٨

راجع أيضا موقف العقل والعلم ، تأليف مصطفى صبرى جـ ٢ ص ٢٢٨

(١) — (ماكس بلانك) بولونى

(٢) — (ورنر هيزنبرج) الماني

(٣) — أروين شرودنجر) نمساوى

والأولان منهم صاحبا جائزة نوبل في العلوم الطبيعية عن سنة ١٩١٨ وعن سنة ١٩٣٢ والثالث مكمل النظريات التي اشتهر بها الأولان • وحجة لا يعلو عليهم حجة في مسائل الطبيعة على العموم • واليك بعضا من آرائهم التي تؤكد ان العلم الحديث قاصر في معرفة كنه الأشياء :

أولا — الأستاذ بلانك :

" فالاستاذ بلانك هوصاحب نظرية المقدار أو الكوانتم ، وخلاصتها : أن الاشعاع قفزات لا تعرف القفزة الثالية من القفزة الأولى الا بالتقدير والترجيح ، وأن صحة التقدير لا تتفق الا لأن أجزاء تحسب بملايين الملايين ، فلا يظهر الخطأ فيها الا بمقدار يسير " •

والملاحظة هنا هى أن العلم الحديث يعبر عن عجزه في معرفة قفزات الاشعاع وأنه لا بد أن يقع خطأ في حساباته ولو كان ذلك الخطأ بمقدار بسيط •

ثانيا — الأستاذ هيزنبرج :

" وهو صاحب نظرية الخطأ والاحتمال في قوانين الطبيعة ، وخلاصة براهينه الكثيرة في هذا الباب ان الموضع والسرعة لكهرب معين لا يمكن تحقيقها في لحظة معينة على وجه اليقين ، وأن موقع الكهرب بعد ثانية يتراوح اختلافه الى مدى أربعة سنتمترات ••

ثم يقل مدى هذا الخطأ في الثانية التى تليها وأن التجربيين في أية قاعدة من قواعد العلم الطبيعي لا تأتيان بنتيجة واحدة بالغة ما بلغ المجرّب من الدقة وبالغا ما بلغ المسار من الاتقان " (٢)

---

(١) و (٢) المرجع السابق ص ٥٩

ان هذا واضح ولا يحتاج الى توضيح آخر من أن العلم الحديث قاصر في معرفة الغيبيات .

" والاستاذ (شرودنجر) هو المجرب المحقق الذى أسفرت تجاربه كلها عن نتيجة واحدة تؤيد نظرية (اكسنر) (Exner) وهي :

" أن تقدير ما سيحدث تطبيقا للقوانين المادية ممكن ، ولكنه غير محتوم " .

هذا هو كلام أساطين العلم الحديث وجهابذته ، فهم يرون بكل تأكيد أن هذا العلم قاصر في معرفة كنه الأشياء وخاصة ما يغيب عنا . وبتعبير آخر : يرون أن العلم الحديث مهمته قاصرة على السؤال التالي : (ما هذا) ؟ وليس من شأنه أن يسأل : (لماذا) ؟ كما قلنا سابقا ..

ثم ان هؤلاء الثلاثة لا يتفردون بتقرير ذلك وتأييده ، فانه تقرير عام يقره معهم علماء الطبيعة جميعا ولا يخالفونهم في مبادئه . وقد سبق لنا في هذا البحث ان ذكرنا قول (جود)[1] بهذا الصدد حيث قال : " لقد كانت وجهة النظر في القرن التاسع عشر تنحو الى الظن بأننا قد أشرفنا على بلوغ أقصى ما يمكن من اكتمال الفهم للانسان والكون أما في الوقت الحاضر فقد أخذنا نكتشف جهلنا نسبيا بكليهما .. "

وأما الدكتور الكسس كاريل الذى سنتحدث عنه في الفصل الذى سنعقده تحت عنوان : " من نتائج الالحاد " فهو يرى أن جهلنا بالنسبة للانسان جهل مطبق . "

ان هؤلاء العلماء حينما يقررون هذه الحقيقة كأنما يقررون قول الله تعالى :

﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾

وبهذا نرى تطابق العلم الصحيح مع القرآن الكريم على أن العقل البشرى والبحث العلمي التجريبي لا يمكن ان يصلا ـ بحال من الاحوال ـ الى نتيجة

---

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين ، محمود العقاد ص ٥٩ ينقله عن كتاب فلسفة العلم الطبيعي تأليف (أونجتون) في الكلام عن نظرية الكوانتم .

حاسمة من نشأة الخلق وخلق الانسان ٠ وليس معنى ذلك أنهما مقصران في تأديـة واجبهما ؟ لا ! ولكنهما يتجاوزان موضوع العلم ٠٠ وموضوع التجربة والمعمل ،حينما يبحثان في نشأة الكون والانسان ٠ لأن ذلك لا يدخل تحت التجربة ولا يرى بالعين لأنه أمر غيبي عنا ٠٠ وما دام الأمر غيبيا عنا ٠٠ فان الله الذى خلقنا هو الذى يحدثنا ٠٠ كيف خلقنا ؟ ٠ أما نحن فاننا لا نعرف كيف خلقنا ولا يعرف ذلك العلم التجريبي ولا العقل المجرد الفلسفى ٠

ومن هنا فاننا لا يمكن ان نتحدث علميا عن العنصرين اللذين يتكون منهما الانسان : (المادة والروح) لكي نصل الى معرفة الأسبق منهما ٠ واذا صممنا على ان نبحث في هذا المجال ٠٠ نكون قد شغلنا أنفسنا بعلم لا ينفعنا عن جهل ٠ بل يضرنا لأننا نستخدم طاقاتنا في شيء لا طائل تحته ٠ وستكون النتيجة لا محالة وهو الالحاد والاضلال كما أشارت الاية السابقة الى ذلك ﴿ وما كنت متخذا المضلين عضدا ﴾ ٠

والعلم يجب ان يتم على مادة صماء ٠٠ يمكن أن تدخل المعمل الأصم ، وتعطى حقائق صماء ٠٠ أليست هذه هي الحقيقة ؟ ؟

والدليل على ذلك أن المعسكرات المتصارعة ـ قديما وحديثا لا تختلف في مذاهب العلم التجريبي كاختلافهم في مذاهب النظريات لا سيما اذا صاحبها الهوى لا توجد هناك كهرباء امريكية ٠٠ وكهرباء روسية ٠٠ ولا توجد كيمياء ألمانية ولا كيمياء انجليزية أو فرنساوية ٠٠ وكل علم الكيمياء ٠٠ في أى دولة من دول العالم خاضع لما تعطيه التجربة الصماء لأنه من مجالات العقل الانسانى ومجالات العلم التجريبي ٠٠ وبهذا تكون النتيجة واحدة ٠٠ سواء كان المعمل انجليزيا أو امريكيا ٠٠ أو سوفيتيا ٠٠ أو أى معمل من معامل الدنيا ٠٠

ولكن يحدث الخلاف حينما يتجاوز العلم التجريبي والعقل البشرى محل وظيفتهما الذى هو القياس والتجربة ٠ هناك ايمان والحاد ٠٠ ورأسمالية

وشيوعية ، انكار للروح وايمان بها .. لماذا .. ؟ لأن كل ذلك ليس مما يدركه العقل البشرى المجرد والبحث العلمي التجريبي لأنهما لم يكونا حاضرين عند خلقه ولم يكونا مساعدين لخالقه ، وصدق الله : ﴿ ماأشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾

وهكذا رأينا أن الالحاد ليس له سند من العلم الحديث ولا الفطرة.
ولكن الملاحدة ، لماأرادوا أن يهربوا من الكنيسة اتخذوا جميع العلوم المادية سندا للالحاد وساقوا بها السذج البسطاء الى سوق الالحاد .

ولما كانت شبهاتهم كثيرة ومتعددة ، نود أن نذكر هنا أهمها وأشهرها :

فنقول : لقد قامت قضية معارضى الدين على أسس ثلاثة :

١ — اللاشعور في علم النفس.

٢ — علم مقارنة الأديان

٣ — الكشوف الكوبرنيكى لمركز الأرض

وهذه هي أهم الأسس التي اتخذها الملاحدة دليلا لتوطيد أركان الالحاد .. فصارت الجماهير تتشرب ايحاءاتهم المختلفة التي يصبونها في أذهانها ..

ان هذه الأسس أصبحت بمثابة الفرملة التي تمنع العودة وتسمح فقط بالمضى المجنون في طريق الشيطان ..

فلا بد اذن من ايضاح ..

الأساس الأول : اللاشعور ونقضه :

ان من الأسس التي اتخذها الملاحدة المعاصرون سندا علميا لمناقضة الدين فكرة (اللاشعور) .

في مطلع هذا البحث وفي " فصل صورة عن أوربا الحديثة " بالذات ، قلنا ان الملاحدة اتخذوا (علم النفس) أساسا لمحاربة جميع الأديان بل حاربوا فكرة التدين نفسها .. قد رأينا هناك انهم قالوا : ان العقل الانساني مركب من شيئين هما :

١ — الشعور ..

٢ — اللاشعور ..

فأما الشعور ، يزعمون انه مركز الافكار التي تخطر على قلوبنا في ظروف عادية .. وأما اللاشعور ، يدعون انه مخزن الافكار التي مرت بنا ونسيناها ، ولا تظهر الا في أحوال غير عادية ، كالجنون والهستريا ..

فالأديان كلها — كما زعموا — صادرة عن اللاشعور ، فلذلك قالوا : ان الأديان ليست فطرية في الانسان انما هي نتيجة الجنون والهستريا .. أى أن الانبياء كانوا مجانين ومصابين بهذا المرض (الهستريا) (١) .. والله يشهد ان الملاحدة لكاذبون .. اتخذوا هذه الخرافة علما فصدوا عن الايمان والتدين .. فأصبح العوام لا يفهمون عن الوحى الا أنه نوبات صرعية كان الأنبياء يسمعونها فرددوها لتصبح توراة أو انجيلا أو قرآنا ..

---

(١) هستيريا : عصاب . من سماته البارزة القابلية الشديدة للايحاء والتقلب الانفعالى ، وضعف الشحنة الانفعالية وتفكك فحوى الشعور .. وعلاج الهستيريا لا يكون بالنوام أو بالايحاء بل بالاعتماد على التحليل النفسى للقضاء على العقد النفسية .
راجع الموسوعة العربية . الميسرة ص ١٨٩٧ م

نقد هذه الفكرة :

ان النقد الذى نود أن نوجهه الى هذه الفكرة المزعومة يكون في ناحيتين :

١ — ناحية تتعلق بالفكرة نفسها ..

٢ — ناحية تتعلق بعلم الطب .

فأما الناحية الأولى : ان فرويد (نبي هذه الفكرة) وأتباعه قاسوا كلام المجانين بكلام الأنبياء .. ان هذا قياس مع الفارق لما يأتي :

أ — ان اللاشعور — كما هو في تعريفهم — فراغ في أصله لا شيء فيه قبل مولد الانسان .. أى انه ليس سوى مخزن للمعلومات والمشاهدات التي شاهدها الانسان في حياته ، ولو مرة .

ثم يقولون : انه من المستحيل ان يختزن اللاشعور حقائق لم يعلمها من قبل ..

نقـول :

ان الذى يثير الدهشة — ان كان اللاشعور كما عرفوه — ان الدين الذى جاء على لسان الأنبياء — وخاصة الاسلام — يشتمل على حقائق أبدية لم تخطر على بال احد من الناس في أى زمان ..

فلو كان اللاشعور هو مخزن هذه المعلومات ، فمن أين يأتي بها هؤلاء الذين يتكلمون عن أشياء لا طريق لهم الى العلم به ؟

* * *

ب — ان الدين الذى جاء به الأنبياء يتصل بجميع العلوم المعاصرة .. تتصل بعلم الطبيعة ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم .. لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (١)

---

(١) سورة يس : ٣٨

هل هذا الكلام من اللا شعور ؟ أو هو كلام المجانين ؟

ويتصل بالفلك ، وعلم الحياة وعلم الانسان وعلم النفس والتاريخ والحضارة والسياسة والاجتماع وغيرهما من العلوم .

ولم يكتف بما حواه من العلوم بل يتحدى العالم بأسره أنهم عاجزون أن يأتوا بمثل كتابه " القرآن " وجاء فيه :

* ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي اعدت للكافرين * (١)

ويستمر في التحدى ويقول :

* قل لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا * (٢)

ويقول * يسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا * (٣)

فيأتي القرن العشرون بتحقيقاته العلمية الضخمة فتبقى قضية الروح سرا مكتوما ، لا يستطيع العلم الحديث أن يتكلم فيها ..

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو كلام من يعلم السر وأخفى ؟

ولم يكتف بذلك بل كان يخبر اتباعه بما هو آت في المستقبل القريب ..

كقوله تعالى * الم . غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله * .

والمعطيات التاريخية العالمية قد صدقت هذا الواقع .. أعني تاريخ الروم في الغرب وتاريخ الفرس في الشرق وتاريخ العالم الاسلامي .. ولم يستطع احد ان يكذب هذا الخبر القرآني ..

---

(١) سورة البقرة : ٢٤ (٢) سورة الاسراء : ٨٨

(٣) سورة الاسراء : ٨٥

هل هذا الكلام من اللاشعور ؟ أو هو وحي من عند الله تعالى ؟

بل فصل ما يدهش كل ذى عقل وكل ذى فطرة سليمة ..

يعين هذا النبي صلى الله عليه وسلم انسانا بعينه من أشد اعدائه فيقول له :
انك ستموت كافرا ولن تدخل في الاسلام أبدا ثم اذا مت تدخل في النـــار
يقول هذا على مسمع من جميع كفار مكة وهم يريدون ان يجدوا أى عيب لتكذيب
دعوته — وكان في استطاعتهم أن يأمروا هذا الانسان أن يدخل في الاســـلام
نفاقا لتكذيب دين محمد وأخبار محمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم ما استطاعوا
ذلك .. لماذا ؟ لأن محمدا كان يتكلم من اللاشــعور ؟ لا ! والله !
بل كان يقرأ القرآن الذى يقول :

* تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات
لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد *

ان هذا الانسان هو أبو لهب وامرأته .. لماذا لم يدخلا في الاســلام
نفاقا لأجل ابطال دعوة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

هل هذا الكلام أيضا من اللاشعور ؟ أو هو كلام من يعلم خائنة الأعين
وما تخفي الصدور ؟

* * *

والذى يدل على أن اللاشعور فكرة خرافية لا أصل لها من الصحـة أننـا
وجدنا معلومات في التاريخ الانساني مصدره (الشعور) الذى يقولون انه لا
يضل ولا ينسى ، لا تخلو من الأغــلاط والأكاذيب والأدلة الباطلة ..

وجدناهم يقولون : ان المادة لا تنقسم . ثم وجدناهم يقولون : ان المادة
تنقسم الى بروتونات والكترونات ..

وجدناهم في القرن التاسع عشر يقولون ان الشمس واقفة ، ثم وجدناهم يقولون
ان الشمس متحركة ..

وجدناهم يقولون ان الأرض انفصلت عن الشمس بسبب انفجارها الخارجي ثم وجدناهم يقولون ــ بدون حياء ــ انها (الحادثة) كانت بسبب انفجار داخلي ..

وجدنا ديكارت الفيلسوف البارع يغلط ويقول : ان الدم هي النفس في الانسان هل هذا صحيح ؟

ثم وجدنا (كانت) الفيلسوف الكبير يغلط ويقول : ان وجود الله لا يعرف بالعقل هل هذا صحيح ؟

ومن قبل وجدنا الفيلسوف اليوناني الكبير افلاطون (٤٢٧ ــ ٣٤٧) ق.م يتخيل فيرى نفسه في المدينة الفاضلة (التي تسمى في التاريخ بالمدينة الأفلاطونية) أو (عالم المثل).

ان المدينة الفاضلة التي تخيلها كصورة مثالية للدولة يتراوح سكانها بين أربعة الاف وستة الاف نسمة .. ينقسمون الى ثلاث طبقات :

الأولى طبقة (الحكام) وهم الفلاسفة

والثانية طبقة (الجنود) وهم الحماة عن المدينة الفاضلة

والثالثة (أصحاب الاعمال) وهم الزراع والصناع والتجار الذين يقدمون للحكام اسباب العيش المادى من مطعم وملبس ومسكن ومال .. بل هم العبيد لهاتين الطبقتين. (١)

هل تقسيم الناس الى هذه الطبقات من اللاشعور أو من الشعور ؟ هل هذا هو الأقرب من كلام المجانين أم قول النبي الذى يقول : * يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم * فقارن بينهما لتعلم أيهما اقرب الى اللاشعور! أيها فرويد الملحد اليهودى!

* * *

---

(١) تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، عمر فروخ ص ٩٧ بيروت طبعة دار العلم للملايين لبنان ١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م

وأيضا جمهورية افلاطون لنظام الحكيم ومحمد مظهر سعيد القاهرة دار المعارف ١٩٦٣م

ولقد وجدنا أيضا في اليونان هذا الفيلسوف الذائع الصيت الذى يقال انه معلم البشرية (أرسطو) (١) قد أتى بأغلوطات فادحة في تعيين صفات الله تعالى بل يقول : (ان العالم قديم) .. فجاء العلم الحديث ليكذبه ويجهله ..

وأما الدين الذى يقال انه من كلام المجانين ، لما جاء أثبت أن العالم حادث فقال ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾

فقارن بينهما لترى أى القولين أقرب الى كلام المجانين ؟

هكذا رأينا — من خلال هذا الاستعراض السريع — أن الكلام النبوى بريء — ولا شك — من كل هذه العيوب .. رغم اتصاله بجميع العلوم ..

ولقد مرت قرون اثر قرون ، أبطل فيها الاخرون ما ادعاه الأولون . وما زال صدق كلام النبوة باقيا على الزمان ، ولم يستطع احد ان يدل على شيء باطل جاء به .. وكل من حاول ذلك أخفق .. كما أخفق فرويد وكارل ماركس ودوركائم .. وغيرهم من اصحاب المذاهب الهدامة التى عرفت في التاريخ الانسانى العام ..

اذن ان فكرة اللاشعور خرافة لا أصل لها من العلم الصحيح ..

فلننتقل الى الجزء الثاني وهو الناحية الطبية ..

ثانيا — الناحية الطبية :

قد ادعى بعض الملاحدة أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة كان مريضا بالصرع وأن ما يمتر به في ساعات الوحى انما هو نوبات الصرع .. التى كان يسمع اثناءها كلاما ردده فأصبح قرآنا .. فرد عليهم (الدكتور يحيى طاهر) اخصائى وأستاذ الأمراض العصبية بكلية طب ومستشفى القصر العينى بجامعة القاهرة .. فنحن نلخص ما قاله تلخيصا شديدا فيما يناسب مع هذه العجالة .. فهو يقول :

---

(١) أرسطو (٣٦٧ — ٣٢٢) ق.م المصدر السابق ص ١٠٧ (عمر فروخ) .

يقول :

" لقد أراد بعض الناس أن يطعنوا الدين الاسلامي في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان النبي محمدا كان مريضا بالصرع ، وان الوحي الذى كان ينزل على الرسول بالقرآن ما هو الا نوبات صرعية كان يسمع أثناءها كلاما ردده ليصبح قرآنا والذى يدرس الصرع من أى ناحية من نواحيه الطبية او العلمية او الفسيولوجية يتبين له جسامة هذا الافتراء (١)

اذ ان النوبات الصرعية ليست نوبات نفسية كما يتبادر الى الذهن ، ولكنها ناتجة عن تغيرات فسيولوجية عضوية في المخ ، بدليل انه امكن تسجيل تغيرات كهربائية في المخ أثناء تلك النوبات الصرعية مهما كان مظهرها الخارجي ومن المعروف ان هناك مظاهر خارجية عديدة ومختلفة للنوبات الصرعية ، وذلك تبعا لمراكز المخ التي تبدأ فيها التغيرات الكهربائية وطريقة وسرعة انتشارها .

فاذا بدأت في مراكز الحركة كانت النوبة على شكل تقلصات او تشنجات عضلية واذا بدأت في مراكز الاحساس كانت النوبة على شكل احساسات مختلفة واذا بدأت في مراكز الابصار كانت النوبة على شكل ذكريات او احلام هكذا .. ثم قال :

ويكفينا أن نشرح نوعا واحدا من النوبات الصرعية الذى يشتبه ان يكون هو النوع الذى قيل عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مصابا به ، ألا وهو النوبات الصراعية النفسية ، ففي هذه النوبات الصرعية النفسية يكون التغير العقلى هو المظهر الاساسى للنوبة ، ولا يفقد المريض شعوره تماما كما في الأنواع الأخرى من النوبات ، ويمكنه الى حد ما تذكر التجارب النفسية التي حدثت له أثناء النوبة بعد انتهائها .

وتكون هذه التجارب النفسية التي تمر بالمريض أثناء النوبة اما على شكل انفعالات مثل الخوف ، أو على شكل تفكير في اتجاه معين كأن يردد

---

(١) راجع كتاب الاسلام والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص ٥٥

المريض في ذهنه " يجب ان اقول لفلان كذا وكذا . او على شكل خيالات او هلاوس ، وفي هذه تمس بذهن المريض ، ذكريات او احلام مرئية او سمعية أو الاثنين معا ... (١) هذا ما يقوله الطب بالنسبة لهذا المرض . تعال نحاول تطبيقه على الوحي الذى كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

" وبتطبيق ما وصلنا اليه من هذا المرض السريع للصرع على الافتراء الذى يفتريه خصوم الاسلام على الوحي الذى نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نجد ان الهلاوس والاحلام التي تمر بذهن المريض بالصرع ما هي الا أجزاء من ذكريات قديمة نبهتها النوبة ، ولا يمكن للمريض بالصرع ان يؤلف اثناء النوبة شيئا ، فكيف بالقوانين والاداب والقصص والعلوم وغير ذلك مما اشتمل عليه القرآن الكريم .

كذلك لا يمكن ان تتحسن لغة المريض في أثناء النوبات الصرعية تتكرر بعضها اوكلها بنفس الشكل بتكرار النوبات كما أن المريض لا يمكنه ان يصفها وصفا دقيقا .

أما القرآن الكريم فانزلت اياته واضحة محدودة متممة بعضها بعضا شاملة كل ما يهم الناس في شئون دينهم ودنياهم .

فهل يمكن ان يقال بعد هذا المرض العلمي البحث ان القرآن الكريم ما هو الا هلاوس رجل مصروع ؟ ؟ ؟ ان هذا الا افتراء فليحكم الناس بأنفسهم بعد هذا العرض العلمي ...

وللدكتور عبد العزيز الشريف اخصائي واستاذ الأمراض الباطنية بكلية طب القصر العيني وعضو كلية الأطباء بأدنبرة مقاله في هذا الأمر يحسن بنا أن نثبته هنا لأن كثرة الحديث تزيده قوة ومتانة .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٨

فهو يقول : " المرض علة تصيب اى عضو من أعضاء الجسم ،فتسبب خللا فيصبح الانسان لذلك معتلا . والشخص المريض هو الذى تغيرت حالته بسبب المرض فأصبح غيرعادى ، اذ يقل في قوته وصحته وبالتالى انتاجه وتفكيره ..

ولم يعرف الطب ، ولم يحدثنا التاريخ العلمى ، ان شخصا اصيب بمرض فوهبه المرض علما .. أو عقلا .. اومقدرة .. اذ ان العقل السليم في الجسم السليم ..

فكيف يقولون عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم انه اصيب بالصرع فتتحسن لغته تحسنا بحيث لا يمكن ان نقارن بين حديثه العادى وبين القرآن الكريم الذى يقولون انه حديثه وهو في نوبة الصراع ؟

وكيف يشرع المريض هذه التشريعات التي تعتبر الأسس القويمة لكل القوانين التي تهدف الى العدالة والرحمة والتقدم.

وهل يستقيم ذلك والصراع حالة تتميز بالاختلال المفاجىء في وظيفة المخ ؟ وكيف يكون ما عند الرسول نوبات صرع ، وهذه النوبات تسبب للمريض الاما شديدة في عضلاته تكون مصحوبة بالصداع والغثيان وتبقى مدة بعد النوبة التي هى تشنج وتصلب في العضلات ... فاذا غابت عنه حزن ووجل ؟ فقد فتر الوحى عن الرسول فترة فتولاه الخوف والوجل وحزن حتى نزل قول الله سبحانه وتعالى له :(١)

﴿ والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى ﴾(٢)

وعلاوة على ذلك ان الطب يقرر ان الخيالات التي يراها أو يسمعها المريض اثناء نوبته لا بد ان يكون قد رآها او سمعها في طفولته أو شبابه أو قبل مرضه ، كما يقول فرويد صاحب الشعور واللاشعور .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩

(٢) سورة الضحى الاية (١)

نسألهم : هل يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى الاقوام قبل عصر الاسلام وعاش بينهم واستمع الى احاديث الرسل والانبياء مثل الآيات التالية :

﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ (١)

﴿ قالوا يا موسى لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ﴾ (٢)

وهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الخلق حتى يرى ما كان بين الله وآدم من حوار مثل قوله تعالى :

﴿ وقلنا يآدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ (٣) وهكذا اكذب الطب اباطيلهم هذه..

الأساس الثاني — مقارنة الأديان :

لقد اتخذ الملحدون علم مقارنة الأديان ، سببا من اسباب الالحاد ، وذلك أن جمهور الباحثين في هذه المسألة لا يطلبون من بحثهم الوقوف على الأسباب العامة التي تتيسر دراستها ويمكن التحقق من وجودها في كل عصر ، بل يفهمون من كلمة " نشأة الدين " الصورة التي ظهرت فيها الأديان اول ما ظهرت في الوجود يعني أولية زمانية مطلقة ، تقترن بظهور الانسان على هذا الكوكب .

والمنهج الذى يسلكونه للوصول الى هذا المطلب هو التنقيب عن أديان الأمم القديمة أو اديان الأمم المعاصرة غير المتحضرة ، حتى اذا ما انتهى بهم السير في تلك العصور المظلمة ، او تلك الأقطار المنعزلة ، الى

---

(١) آل عمران / ٣٧
(٢) المائدة / ٢٤
(٣) البقرة / ٣٥

أقدم مظهر معروف من مظاهر التفكير الديني ، اعتبروه مطابقة لما كان عليه الانسان الأول ..

فعلى هذا انقسم الباحثون في أوربا الى شعبتين عظيمتين ، تسيران في خطين متعاكسين : هما : المذهب التطوري ، والمذهب الفطري .

أما المذهب التطوري : يرى ان الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن الانسان تطور في دينه حتى وصل اخيرا الى التوحيد اوعقيدة " الاله الأحد " وعلى رأس هؤلاء دوركايم (Durkheim) فقد أشرنا الى هذه النقطة في مبحث علم الاجتماع السابق .(١)

أما المذهب الفطري : يرى أن فكرة " الاله الأعظم توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الاجناس الانسانية " .

وقد انتصر لهذا المذهب علماء الأجناس وعلماء الانسان وعلماء النفس وعلى رأسهم لانج (Lang) غير أنه مهما تتفاوت النتائج في نظر المذهبين : " التطوري والفطري " فانهما متفقان على موضوع البحث هو: اتخاذ العقيدة البدائية الصورة الحقيقية لفهم نشأة الأديان في الكون . هذا خطأ ولكنه يتجلى عندما نقرأ الصفحات التالية :ـ

---

(١) راجع الدين ، د. محمد عبدالله دراز ص١٠٦
راجع ايضا عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص٧٤
(٢) (Schmidt. Ouv, cite, p.30) نقلا عن كتاب الدين السابق ص١٠٨

خطأ علماء المقارنة للأديان

ان الذين يستدلون بالتاريخ او الاجتماع كدوركايم مثلا ، خطؤهم الأساسي انهم لا يدرسون الدين من وجه صحيح ، ولهذا يبدو لهم الدين شيئا غريبا .

ومثال ذلك ان ترى شيئا مربعا من زاوية منحرفة فيتراءى لك مثلثا ..

ان رأس الخطأ الذى يقعون فيه هو : انهم يتناولون الدين على أنه " مشكلة موضوعية " (Objective Problem)

فهم يجمعون في سلة واحدة كل ما أطلق عليه (اسم دين) من رطب ويابس في أى مرحلة من التاريخ الا شيئا واحدا أعنى موكب الرسالة فهم يذكرون كل شئ في بحوثهم الا الرسل) مما يدل على أنهم لم يتجردوا في بحوثهم (من الهوى) فهم يريدون ان يصلوا الى نتيجة معينة قبل البدء بالبحث . هذه النتيجة هي : تكذيب فطرة التدين وتكذيب الرسل في دعواتهم .. فلا يجوز لمسلم — اذن — أن يأخذ بنتائج هذا " العلم " علم مقارنة الأديان وكيف لا ! ان ربنا سبحانه وتعالى : أخبرنا في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. أخبرنا ان اول الرسل أبونا نوح عليه السلام وآخرهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم طبيب القلوب والأبدان .. فقال تعالى :

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه ، الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب ﴾ (١)

فكيف نترك هذا الحق المبين ونجرى وراء هذه النتائج المتعارضة التى لا تستند على مقدمات صحيحة .. فلا يجوز لمسلم أن يؤمن بهذا العلم لأنه يعارض القرآن صراحة ...

---

(١) سورة الشورى : ١٣

موقف منحـــــــرف

ان موقفهم هذا من الأديان ينحرف من اولى مراحلـه ،فيبدو لهـم الدين — من جراء هذا الموقف الفاسد — عملا اجتماعيا لا كشفا لحقيقـة.

* * *

فهم يقرون في العلم الحديث ان طريـقة البحث عن الحقيقة من الحقائـق فلا بد أن تدرس مظاهرها وتاريخها في ضـوء مثله الأعـلى ..

أما الأمور التي تأتي بها أعمال اجتماعية فليس لها مثل أعـلى وبقـاؤه رهن بحاجـة المجتمع لها. (١)

ولماذا لا يطبقون هذه القاعدة على الأديان ؟ هل الأديان من الاعمال الاجتماعية ؟ ؟

فالدين يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فليس من الممكـن البحـــث عن حقائقـه ،كما يبحث عن تطورات فنون العمارة والنسـيج والحياكة والسيارات.

لأن الدين علم على حقيقـة يقبلها المجتمع او يرفضها او يقبلهـا فـي شـكل ناقص ، ويبقى الدين في جميع هذه الاحوال حقيقـة واحـدة في ذاتها ، وانما يختلف في اشكاله المقبولة ، ولهذا لا يمكـن أن نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسـة مماثلة لجميـع الأشـكال الموجودة في المجتمعات باســم الديـن.

* * *

ونحن نسأل قبل كل شـيء عن الأصـل الذى بنى عليـه هذا القيـاس هل صحيح أن قوى النفس المختلفـة تسير في نموها على قدم المساواة ؟؟ وأن حياة الناس الروحية ، تمشى في كل أدوارها جنبا الى جنب مع حياتهم المادية ؟ ؟ الجواب لا !

---

(١) الدين ، وحيد الدين خان ص ٥٠

أولسنا نرى هاتين الظاهرتين تسيران أمامنا في طريقين متعارضين ؟ ؟

فاذا صح ما يقوله الملاحدة الهاربون من الكنيسة ، من أن الانسان كان في بدايته في الكهوف ، ويتستر بجلود الحيوانات ، ولا يأكل الا من الاعشاب ، ان صح ذلك ، فلنا ان نقول : ان قلة مشاغل هذا الانسان " البدائي " كما تدعون ؟ هي الدافعة القوية الى التأملات في الكون والاهتمام بمصدر كل شيء ٠٠

وكما اشتغال الانسان بالماديات والاخلاد الى الأرض يقل الاهتمام بالتأمل في الالهيات ٠ ذلك ان الغرائز المتقابلة تضعف وتتقلص بقدر ما تنمو وتقوى أضدادها ٠ مثل كفتي الميزان : لا ترتفع احداهما الا اذا انخفضت الأخرى ٠٠ (١)

اذن فقلة شواغل البدائي بالماديات من بواعث تأملاته في الالهيات وكثرة شواغل المتحضر في الماديات تضعف الغريزة الدينية في قلبه ٠٠٠ هذا ما شهد به (لاروس) للقرن العشرين ٠ وقد أشرنا الى هذه الشهادة في مبحث (شهادة التاريخ) من هذا البحث ، ولكننا نستشهد بها هنا لملاقتها بما نحن بصدده : وهذا نصه :

" ان الغريزة الدينية : مشتركة بين جميع الأجناس البشرية ، حتى أشدها همجية ، وأقربها الى الحياة الحيوانية ٠٠ وان الاهتمام بالمعنى الالهي وبما فوق الطبيعة هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية ويقول :

" ان هذه الغريزة الدينية " لا تخفى بل لا تضعف ولا تذبل الا في فترات الاسراف في الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد " (٢)

---

(١) انظر اول صفحة من كتاب العقاد عن نشأة العقيدة الالهية (الله) ٠
وراجع الدين ، د ٠ محمد عبدالله دراز ص ١١٠
(٢)

وبهذا نعلم يقينا ان هذا القياس فاسد غير علمي بل هو سفسطة علمية (Sophisme Scientifique) ذلك أن علماء هذا العصر يعالجون قضاياهم في ضوء العلم الحديث ، غير ان هذه المعالجة لا تجدي نفعا ، لأنها قائمة على العلم المحض وحسب ، على حين لا بد من اعتبار اشياء أخرى تغيب عن العلم الحديث ..

ومثال ذلك ان أرباب هذا العلم يشرعون في دراسة علمية لأشياء علمية ناقصة ، فسوف تؤدي هذه الى نتائج غير علمية ناقصة باطلة .

فلنضرب على ذلك مثالا رائعا يذكره الأستاذ وحيد الدين خان في كتابه القيم "الاسلام يتحدى" : هذا نصه :

" لقد عقد في دلهي في يناير ١٩٦٤ مؤتمر دولي للمستشرقين اشترك فيه ألف ومائتان من العلماء من جميع انحاء العالم ، وقدم أحدهم بحثا يدعي فيه مآثر كثيرة لمسلمي الهند ليست من عمل المسلمين وانما هي من عمل الملوك الهندوس . وضرب لذلك مثلا بمنارة قطب في دلهي المنسوبة الى الملك (قطب الدين ايبك) ، حين بناها الملك الهندوسي سامودرا جوبت قبل ٢٣ قرنا ، وقد أخطأ المؤرخون المسلمون فنسبوها الى الملك قطب الدين . ويستدل في هذا البحث بأن في المنارة المذكورة بعض أحجار قديمة نحتت قبل عصر الملك قطب الدين ...

" وهذا – كما يبدو – استدلال علمي ، اذ أن بعض أحجار المنارة فعلا من الصنف الذي ذكره " العالم " ولكن هل كفى مشاهدة بعض أحجار المنارة في أمر بانيها ، أو أنه لا بد من نواح أخرى كثيرة لنشاهدها في هذا الصدد . ومن هنا فان هذا التفسير لا يصدق على منارة قطب ككل . هذا تفسير ..

---

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص٥٤

وهناك تفسير آخر هو أن هذه الاحجار القديمة التى توجد بعضها في المنارة ، انما جاءت من أنقاض ابنية قديمة ، كما هو معروف في كثير من الأبنية التاريخية الحجرية • ولا مناص من أن نقبل هذا التفسير الثاني حين نشاهد منارة قطب الدين في ضوء طابعها المعماري ورسومها وتصميمها ، والمسجد الناقص بجوارها ، والمنارة الثانية التى لم تكتمل ثم ننتهى الى أن التفسير الأول ليس الا قياسا خاطئا قائما على المغالطات ••" (١)

ان المثال الذى ذكره الاستاذ وحيد الدين خان ينطبق تمام الانطباق على علماء المقارنة بين الأديان ، لأنهم نظروا الى حقائق ناقصة وجزئية ، لا تصل بعضها بالموضوع مطلقا واعتقدوا أن الدراسة العلمية الحديثة قد أبطلت الدين ، على حين أننا لو نظرنا الى الواقع جملة وتفصيلا فسوف نصل الى نتيجة تختلف عن الأولى كل الاختلاف •

وهذا يتجلى بوضوح عندما نقف وقفة قصيرة عند العقل الجمعي الذى اخترعه (دوركائم) (6) ليكون مصدرا للعقيدة الدينية عند جميع الشعوب والأمم •

واليك تفاصيل ذلك :

---

(١) المصدر السابق ص ٥٥

العقل الجمعي ونشأة الدين

يخالف " العلامة " دوركائم (Durkheim) جميع المذاهب التي تعرضت لنشأة العقيدة الدينية ، كما يخالف جميع الأديان الحقة .. وذلك ان الأديان وبعض المباحث الحديثة ، ترى أن التدين فطري في الانسان كما نص على ذلك القرآن الكريم بقوله :

* فأقم وجهك للدين فطرت الله التى فطر الناس عليها .. *

ومع ذلك نجد (دوركائم) اليهودى يزعم ان التدين وليد أسباب اجتماعية بل يذهب الى أبعد من ذلك فيزعم أن عناصر التفكير ، وأسس المعرفة العقلية نفسها ، ما هي صور ولدتها حياة الجماعة ، وطبعتها على غرار النظم الاجتماعية .. وسمى هذا النظم الاجتماعية " بالعقل الجمعي " الذى يكيف للناس مشاعرهم و عقائدهم ..

الأسس التي قامت عليها النظرية

لو حاولنا أن نختصر مذهب دوركائم لوجدنا أن محوره ثلاثة أسس :

١) — عقل جمعي عشوائى خارج عن شعور الافراد ..

٢) — هذا العقل يصدر أوامره على شكل " ظاهرة اجتماعية " تتقلب وتتغير بطريقة غير منطقية..

٣) — هذه الظاهرة تقهر الأفراد وتخضعهم لسطوتها شعروا أو لم يشعروا (١)

* * *

ثم بيت القصيد في مذهب دوركائم هو تطبيق هذه الأسس الوهمية على الدين وما يتصل به من عقائد وأخلاق ، ويتلخص هذا التطبيق في ثلاث قضايا هي :

---

(١) من مقتطفات من قواعد المنهج على التوالى : ٢٧٩ ، ٣١ ، ٥١ ، ٢٠٣ ، ١٠٠ يعني قواعد المنهج ، علم الاجتماع ، أمين دوركائم ، ت محمود قاسم القاهرة ١٩٧٤ م

١ — ان الدين ليس الهيا لأن فكرة الألوهية — في نظره — ليست الا تعبيرا عن البيئة الاجتماعية في مرحلة من مراحل تطورها ويكون الاله فيها رمزا للدرجة التي وصل اليها تطوره (١) ..

٢ — ان الدين — بناء على ما سبق — ظاهرة اجتماعية يفرضها العقل الجمعي بقدرته القاهرة على الأفراد في بعض المراحل والبيئات دون أن يكون لهم دين مطلقا لكانوا غير متدينين ولا يملكون الا الانصياع لذلك ..

٣ — ثم يصل دوركائم الى نتيجة خطيرة وهي ان الدين ليس فطريا ومثله الأخلاق والأسرة .. ان الأسف الشديد أن نجد هذه الفكرة اليهودية في جميع أبحاث علم الاجتماع وعلم مقارنة الأديان بدون أن يعرف الذين جاءوا ــــــــــن بعده ، أن ذلك تخطيط يهودى تلمودى (٢) ..

الطوطمية (Totem)

ان دوركائم يرى أن اصل التدين ناشئ من نظام الطوطمية أو اللقب الأسرى .. وهو نظام — كما يزعم — يقوم على نظام القبائل (Trubus) والفصائل (phatries) والعشائر (Clans) .. و بين ذلك بقوله :

" ومعروف ان العشائر (وهي النواة الصغرى في تلك المجتمعات) قوامها وحدة اللقب المشترك بين أفرادها وهو لقب يشتق في الغالب من اسم حيوان ..

---

(١) المصدر السابق ص ٥١

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٩ — ٢١٠

(٣) الدين ،عبدالله دراز ص : ١٥٠

" وتعتقد العشيرة أن لها بمسمى هذا الاسم ، صلة قديمة حيوية أو روحية اما على انها تسلسلت عنه ، أو أنه كان حليفا او حارسا لجدها الأعلى أو نحو ذلك .. فلذلك تعظمه العشيرة ولا تأكل لحمه ..

وقد بلغ الأمر ببعض القبائل في افريقيا او استراليا او في أمريكا أن يتخذ بعض أفرادها (وشما) يطبعونه على وجوههم وأجسامهم كأنه بطاقة شخصية ليتحقق انتساب كل منهم الى عشيرته ..

نقض نظرية دوركائم

اننا لا نخالف دوركائم اليهودي في وجود هذه الطوطمية في الأمم البدائية ولقد رأيناها بأعيننا في افريقيا بالذات ، التي ننتمي اليها جغرافيا ولكننا نستغرب من هذا الفيلسوف الذي يدعي أن هذه القبائل البدائية هي أخصب مكان لدراسة نشأة التدين في الانسان .. وأن استراليا أنسب من كل الأماكن ..

بل يرى ان الاسم المشترك بين الحيوان وبين الجد الأعلى وبين أفراد العشيرة سبب في عبادة المجتمع ..

وبهذا يكون الاجتماع مبدأ التدين وغايته ، وتكون الجماعة انما تعبد نفسها من حيث لا تشعر ..

* * *

ان هذه النظرية الحقيرة التي تصادم فطرة البشرية لأول وهلة ، تبدو صفحتها لضروب من النقد لا تحصى ولكن نجملها في شيئين اثنين :

أولا — ملاحظة عامة .

ثانيا — النظر في أسس النظرية ..

١ — أما الملاحظة العامة تتمثل فيما هو آت :

ان النظرية تقوم بالبحث عن العقليات البدائية لتقرير الدين ، والمعلوم أن أية نظرية تقوم على مثل هذا الأساس فهي نظرية مشكوك فيها ..

ولا بد في قبوله من التحفظ البليغ .. وبيان ذلك :

ليس كل السائحين على جانب من علوم النفس والمنطق والدين والأخلاق يكفيهم لاستبطان غور الأمور ، ووضع الأسئلة الدقيقة المحددة في هذا الشأن ..

ثم ان هذه المعلومات لا تنقل عن آثار مكتوبة ، وانما تؤخذ من أفواه قوم محرومين من العلم والفنون المدونة ... فمن الراجح اذا سئل أحد هؤلاء يسرع الى الاجابة بكلمة : " نعم " أو " لا " من غير مراجعة لعقولهم بل ان الكتاب أنفسهم قد يتناقضون في وصفهم لتلك القبائل ..

* * *

ولنجاوز — الآن — هذه الملاحظات العامة لننظر في أسس النظرية نفسها ..

٢ — النظر في أسس النظرية :

وقد رأينا ان صاحب هذه النظرية ، يرى ان (نظام الطوطمية) ، هو أساس العقيدة الالهية وأن أقدم نظام معروف للقبائل هو ما عرف في استراليا الوسطى .. اذن .. توجد أمامنا مقدمتان ..

واليك كلمة لكل منهما :

أما المقدمة الأولى وهي : أن نظام الطوطمية هو أساس العقيدة الالهية .. نقول : انها لا تعدو أن تكون سفسطة علمية وتحديات سافرة لما اجتمعت عليه الأديان السماوية .

بل لا نرى في هذه الالقاب والرموز عند البدائيين الا شعارا قوميا يعرفهم انسابهم وينمي فيهم شعور الوطنية وباعثة التعاون . فهم بكل تأكيد لا يعبدون تلك الرسوم ولا مدلولاتها ، بل لهم معبود روحي يعتمدون عليه في جلائل أعمالهم ودقائقها .. كما أنهم في تحريمهم لبعض المحرمات انما يستندون الى روايات متوارثة عن اسلافهم ينسبونها الى أمر الله .

أهل مكة أدرى بشعابها

ان هذا المثل يكذب مزاعم دوركائم الذى قد تعدى على عقيدة الناس في افريقيا وغيرها بغير علم بطبيعة تلك البلاد وأهلها :

نحن الأفارقة الذين نعرف هذه القضية حق المعرفة لأننا كنا نعيش معه ، وما زلنا نعيش معه الى اللحظة ..

وكل افريقي يعرف ما أقول هنا وهو : ان الطوطمية لم توضع لأجل العبادة وانما وضعت شعارا للقبائل لا أقل ولا أكثر ..

ودليلنا على ذلك ان قبيلة (وترا) أو (بامبا) أو (جارا) مثلا .. تعظم الحيوان الذى انتسبت اليها ، ولا تأكل لحمه تعظيما له .. ولكنها لا تعبدها أبدا .. بدليل أنك تجد بعض أفراد هذه القبيلة مسلمين وبعضهم مسيحيين وبعضهم وثنيين ..

ولو كان قول دوركائم حقا لكانوا جميعا مشتركين في عبادة ذلك الحيوان ولا يشذ منهم أحد عن عبادته ، الى عبادة غيره ..

ان هذا المثل البسيط يفقد الصحة من نظرية دوركائم وأضرابه ..

* * *

وقد يقول القائل : لعلهم كانوا جميعا في الأصل على عبادة هذا الحيوان ثم انتقل بعضهم الى اعتناق الاسلام او المسيحية أو غيرهما ..

فنسارع ذلك القائل بقولنا : ان هذا ليس صحيحا أبدا لأن المعقول والمألوف اذا تاب أحد من الشرك أو عبادة الوثنية يتوب عن كل ما يتعلق به ..

يتوب عن عبادته .. وعن الانتساب الى ذلك الحيوان وعن عدم أكل لحمه ..

هذا هو المعروف في التاريخ .. وكذلك الطوطمية الموجودة في افريقيا وغيرها ..

فأهل (كوليبالى) مثلا : فيهم مسلمون ومسيحيون ووثنيون .. ومع ذلك ينتسب كلهم الى هذا النسب المشترك .. وأوضح مثال هو : ان المسلمين القرشيين كانوا — ولم يزالوا ينتمون الى قبيلة قريش — مع اختلافهم عن مشركي قريش

في التصور والسلوك ٠٠ ان دوركائم لم يعرف شيئا عن هذا الا القليل المزيج بالهوى والالحاد ٠٠ تلك هي المقدمة الأولى ٠٠

وأما المقدمة الثانية وهي قوله : ان أقدم نظام القبائل هو ما تمثله قبائل (استراليا) الوسطى ٠٠

ان هذا زعم باطل من ناحيتين : ناحية تاريخيه ، وناحية دينية ٠٠

فأما الناحية التاريخية : هذا (روبرت شميت) من كبار الباحثين الذين قاموا بدراسات شخصية دقيقة في (استراليا) ٠٠ يقرر هذا البحاثة : أن القبائل المذكورة هي أحدث القبائل في (استراليا) وأكثرها تقدما ٠٠

وكما قرر ان اقدم قبائل (استراليا) هم سكان جنوبها الشرقي ٠٠ ومع ذلك ان هؤلاء لا يعرفون نظام الالقاب الحيوانية السالفة الذكر ٠٠ (١)

وفي الوقت نفسه توجد عندهم عقيدة (الاله الأعلى) بصفة واضحة ٠٠ بل يعترف رئيس المدرسة الاجتماعية الفرنسية بأن عددا من قبائل (استراليا) قد وصلوا الى فكرة (الاله الاعلى) أو (الاله الأحد) (٢) .

* * *

هذا ما يقوله هذا البحاثة : من أن دوركائم لم يكن دقيقا وموضوعيا في أكاذيبه وأباطيله والحاداته ٠٠ (وقل فيه ماشئت) ٠٠

ونحن نعلم يقينا ٠٠ ان دوركائم اليهودى وألوف من أمثال دوركائم لا يصلون الى أية نتيجة في هذا المجال وذلك لما يأتى ٠٠

ـ انهم أرادوا أن يصلوا الى نتيجة معينة قبل البحث الحرّ ٠٠ وتلك النتيجة هى محاربة الكنيسة بالعلم الحديث ٠ اذن فخطأ النتيجة تبع لخطأ المقدمات ٠٠

---

(١) راجع الدين ٠٠ د ٠ عبدالله دراز ص ١٥٦

(٢) المرجع السابق ص ١٥٦

من هنا أكدنا أن علم مقارنة الأديان لا يجوز لمسلم أن يعتبره علما حقيقيا لاهماله موكب الرسالة من لدن سيدنا نوح الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما الناحية الدينية :- ان هذه النظرية تصرح في أن الالحاد هو الأصل والايمان هو الفرع وأن الوثنية سابقة للايمان والتوحيد .. ان هذا زعم باطل في باطل .. فقد رأينا - آنفا - أن التاريخ قد كذبه .. والآن سنرى أن الدين الاسلامي يكذبه .. وذلك ان الله تعالى قد أخبرنا في كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أن الأصل هو التوحيد والايمان . وأما الالحاد والشرك طارئان على البشرية ...
فلنقرأ خاشعين الآيات التالية :

﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه - وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم - فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾(1)

وقفات عند الآية :

الوقفة الأولى : ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ على نهج واحد ، وتصور واحد أعنى الايمان بالله تعالى وتوحيده ..

ثم اختلفت التصورات وتباينت وجهات النظر ، وتعددت المناهج ، وتنوعت المعتقدات . وعندئذ بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ..

ان هذا التقرير الالهي يجعل مزاعم دوركائم باطلا زهوقا ..

وهذا الذى يقرره القرآن في هذه الاية ، هو النظرية الاسلامية الصحيحة في خط سير الأديان والعقائد ..

---

(1) سورة البقرة : ١١٢ - ١١٤

كل نبي جاء بهذا الدين الواحد في أصله ، يقوم على القاعدة الأصيلة ، قاعدة التوحيد المطلق : ﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ﴾ ..

ثم يقع الانحراف عقب كل رسالة ، وتتراكم الخرافات والأساطير ، حتى يبعد الناس نهائيا عن ذلك الأصل الكبير..

وهنا تجيء رسالة جديدة .. تجدد العقلية الأصيلة ، وتنفي ما علق بها من انحرافات ، وتراعى أحوال الأمة واطوارها في التفصيلات ..

* * *

وهذه النظرية أولى بالاتباع من نظرية (دوركائم) اليهودى وأتباعه من الباحثين المنحرفين ، في تطور العقائد من غير المسلمين .. والتي كثيرا ما يتأثر بها باحثون مسلمون ، وهم لا يشعرون ، فيقيمون بحوثهم على أساس التطور في أصل العقيدة ، وقاعدة التصور ، كما يقول المستشرقون وأمثالهم من الباحثين الغربيين الملحدين الجاهلين ..

الوقفة الثانية :- ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ ، وقد تكون هذه الاشارة الى حالة المجموعة البشرية الأولى الصغيرة من أسرة آدم وحواء وذراريهم .. قبل اختلاف تلك التصورات والاعتقادات ..

فالقرآن يقرر أن الناس من أصل واحد وهم أبناء الأسرة الأولى : أسرة آدم وحواء ..

وقد شاء الله ان يجعل البشر جميعا نتاج اسرة واحدة صغيرة ، ليقرر مبدأ الاسرة في حياتهم .. وليجعلها هي اللبنة الأولى .. فكانوا كذلك في مستوى واحد ، واتجاه واحد ، وتصور واحد ، في نطاق الأسرة الأولى حتى نمت وتعددت وكثر افرادها .. وتفرقوا في المكان .. وتطورت معائشهم وبرزت فيهم الاستعدادات المكنونة المختلفة التي فطرهم الله عليها لحكمة يعلمها .. ويعلم ما وراءها من خير للحياة في التنوع في الاستعدادات والطاقات والاتجاهات . (١)

---

(١) يراجع في هذا الشرح الجيد تفسير في ظلال القرآن سيد قطب ج ٢ المجلد الأول ص ١٥ ٢ ولكن بالمعنى والتصرف

الوقفة الثالثة :ـ ﴿ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ وهنا تتبين تلك الحقيقة الكبرى .. ان من طبيعة الناس ان يختلفوا ، لأن هذا الاختلاف اصل من اصول خلقتهم ، يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض..

ان هذه الخلافة تحتاج الى وظائف متنوعة ،واستعدادات شتى من ألوان متعددة ، كي تتكامل جميعها وتتناسق ، وتوءدى دورها الكلي في الخلافة والعمارة ،وفق التصميم الكلي المقدر في علم الله ..

* * *

فلا بد ـ اذن ـ من تنوع في المواهب يقابل تنوع تلك الوظائف ولا بد من اختلاف في الاستعدادات يقابل ذلك الاختلاف في الحاجات : ﴿ ولا يزالون مختلفين ـ الا من رحم ربك ـ ولذلك خلقهم ﴾ (١)

هذا الاختلاف في الاستعدادات والوظائف ينشئ بدوره اختلافا في التصورات والاهتمامات والمناهج والطرائق ..

ولكن الله تعالى ـ بحكمته البالغة ـ يحب أن تبقى هذه الاختلافات المطلوبة الواقعة داخل اطار واسع عريض يسعها جميعا حين تصلح وتستقيم " .

هذا الاطار هو اطار التصور الايماني الصحيح . الذى ينفسح حتى يضم جوانحه على شتى الاستعدادات ،وشتى المواهب وشتى الطاقات .. فلا يقتلها ولا يكبحها ، ولكن ينظمها وينقيها ويدفعها في طريق الصلاح ..

ومن ثم لم يكن بد أن يكون هناك ميزان ثابت يفئ اليه المختلفون وحكم عدل يرجع اليه المختصمون ،وقول فصل ينتهي عنده الجدل ، ويثوب الجميع منه الى اليقين : .. لكل ذلك : ﴿ فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ، ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾

* * *

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٦ بالتصرف

الوقفة الرابعة :ـ

ولا بد أن نقف عند قوله تعالى ﴿ بالحق ﴾ ..

فهو القول الفصل .. بأن الحق هو ما جاء به الكتاب ، وأن هذا الحق قد أنزل ليكون هو الحكم العدل ... والقول الفصل ، فيما عداه من أقوال الناس وتصوراتهم ومناهجهم وقيمهم وموازينهم ..

لا حق غيره ...

ولا حكم معه ...

ولا قول بعده ...

– وبغير هذا الحق الواحد الذى لا يتعدد ..

– وبغير تحكيمه في كل ما يختلف فيه الناس ..

– وبغير الانتهاء الى حكمه بلا محاكمة ولا اعتراض ...

– بغير هذا كله لا يستقيم أمر هذه الحياة ولا ينتهي من الخلاف والفرقة ..

– ولا يقوم على الأرض السلام ، ولا يدخل الناس في السلم بحال ...

* * *

هذا ما قرره القرآن .. قرر أن الناس كانوا على ملة التوحيد ، ثم دبت اليهم الخلافات فاختلفوا .. فرجع بعضهم الى الوثنية .. وبعضهم الى اللادينية وبعضهم الى الالحاد .. فلما جاء (دوركائم) وأضرابه جعلوا هذا التراجع عن التوحيد قاعدة أساسية يقاس عليها في معرفة دين الله ..

انها الانتكاس ...

انها الضلالة ...

انها الالحاد الأحمر ...

الوقفـة الخامسـة :ـ

ان الايـة تشير بوضـوح الى ان هذا الكـتاب ، قاعدة للحياة البشريـة ثم تمضـى الحياة ..

فاما اتفقت مع هذه القاعدة ، وظلت قائمة عليها ، فهذا هو الحـق ..

واما خرجـت عنها وقامت على قواعد اخرى .. فهذا هو الالحاد ،والباطل..

هذا هو الباطل ولو ارتضاه الناس جميعـا ... في فترة من فترات التاريخ ..

فالناس ليسوا هم الحكم في الحـق والباطل .. في الايمان والالحاد ..

وليس الذى يقرره هؤلاء الملاحـدة في معرفة الدين الحق من الباطل ، هـو الحـق ..

وليس الذى يقرره علماء الأديان المقارنة ، هو الدين ..

ان أقوال الناس : لا تحيل الباطل حقـا ..

وان أفعال الناس لا تجعل الشـيء حقا اذا كان مخالفا للكتاب ..

وهذه الحقيقـة ذات أهمـية كبرى .. فتأمل ! ثم طبـق !

* * *

الوقفـة السادسـة :ـ

البغـي هو الذى يقود الناس الى المـضى في الاختلاف على أصـل التصور والمنهـج ، والمضـى في التفرق واللجـاج والعناد ..

حقا ان بغى الحسـد .. وبغى الطمـع .. وبغى الحـرص .. وبغى الهوى .. هو الذى يفعل ذلك كله ..

ولو ألقينا نظرة عابرة في تاريخ الأديان نجد هذه الحقيقـة كامنـة فيه :
ما يختلف اثنان في كتاب انزله الله الا في نفس أحدهما بغى وهـوى أو فـي نفسيهما جميعا ..

فأما حين يكون هناك ايمان فلا بد من التقاء واتفاق ..

يقول تعالى في آية أخرى ﴿ ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾

ان الله لا يهدى الا من كان في نفسه صفاء .. وفي روحه رحمة وتجرد ، وفي قلبه رغبة في الوصول الى الحق ﴿ فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ﴾

كانت هذه بعض الملاحظات لاحظناها في هذه الاية الكريمة ، فاذا هي تقرر تقريرا حاسما أن التوحيد قد سبق الالحاد والوثنية .. وأن الوثنية طارئة على الانسانية .. وأما أرباب الجهالة العلمية يقولون -- جهلا -- ان الوثنية سابقة على التوحيد ..

وصدق الله تعالى ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ﴾

وبعد هذا الاستطراد نعود الى موضوعنا وهو أن الملاحدة لما أرادوا توطيد أركان الالحاد اتخذوا أشياء سندا الحاديا ليصدوا الناس عن الايمان فقد ذكرنا حتى الان اثنين منها : ذكرنا أولا اللاشعور ثم ذكرنا هنا علم مقارنة الأديان .. فنود أن نذكر في الصفحات الاتية الأساس الثالث والأخير الذى هو الكشف الكوبرنيكي ..

ولكن قبل أن نخوض في هذه المعركة يحسن بنا أن نبدى رأينا في مدى تأثير المجتمع في الفرد .. لئلا يقول بعض المطرفين : انتم تنكرون " العقل الجمعي " ونحن نلمسه في حياة الأفراد والجماعات ..

فلنقرأ -- اذن -- السطور التالية : ...

مدى تأثير المجتمع في الانسان

لقد رأينا في هذا الجزء الأخير أن العقل الجمعي الذى ادعى دوركايم أنه هو الذى يصنع للناس عقائدهم ومشاعرهم ، رأينا أنه أسطورة أضحوكة .. ولكن ليس معنى ذلك أننا ننكر تأثير المجتمع على الفرد ، لا ! ان للبيئة والوراثة من سلطان بليغ على نفوس الأفراد ومالهما من أثر في تكوين آرائهم وعقائدهم ، وقد سجل القرآن ذلك وجعله حقيقة واقعة ..

﴿ بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ ﴿ وانا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ (١)

* * *

الا أن القرآن حين يقرر هذا الأمر الواقع ، لا يذكره الا في معرض التقريع والذم ناعيا على العامة رضاهم بما فيه من استعباد فكرى .. وهبوط من الكرامة الانسانية الى مستوى القطعان من الماشية التى تسير وراء كل ناعق .. ويقول تعالى :

﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون ﴾ (٢)

القرآن يلومهم على تعطيلهم وظيفة آذانهم وألسنتهم وعيونهم .....

وهذه منتهى الزراية بمن يعطل تفكيره .. ويغلق منافذ المعرفة والهداية ويتلقى في أمر نفسه من غير الجهة التي ينبغى أن يتلقى منها ..

هذا هو الفرق الجوهرى بين تأثير المجتمع على الفرد في المجتمع المسلم ، وبين تأثيره في اصحاب العقل الجمعى ..

---

(١) سورة الزخرف : ٢٣

(٢) سورة البقرة : ١٧١

الفرد في مجتمع العقل الجمعي يتلقى التقاليد والأوامر الشيطانية بدون وعي ولا ادراك ٠٠ وأما في المجتمع الاسلامي لا يتلقى شيئا من المجتمع الا ما وافق شريعة الله الذى يعلم السر وأخفى ٠٠

ولذلك كله نجد القرآن الكريم يهيب بالناس أن يميزوا الخبيث من الطيب ٠٠ وأن يلتمسوا مثلهم العليا في أهل الفضائل ٠٠

﴿ فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾ (١)

﴿ اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٢)

وفي هذا المعنى تقول الحكمة النبوية :

" ولا تكونوا امعة : تقولون ان أحسن الناس أحسنا وان ظلموا ظلمنا ٠٠ ولكن وطنوا أنفسكم : ان احسن الناس أن تحسنوا وان أساءوا فلا تظلموا ٠٠ " (٣)

---

(١) فى سورة الزمر : ١٨

(٢) فى سورة الأنعام : ٩٠

(٣) أخرجه الترمذي في باب البر (٦٣)

الأساس الثالث – الكشف الكوبرنيكي :

ان اكتشاف " كوبرنيكس " مركز الكون كان أحد المعاول التى ضرب بها الملاحدة جميع الأديان ...

وقالوا : ان الدين خرفة لأنه مبنى على الخيالات والأوهام .. ومن خيالته ، أنه اثبت أن الأرض ثابتة ومبسوطة ... ولكن العلم الحديث جاء فأثبت أن الأرض ليست ثابتة ، بل هى متحركة .. وليست مبسوطة بل هى كروية ..

وعلى هذا الأساس قالوا : ان الدين مبنى على غير الحقيقة ..

وقبل أن نبدى رأى الاسلام في هذا الموضوع ، يحسن بنا أن نعطى للقارئ فكرة موجزة عن هذا الكشف الكوبرنيكي توضيحا لما قلنا سابقا في أول البحث .

* * *

لقد اجمعت المصادر التاريخيه أن " كوبرنيكس " نشر كتابه الذى ذكر فيه هذا الكشف قبل وفاته بسنة ١٥٤٢ وتردد طويلا قبل نشره كأنه قدر – بحق – أنه سيغضب عليه الملأ جميعا ويعرضه للسخط والنقمة ..

ويومئذ بدأ العلماء والمفكرين ومعهم رجال الدين يتساءلون :

" ترى أى شىء في هذا الكشف الكوبرنيكي ؟

هل خالف قواعد الدين وخرج على سنن الايمان ؟ ولأى شىء صدر الكتاب وأجمعت شعاب الكنيسة من رومانية الى لوثرية على تحريمه ومنع تعليمه ؟

* * *

فأما الملاحدة صاروا يقولون : " في دنيا العلم هذه نرى أنه لا محل للديانة المشبهة ، ولا للإله المشبه .. ونرى أن القلب الانسانى قد ضيع نفسه مستسلما للعقل في كفاحه بين يدى الله .. "

" ان الأرض وعليها الانسان ضائعة في آفاق ليس لها نهاية ،وهذه الآفاق الكونية بما وسعت محكومة كلها بالقوانين الآلية " (١) .

وأما الكنيسة فقد أسست محاكم خاصة لمحاكمة رجال العلم والفكر ...

وكانوا اذا ثبت على أحدهم شيء استتب وأخذت عليه المواثيق بأن لا يعود اليه .. فاذا عاد قبضوا عليه وألقوه حيا في النار أو رموا به من عال الى مكان سحيق ، فأهلك على هذه الصورة في مدى القرون الوسطى ، كثير منهم ... كما تحدثنا عن ذلك سابقا ...

* * *

هذه صورة صادقة للعالم كما بدا في أعين الناس بعد أن جاء "كوبرنيكس" فأخرج الأرض من مركز الكون وأطلقها مع الشمس في أجواء الفضاء ...

لكنها في أساسها صورة كاذبة لا أصل لها على الاطلاق في المعتقدات الدينية ، فليس في الأديان الكتابية عقيدة توجب على انسان أن يؤمن بجمود الأرض في مكانها ودوران الأفلاك من حولها . وليس في الأديان الكبرى قاطبة حكم من الأحكام يعلق مقاصد الخلق على وضع من أوضاع الفلك ..

لقد كانت صورة الأرض في وسط العالم من عمل " أرسطو " (٢) و"بطليموس" الا أنهما لم يتفقا على وضعها في ذلك الموضع ، ولا على تقدير الحركات الفلكية التي تحيط بموضعها ، وليس شيء من ذلك من فعل الأديان الكتابية الكبرى أبدا ..

وسنرى في الصفحات التالية مصداق ذلك ان شاء الله تعالى .

---

(١) راجع كتاب ديانة المستقبل تأليف " جون آلوف بوديسن " .. نقلا عن كتاب عقائد المفكرين ،عباس محمود العقاد ص ٣٩ ط :دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩

(8)
موقف الاسلام ازاء الكشف الكوبرنيكي

أما موقف الاسلام فعموما كان ازاء العلم مختلفا عن موقف رجال الدين الكنسي .. اذ ليس هناك أوضح من ذلك الحديث الشهير للنبي صلى الله عليه وسلم . الذى يقول :

" اطلب العلم ولو في الصين " (١) . أو ذلك الحديث الآخر الذى يقول :
" ان طلب العلم فريضة على كل مسلم " (٢)

وهناك أمر رئيسي : القرآن الى جانب أنه يدعو الى المواظبة على الاشتغال بالعلم . فانه يحتوى أيضا على تأملات عديدة خاصة بالظاهرات الطبيعية وبتفاصيل توضيحية تتفق تماما مع معطيات الحديث . وليس هناك ما يعادل ذلك في التوراة والانجيل ...

ومن تأمل في هذا القرآن الذى يقول الله فيه * ما فرطنا في الكتاب من شيء * وقوله * وهو تبيان لكل شيء * يجد هناك كثيرا من دواعي الاعجاز لا يتنبه اليها العقل الا بعد ان يبحث ويمعن وينشط . هذا الاعجاز يظهر في دقة التعبير في القرآن الكريم وقد يمر الانسان بنظرة متسارعة ببعض الآيات تدل على دوران الأرض أو على كرويته ، لا يشعر به الا بعد أن يتأمل بالدقة ولنضرب مثلا بدوران الأرض وكرويته .. ولكن قبل ان نمضي في التحدث عن هذا المثل .. فاننا يجب أن نجيب على سؤالين هامين :

السؤال الأول :ـ هل تجوز محاولة ربط القرآن بالنظريات العلمية نقول :ان هذا أخطر ما نواجهه .. ذلك أن بعض العلماء في اندفاعهم في التفسير وفى محاولاتهم ربط القرآن بالتقدم العلمى .. يندفعون في محاولة ربط كلام

---

(١) الحديث أخرجه
(٢) أخرجه ابن ماجة ، مقدمه ١٧

الله بنظريات علمية مكتشفة يثبت بعد ذلك أنها غير صحيحة ٠٠ وهم في اندفاعهم هذا يتخذون خطوات متسرعة ٠٠ ويحاولون اثبات القرآن بالعلم ٠٠ ولكنه كتاب عبادة ٠٠ ومنهج ٠٠ ولكن الله سبحانه وتعالى في علمه علم أنه بعد عدة قرون من نزول هذا الكتاب الكريم ٠٠ سيأتي عدد من الناس ٠٠ ويقولون انتهى عصر الايمان ٠٠ وبدا عصر العلم ٠٠ ولذلك وضع في قرآنه ما يعجز هؤلاء الملاحدة الذين لا يؤمنون الا بالعلم التجريبي ٠٠ ويثبت ان عصر العلم الذى يتحدثون عنه قد بينه القرآن في صورة حقائق العلم ٠٠ بينه كحقائق كونية منذ أربعة عشر قرنا ٠٠ ولم يكتشف العقل البشرى معناها الا في السنوات الماضية ٠٠

فعطاء القرآن متجدد دائما كما يفهم هذا التجدد من قوله تعالى :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾

اذا لا يجوز تفسير القرآن بأية نظرية ما لم تكن حقيقة علمية ٠٠

السؤال الثاني :ـ

وإذا قال بعض الناس هل يفهم من القرآن الآن ما لم يكن مفهوما لدى الأولين ؟ فيجاب عن هذا بأن في الآية التي ذكرناها ما يدل على هذا وهو حرف " السين " في كلمة ﴿ سنريهم ﴾ لأن معناها المستقبل ٠٠ والمستقبل هنا لا ينتهي ٠٠ بل أن عطاءه مستمر لهذا الجيل والجيل الذى بعده ٠٠ والجيل الذى بعده ٠٠ الى يوم القيامة ٠٠ ومن هنا فان الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا أن هناك حقائق وآيات سيكشف عنها كل جيل ٠٠ ولكن كما قلنا ـ ونقول دائما ـ ليس معنى هذا أن نحمل معاني القرآن أكثر مما تحتمل ٠٠ كما فعل ذلك كثير ممن انبهروا بالكشوف العلمية الحديثة ٠٠

---

(١) يراجع في هذا الشرح الوافي الى كتاب معجزة القرآن ، محمد متولى الشعراوى ص ٨٦ ـ ٨٧ ولكن بتصرف طفيف ٠

وأن نتعامل معه على أساس أنه كتاب جاء ينبئنا بعلوم الدنيا .. فالقرآن لم يأت ليعطينا أسرار علم الهندسة .. أو علم الفلك .. أو علم الفضاء الى آخر هذا .. ولكن القرآن كتاب هدى الى الصراط المستقيم يقول تعالى ﴿ الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾

ولكن الله — كما قلنا — وضع في كتابه الكريم ما يمكن أن نرد به على الذين يحاربون هذا الدين حتى يوم القيامة ..

ومن هنا فان آيات الكون الكبرى التي أنبأنا الله بها في القرآن الكريم والتى نعرف بعضها .. وبعضها لا نعرفه معرفة اليقين حتى الآن ... أرادنا الله سبحانه وتعالى أن نفحم بها أولئك الذين يقولون انتهى عصر الايمان وبدأ عصر العلم ...

فليعلم الثقلان من الملاحدة وغيرهم أنه لا يمكن — بحال من الأحوال — أن يتعارض العلم الصحيح مع هذا القرآن المجيد . فأى علم يتناقض مع القرآن الكريم علم كاذب وغير صحيح ... (١)

بل أثبت العلم الحديث (٢) أنه لا توجد حقيقة كونية واحدة تتصادم مع ما جاء في القرآن .

واذا وجد هناك — في الظاهر — أن بعض المكتشفات العلمية يتصادم مع القرآن ، فنحن نؤكد مرة ثانية ان هذا التصادم المزعوم يأتى أحيانا عن حقيقة قرآنية أسيء تفسيرها لتبدو في غير معناها الحقيقي .. أو حقيقة علمية كاذبة يحاول الناس استغلالها ضد القرآن ..

اننا لا نثبت كتاب ربنا بالعلم ، وانما العلم هو الذى يحتاج الى أن يثبت ولكن نحاول أن نرد على هؤلاء الملاحدة أن كروية الأرض لا يتعارض مع القرآن الكريم .. ان القرآن الكريم قد أشار الى هذا الدوران في كلمتين فقط فاقرأ

---

(١) المرجع السابق ص ٨٩ بتصرف طفيف

(٢) دراسة الكتب المقدسة على ضوء العلم الحديث — موريس بوكاى ١٣٩

ما يلي :

(كروية الأرض . الأرض ... مددناها) ..

فهاتان الكلمتان قد أسيء فهمهما بحيث يستدل بهما بعض الناس ممن يريد النيل من الاسلام على أنهما يتعارضان مع كروية الأرض اذا قيل لهم : " ان الأرض كروية الشكل " يقولون : لا ! انها مبسوطة وممدودة لماذا ؟ لأن الله تعالى أخبرنا في كتابه العزيز بقوله ﴿ والأرض مددناها ﴾ فلذلك يجب أن نقف عندها قليلا لئلا يكون هذا سلاحا بأيدي الكفرة الملحدين :

﴿ والأرض مددناها ﴾

ومعنى المد .. البسط[1] : أي بسطناها .. هذه حقيقة لا نزاع فيها وليس في استطاعة أحد أن ينكر هذه الحقيقة الملموسة في الكون ونحن نرى الأرض مبسوطة أمامنا .. فلا تناقض بين القرآن وبين الظاهر الموجود ..

ولكن عندما اكتشفت كروية الأرض .. ثار علماء الدين واتهموا كل من يقول ان الأرض كروية بالكفر .. لأنه يخالف في رأيهم القرآن الكريم . ومن أمثال هؤلاء المتزمتين موجودون في العالم الاسلامي الى يومنا هذا .

فنقول لهؤلاء وهؤلاء لقد أسأتم تفسير حقيقة علمية قرآنية .. الله تعالى أعطانا بنفس الكلمتين اللتين احتججتم بهما على بساطة الأرض ، دليلا على كروية الأرض بل أعطانا أكثر من دليل على ذلك في القرآن . ولنناقش هذا كله :

اذا قالوا ان الارض مبسوطة لأننا أينما ننظر الى الأرض نراها مبسوطة اذا كنت في خط الاستواء .. فالأرض أمامك مبسوطة .. فاذا انتقلت الى القطب الجنوبي فالأرض أمامك مبسوطة .. واذا كنت في القطب الشمالي فالأرض أمامنا مبسوطة .. واذا كنت في أوربا ... أوأميركا .. أوآسيا أوأي قارة

---

(١)

من قارات الأرض الخمس فالأرض أمامك مبسوطة وبل الأرض مبسوطة أمام البشر جميعا في كل موقع موجودين فيه فالأرض اذن مبسوطة ـ لأنها لا يمكن أن يحدث هذا في جميع أماكن الأرض الا اذا كانت مبسوطة ..

هذا دليل المعارضين في عدم كروية الأرض استدلالا بقوله تعالى :

﴿ والأرض مددناها ﴾

وأما نحن نستدل أيضا بما استدلوا به على كروية الأرض :

كون الأرض مبسوطة في جميع جهات الأرض دليل على كرويته بدليل أنها لو كانت الأرض في أى شكل من الأشكال غير الكروية لوصل الماشي في الأرض الى حافة ، فمثلا ان المثلث له ثلاث حفات لو مشى عليه ماش ليصل الى احدى حافته ان طالت مدة المشي أو قصرت .

وهكذا المربع أو المسدس أو غير ذلك فالشكل الوحيد الذى نراه مبسوطا أمامنا باستمرار ولا يمكن أن نصل الى حافة لها مهما مشينا عليه هو الشكل الكروى فقط لا ثاني له أبدا .

وهكذا أبلغنا القرآن في كلمتين اثنتين ﴿ والأرض مددناها ﴾ .. الى كروية الأرض تتناسبان مع كل زمان ومكان بدون أن تتصادمان مع مفهوم الذين نزل القرآن في أيامهم ، ولا مع الذين بلغوا الى سطح القمر في القرن العشرين .. وصوروا الأرض وهم على سطح القمر .. يا لها من عجب واعجاز !

اذن فالأرض مبسوطة أمامنا في كل مكان ، لأنها كروية الشكل ولولا ذلك لوصلنا الى حافة ما وصدق الله : ﴿ والأرض مددناها ﴾ .

ويتضح القول بما مضى ، في أن الكشف الكوبرنيكي لمركز العالم لا يتعارض مع القرآن العظيم . ومن الروائع أن القرآن المجيد قد أثبت كل ذلك قبل أن يصل اليه العقل البشرى منذ قرون عدة .

وكما نؤكد أيضا أن هذا الكشف ـ لو كان ـ في جو نظيف بعيد عن طغيان الكنيسة ومكائد اليهود ، لما حصل هذا الالحاد الفظيع الذى شمل كل شيء .. وكل كيان .. وبعد هذا ننتقل الى آية أخرى تؤكد الآية السابقة وهي كالتالي :

قوانيــن الكـــــــــو ن

﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلـــك يســبحو ن ﴾ (١)

و الحديث هنا عن قوانين الكون ٠٠ الشمس لا تدرك القمر ٠٠ لا نهما كمـــا قال العلماء يتحركان في خطين متوازيين لا يلتقيان أبدا ٠ (٢)

ان هذه الحقيقــةالعلمية انما ظهـر ت في هذه السنوات الأخـيرة ٠٠ و ذكرها القرآن منذ أربعة عشـر قرنا ٠

والشاهد عندنا في هذه الاية في قوله تعالى :﴿ ولا الليل سـابـــق النهار ﴾ ان هذه الكلمات الاربعة ﴿ ولا ٠٠ الليل ٠٠ سابق ٠٠ النهار٠٠﴾ يعطينا الله بها أنه خـلق الأرض على هيئـة كرة ٠ وكيف يفهم هذا مـــن الآيـة ؟ ؟

وتحقيق ذلك كالآتـي : ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾

في هذه الكلمات الأربعـة حقيقتان : لا النهار يسبق الليل ٠٠ ولا الليـل يسبق النهار ٠٠ لا النهار يسبق الليل حقيقـة كانت معلومة عـند العرب ٠٠٠ ولم يتعرض لها القرآن لأنها حقيقـة ٠٠ لا الليل يسبق النهار خطـــأ كان موجود عـند العرب فصححـه القرآن بقوله ﴿ و الليل سابق النهار ﴾ اذن لا النهار يسبق الليل ٠٠ ولا الليل يسبق النهار ٠٠ معنى ذلك أن الليل والنهار يوجدان معا في وقت واحد على الأرض ٠٠ لأن النهار لا يســـبق الليل ٠٠ والليل لا يسبق النهار ٠٠ وهذا لا يتأتى الا اذا كانت الأرض كروية ٠٠

لكن ليس هذا هو القصد النهائي من الاية ٠٠ الله سبحانه وتعالى صحح بهذه الاية معتقدات العرب في أن الليل سابق النهار ، وقرر بهما أيضـــا أن الليل والنهار موجودان معا على الأرض في آن واحد ، ليعلمنا عن حقيقـــة خلق الأرض ٠٠ ولتوضح ذلك بضرب أمثلة بسيطة :

---

(١) سورة يس الاية ٣٨

(٢) راجع كتاب معجزة القرآن : متولى شعراوى ص ٩٠

لو أن الله تعالى قد خلق الأرض مسطحة ٠٠ فاما أن تكون الشمس ساعة الخلق في مواجهة السطح ٠٠ وحينئذ يكون النهار قد وجد أولا ٠٠ ثم يأتي بعد ذلك الليل ٠٠

واما ان تكون الشمس غير مواجهة للسطح ساعة الخلق ٠٠ ومن هنا يكون الليل قد أتى أولا ٠٠ ثم بعد ذلك يأتي النهار ٠٠

ولكن كون الله — سبحانه وتعالى يقول لنا أن النهار والليل خلقا معا ٠٠ لم يسبق أحدهما الآخر دليل على أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الأرض كروية ٠٠ لأنه حدد الشكل الوحيد الذي يوجد فيه الليل ٠٠ والنهار ٠٠ على سطح الأرض معا ساعة الخلق ٠٠

وهكذا نرى — أيها القارئ الكريم — أن القرآن الكريم قد مسّ حقيقة هامة في أربع كلمات ولم يصل اليها العلم البشرى كله الا في الآونة الأخيرة فليعلم الذين افتتنوا بالكشف الكوبرنيكي الى حد الالحاد ظانين أن العلم يناقض الدين فليعلموا ان القرآن قد سبقهم في هذا المضمار ٠ ولو كان عندهم الصبر والاجتهاد والنية الطيبة لراجعوا القرآن الكريم عند تعنت الكنيسة ورجالاتها الطغاة ٠ ولكنهم كانوا في الحادهم يعمهون ٠٠

دوران الأرض ٠٠ والجبال (٢)

ان الكشف الكونيكي لدوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ، مما يتبجح به الملاحدة ويدعون أن هذا الكشف يخالف تلقائيا تعاليم جميع الأديان قاطبة ٠٠

---

(١) استفدنا هذه المعلومات القيمة من كتاب معجزة القرآن تأليف متولى شعراوى مع تغييرات طفيفة ٠٠ ص ٩١ — ٩٢

(٢) ان هذا الدوران رغم شيوعه لم يزل في أوربا أناس يشكون في ذلك : ومن هؤلاء العالم الرياضي الكبير الفرنسي (بوانكارية) في كتابه (العلم والفروض العلمية) يرى ان الدورات مقبول ولكنه يحتاج الى اثباته بالأدلة المحسوسة ان هذا يدل على ان الأمر لم يكن محل اتفاق عند العلماء في أوربا ٠٠ راجع دائرة القرن العشرين فريد وجدى جـ ١ ص ١٨٢

نقول لهم : ان هذا ادعاء بغير دليل . وان كانت الكنيسة في أوربا قد طغت وأتت بهذه الجريمة النكراء ،هل من الانصاف في التحقيق أن تضرب جميع الأديان بنفس العصا ؟ .. هذا مما يتنافى مع العلم الحديث .. ولو تكلف الملاحدة برجوع الى دراسة الدين الاسلامي المجيد دراسة موضوعية ، لوجدوا فيه بغيتهم .. ولكن الالحاد ظلمات تغشى القلوب . وتعمى البصائر وتجعل الانسان في حيرة في أمره كما هو واضح في تصرفات هؤلاء الملاحدة .

والسؤال هنا هو: ما هو موقف القرآن من دوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس ؟

نقول : ان من تدبر في معاني القرآن بما يتعلق بذلك ،يجد أن القرآن الكريم فيه دلالات متعددة على حركة الأرض بنوعيها ، ولكنها جاءت عن طريق الاشارة لا صريح العبارة مراعاة - فيما أظن - لمقتضى الحال في خفائها وعدم احساس الناس بها .

فلو أن القرآن صارح الناس -آنذاك - بحركة الأرض وهم يحسبونها ساكنة لكذبوه .. وحيل بينهم وبين هدايتهم كما كذبوا الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية الاسراء والمعراج ...

فكان من الحكمة البالغة ومن الاعجاز البلاغي في الأسلوب أن ينبه الناس في كتابه الله الى آياته سبحانه في حركة الأرض حول محورها ،وفي حركتها حول الشمس بمختلف الاشارات الى نتائج كل من الحركتين منّا عليهم بها ،وحثا لهم على اكتناه أسبابها ..

حقيقة تجب الاشارة اليها

ان القرآن الكريم له طريقة خاصة في تقرير هذه الحقيقة ،حقيقة دوران الأرض حول نفسها ، وهي تخالف طرق أهل الأرض جميعا . لأنهم حينما بحثوا في هذا الموضوع ، بحثوا فيه بحثا جافا جامدا لا روح فيه لا يصل الى هدف نبيل ، كعادتهم في تقرير أية حقيقة علمية .. وأما القرآن يستخدم مشاهد الكون وحقائق النفس في اثبات العقيدة الصحيحة .. فيجعل

الكون كلــه اطارا للمنطق الذى يأخذ به القلوب ، ويوقظ به الفطـرة ويجلوهـــا
لتحكم منطقهـا الواضح التواصل البسيط ، ويستجيبن به المشاعر والوجدان بمـا
هو مركوز فيها من الحقائق التي تغشيها الغفـلة والنسيان ويحجبها الالحـاد
والكفران .. ويصل بهذا المنطق الى تقرير الحقائق العميقـة الثابتـة في تصميم
الكون وأغـوار النفس ، والتي لا تقبل المراء الذى يقود اليــه المنطق الذهنـــي
البارد الذى انتقلت عدواه الينا من المنطـق الاغريقي وفشا فيما يسمى علم
التوحيد أو علـم الكلام ، أو يصل اليه العلم الحديث التجريـبى البحت .

الحركة اليومية للأرض في القرآن

وبعد هذا نقول للقارئ الكريم : اذا أردنا الدلالة على الحركـة اليومية
للأرض في القرآن وجدناها في قوله تعالى :

﴿ يغشى الليل النهار يطـلبه حثيثا ﴾ (١) فالمغشي يصح ان يكون الليل
أو النهار لأن التعبير يحتملها ـ كما يقول الزمخشري (٢) واذن فهو يشملهما اذ لـو
كان أحدهما هو وحده المغشى لا الآخـر لجـاء التعبير القرآني نصـا في ذلك
لا يحتمل غيـره لأنــه كــلام الخالق سبحانه الذى لا يجـوز أن يأ تـــى
لفظــه أضيـق أو أوسـع من المعنـى الذى قصد ، واذن فكل من الليل والنها ر
يطلب الآخـر طـلبا حثيثا باذن الله وبقدرة الله ، كـى يغشاه ثم يكــو ن
ذلك على وجــه التجدد المستمر كما تفيده صيغــة المضارعـة في الفعليـــن
مع الحالية في الفعل الثانى .

فتأمل معي أيها القارئ ـ جـلال هذه الكلمـات القرآنية الخمس كيف صورت
أدق تصوير تلك الظاهـرة الكونـية العجـيـبة ، ظاهرة زحف النهار اثـــر
الليل حالاً محلــه من طرف ، وزحف الليل اثر النهار حالا محله من الطـــر ف

---

(١) سورة الأعراف : ٥٤
(٢) تفسير الكشاف الزمخـشرى جـ ٢ ص ١٠٩
وقال : " وقرئ يغشى بالتشديد . أى يلحق الليل النهار ، والنهار بالليل
يحتملهما جميعا " .

الآخر ،في كل بقعة من بقاع الأرض أثناء دورتها اليومية حول نفسها ، أوحول محورها أمام الشمس ، نتيجة لذلك الدوران الذى يدل على عظم جلاله وجماله .(١)

* + *

ثم هذا الدوران نفسه قد دل القرآن عليه بما يكاد يكون نصا صريحا في قوله تعالى :

* يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل *(٢) والتكوير في اللغة اللف واللى (٣) يقال : " كار العمامة على رأسه وكورها " كما يقول الزمخشري في تفسيره . الا أنه جعل يلتمس لذلك معنى مجازيا ، لما غاب عنه ما ظل مجهولا للناس أجمعين لقرون بعده ، من أن الله سبحانه يلف الليل على النهار بلف محورى حقيقي للأرض التي هي محل الليل ، ويلف النهار على الليل بلى حقيقي لأشعة ضوء الشمس في غلاف الأرض الهوائي الذى تملوه الظلمة وهي تدور "(٤)

وفي الفعل (يكور) المكرر مرتين في الآية معجزة علمية أخرى ، اذ قد دل بوضوح على كروية الأرض بكروية جوها الذى يشغله ، ويتعاوره الليل والنهار على التجدد على كل بقعة من بقاع الأرض ، وفي هذا غناء عن الاستشهاد على كروية الأرض بكلمة (دحاها)(٥) التى اختلف فيها الناس اختلافا كبيرا .

---

(١) الضمير في قوله تعالى * يغشى الليل النهار * فانه راجع الى لفظ الجلالة في اول الآية الكريمة في سورة الأعراف : ٥٤

(٢) سورة الزمر : ٥

(٣) راجع لسان العرب ج ٥ / ص ١٥٧ ،وراجع أيضا الصحاح في اللغة والعلوم ص ٤١٨

(٤) راجع تفسير الزمخشري ص : ١١٢ ج ٤ ط: دار الكتاب العربي .
راجع كتاب الاسلام في عصر العلم محمد احمد الغمراوى ، اعداد د .احمد عبد السلام الكردانى ص ٢٧٣ .

(٥) اشارة الى قوله تعالى * والأرض بعد ذلك دحاها * في سورة النازعات : ٣٠

حركة الأرض السنوية حول الشمس
في القرآن

أما حركة الأرض السنوية حول الشمس ففي القرآن دلالات كثيرة ولكن نكتفي بواحدة منها وهي دلالة تكاد تكون في صراحة عبارة تنص على أن للأرض حركة غير حركتها اليومية ، وتلك هي دلالة قوله تعالى :

* وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ، صنع الله الذى أتقن كل شىء * (١)

والسحاب كما هو معروف لا يتحرك بذاته ولكن ينتقل محمولا على الرياح فكذلك الجبال يراها الرائى فيظنها جامدة في مكانها وهي تمر مسرعة محمولة أيضا ، وليس لها حامل الا الأرض ، فالأرض اذن هي المسرعة بها كما تسرع الرياح بالسحاب وكلا الأمرين من صنع الله الذى أتقن كل شىء ..

فالاستنتاج في الواقع قريب غير بعيد لأن قوله تعالى * تحسبها * يدل أول ما يدل على رحمة الله بالعقل البشرى . فالانسان يظن ـ كما قلنا ـ أن الجبال جامدة .. ولكن الله تعالى يريد أن يخبرنا بأن هذه الجبال التى نراها أمامنا ونحسبها جامدة تتحرك من مكان الى آخر ، ولكنها تمر مر السحاب لماذا ؟ لأن السحاب لا يملك ذاتية الحركة .. لا يتحرك بنفسه .. انما تحركه الرياح فالسحاب بدون الرياح يبقى في مكانه . ولكن الرياح هي التي تدفعه من مكانه الى آخر . وكذلك الجبال لا تتحرك بنفسها لأنها هي أوتاد الأرض ورواسيها اذ قال الله أنها تمر مرّ السحاب ، يدرك العقل ان حركتها ليست ذاتية بل هي تابعة لحركة أخرى تدفعها .. تماما كما تدفع الرياح السحاب ..

فهذا من معجزات القرآن الكريم الذى ينبغي أن يدل الناظر الى أن في حركة الأرض الحاملة للجبال من آيات الله ومن المنافع لعباده ، ما يشبه الآيات والمنافع التي أودعها الله في حركة الرياح الحاملة للسحاب والتي نوه

---

(١) في سورة النمل : ٨٨

الله بها في آيات كثيرة من كتابه الحكيم • (١)

لماذا لم يذكر المفرسون دوران الأرض؟

نقول : انه ليس عجيبا ان يفوت المفسرين جميعا هذا المعنى على قربه لمن يعرف ما أثبته العلم الحديث للأرض من حركة حول الشمس ، لأنهم لم يكونوا يعرفون أن للأرض حركة ما ، لا يومية ولا سنوية • ومن هنا صرفوا المعنى عما يقتضيه المفعول المطلق في الاية الكريمة ما يستلزمه قوله تعالى : ﴿ صنع الله الذى أتقن كل شيء ﴾ من أن الظاهرة التي لفت الله اليها الانسان في قوله : ﴿ وترى الجبال •• ﴾ هي ظاهرة كونية فيها من اتقان الصنع ما يدل على جلال حكمته وقدرته سبحانه ••

ولكن المفسرين ـ جزاهم الله عنا خيرا ـ رأوا أن الاية تدل على النقض لسنن الله في الكون يوم القيامة أى بين يدى يوم القيامة ، وهذا ليس بعيد الحسب ولكنه أيضا لا يتناسب مع ظاهر الاية الكريمة • والذى دعاهم الى هذا أمران :

أولهما : ما ذكرناه من أن دوران الأرض لم يكن مألوفا عند الناس حتى الفلاسفة اليونانيين •

ثانيهما : رأوا أن الاية ذكرت بعد آية تدل على القيامة وهى قوله تعالى : ﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله وكل آتوه داخرين ﴾ (٢) • ثم جاءت الاية ﴿ وترى الجبال •• ﴾ فقالوا " ان مشهد الجبال هكذا يتناسق مع ظل الفزع ، ويتجلى فيه وكأنما الجبال مذعورة مع المذعورين مفزوعة مع المفزوعين هائمة مع الهائمين الحائرين المنطلقين بلا وجهة ولا قرار " (٣) •

---

(١) يراجع في هذا التفسير الى كتاب معجزة القرآن ، متولى الشعراوى ص ٩٣ ، وكتاب الاسلام في عصر العلم محمد احمد الحمزاوى ص ٢٧٥

(٢) فى سورة النمل : ٨٧

(٣) راجع فى ظلال القرآن ، سيد قطب ج ٢٠ المجلد السادس ص ٣١٤ وراجع ايضا تفسير زاد المسير في علم التفسير الامام ابي الفرج ج ٦ ص ١٩٦ ، تفسير

===

هذا ما ذهب اليه جلّ المفسرين من ﴿ أن صنع الله ﴾ في الاية يدل على نقض السنن الكونية ..

موقف الزمخشرى من هذه الاية الكريمة

ومن راجع تفسير الزمخشرى يجد أنه وحده الذى أدرك بذوقه البيانى عدم التلازم بين قوله تعالى ﴿ صنع الله الذى أتقن كل شىء ﴾ وبين ما سيحل بالجبال بين يدى الساعة ، فقدر محذوفا يليق في رأيه بذلك الصنع المتقن اذ قال : " والمعنى يوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت ، أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين " ثم قال : ﴿ وصنع الله ﴾ يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التى اتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب الى آخر ما قال مما رفضه غيره مثل أبى حيان في تفسيره ونسبه الى مذهب الزمخشرى في الاعتزال .

ونقول : ولو عرف الزمخشرى وأبو حيان ما نعرفه اليوم — بمنه تعالى — من دوران الأرض حول الشمس بتلك الكيفية الباهرة وما يحكمها من تلك السنن الالهية الدقيقة القاهرة وما يترتب عليها من المنافع للناس ، اذن لكبروا الله وتسارعوا الى المعنى المتبادر من الاية ومن تشبيهها التمثيلي ومن القرائن الحسية والبلاغية فيها ولفهموا الخطاب في ﴿ وترى الجبال ﴾ على أنه خطاب للانسان الآن وفي كل عصر آت ، يدله على آية من آيات الله الكبرى علّه يهتدى الى الله .

عودة الى أدلة المفسرين

وأما أدلة المفسرين التي تقول ان الاية ﴿ وترى الجبال ﴾ تدل على يوم القيامة تتعارض مع آيات أخرى في القرآن الكريم واليك بعضا منها :

=== ابن كثير سنة ٧٧٤ جـ ٥ ص ٢٦٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . تفسير جامع البيان في التفسير ، للشيخ السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسنى الحسينى الايجى الشافعي سنة ٨٣٢ – ٨٩٤ هـ جـ١ ص ١٨٨ وهو يقول ان هذه الاية تدل على احوال الجبال يوم القيامة يعني يسير أولا ثم ينفسها الله ثانيا ثم تكون هباء منثورا والله أعلم .

(١) تفسير الكشاف للزمخشرى جـ ٣ ص ٣٨٧

نقول لهم : ان وصف الحسبان لا يناسب يوم القيامة ولكن هناك يقينا .

﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ (١)

ويقول الله سبحانه وتعالى عن الجبال يوم القيامة :

﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴾ (٢)

فكيف ينسفها الله ثم نحسبها جامدة ويقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض .. والسماوات ﴾ (٣)

في يوم القيامة .. فينسف الله الجبال ويبددها .. وكل شيء أمامك يكون يقينا فأنت ترى الجنة .. وترى النار .. وترى الله رؤيا اليقين .. فالحسبان في الدنيا واليقين في الآخرة ..

ثم نقول لهم : لو تأملوا في الآية التي قبل الاية ﴿ ويوم ينفخ في الصور .. ﴾ لوجدت مثيلة للاية ﴿ وترى الجبال ... ﴾ وهي تتحدث أيضا عن ظاهرة من حركة الأرض وهي قوله تعالى : ﴿ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾

فان من لطيف المناسبة أن تشير آية ﴿ ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرة ﴾ الى ظاهرة تنشأ من احدى حركتي الأرض وأن تشير آية ﴿ وترى الجبال ﴾ الى الحركة الأخرى تلك الاشارة المعجزة .

ومن حكمته البالغة ان جعل بين الآيتين آية تتعلق بيوم البعث ،لتصرف الأذهان بها عن المعنى الذى لم تكن لتعقله قبل أن يأذن الله بالكشف عن سنة الله في حركة الأرض حول الشمس كسيار من السيارات التي أقسم الله بها تثبيتها الى آياته فيها ، اذ يقول سبحانه :

﴿ فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾

---

(١) في سورة

(٢) فى سورة

(٣) فى سورة

ولما كان القرآن انما أنزل لهداية للناس ، قد اقتضت الحكمة الالهية في آياته الكونية أن ينزل بأسلوب لا يصدم البديهي المسلم به عند الناس فيكذبوه ولا ينافي الحقيقة الكونية فيكون ذلك داعيا الى تكذيبه اذ ايسر الله سبيل الكشف عنها لأولي العلم في مستقبل العصور ..

وهذا من أعجب عجائب القرآن التي لا تنقضي ، ومن أدل الدلائل على أن القرآن حقا من عند الله ، فان التعبير عن الحقيقة الكونية بأسلوب يطابقها تماما أو يدل عليها أولي العلم .

ولعل أوضح مثل لهذه الظاهرة القرآنية العجيبة قوله تعالى :

﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

فانظر الى القضية الأولى ، قضية أن الشمس تجرى ، كيف انطبقت على البديهي المشاهد من حركة الشمس في السماء من المشرق الى المغرب في كل مكان يعيش فيه الانسان ، في نصف الكرة الشمالي وفي نصفها الجنوبي من قطب الى قطب لكن هذه الحركة انما هي في الظاهر ، وقد فسرتها الفلسفة اليونانية أو العلم القديم ، بما فسرت أو فسر ، مما خطأه علم الفلك الحديث اذ أثبت أن حركة الشمس في الظاهر حول الأرض ــ كما هو معروف ــ هي حركة نسبية راجعة فى الحقيقة الى حركة الأرض حول محور يها امام الشمس من المغرب الى المشرق مرة في اليوم .. ينشأ عنها النهار والليل ، كما أثبت للأرض حركة سنوية حول الشمس تنشأ عنها الفصول .

فهل فقدت الاية الكريمة شيئا من دلالتها . بهذا الذى أثبته العلم ؟ ان الذى جد بما أثبته العلم هو انتقال الحركة من الشمس الى الأرض فصار للأرض حركتان تفسران الليل والنهار واختلاف الفصول ، بدلا من حركة الشمس وحدها .

---

(١) سورة يس : ٣٨

(٢) راجع كتاب (لله العلم) بشير التركي ص ١٠٢

وهنا نتبين عجيبة من عجائب الاعجاز العلمي في القرآن ، فقد جاء علم الفلك الحديث بعد نحو ثلاثة عشر قرنا من نزول القرآن فأثبت للشمس حركة غير هذه الحركة الظاهرة من المشرق الى المغرب • فقد أثبت أن هذه الحركة ذاتية للشمس ، وقدر سرعتها بركتيها أى من حيث المقدار والاتجاه ، فأما المقدار فهو (اثنى عشر ميلا) في الثانية تقريبا • واما الاتجاه فهو نحو النجم المسمى (فيجا) في الانجليزية والنسر الواقع في العربية ، أى أن علم الفلك الحديث أثبت أن الشمس على عظم كتلتها الهائلة ، تجرى في الفضاء بسرعة اثنى عشر ميلا في الثانية في اتجاه النسر الواقع • (١)

﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

فأنت ترى معى — الان — ان في قوله سبحانه ﴿ والشمس تجرى ﴾ معجزة علمية عظمى لم تكن تخطر لأحد على بال ، حتى كشف عنها علم الفلك الحديث ، لم يكشف عنها الا في القرن التاسع عشر بعد أن تهيأ له من الات الرصد وأدوات التحليل الضوئي ومن المقدرة على تفسير النتائج التي توصل اليها عن طريقها ما أدى به الى الكشف عن ذلك السر العظيم ، كتلة من النار قدر كتلة الأرض ٣٣٢ الف مرة تقريبا تجرى في ملكوت الله بسرعة تزيد على ضعف ما يسمونه بالقمر الصناعي في دورته حول الأرض • (٢)

لقد فتن الناس أوكادوا بهذه الأقمار أو القميرات الصناعية التي ليس للانسان فيها الا صنعها واحكام اطلاقها مستعملا في ذلك ما وهبه الله من علم ومقدرة ، أما دورانها حول الأرض فليس له فيه فضل • اذ هى انما تدور طوعا لسنن الله في الحركة من ناحية وفي الجاذبية بينها وبين الأرض من ناحية أخرى ، إن صح التعبير.

---

(١) راجع كتاب الاسلام في عصر العلم ، محمد احمد الغمراوى ص ٢٨١ والعلم عند الله •

(٢) راجع كتاب العلم يدعو الى الايمان ص: ٥٥

السؤال العجيب :

فكيف يمكن أن يكون في هذه القمرات دليل على وجود الانسان وما بلغ من رقي في الصناعة والعلم ، ولا يكون في الشمس وجريها في الفضاء على ذلك الوجه العظيم الهائل دليل على وجود الله العزيز العليم سبحانه الذى خلق الشمس واجراها وقدر لها مجراها في الفضاء * ان في ذلك لآية للمتوسمين * .

وأخيرا الان المعجزة العلمية الكبرى المتمثلة في قوله تعالى * والشمس تجرى لمستقر لها * ينطوى تحتها في الواقع معجزة اخرى ، اذ قد خطأت علم الفلك القديم حين قال في تفسير الشروق والغروب : ان الشمس معلقة أو مركوزة في فلك مادى كروى هو الذى يدور بالشمس حول الأرض ، فجعل حركة الشمس غير ذاتية .. والآية الكريمة تقرر أن لها حركة ذاتية صريحة . فان الجرى لا يمكن الا أن يكون ذاتيا ... وقد وجد التفسير الفلسفي أو الفلكي القديم طريقة الى كتب التفاسير ليس فقط فيما يتعلق بالشمس ولكن أيضا فيما يتعلق بالقمر ... وقد اعتبرها فلاسفة اليونان خطأ من السيارات ، التي فسروا حركتها عبر السماء بما فسروا به حركة الشمس فافترضوها أى السيارات . مركوزة في افلاك كرية شفافة مجوفة بعضها داخل بعض ، ومركزها جميعا الأرض فهي تدور كلها بحركات مختلفة من المشرق الى المغرب حول الأرض التي جعلوها ساكنة لا حركة لها وتبعهم في ذلك فلاسفة المسلمين والمفسرون (١) ... لا عيب فيهم الا أن أيامهم تقدمت على هذه الكشوف العلمية العجيبة .

---

(١) راجع كتاب الاسلام والعصر الحديث محمد احمد الغمراوى ص ٢٨٢ .

من هدايا القـــرآن

لقد رأينا فيما سبق ان العلم الحديث قاصر في فهم شيء من أسرار الكون حتى في فهم أسرار المادة نفسها التي يعبدها الملاحدة فتجد أحدهم يضرب الأرض برجله ويقول : " هذه هي الحقيقـة " اذا كان الأمـر كذلك فهل لنا معشـر المسلمين أن نقدم لهم هدايا من القرآن الكريم اذا رجعوا اليها لعلهم يهتدون؟ فما هي اذن تلك الهدايا ؟

لنبدأ بأول آيـة ـ بعد البسملة ـ في أول سورة من القرآن ، لنبدأ بالآيـة الكريمـة فاتحـة أم الكتـاب * الحمدلله رب العالمين * ولندع شطرها الأول * الحمد لله * للمؤمنين .. لنجعل شطرها الثاني * رب العالمين * الهدية الأولى لأرباب الجهالة العلمية ولغيرهم ...

ان كلمة * العالمين * لا شـك أنها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين علـى الأقل : ناحية الجمع وناحية تذكير الجمع ، فلذا اختلف المفسرون في مفهـوم رب العالمين (١) لأنهم لم يكونوا يعلمون الا عالما واحدا هو يعيشون فيه . والناس الى اليوم لا يتحدثون الا عن عالم واحد هو الذى تبصر ونحـس ونعيش فيـه . فلما جـاء القرآن بلفظ الجمع لكلمة العالم ، قصرت أفهام الناس في فهمه لأنه شـيء لم تألفه الأسماع والأفهام والأفكار .

والتمس المفسرون تلك العوالم المتعددة ، فقيل هي : عوالم الانس والجـن والملائكة وقيل هي عوالم الحيوان والنبات والجماد وغـير ذلك مما ذكره المفسرون بهذا الصدد . فعلى من يريد المزيد مراجعة التفاسير التي نذكر أسماءها في الهامش (١)

---

(١) تفسير الطبرى ابن جـرير :ج ١ ص ٣٣
(٢) التفسير القرطبي :ج ١ ص ١٣٨ ـ ١٣٩)
(٣) التفسير الكبير : فخرالرازى ج ١ ص ٦
(٤) تفسير الكشاف : ج ١ ص ١٠ (٥) تفسير اضواء البيان :ج١ روح المعاني للآلوسي ج ١ ص ٧٩
(٦) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٣٠ (٧) تفسير المراغى :ج١ص ٣٠
(٨) تفسير المنار : ج ١ (٩) التبيان ، الطوسى ج ١ ص ٣٢
(١٠) فتح القدير ،محمد الشوكاني ج ١ ص ١٩
(١١) تفسير ابى سعود الجزء الاول ص
(١٢) تفسير الجواهر ج ١ الطنطاوى ص ١٢٠

ولكن ليس كل ذلك بموف معنى ذلك اللفظ : لفظ ﴿ العالمين ﴾ . وأنت اذا قلت " العالم " لم تفهم الا عالما واحدا هو هذا الشامل لكل ماترى من أرض وسماء .

ولكن اذا أخذنا بحرفية اللفظ في الفهم دون التفات الى المجاز يكون هــــذا العالم واحدا من أفراد ، وعالما من عوالم مثله ، فأين هذا المفهوم الجديـــد فـــى الكتب الفلسفية وفي أى كتاب قبل القرآن العظيم ؟

اذن ان هذا المفهوم هدية من هدايا القرآن الى هذا الكيان الانساني .

ثم جاء العلم الحديث بعلم الفلك الحديث . بمراقبه ومراصده وتحليلاتــــه الرياضيـة وغـير الرياضية فبين أن المجموعة الشمسية التي نحن فيها ومنها ،ليست في هذا العالم المجرى شيئا مذكورا ، وبين أن هناك عوالم أخرى متراميــــة المطـارح تعد" لا بالمئات ولا بالألوف ،ولكن بالملايين . (١)

لكن العلم الحديث لم يهتد الى الآن في العوالم الأخرى الى أرض كأرضنـا ..

اذن على ارباب الجهالة العلمية الملاحدة ان يجتهدوا في البحث عن هذه العوالم الأخرى ، واما أن يأخذوا لفظة ﴿ رب العالمين ﴾ هدية لهم من القـــرآن الكريم . فلا يدعـوا علم جميع ما في هذا الكون الواسـع الملئ بالأسرار الغامضـة ..

هديـة ثانيـــــة

وهي في قوله تعالى ﴿ الله الذى خلق سبـع سموات ومن الأرض مثلهن يتـنزل الأمـر بينهن لتعلموا أن الله على كل شـئ قدير وأن الله قد أحـاط بكل شــــئ علما ﴾ (٢)

ان (أل) في ﴿ الأرض ﴾ هنا هى حتما للجنس لا للعهد ، بدليل قولـــه ﴿ مثلهن ﴾ والسموات السبع متعددة ،ليس في ذلك شـك ، فلا بد أن تكون الأرضـون السبع متعددة ايضا على نفس النحو والنمط ، لتتحقق المثليـة المنصوص عنها في الآيـة ، لا أنهن سبع طبقات في أرضنا هذه كما فهم الناس ويفهمون

---

(١) العلم يدعو للايمان ص ٥٩

(٢) سورة الطلاق اية : ١٢

فأرضنا واحدة . وليس يفهم العلم ولا الناس من لفظ الأرض اذا أطلق الا أرضنا هذه جملة بجذافيرها وطبقاتها كلها ، فتفسير الأرضين السبع بطبقات سبع في هذه الأرض تفسير لا يتفق مع اللغة ، ولا مع العلم ولا مع القرآن ولا مع الحديث الكريم : " اللهم رب السموات السبع وما أظلهن و رب الأرضين السبع وما أقللن " لمن يدقق في فهم الحديث .

هذه النتيجة التي تتفق مع حرفية القرآن . وحمله على الحقيقة اللغوية لا على المجاز ، تحل لنا وللانسانية مشكلة السموات السبع حلا حاسما . فقد عجز الناس الى الآن عن الوصول الى فهم للسموات السبع فمثلا :

قال بعضهم انها السيارات السبع (١) ، فظهر من السيارات عشرة ليس من بينها القمر كما يقول اليونان (٢) .

وقال بعضهم انها سبع عوالم في السماء ، فكانوا كأن لم يقولوا شيئا ، اذ ليس هناك ما يحدد معنى عوالمهم هذه . والعوالم والأكوان اكثر من سبعة بكثير .

وأما العلم الحديث يتحدث عن سبع السموات على النحو التالي :

" انا لدينا اليوم معطيات علمية عديدة تدفعنا الى أن نقسم الفضاء الكوني كما يلي : (٤)

(١) ـ السماء الأرضية : وهي سماكة الجو التي يبلغ ارتفاعها أربعين كيلومترا تقريبا .

(٢) ـ السماء القمرية : فاذا ضربنا هذا العدد الذى يمثل بعد السماء الأرضية في عشرة الاف مرة وجدنا قيمة بعد السماء القمرية أى ما يقرب من أربع مائة ألف كيلومتر .

(٣) ـ السماء الشمسية : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا ما يقرب من أربع مليارات كيلومتر أى معدل قيمة شعاع سماء النظام الشمسي .

---

(١)

(٢)

(٣) لله العلم تأليف بشير التركي ص١١٣ ـ ١١٤

(٤) — سماء النجوم القريبة : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا خمس سنوات ضوئية [١] تقريبا وهو قيمة بعد مجموعة النجوم القريبة .

(٥) — سماء المجرة : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا خمسين الف سنة ضوئية وهو معدل قيمة شعاع مجرتنا ..

(٦) — سماء المجرات القريبة : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة اخرى وجدنا خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية وهو بعد المجرات القريبة " (٢)

(٧) — سماء الكون : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة الاف مرة أخرى وجدنا خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية وهذا البعد يفوق عمر الكون اذ أن عمر الكون لا يفوق خمس عشرة مليار سنة وهذا يعني اذا تكون جرم سماوى قبل خمس عشرة مليار سنة وابتعد بسرعة الضوء وهي أكبر سرعة نعرفها في الكون وهو يبعث الينا نورا كي نتبين موقعه فلا يكون ذلك الجرم أبعد من خمس عشرة مليار سنة ضوئية فيتضح اذن أننا بهذا الرقم الذى هو خمسة الاف مليار من السنوات الضوئية قد خرجنا من الحدود الكونية .

ثم قال : فهذه هي السبع سماوات حسب علم القرن العشرين لا نستطيع اليوم أن نفهم لماذا نفس هذه النسبة في الأبعاد أى " عشرة الاف " .

هذا حسب تقديرات (بيو) (Biot) و (بوسينقولت) (Boussingault) و (هومبولد) (Humboldt) (٣)

* * *

---

(١) السنة الضوئية هي المسافة التي يقتحمها الضوء مدة سنة بسرعة ٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية أى كيلومتر تقريبا . ولكن التحقيقات الحديثة اثبتت ان الالكترونات اسرع

(٢) لله العلم تأليف بشير التركي ص ١١٣ — ١١٤

(٣) المرجع السابق ص ١١٤

هذه هي مبلغ علمهم من مفهوم السموات السبع • وقد يكون هذه الأرقام حقا ولكن – نحن معشر المسلمين – لا نستطيع أن نقبل هذه الأرقام كأنها حقيقة علمية لمفهوم السموات السبع لعدة أسباب :

أولا :–
انهم صرحوا بان هذه التقديرات تقريبية • ولذا لا نعترف به حتى يصير حقيقة علميعة •

ثانيا :–
هم جعلوا السموات السبع محصورة في هذا الفضاء فقط هل عندهم علم يقيني في هذا ؟ الجواب : لا

ثالثا :–
قد ورد في القرآن ان السموات ﴿ طباق ﴾ اذ أنها تغلف بعضها بعضا كطابق على طبق ومتساويا في كيانها • هذا الذى نفهمه من كلمة الطباق ولكن هؤلاء قالوا ان سماكة الجو فوق الأرض تعتبر سماء وكذلك القمر تعتبر سماء مع العلم ان الأرض والقمر لا يوجد بينهما أى تطابق فالأرض اكبر بكثير من القمر ••

اذا انتفى التطابق بين هذه السموات المزعومة ينتفى أن تكون هى السموات السبع المذكورة في القرآن •

وأين سبع الطرائق التي ذكرها القرآن في هذه السموات الفضائية المزعومة ؟

رابعا :–
فالقرآن قال لنا أن الله خلق سبع سموات وسبع أرضين والعلم الحديث جعل احدى الأرضين سماء ، هذا يدل دلالة واضحة على أن السموات السبع المنصوصة بها في القرآن ليست هي التي يزعم بها أرباب الجهالة العلمية •

خامسا :–
ثم جعلوا القمر من جملة السموات السبع مع أن القرآن صرح في آية أخرى بأن القمر ليس من جملة السموات السبع وانما جعل نورا فيهن • يقول تعالى : ﴿ وجعل القمر فيهن نورا ﴾ (١)

---

(١) سورة نوح اية : ١٦

سادسا :- ان العلم الحديث لا يعرف شيئا حتى الآن -عن الستة الباقية من الأرضين بينما القرآن صرح بأن عدد الأرضين - مثل عدد السموات السبع . اذ كان مفهوم السموات السبع غير معروف حتى - الان - لدى أرباب العلم الحديث وكذلك عدد الأرضين السبع • فعليهم - اذن - أن يأخذوا هدية القرآن في هذا الباب ويجتهدوا في البحث ليكشف لهم مرقب المائتى بوصة الجديد عن بعض هذه السموات السبع والأرضين الستة الباقية ••

ما لم يصل اليه العلم الحديث بعد

فتلك هى بعض هدايا القرآن للعالم ، وللعلم الحديث بصفة خاصة ،نود أن نلخصها في الصفحات التالية :

(١) - وجود ستة مراحل للخلق عموما •• أو ستة أيام بالتعبير القرآني وأصحاب الجهالة العلمية لم يعرفوا - بعد شيئا عن ذلك •

(٢) - تداخل مراحل خلق السماوات مع مراحل خلق الأرض ••

وأرباب الجهالة العلمية •• لم يعرفوا - حتى الان - تفاصيل صحيحة عن ذلك •• وانما يقولوا فقط : انفصلت الأرض عن الشمس بسبب انفجار داخلى أو تصادم مع بعض الكواكب ، أو مع نجم اكبر منها - كما مر ذلك بنا سابقا •

(٣) - خلق الكون ابتداء من مادة دخانية •• وكانت تشكل كتلة متماسكة ففتقها الله سبحانه وتعالى بقدر خاص ••

وأما العلم الحديث أشار الى هذه الكتلة الغازية ،ولكنه جاهل تماما من الذى فتق هذه الكتلة الغازية وكون منها السموات والأرض السبع •• بل نسب كل هذه المعجزة الى الصدفة العمياء ••

(٤) - تعدد السماوات وتعدد الكواكب التى تشبه الأرض بمعنى تعدد الأرضين •• ان العلم الحديث - لم يعرف - بعد - شيئا عن ذلك •

(٥) — وجود خلق وسبط بين السموات والأرض...

ان العلم الحديث لا يدرى ما ذا يعنى كلمة * وما بينهما * الا ما كان من قانون الجاذبية الذى لم يزل في حكم المفروضات ..

فعليهم — اذن — أن يجتهدوا في البحث الى معرفة كل ذلك والا فهم مقصرون في بحوثهم ..

أبعد هذا يقال أن العلم يتعارض مع الدين ؟..

اذن ان الذين ألحدوا من علماء الطبيعة لم يلحدوا بصفة أنهم علماء ، بل بسبب أنهم جهلاء .. فهم مخطئون ..

خطأ واضح

لقد رأينا ان العلم الحديث لا يتعارض مع الايمان بالله ، فمن الخطأ — اذن — أن نسند الحاد الملحدين اليه ..

فالعلم الحديث بريء من هذه التخبطات .. وانما ذلك الالحاد الفريد ، راجع الى نفسية الملاحدة وخبث نياتهم ..

فالعلم الحديث اسم للعلم الباحث في الكائنات وطبيعتها التي طبعت عليها وجبلت .. وليس بضرورى أن يكون علماء الطبيعة ملاحدة .. بل انهم أجدر بأن يعرفوا بوجود البارى سبحانه وتعالى ، من علماء العلوم الأخرى ..

وقد رأينا في تقارير العلماء (واين أولت) والدكتور (اندروكونواى ايفى) و(اينشتين) و (فرانسيس اورجر بيكون) ، ما يكفى للدلالة على أن العلم لا يدعو الى الالحاد وانما يدعو للايمان على حد تعبير العالم الامريكي ا. كرسي مورسون .

والذى يدل على ذلك : لوكان الالحاد من مقتضى العلم الطبيعي أو مقتضى علم من العلوم ، لزم أن لا يوجد بين علمائه من يؤمن بالله وكان كلهم ملاحدة .. وليس الأمر كذلك ..

وقد عرف المسلمون علم الطبيعة — كما بينا ذلك في أول البحث — ولكنهم

لم يلحرفوا عن الله تعالى ، بل زاد ذلك في ايمانهم قوة وصلابة وقلنا سابقا أنهم كانوا عندما يقرؤون كتاب (المجسطى) المتعلق بعلم الطبيعة ، يعتبرون أنفسهم يشرحون به كتاب الله العزيز • وأقرب دليل على ذلك الحكاية المشهورة التي تقول :

" يحكى أنه بينما كان يجلس ، ذات يوم ، فلكيان عربيان ،في ساحة الجامع •• وأمامهما كتاب (المجسطى) •• مرت بهما جماعة من علماء الدين فتوقفت مستفهمة عن النبع ، الذى منه يرتوون •• فأجاب أحدهما :

" اننا نقرأ شرح الآية التالية :

﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت ﴾ (١)

* * *

هذا ، ان دل على شيء فانما يدل على أن العلم لا يؤدى صاحبه الى الالحاد •• لا بالقريب •• ولا بالبعيد ••

بل العلم هو أقوى سلاح يتسلح به المؤمن لمحاربة الأعداء •• يقول الله تعالى : ﴿ وجاهدهم به جهادا كبيرا ﴾ •

وهذا " البنانى " أحد كبار فلكيي العرب يقول :

" ان علم النجوم هو علم يتوجب على كل امرئ أن يعلمه •• كما يجب على المؤمن أن يلم بأمور الدين وقوانينه •• لأن علم الفلك يوصل الى برهان وحدة الله •• والى معرفة عظمته الهائلة •• وحكمته السامية •• وقوته الكبرى •• وكمال خلقه •• (٢)

---

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرقة زيغريد هونكة ص ١٣٠
(٢) المرجع السابق ص ١٣٠

وشهد شاهد من أهلـــه

ولقد رأينا في خلال هذا الفصل وغيره أنه لا يوجد هنالك أى تعارض بين القرآن الكريم وبين العلم الحقيقي ...

نقول بكل ثقة واطمئنان .. أنه لا يمكن – بحال من الأحوال – أن يتصادم القرآن مع آية كونية حقيقية ..

لمـــاذا ؟

لأن القائل هو الخالق : ولا يمكن ان يكون هناك انسان أعلم بقوانين الكون من خالقه ..

ولكن الهدف عند بعض المستشرقين ، من الطعن في القرآن الكريم ، ويجب أن نفطن لذلك – هو محاولة الايهام بأن القائل بشر .. وليس الله ..

ونحن هنا في ختام هذا الفصل ، فصل مناقشة الملحدين لا ندافع عن كتابنا وانما طبيعة القرآن نفسها تدافع عن نفسها .. لأنها مبنية على الحق .. والحق لا يمكن ان يتغير الى باطل أبدا ..

هذا ما أدركه بعض المنصفين من الغربيين كأمثال العالم الباحث (موريس بوكاى) الفرنسى الذى ينقل الينا ان المسيحيين قد بدوا يغيرون موقفهم من الاسلام .. ويعترفون بجدية الاسلام .. وبأنه كتاب دين وعلم .. وعلاوة على ذلك بدوا يعترفون بالمظالم التي ارتكبوها ضد الاسلام التي كانت سببا لصد الناس – ومعهم الملاحدة – عن هذا النور العظيم والبرهان الساطع .

فلننقل عنه الجملة الآتية :

شاهد من الفاتيكـــان

يقول موريس بوكاى :

" لقد صدرت وثيقة من سكرتارية الفاتيكان لشئون غير المسيحيين وعنوانها : (توجيهات ، لاقامة حوار المسيحيين والمسلمين ..) وترجمتها بالفرنسية :

" انها وثيقة شديدة الدلالة على الموقف الجديد التي تبنت ازاء الاسلام ففي الطبعة الثالثة ـ عام ١٩٧٠ ـ من هذه الدراسة تطالب هذه التوجيهات " بمراجعة موقفنا ازاء الاسلام وبنقد أحكامنا المسبقة "

وفيها أيضا " علينا أن نهتم أولا بأن نغير تدريجيا من عقلية اخواننا المسيحيين فذلك يهم قبل كل شيء ٠٠

ويجب التخلي (عن الصورة البالية التي ورثنا الماضي اياها أو شوهتها الفريات والأحكام المسبقة ٠٠)

كما يجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبها الغرب المسيحي في حق المسلمين ٠٠ "

ثم زاد قائلا :

" بهذا الشكل تقوم وثيقة الفاتيكان ـ التى تحتوى على (مائة وخمسين) صفحة تقريبا ٠٠ ببسط ودحض نظرات المسيحيين الكلاسيكة عن الاسلام ٠٠ " (١)

" كما أنها تقدم عرضا لما عليه الاسلام في الواقع من تقدم على حضارى وغير ذلك ٠٠ "

والوثيقة تعالج أخيرا الحكم السابق القائل : " بأن الاسلام دين جامد يبقى أتباعه في عصر وسيط بائد ٠٠ ويجعلهم غير أهلين للتكيف مع منجزات العصر الحديث التقنية "

وهي أيضا تقارن مواقف مماثلة في بعض البلاد المسيحية ، وتعلق " أننا نجد في الفكر الاسلامي مبدأ لامكانية تطور المجتمع المدني " (٢)

والكلام عند موريس الى الآن ٠٠

" الواقع أن معرفة ما أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، من وجهة النظر هذه ، أمر أساسي ٠٠ ولكن الحادث هو أن هناك أجزاء من القرآن وخاصة ما كان لها ارتباط بمعطيات العلم ، قد ترجم بشكل سيء أو علق عليها بحيث

---

(١) راجع كتاب دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ص ١٣٦
(٢) المرجع السابق ص ١٣٩

يكون من حق العالم أن يدفع وهو على حق في الظاهر ، بانتقادات لا يستحقها القرآن في الواقع " ..

" وهناك نقطة جزئية تجدر الاشارة اليها فورا .. هذه الأخطاء الراجعة الى الترجمة أو تلك التعليقات المغلوطة .. (١)

وهكذا شهد شاهد من أهله يعلن بكل ثقة لجميع الملاحدة ومعهم المسيحيون : ان الاسلام دين علم وحضارة ولا يتعارض مع التقدم العلمي بل يحرض عليه و يجازى عليه أيضا ..

ثم اختتم مو ريس بوكاى كلمته بالتصريح التالي :

" واذا كنت قد توصلت الى ادراك زيف الأحكام الصادرة عامة في الغرب عن الاسلام فاني مدين بذلك الى ظروف استثنائية ففى المملكة العربية السعودية نفسها أعطيت عناصر التقييم التي أثبتت لي درجة الخطأ في بلادنا عن الاسلام ..

" وسأظل مدينا بالعرفان وبشكل لا حد له للمغفور له جلالة الملك فيصل الذى أحيى ذكراه باحترام عميق ..

سيظل محفورا في ذاكرتي دائما أن كان لي الشرف الأثير أن استمع اليه يتحدث عن الاسلام وأن أذكر في حضرته بعض مشاكل تفسير القرآن في ارتباطها مع العلم الحديث ..

ان كوني قد تلقيت معلومات قيمة من جلالته نفسه ومن حاشيته ليشكل بالنسبة لي امتيازا خاصا .. " (٢)

وبهذا القدر ، نكتفي لبيان انحراف الملحدين فى قولهم : ان العلم يتعارض مع الايمان بالله ...

فقد كذبهم العلم الحديث وكذبهم القرآن ثم أخيرا كذبهم الكاتب الفرنسي (مو ريس بوكاى) ؛

---

(١) المرجع السابق ص١٤٣

(٢) المرجع السابق ص ١٤٣

وبعد هذا ننتقل الى الباب الأخير من هذا البحث وهو آثار الالحاد في أوربا الحديثة .. انه بيت القصيد حيث فيه يرى الضرر الالحادى في التصور والسلوك .. وفيه يعتبر من يعتبر .. فيتحرر عن الالحاد ومخالفة أوامر الله .. وفيه نرى عقوبة الفطرة تقع على الأوربيين الملحدين ..

نراهم يتخبطون في تصوراتهم كلها من السياسة والحكم والأخلاق والمبادئ والقيم والعلم والعلاقات الدولية وفي كل شيء ..

وفيه نرى تحقيق قوله تعالى :

﴿ من أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، فيقول رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ (١)

فما أعظمه من ضنك ! يعيشه الملاحدة في أوربا الحديثة وفي الأمم الملحدة كلها ...

---

(١) سورة طه آية : ١٢٤

الباب الثالث

أثر الالحاد في الحياة الأوربية

الفصل الاول : اثر الالحاد في الفكر الاوربي

الفصل الثاني : اثر الالحاد في الحكم والسياسة

الفصل الثالث : الخمر وعجز القوانين الوضعية

الفصل الرابع : مشكلة العقوبات في القوانين الوضعية

الفصل الخامس : ظهور اثار الالحاد في الدول الكبرى

الفصل السادس : اسباب تدمير الامم والشعوب

الفصل السابع : عقوبة الفطرة

الفصل الثامن : حضارة لا تلائم الانسان

الباب الثالث

آثار الالحاد في الحياة الاوربية

توطئة :

ان حضارة الغرب – كما شاهدناها خلال هذا البحث – حضارة قد أسست حكمتها النظرية والعملية على قواعد خاطئة .. (١)

وقد جرت فلسفتها وعلومها واخلاقها واقتصادياتها واجتماعها وسياستها ، وقانونها .. وبالجملة ، كل ما يتصل بها .. قد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة .. وبقيت تخطو وترتقي في وجهة غير صحيحة حتى انتهى الى مرحلة ترى منها نهاية هذه الحضارة هي الهلاك .. (٢)

* * *

ونتيجة فساد اعتقاد اوربا فقد انحزلت عن كل معنى اخلاقي فسادت (الميكانيكية) في السياسة (حيث الغاية تبرر الوسيلة) والاثرة تظهر في الاقتصاد بما سموه (الانسان الاقتصادى) ..

والاباحية في الاخلاق بسيادة التحليل الجنسى لفرويد اليهودى .. (٣)

ان الانسان المعاصر قد سلم قيادة للغريزة الجنسية حين قصر غاياته في الاشباع المادى فصار أضل من الانعام .

ذلك ان الحيوان ينظم غريزته تلقائيا .. اما الانسان العاقل الاوربي المعاصر الذى يعيش في فراغ دون امل نرى عقله يسير بغريزته الى الحد الذى يتلف النفس والجسم معا ...

---

(١) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام يوسف كمال محمد سنة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م

(٢) راجع ايضا النحلة تسبح الله تاليف محمد حسن الحمصي ص ١٩٨ ط الرابعة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م .. انظر ايضا (حقوق الانسان في الاسلام) مجمع البحوث الاسلامية ص ٤٣ سنة ١٣٩١هـ – ١٩٧١م وانظر المجتمع ر.م. ما كيفر وزميله ، ت على احمد عيسى ، مصر ١٩٦١م ص ١١١–١١٢

(٣) نظم الحكم الحديثة ، ميشيل ستيوارت ت احمد كامل ، القاهرة ١٩٦٢ م

نعم ! لقد غاص الانسان في اعماق المحيطات ، وطار في اجواء الفضاء وفجر الذرة ولمس القمر ودار حول الارض مرات وكرات ...

ولكن صخب الالة وتذير الحرب والصراع على المادة قد اتلف حياته .. وصارت روحه مسجونة في جسده .. (١)

الغريب ان هذا العالم الغني بكل هذه التسهيلات المادية ولكنه لا يستطيع ان يعيش في سلام ..

وهذا الانسان الذكي يحطم نفسه بالصراع ..

وقد اصبح العلم والرفاهية من اكبر اسباب الشقاء والضياع للانسان.. (٢)

* * *

لقد استخدم الطاقة من النار ...

ثم ارتقى بها الى الكهرب ووصل الى ذروتها بالذرة..

ثم سكن القصور وتفنن في الماكل والملبس..

الا انه لا يحس بالسعادة في نفسه ..

ولا بالامن في وطنه ..

ولا بالسلام في عالمه ..

بل صار خائفا يترقب ..

ماذا يترقب ؟

يترقب حربا تدمره تدميرا ..

لماذا كل تلك الويلات ؟

لأنه ابتعد عن ربه .. والحد فيه .. وانكر الغيبيات (٣)

---

(١) النحلة تسبح الله محمد حسن الحمصي ص١٩٨

(٢) هزيمة الشيوعية في عالم الاسلام انوار الجندى ص١٢٩

(٣) يقول هكسلي(1): " اني لا افهم اذا صح وجود حياة اخرى تحياها النفوس كيف لا نستطيع ان نجد سبيلا الى استكشاف هذه الحياة . فلاشيء ما يتصل بالانسان يمكن ان يتوارى عن الانسان " راجع الطاقة الروحية لـ برجنسون هنرى ت ، سامي الدروبي ، بيروت ١٩٦٣ م

وأراد ان يقيم حياته بجهده فقط ..

فلذلك كان نصيبه المعيشة الضنك ..

﴿ ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ﴾ الاية ١٢٤ في سورة طه

وسنرى في الصفحات الاتية اننا الان على ابواب حرب الفناء التي لا تذر شيئا أتت عليه الا جعلته كالرميم ..

ولم يعد للذكاء الانساني طريق النبوغ سوى التفنن في ابتكار الات الهلاك.. في الوقت الذى تظهر فيه جميع الدول — في الأمم المتحدة — اشمئزازها من الحرب (١) نجدها ، تتسابق في الاستعداد لها تسابقا يستنفد اكبر قدر من مواردها ومجهودها ..

كل هذا وكثير من البشر يعانون من الفقر والمرض ولا يجدون ما يسد رمقهم او يشفي غلتهم .

فهل هذه المدنية تليق بالكرامة الانسانية ؟

الجواب لا ! وانما هي أثر من آثار الالحاد ..

* * *

أين موضـــع الــــــداء

ومن يلق نظرة فاحصة الى هذه الحضارة عن كثب بل عن كتب ايضا يجد ان هناك سلسلة من الفساد لا تنتهي قد اصبحت تخرج من شجرة الحضارة نفسها .. وأن هذه الامم قد أعيل صبرها على هذا العذاب فقلوبها مضطربـــة ، وارواحها غير مطمئنـــة .. ولكنها لا تدري اين موضع الداء في جسمها ..

تجد الاكثرية من هؤلاء الملاحدة تظن — خطأ — ان منبع تلك المفاسد والالام هو في الفروع .. فروع هذه الشـجرة الالحادية الخبيثـة .. فلا يزالون يضيعون اوقاتهم ومساعيهم في معالجـــة الفروع .. الفروع فقط .. ولكنهم لا يدركون ان الفساد كله في اصلها وجذورها .. وان الأمل في نشأة فرع صالح من اصل فاسد حماقة وجنون ...

---

(١) راجع كتاب الأمم المتحدة وموازين القوى المتحولة في الجمعية العامة كمبا. داغرص. ٤٠

وصدق الله تعالى ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء توئتي اكلها كل حين باذن ربها و يضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ٠٠ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ﴾ (سورة الابراهيم الايات ٢٥ـ٢٦) ٠

فئة أدركت موضع الداء وليس عندها دواء

وهناك بجانب اخر فئة قليلة من اصحاء العقول كامثال (الدكتور الكسيس كاريل)[1] قد ادركوا ان الاصل من شجرة حضارتهم ،هو الفاسد ـ كما نرى تفاصيل ذلك فيما بعد ـ ولكنهم لما نشوءوا في ظلال هذه الشجرة المعلونة ٠٠ وتغذت اجسامهم بثمارها يكادون لا يفهمون اى شيء يستبدلونه بهذا الاصل الفاسد ٠٠

ولا يعرفون ايضا ان الاصل الصالح هو الذى تتفرع منه اغصان واوراق صالحة ٠٠

وعلى هذا كله تتساوى حال الفئتين :

فكل اولئك يتطلبون شيئا يشفي الامهم ولكنهم لا يعلمون ما هو الشيء المطلوب ٠٠ واين يوجد ٠٠ ؟؟

هذه هي المأساة التي تعيش فيها الدول الملحدة اليوم ٠٠

* * *

وقد ظهرت هذه المأساة وذلك التدمير في مظاهر شتى ٠٠

---

(١) الانسان ذلك المجهول اليكسيس كاريل ت شفيق اسعد فريد ، بيروت ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ فهو يقول : " هناك غلطة اخرى تعزى الى اضطراب الاراء فيما يتعلق بالانسان والفرد ٠٠ تلك هي المساواة الديمقراطية ٠٠ ان هذا المذهب يتهاوى الان تحت ضربات تجارب الشعوب ٠٠ ومن ثم فانه ليس من الضروري التمسك بزيفه " راجع الصفحات المذكورة آنفا ٠

لعلنا يحسن بنا ان نكشف عن اهم عناصر هذا التدمير في اختصار شديد مراعاة لحجم هذه الرسالة ومدتها ..

(اولا) ــ الالحاد والفكر الاوربي

(ثانيا)ــ فصل السياسة عن الدين وعجز القوانين الوضعية ..

(ثالثا) ــ ظهور النتائج الالحادية في الدول الكبرى التي اخذت نصيبا وافرا ..

(رابعا) ــ عقوبة الفطرة .. فهي حضارة لا تناسب الانسان ..

واليك توضيحا لكل من ذلك .

الفصـــــل الأول

أثـــر الالحــاد في الفكــر الأوربى

وبرجوع سريع الى التاريخ الحديث الاوربي نجد ان الفكر الحديث لحضارة الغرب المادية ، افتتحه فيلسوفان شهيران :

(أولهما) ـ ديكارت .. واضع منهج البحث الاستنباطي .. ومن ورائه اتباعه الفرنسيون والالمان وغيرهم ..

(ثانيهما) ـ فرنسيس بيكون واضع المنهج التجريـبي .. ومن ورائـــه المدرسة الانجليزية ..

وقد لاحظ المؤرخون التشابه بين ديكارت وبيكون في ربط الفلسفة بالحياة العملية • فالغاية من الفلسفة ليس مجرد العلم كما ذهب أرسطو وانمــا تحقيق رفاهية البشر ..

فكان هذا بداية فصل العلم عن الدين •

* * *

فالفلسفة العقلية ـ وان بدأت بتمجيد العقل والاشادة بسلطانـــه الا أنها كانت كفلسفة التجريـبيين في اتصالها بالحياة العملية .. (١)

يؤكد ذلك الكاتب (كرين برنتن) في كتابه القيم افكار ورجـــال بما يلي : " ولكن توضيح الامر ينبغي ان يظهر لنا مدى انصراف العقل الكامـــل عن العقيدة المسيحية " وقال : " ان دفعة المذهب العقلي تتجــه بعيدا عن المسيحية .. والعقل يميل الى القول بان المعقول هو الطبيعي وانه " ليس هناك ما هو فوق الطبيعة " .. وليس في نظامه مكان للالـــه الشخصي ، وليس هناك مجال في عقله للاستسلام الصوفي للايمان .."

اذن فالمذهب العقلي يميل ان يبعد الله وما ليس بالطبيعي من الكون .. فلا بد اذن من التوسع في الموضوع •

---

(١) افكار ورجال تاليف كرين برنتن ت: محمود محمود ص ٤١٩ القاهرة ، نيويورك سنة ١٩٦٥ م

(وجـــاء ديكــــارت)

ان ديكارت الفرنسي — وان كان ينتسب الى الايمان بالله — ولكن اول عبارة نادى بها هي " العقل اعدل الاشياء قسمة بين الناس "(١) وكان هذا نداء الى فصل الدين عن العقل .

فلذلك اسس ديكارت الوجود على الفكر على حساب الاديان كلها ..

فقال : " انا مفكر فأنا — اذن — موجود " (Je pense Donc Je Suis)

من هنا بدأ الالحاد يشق طريقه الى الامام في الفكر الأوربي .(٢) لماذا ؟

لأنه جعل العقل الانساني رمزا لحرية الانسان تجـاه الكنيسة ..

(ثم جاء كانـــت)(٢) (2)

أما كانت فقد ذهب الى ابعد من ذلك لأنه راى ان وجود الله من المسائل الشائكة (او من النقائض) التي لا يستطيع المرء ان يقطـع فيها برأى لأنه ليس من عالم الظواهر التي ينبغي للفيلسوف ان يحصر نفســـه فيه ..

ومعنى ذلك ان كانت لم يكن مؤمنا بالله حق الايمان لانه يدعي انه لا يستطيع احد ان يجزم بوجوده عن طريق العقل ..

* * *

وظهر الفيلسوف (كومت) (Compte)(3) في القرن التاسع عشر سنة ١٧٩٨ م — ١٨٥٧ م فأسس المذهب الوضعي (positivisme)

وهي فلسفة لا تعتبر شيئا حقيقيا واقعيا الا ذلك الموضوع الوضعي الذى جـاء اثر التجارب الحسية وامكن اختباره بالحس وكان معنى هذا اخراج الافكار الروحية والغيبية من اى نظرة كما الحياة حيث الطبيعة هي المصدر الوحيد وما وراءه وهم وخيال .

ان هذا — لا شك — تقدم ملموس في سبيل الالحاد ..

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص ٥٦

(٢) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة اميل بوترو ت : احمد فؤاد الاهواني مصر ١٩٧٣ م .

(مقاومة فرنسيس بيكون للسلطة الدينية)

وكان اثر " بيكون " كبيرا اذ اندفعت اوربا وراءه تثق بالعلم ولا تؤمن الا بالتجربة .(١)

وبدأت هذه النزعة الواقعية في اول امرها عند فرنسيس بيكون سنة ١٦٢٦م فحارب السلطة الدينية — باسم البحث العلمي — في مختلف صورها .. واعتبر التجربة مصدر كل شيء ومعينه الذي لا يغيض .. وابعد سلطان النقل عن مجـــال البحث العلمي ومعنى ذلك كان يزعم انه يؤمن بالله ولذا يقول :

" ان القليل من الفلسفة يميل بصاحبه الى الالحاد .. ولكن التعمـــق في دراستها ينتهي بالعقل الى الايمان به.. "

ومع ذلك نجده مرة اخرى يعارض بالعلم الحديث ، منطق ارسطـو الذى كان يسود في اوربا آنذاك فوضع اساس المنهج التجريـبي الحديث ..

ثم نجده ايضا يرفض رفضا باتا ان يسخر العلم لخدمة الدين .. واعتبر هدف النظر العقلي فهم الطبيعة لاستغلالها والافادة منها في دنيانا الحاضرة .. عن طريق دراستها دراسة قائمة على المشاهدة والاستقراء التجريـبي .(٢)

وبذلك انفصل العلم عن الدين ..

واصبحت اوربا تقاوم السلطة الدينية .. ونشأت فيها سلسلة من الجمعيات العلمية للبحث التجريـبي كلها تقوم على رفض السلطة الدينية .. وكان من اظهر هذه الجمعيات :

مدرسة الطبيعيين الفلورنسيين عام ١٦٥٧م

والجمعية المالكية في لندن عام ١٦٤٥م .. وكان من رجالها (نيوتن) صاحب الجـاذبية .

وتلتها اكاديمية العلوم في فرنسا عام ١٦٦٦م

ثم الاكاديميا دل شمنتوه في ايطاليا(٣) (Academie Del Cemento)

---

(١) قصة الفلسفة تاليف (ويل ديورانت) ت احمد الشيباني ص١١٢ المكتبة الاهلية بيروت
(٢) قصة النزاع بين الدين والفلسفة ص٢٠٤ توفيق الطويل ط٢ مصر راجع ايضا سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الاساتذة ، الهيئة العامة للكتاب ج٢ انظر عن بيكون
(٣) المرجع السابق ص٢٠٥ وراجع ايضا افكار ورجال (برنتن) ص٤٢٢ وص ٤٢٩

وشاع انشاء مثل هذه الجمعيات في اوربا كلها ٠٠ وعلى نظمها نشأت مراصد باريس عام ١٦٦٧م وجرينتش عام ١٦٧٧م (4)

وكانت هذه كلها معسكرات معادية للكنيسة وجميع الافكار الدينية وان لم تعلن ذلك ٠٠ وقضوا ثلاثة قرون وهم يحطمون في بطء ما ورد في المسيحية من تعاليم ٠٠ وما تردد بصدر الوحي من " مزاعم " ٠

وقد تكفل اصحاب هذه المصانع بالدفاع عن المنطق واستخدامه في تفسير كل ما يعرض لهم من ظواهر ولو كان في صميم العقيدة الدينية ٠٠ فكانوا على هذا التمرد المتطور حتى جاء اليوم الذى ظهر الملحد الماتي للوجود (هيوم) فزاد الطين بلة ٠٠٠ فكان شرا مستطيرا على الكتب المقدسة ٠٠ وشرا على القائمين بأمرها ٠٠

وبهذا انزلق الكثيرون في اوربا الى مهاوى الالحاد ٠٠ فانكر (هيوم) (5) وجود الله اطلاقا فقال كلمته المشهورة :

" لقد رأينا الساعات تصنع في المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بان له صانعا ؟ " (١)

فصاروا يستدلون لالحادهم بالتطور العلمي الذى جلى للانسان ٠٠ ولم يكن على علم باسباب الشروق والغروب ٠٠ فلذا زعم ان هناك قوة فوق الطبيعة تجعلها تشرق وتغرب ٠٠

وها قد عرفنا — على حد زعمهم — اليوم ان شروق الشمس وغروبها يحدث بالدوران الارض حول نفسها ٠٠ وبهذا انتهت ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا بعدما عرفنا الاسباب المؤدية الى هذه الحركة الكونية :

" فاذا كان قوس قزح مظهرا لانكسار اشعة الشمس على المطر ٠٠ فماذا يدعونا الى القول بانها اية الله في السماء ٠٠ (٢)

---

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٥ نقلا عن كتاب :

(٢) المرجع السابق ص ٣٥
وراجع ايضا اثر العلم في المجتمع برتراند رسل ت : تمام حسان مصر ص ٦

من اجل هذا كله ،وغيره قال هكسلى :

" اذا كانت الحوادث تصدر عن قوانين طبيعية فلا ينبغى ننسبها الى اسباب فوق الطبيعة "(١) وزاد قائلا :

" فالدين نتيجة لتعامل خاص بين الانسان وبيئته " (٢) ويقول ايضا :

" ان هذه البيئة قد فات اوانها اوكاد ،وقد كانت هي المسئولة عن هذا التعامل فاما بعد فنائها وانتهاء التعامل معها فلا داعى للدين .."

ويضيف : " لقد انتهت العقيدة الى اخرنقطة تفيدنا .. وهى لا تستطيع ان تقبل الان اية تطورات .

لقد اخترع الانسان قوة ما وراء الطبيعة لتحمل عبء الدين ، جاء بالسحر ثم بالعمليات الروحية ثم العقيدة الالهية حتى اخترع فكرة (الاله الواحد) .

" لقد وصل الدين بهذه التطورات الى اخرمراحل حياته .. ولا شك ان هذه العقيدة كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا .. بيد ان هذه الاجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها ومدى افادتها للمجتمع المحاضر المتطور .. "

ثم جاء البيان الشيوعي ليكمل هذا التطور الالحادى فقال :

" ان الدستور والاخلاق والدين كلها خدعة البورجوازية وهي تتستر وراءها من اجل اطماعها .."

ويقول فيلسوف الشيوعية انجلز :

" ان كل القيم الاخلاقية هي في تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصادية " .

---

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص٣٦ ، ينقله عن كتاب :
Religion Without Revelation, N.Y, 1958 P.58

(٢) نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص٣٨ و ص٣٩

هذه كانت قضية الملاحدة ... لقد اصبح الالحاد سائدا في جميع افكارهم ..

تارة يعبرون عنه بالعلمانية ..

ومرة بالحضارة ..

وطورا بالتقدم ..

وحينا بالوجودية ..

واحيانا بالانسانية ..

ومرات بالتطور المطلق .. وغير ذلك من الاسماء البراقة ولكنها في نفس الوقت(١) هي كلمات اريد بها الباطل ..

وتلك بعض اثار الالحاد في الفكر الاوربي ..

* * *

ونتيجة فساد اعتقاد اوربا اختلت عندهم الموازين وقد استحكمت بها الأهواء والشهوات واضطربت فيها الحقائق فاشتبه الحق بالباطل والسبب في ذلك انه عندما يعلن العالم اكتشافا يقلب المعتقدات الدينية السائدة رأسا على عقب . فلا غرابة – اذن – ان تضطرب الحقائق بالباطل هناك(٢) .

يقول " سول " : " صار لزاما على الذين نبذوا الايمان بالله كلية ان يبحثوا عن بديل لذلك فوجدوه في الطبيعة " (٣)

وكتب الفكر الغربي تسمى ذلك العصر عصر تأليه الطبيعة أو عبادة الطبيعة ... وليست هذه العبارات مجازا بل هي مستعملة على الحقيقة تماما فكل صفات الله التي حرفها الناس عن المسيحية نقلها فلا سفة الطبيعة الى النهيم الجديد ، مع فارق كبير بين الالهين في نظرهم .

---

(١) راجع كتاب افكار ورجال (كرين برنتن) ص ٤٢٢ – ٤٢٣

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٧

(٣) المذاهب الاقتصادية الكبرى ، جورج سول ، ترجمة راشد البراوى مصر ١٩٦٥م

وسنرى بعض ذلك في فصل الالحاد واثره في الأخلاق الاوربية (١) ان شاء الله تعالى ٠

* * *

وبعد هذا ننتقل بالقارئ فورا الى اثر الالحاد في السياسة والحكم لنرى هناك كيف تم الفصل النكد بين الدين والحكم ٠٠ وكيف اصبحت هذه القوانين الوضعية بعد استقلالها عاجزة عن تلبية متطلبات الحياة ٠٠ وكيف صار الناس ضحية لهذه القوانين المصطنعة ٠٠ الى هناك ٠٠

وقفة قليلة مع رواد الفكر الأوربي

وقبل ان ننتقل الى اثار الالحاد في السياسة والحكم ، نود ان نتوقف هنا قليلا عند رواد المدنية الاوربية المعاصرة ٠٠

داروين ، وماركس ، وفرويد ودوركائم ٠٠٠

ويعتبر داروين - كما مر ذلك بنا مرارا - اهمهم حيث ابتكر نظريته في التطور العضوى واصل الانواع تتلاءم مع الاتجاه الالحادى الذى غزا اوربا ٠٠٠ فغير وجه التاريخ الاوربي بقوله : " ان الانسان حيوان متراقيا من الأميبا - (Ameba) ٠"

وبعدما اعتبر الناس انفسهم حيوانا ، غابت عن حسهم الكرامة الانسانية وتفرده في هذا الوجود ٠٠٠ فانتشر الانحلال الخلقي والترف ٠٠

---

(١) نؤكد دائما ان المسئول بهذا الالحاد هو الكنيسة لأول وهلة لقيامها بحماقات كثيرة منها : انها قاومت رئيس بلدية في المانيا لانه اخترع غاز الاستصباح بحجة ان الله خلق الليل ليلا والنهار نهارا ٠٠ وهو بمخترعه يريد تغيير مشيئة الخالق فيجعل الليل نهارا ٠٠" راجع محاضرات الموسم الثقافي بالكويت ١/ ٢٧٥ ، حكمت هاشم ، الكويت ١٩٧٦ م

و (فرويد) قد تحدثنا عنه مرة في مذهب اللاشعور ، كما تحدثنا عنه في تفسيره السلوك الانساني على اساس الغريزة الجنسية ..

ان هذا اليهودى قد جعل الجنس هو المحرك الاول والدافع الاصيل للانسانية و يشمل هذا التفسير الفرد والجماعة والاخلاق والدين والفن والفكر ..

فكان هو من اسباب تدهور الاخلاق في اوربا الحديثة ..

وأما (دوركائم) قد رأينا انه يرى ان الدين ليس فطريا في الانسان و يحصل ذلك من العقل الجمعى الذى اخترعه من بنات افكاره • فصار الناس كلما يتعمقون في دراسة العقل الجمعى يبتعدون عن الايمان .. وبهذا ساهم في عزل الدين عن المجتمع ..

وأكمل (ماركس) الحلقة في العلوم الاجتماعية والاقتصادية فرسم حلقة التطور الاجتماعى على انه لا يحركها سوى الاشباع المادى وان ادوات الانتاج هي التي تطورت بالانسان .. (١)

فكان هو اول من أسس دولة الحادية صرفة بحبل من اليهود ومن الملاحدة ..

---

(١) راجع بالتوسع كتاب مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ، يوسف كمال محمد ص ١٦

وراجع (فرويد وبافلوف) هارى ويلز ت : شوقى جلال ،مصر

وراجع الموجز في التحليل النفسي سيجموند فرويد ت احمد زكى ، مصر ١٩٦٣م ص٦٦

الالحاد والدولتان العظميان

في الوقت الراهن بلغ الالحاد بين الناس الى اختراع مذهب الحادى جديد في اميريكا سموه " البراجماتزم " •• (6)

هذا المذهب الذى يقول بأن الفكرة لا تكون فكرة الا اذا كان فيها ما يدل على نوع السلوك الناجح والا فهي وهم ••

فبدلا من الحكم على المعنى بالرجوع الى اصوله او بالاستدلال من مبادئ أولية ثابتة اخضع (وليم جيمس) صاحب المذهب المعنى الفكرة للأشياء •• كما يسمون ذلك ايضا بالمذهب العملى ••

فالماركسية الشيوعية والبراجماتية هما القطبان اللذان يجذبان اليهما مستقبل المدنية الاوربية في العصر الحديث ••

* * *

وبهذه الرؤية ادركنا مدى تأثير الالحاد في الأمم الأوربية وما اشتق منها من امريكا وروسيا ••

وبعد هذا لا يشك احد في ان اوربا دولة الحادية محضة (٢) ولا ينخدع ببعض مظاهر الكنيسة هناك •• كما لا ينخدع ايضا بنشاطات الفاتيكان السياسية •• وذليل ذلك ان المسيحية الحالية تعجز تماما عن ان تكون قوى محركة للمجتمع •• (١)

وسنرى مصداق ذلك في الصفحات الاتية •••

---

(١) راجع اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي : د• على محمد جريشة ـ محمد شريف الزيبق ص٨

(٢) يقول (كرسون) : ذهب بعضهم في الانكار الى ابعد حد انهم يدعوننا حتى الى حذف اسم الله نفسه وفي هذا يقول (دولباخ)

" ان عقيدة الله المأثور نسيج من المتناقضات ، ان فكرة الله هي الضلالة المشتركة للنوع الانساني "

راجع المشكلة الاخلاقية ، تأليف (كرسون) ت عبد الحليم حمود ط ٢ القاهرة ص ١٣٨

الفصل الثانـــــي

اثر الالحاد في الحكم والسياســــــة

فالذى لا شــك فيه ان فصل الدين عن الحكم والسياسة ، كان موجودا بالفعل اى ان نوعا من العلمانية الموضوعية كان يسود الحياة الاوربية طيلة القرون الوســطى ..

وذلك ان الشريعة المسيحية لم تطبق في عالم الواقــع .. ولما جــاء عصــر التــنوير قام الملاحدة للقضاء على البقيــة الباقيــة . فلندع الكـــلام للشيخ ابى الحسن الندوى ليوضح لنا هذه النقطة بالذات :

* * *

" لم تكن المسيحية في يوم من الايام من التفصيل والوضوح ومعالجة مسائل الانسان بحيث تقوم عليه حضارة ، او تسير في ضوئه دولة ، ولكن كان فيها أثارة من تعاليم المسيح ، وعليها مسحة من دين التوحيد البسيط ، فجاء بولس فطمس نورها و طمسها بخرافات الجاهلية التي انتقل منها ، والوثنية التي نشأ عليها ، وقضى قسطنطين على البقية الباقية ، حتى اصبحت النصرانية مزيجا مــــــن الخرافات اليونانية والوثنية والرومية والافلاطونية المصرية والرهبانية ..

" اضمحلت في جنبها تعاليم المسيح البسيطة كما تتلاشى القطرة في اليم ، وعادت نسيجا خشيبا من معتقدات وتقاليد لا تغذى الروح ، ولا تمد العقل ولا تشعل العاطفة ، ولا تحل معضلات الحياة ولا تـنير السبيل .. "

وزاد سال (Sal) مترجم القرآن الى الانكليزية عن نصارى القرن السادس عشر يقول : " واسرف المسيحيون في عبادة القديسين والصور المسيحية حتى فاقوا في ذلك الكاثوليك " في هذا العصر " (٢)

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ابو الحسن الندوى ص ٢٨

(٢)

نقلا عن الكتاب السابق ص ٢٨

وراجع ايضا البداية والنهاية ، مارلى تشايلد وزميله ٦ ، ١٢٧

وليس غريبا اذن ان نجد (مكيافيلي) ينادى — اول مرة — بصراحة الى استبعاد الدين وعزله عن الحياة ٠٠ وعن المجتمع الانساني كله ٠٠ فلا بد من توضيح ذلك !

أول دعوة الى فصل الدين عن الحكم والسياسة

ان (مكيافيلي) هو اول من تبنى دعوة علمانية ذاتية ٠٠ والى عزل الشئون الاجتماعية بكاملها عن فكرة التدين ٠٠ فسمي هذا الاتجاه الجديد (بالميكيافيلية) فهي منهج عملي للحكم ،تقوم — كما رسمها واضعها في (الأمير) على ثلاثة اسس متلازمة مستمدة من تصور لا ديني صرف هي :

١ — الاعتقاد بان الانسان شرير بطبعه ٠٠ وان رغبته في الخير مصطنعة يفتعلها لتحقيق غرض نفعي بحت ٠٠

وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ولا لوم اذا انساق وراءها ٠

٢ — الفصل التام بين السياسة وبين الدين والاخلاق ٠٠ وفرق (مكيافيلي) تمام التفريق بين دراسة السياسة ودراسة الشئون الاخلاقية ٠٠ وأكد عدم وجود ربط بينهما ٠٠

٣ — ان الغاية تبرر الوسيلة ٠٠ وهذه هي القاعدة العملية التي وضعها مكيافيلي بديلا عن القواعد الدينية والاخلاقية ٠ ولذلك فان لها عنده تفسيرا خاصا ٠٠ (٣)

---

(١) انظر الامير ص٤٤ ٢ فاروق سعد مطبوع مع الفكر السياسي قبل الامير وبعده عام ١٩٧٥م

(٢) الأمير : السابقة ص٣٥ ٠٠ راجع ايضا تاريخ النظرية السياسية الفصل الثاني والجدير بالذكر انه قد سبق دعوة مكيافيلي نظريات كثيرة كلها تنادى الى فصل الدين عن السياسة ومن ذلك النظرية الخيالية : ومن نماذجه جمهورية افلاطون راجع كتاب النظرية الخيالية ترجمة حنا خباز وراجع ايضا سلسلة تراث الانسانية (لونوبيا) ١ / ٣٨٤

ومن ذلك ايضا النظرية الاجتماعية لأرسطو راجع تاريخ علم الاجتماع (جاستون بوتول) ص ٩ وكذلك نظرية (الحق الالهى) راجع : مدخل الى علم السياسة ص ٢٦ —

وقال مكيافيلي ان الدولة غاية بذاتها ولا داعي للخوض فيما وراء ذلك .. أي ليست الغاية هي المثل العليا كما يقول الفلاسفة ، وليست هي تنفيذ القانون الالهي كما يقول المؤمنون ...

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية لا مانع من سلوك اي سبيل يوصل اليها واستخدام اية وسيلة من شأنها تسهيل ذلك مهما وصفت تلك السبل والوسائل بانها غير اخلاقية ومهما تنافت مع الدين ومنهجه في السلوك .. (١)

تلك صورة موجزة للمكيافيلية كما ظهرت في عصر النهضة ..

فلا شك ان ذلك أثر من الاثار الالحادية ...

---

(١) ان هذه الفكرة ماخوذة ـ بلا شك ـ من الفكر اليهودي التلمودي . قد مر بنا انهم قالوا في بروتوكولاتهم (ان الغاية تبرر الوسيلة) كما قالوا في تلمودهم مايلي :

" تتميز ارواح اليهود عن باقي الارواح بانها جزء من الله كما ان الابن جزء من والده " فهم شعب الله المختار " أما غيرهم فيقول عنهم التلمود : " الخارج عن دين اليهود حيوان فسمه كلبا او حمارا او خنزيرا .. والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان " راجع (الكنز المرصود في قواعد التلمود) د . روهلنج وزميله ت : يوسف حنا نصر الله بيروت

مظاهر الالحاد في المذاهب الجديدة

ان هذه الحضارة الحديثة ، الى جانب ما حققت من خطوات تقدمت فيها البشرية تقدما رائعا في مجالات الاكتشاف والبحث العلمي والصناعة الالية ، ووسائل العيش الرغيد ، وتعميم المنافع و " المساواة " بين مختلف الطبقات ...

رغم كل ذلك قد اقترنت هذه الحضارة بنقائض أساسية ومساوى فاضحة أبرزها : (١)

التنافس الاستعماري والصراع بين الاقوام وظلم الطبقات والافراد بعضهم لبعض .. وغلبة الاثرة .. والاهداف المادية على الناس افرادا وجماعات ... وضعف الوازع الخلقي والضميرى . وتزعزع القيم واضطراب العقائد والقلق الروحي واهمال المواهب والملكات الروحية في الانسان ... وتسخير العلم لغايات مادية غير اخلاقية (٢) وحصر الاصلاح الاجتماعي حين يكون اصلاح ، بالنواحي الاقتصادية وحدها .. وبالجملة دون الغايات والاهداف ...

كل ذلك لسبب اساسى هو ان هذه الحضارة قامت على الالحاد .. الالحاد فقط ..

فلذا لم ترتكز على تصور صحيح ، — لحقيقة الكون

— وحقيقة الانسان — وحقيقة الحياة

فاهملت في الانسان مواهبه الروحية .. كما اهملت صلة الانسان بخالق الكون وجمدت وتنكرت مسئولية الانسان امامه ..

---

(١) راجع كتاب الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الافكار الغربية ، محمد المبارك ص ٤٤ — ٤٥ ط الثانية ١٩٧٠ — ١٣٨٩ هـ

وانظر ايضا مقدمة مبادىء الاسلام للمودودي وفصل لا اله الا الله منهج حياة من معالم في الطريق

وانظر ايضا السبيل الى عالم افضل كارل بيكر ، ت : عبد العزيز اسماعيل القاهرة ١٩٤٨ م ص ٧٢

(٢) الصنم الذى هوى ، ستة من كبار الغرب ، ترجمة فؤاد حمودة ، المكتب الاسلامي ١٩٦٠ م ص ٩٠

وكانت نتائج انهيار العقائد والقيم الخلقية والروحية انفسح المجال لظهور مذاهب جديدة في العقيدة والاخلاق والسياسة تحل محلها . وكانت المذاهب المادية والعلمية والاشتراكية والديمقراطية والقومية وغيرها .. (١)

ومن مظاهر هذا الالحاد الفريد الاعتزاز بالقوة المادية في المال وتقييم الناس على اساس الثراء والحياة والعصبية .. والسخرية من المؤمنين الضعفاء .. وغير ذلك .. (٢) (٣)

* * *

ولا يسعنا ان ننتقل الى الجزء التالي حتى نشير الى هذه الدعاوى الفارغة التي يزين بها الملاحدة حضارتهم هذه ، بانها حضارة الحرية والديمقراطية التي تحقق للبشرية المساواة والسلام الدوليين ..

المساواة الفارغة

نود هنا ان نبين للناس ان هذه المساواة التي تتزين بها هذه الدول الملحدة ، انها دعاية فارغة واستهزاء بعقول الناس . ان ذلك يظهر لنا من ناحيتين :

(١) اقوال بعض الغربيين

(٢) فتح سوق لبيع العبيد السود .

واليك فكرة موجزة عن كل منهما :

---

(١) الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الفكر الغربي محمد المبارك ص٤٤

(٢) الدين والدولة ، الدكتور محمد البهي ص٦١

(٣) راجع كتاب مدخل الى علم السياسة (هارولد لاسكي) ت : عز الدين محمد البهي مصر ١٣٩٥هـ

وتاريخ العالم ، جمع جون أ . هامرتن ، ت : ادارة الترجمة مصر ج ٤ في هذين الكتابين نجد (لاسكي) يعيب النظريات السياسية الاوربية قديمها وحديثها وينقد الديمقراطية نقدا لاذعا الا انه تربى في ظل هذا الحكم المادي ما استطاع ان يدل على نظرية سياسية عادلة ..

أولا – اوربيون ينقضون هذه الديمقراطية المنحرفة :

ان المتأمل في هذه الدول الديمقراطية في العصر الحديث ، يجد انها ترفع صوتها بين الجماهير والعوام :

– الحريـــة ! – المســاواة ! – الأخـــوة !

ولكنها في نفس الوقت اكبر عدو من اعداء الحرية والمساواة والاخوة .. بل انها هي التي حالت – ولم تزل – تحول بين الناس وبين الحرية الحقيقية ... واذا اردنا مصداق ذلك فلنستمع الى التصريحات التالية : يقول (لاسكى) (١)

" ان الدولة (الديمقراطية) تبذل الكثير في سبيل تحقيق المساواة بين المواطنين فيما تمنحهم من ضمانات .. كما تتجـه اوامرها القانونية الى حمايـة الملكـية القائمة للامتيازات اكثر مما تعمل على توسيع نطاقها .

" فانقسام المجتمع الى فقراء واغنياء يجعل اوامر الدولة تعمل لصالح الأغنياء ان نفوذهم يرغم (نواب الدولة) وذى السلطة فيها على ان يكون لرغباتهـــم الاعتبار الاول ..

" وتعبر الدولة عن رغبات اولئك الذين يسيطرون على النظام الاقتصادى .. فالنظام القانوني بمثابة قناع تختفي وراءه مصلحة اقتصادية مسيطرة لتضمن الاستفادة من النفوذ السـياسي .

" فالدولة اثناء ممارستها لسلطتها لا تعمل الى تحقيق العدالة العامة او المنفعـة العامة وانها تعمل على تحقيق المصلحـة للطبقة المسيطرة في المجتمـع بأوسع معاني هذه المصلحـة .. (٢)

---

(١) مدخل الى علم السياسة ص ٨٥ تاليف (هارولد لاسكي) ت : راشد البرارى مصر ١٩٦٥ م

(٢) لو راجعت كتاب تاريخ البشرية تجد ان الشيوعية تدعى انها شكل سياسي لمجتمع اشتراكي قائم على الملكية العامة لوسائل الانتاج مخطط ومتحرر من الاستغلال " ولكنها كلها كلمات جوفاء .. تاليف منظمة اليونسكو ت : عثمان نوية وزملاؤه ، مصر ١٩٧١م

والكلام ما زال مع (لاسكى)

ان الحرية والمساواة اللتين حصلنا عليهما كانتا اولا وقبل كل شيء حرية ومساواة لمالك الثروة .. (١)

" والامثلة الواقعية على ذلك واضحة للعيان ولعلها في الحرب التي خاضها وتخوضها الولايات المتحدة اصرح دليل على خضوع السياسة الديمقراطية لضغط الطبقة المحتكرة .. (١)

فالحرب العالمية الاولى وكذلك الحرب الثانية ثم حرب (فيتنام) كلها دخلتها (امريكا) دون ان يكون لها مصلحة مباشرة او يتعرض أمنها القومي للخطر وبغض النظر عن دوافعها ونتائجها .. كان الشعب الامريكي يرفض تدخل حكومته في هذه الحروب وكانت المظاهرات الصاخبة احتجاجا على ضياع الأرواح والأموال فيما لا جدوى منه ..

" لكن الطبقة الرأسمالية التي تملك مصانع السلاح وشركاتها الكبرى التي تتولى تسويقه .. تكمن مصلحتها في اشعال الحروب واستمرارها ...

والذى حصل ـ ويحصل ـ دوما هو : تنفيذ رغبة هذه الفئة القليلة مقابل تعطيل رغبات الشعب كاملة .

ولما حاول الرئيس (كندى) (٢) تقديم المصلحة القومية وعقد اتفاقية وفاق دولي ، تخلصت منه هذه الطبقة .. فازهقت روحه بعملية اغتيال غريبة لاتزال اسرارها في طي الكتمان الى الان .. "

---

(١) المصدر السابق : ٥٠ ، ١٩ ، ١٤

وراجع ايضا كتاب لغة تراث الانسانية ج ٣ ص ٣٤٢ حيث يقول فيه (ارنولد توينبي) : اصبح استخدام اصطلاح الديمقراطية مجرد شعار من الدخان لا خفاء الصراع الحقيقي بين مبدأى الحرية والمساواة "

وللكاتب (رسل) بحث مثل ذلك راجع كتاب العقل والمادة ص ٢٤١ ـ ٢٤٢ تاليف برتراند رسل ت : احمد ابراهيم الشريف القاهرة ١٩٧٥م

وهكذا رأينا في هذا النص الواضح ان المساواة في ظل السياسة الديمقراطية مجرد خيال او خداع ‥ بل لقد ساهم الديمقراطية نفسها في انهيار الحضارة وذلك لسماحها لوجود الصراعات الدائمة بين الاحزاب المنقسمة على بعضها اولا ‥

والتحريض على المنافسات الحمقاء بين المواطنين ثانيا ‥

وعدم وجود سياسة متجانسة لمدى طويل اخيرا ‥

* * *

وملاحظة هذه المساوئ هي التي دفعت بالكاتب الانجليزي (ا ٠ د ٠ لندساس) الى القول :

" ان هناك دائما هوة رهيبة بين النظريات الرفيعة عن الديمقراطية التي تطرأ عنها في كتب النظريات السياسية وبين وقائع السياسة الفعلية " (١)

ان دل هذا على شيء فانما يدل على تأثير الالحاد في جميع التصورات الأوربية وسلوكها ‥

وبعد هذا ننتقل الى الجزء الثاني وهو المأساة الانسانية الكبرى ‥

---

(١) ان مثل هذا الخداع السياسي كما يوجد في الديمقراطية (الليبرالية) يوجد ايضا في الديمقراطية الشيوعية الشعبية فهذا لينين يقول : " يجب على المناضل الشيوعي الحق ان يتمرس بشتى ضروب الخداع والغش والتضليل ـ فالكفاح من اجل الشيوعية يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية " نقلا عن كتاب اشتراكيتهم واسلامنا بشير العوف : ٣٦ و ٣٧

وقد صرح (مايلز كوبلاند) صاحب لعبة الأمم ان هذه السياسة التضليلية هي منهج السياسة الامريكية ٠ راجع شرح كتاب الدبلوماسية والميكافيلية محمد صادق ص ٣٤١ ٠

وراجع ايضا معالم تاريخ الانسانية ص٤ ـ تاليف هـ ٠ ج ٠ ويلز ت : عبد العزيز توفيق جاويد القاهرة ١٩٦٧ م

بيــــع العبيـد الســــــود

ان أوربا التي تدعى الحرية والمساواة والاخوة قامت بفصل تمجه الاسماع ويأباه الطباع وتدمع منه العيون وتحزن له القلوب ٠٠٠

وهذا الفصل ٠٠ هو الاضطراب العظيم ٠٠ او تجارة العبيد السود بأرخص الأثمان ٠٠

تحكي لنا المعطيات التاريخية الموثوقة بها ،ان هذه التجارة كانت استنزافا لحيوية الشعب الافريقي ٠٠

وكانت تختلف اختلافا تاما عن مجرد اخضاع شعوب مغلوبة على امرها ٠٠ حتى انها كانت ـ على حد تعبير (باسيل دافيد سون) (١) أسوأ تاثيرا من الموت الاسود الذى يقال انه قضى على ثلث سكان أوربا ٠٠ ذلك لأن تجـارة العبيد امتدت اثارها فشملت النواحي الاجتماعية وحطت من قدر الحياة الانسانية نفسها بالنسبة للافريقيين وللأوربيين الذين تعاملوا بها ٠٠ واليك بيان ذلك :

قصة تجارة العبيد في الاسواق الاوربية

ان من وقف على العمل البربرى الذى قام به الاوربيون ـ الذين يدعون المساواة والحرية والأخوة ضد الشعب الافريقي ـ يعلم يقينا ان هذه الغوغائيـة كلمات جوفاء لا تستند الى حقيقة واقعية ٠٠٠

يذكر التاريخ ان طلب اوربا للعبيد بدأ حوالى سنة ١٤٤٤ م حين وصلت شحنة من السود من (السنغال) (٢) الى (لشبونة) (٩) واستمر الطلب عدة مئات من السنين بعد ذلك على حين كان البرتغاليون وغيرهم يتنافسون في ميدان هذه التجـارة ٠٠ حتى قيل : ان عدد العبيد الزنوج الذين اختطفوا من افريقيا فاق عدد سكان البرازيل باكملهم ٠

---

(١) راجع : افريقيا القديمة تكتشف من جديد : تاليف (باسيل دافيد سون) ترجمة نبيل بدر وسعد زغلول مراجعة محمود شرقي الكيال ص ٥٨

وقد جلب تجار العبيد من افريقيا اعدادا بالملايين مات الكثير منهم نتيجة الحروب او اثناء شحنهم على ظهر السفن . (١)

وقد قدر مؤرخ برتغالي اخيرا ان نحوا من ٣٨٩،٠٠٠ر١ عبد قد تم جلبهم من ساحل (انجولا) وحدها ما بين سنة ١٤٨٦م وسنة ١٦٤١م بمعنى ان نحوا من تسعة الاف عبد في السنة الواحدة كانوا يختطفون من منطقة لم تكن قط كثيفة السكان ..

وقد ورد تقرير للملك فيليب الاول العدد العبيد الذين اخذوا من (انجولا) ونقلوا الى البرازيل ما بين سنوات ١٥٧٥ ـ ١٥٩١ م بانهم : ٥٣٠٠ر ٥٢ بمعدل ألفي عبد كل عام ..

وأما (كادو ينجا) قدر العدد الكلى للعبيد الذين نقلوا الى البرازيل واكثرهم من (انجولا) و (موزمبيق) بين عامي ١٥٨٠ و ١٦٨٠ م بحوالى مليون ، بمعدل عشرة الاف كل عام (١)

هذا ما فعلته اوربا الجاهلة باخوانها في الانسانية .. كانوا يبيعونهم بيع السلعة بل كان العبيد احقر عندهم من السلعة .. (٢)

وتلك هي المعاملة الاوربية الملحدة بالانسانية .. ثم بعد ذلك تجدهم يدعون انهم الانسانيون الرحماء يراعون حقوق الانسان و يحترمونها وان كنت تعجب فأعجب من التقارير التالية ..

---

(١) المرجع السابق ص ٥٨

(٢) تطور المجتمع الامريكي ص ١١٢ فما بعده تاليف (كينث لن) ت : نعيم موسى دار اليقظة ١٩٦٦م يقول فيه : وهو يعيب الرأسمالية ـ " ولا عجب من ان يفضل الناس العبودية البيضاء اى (عبودية رأس المال) على عبودية (الزنوج) طالما انها تدر ربحا اكثر وتحررهم من جميع المسئوليات والاعمال التي يقوم بها مالكو العبيد (الزنوج) ".

تقار بر ليفربـــول

يخبرنا التاريخ انه خلال احدى عشرة ســنة ٠٠ من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٧٩٣ م قامت من ليفربول نحوحوالي ٩٠٠ رحلة بحرية لتجارة العبيد حملت اكثر من ٣٠٠,٠٠٠ عبد وكانت تبلغ قيمتهم في هذه الايام ١٥,٠٠٠,٠٠٠ مليون جنيـه ٠٠

وبلغ ما في هذه الرحلات التسمائة (١٢,٠٠٠,٠٠٠) مليون جنيـــه بمعدل مليون جنيه كل عام٠

ويضيف (بارت) في كتاباته في منتصف القرن التاسع عشر من تجارة العبيد داخل السودان الغربي والتي كان مركزها (كانسو) (١٥) (بنيجربا) (١١) أنها بلغت الى ذروتها حتى انه ساد الاعتقاد احيانا بصعوبة القضاء عليها ٠٠ (١)

هذه من الاعمال الاجرامية التي قامت به اوربا تجاه الشعب الافريقي ٠٠٠ بعدما اعلنوا مراعاة حقوق الانسان ٠٠ (٢)

هل هذه الافاعيل المنكرة تتناسب مع الاخوةوالمســاواة والحريـة ؟ وهكذا يفعل الالحاد بأهله ٠٠

وصدق الله تعالى ﴿ لقد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾

هذا وصف موجز لفساد التصور الاوربي بسبب الحادهم في الله عز وجـل ٠٠ والعياذ بالله من الالحاد ٠٠

فلننتقل سريعا الى لون آخر من الوان التاثير الالحادى في الحياة الاوربية وهو أدهى وأمر ٠٠ فالى هناك٠٠

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩

(٢) راجع الامم المتحدة وموازين القوة المتجولة في الجمعية العامة تاليف كمبل داغر ص ٩

الفصل الثالث

الخمر وعجز القوانين الوضعية

وقد تواترت الاشارات في القرآن الكريم الى جهل الانسان بأمر نفسه ومستقبله ومصيره ومآلات افعاله ، مع تأثره بالشهوات وبالهوى وبالضعف بحيث لا يصلح — بجهالته هذه وضعفه وهواه — لأن يتولى وضع منهج لحياته هو وان كان مزودا بالقدرة على استخدام المادة الصماء ومعرفة قوانينها اللازمة له في الخلافة ..

ولكن لما خسر الناس انفسهم بالحادهم ، ارادوا ان يضعوا لانفسهم مناهجا لحياتهم ، فكانت النتيجة الخسارة الفادحة للانسانية جمعاء كما ذكرنا آنفا .

ومن يتامل في القوانين الوضعية يجد فيها اثر الالحاد واضحا ، يجد ان هذه القوانين عاجزة كل العجز ان تلبي جميع متطلبات الانسان .. ولن نذهب بك الى اعماق التاريخ ويكفينا ان نثبت هنا حادثة واحدة فقط في تاريخنا المعاصر .. ان هذه الحادثة لا تدع مجالا للشك من ان الانسان يعجز كل العجز ان يقوم بنفسه دون رجوع الى شريعة الله الذى يعلم السر وأخفى ..

ان هذه الحادثة وقعت في (اميركا) التي لا يجاريها احد في التقدم الصناعي والتكنولوجي ومع ذلك سترى عجزها وتراجعها عن هذا الميدان ..

واليك القصة نلخصها عن كتاب " نحن والحضارة الغربية " للشيخ المودودى :

وفي النهاية نبدى رأينا الشخصي ان شاء الله تعالى ..

" في اوائل شهر ديسمبر سنة ١٩٣٣ م صدر الاعلان الرسمي في اميركا بالغاء قانون تحريم الخمر (prohibition Law)(١)

---

(١) راجع كتاب نحن والغرب للشيخ المودودى المرحوم ص٥٣

" فارتد اهالي الدنيا الجديدة الى معاقرة المداومة والكأس بعد اربعة عشر عاما
.. قضوها في مشقة تحريمها ...
(١٢)
كان تولي السيد (روزفلت) لرئاسة الجمهورية الامريكية الاعلان بانتصار
(الخمر) على الأمر ، فاعقبته اولا اباحة الشراب الممزوج ب ٣ر٢ % من الكحول
في ابريل من سنة ١٩٣٣ م بقانون رسمي ثم لم تمض عليه بضعة اشهر حتى ألغى
التعديل الثامن عشر من مسودة الدستور الاميركي وهو الذى اباح به على الناس
بيع الخمر وشراؤها وصنعها وتصديرها واستيرادها ...
" كانت هذه اكبر تجربة جربها الانسان لاصلاح الاخلاق والسلوك
الاجتماعي بقوة القانون وسلطة الحكم لا يوجد لها نظير في التاريخ .. وذلك
انه قبل ان يدخل التعديل الثامن عشر على الدستور الاميركي اقيمت في البلاد
دعاية واسعة النطاق ضد الخمر .. دعايات في ترغيب الاميركيين عن الخمر وتثبيت
مضارها بالقاء الخطب وتاليف الرسائل والكتب وعرض المسرحيات وافلام السينما ..
وانفقت في سبيل هذا التبليغ عشرات السنين ، وبذلت الاموال حتى
قدر ان نشرات النشر والاذاعة بلغت تكاليفها من لدن بدء الحركة الى سنة
١٩٥٥ م مبلغ خمسة وستين مليون دولار ٦٥,٠٠٠,٠٠٠ دولار .
وانه بلغ عدد الصفحات التي سود بياضها لبيان مساوئ الخمر والزجر
عنها تسعة الاف مليون صفحة ..
وذلك قبل بدء التجربة .. واما ما تحملته الأمة الاميركية في الاربعة
عشر عاما الماضية من النفقات الباهظة لأجل تنفيذ قانون التحريم فقدر
مجموعها باربعة ملايين ونصف مليون جنيه . (١)
" وتدل الاحصاءات التي اذاعها ديوان القضاء الاميركي للفترة
الواقعة بين يناير من سنة ١٩٢٠ م واكتوبر من سنة ١٩٣٣ م

---

(١) المرجع السابق ص٥٣

أنه قتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نسمة وسجن نصف مليون وغرم الجناة ما يربو على مليون ونصف مليون جنيه ، وصودر من الأملاك ما يساوى اربعمائة مليون جنيه ..

لماذا كابدت امبركا ، كل هذا النقص الهائل في الأنفس والأموال ؟

يجيب الشيخ المودودى بقوله :

" كابدته امبركا لغرض واحد هو : تلقين الأمة الامبركية " المتحضرة " مفاسد الخمر الجمة ، وتبينها الى مضارها الروحية والصحية والاخلاقية والاقتصادية ..

" ولكن كل هذه الجهود المتوالية التي بذلت قبل تنفيذ التحريم ، وبعده بتأييد من قوة الحكومة وسلطانها ، خابت لدى الامة الامبركية ...

* * *

والسؤال هنا هو : كيف خابت امبركا في هذه المحاولة ؟ هل تنقصها قوة تفرض بها شخصيتها على الشعب الامبركي ؟ أو ازيلت المضار عن الخمر ؟ ورجعت الى المنافع ؟

يجيب الشيخ المودودى بقوله :

" لقد عاد القوم من هذا الجهاد الاصطلاحي بصفقة خاسرة "

لم يكن اخفاق الحكومة الامبركية في تحريم الخمر ولا الغاؤها لقانون التحريم بعد تنفيذه راجعة الى ان مضار الخمر التي أعيد وأبدئ في بيانها فيما قبل — واستخدمت سلطة القانون وقوة الدعاية لاستئصالها .. قد تحولت الى المنافع ، أو جاء اكتشاف علمي جديد يصحح آراء الناس في الخمر ..

---

(١) المرجع السابق ص ٥٤

" بل الحق ان قد برهنت لهم شواهد اقوى وتجارب أوسع واكثر ... مما كان منها في الغابر ان الخمر ام الخبائث .. وان لها النصيب الاكبر في تشويه اخلاق الأمم الغربية وتخريب صحة ابدانها وافساد معاشها واجتماعها ... ولكن الذى كان حرم باصواته استعمالها قبل اربعة عشر عاما .. عاد هو نفسه يصر على اباحتها .. واطلاق الحرية في استعمالها ...

* * *

* والذى نعلمه انه لم يجحد احد من خلق الله بمضار الخمر حتى ولا اشد حماتها وهواتها ، ولا تقدم احد ممن يخالف تحريمها ببيان لمحاسنها ومنافعها يقام له وزن في جنب مفاسدها الكثيرة ... وعندما عرض على المؤتمر الاميركي الاقتراح بادخال التعديل الثامن عشر على الدستور بتأييد قوى من الرأى العام تثبت القوم في الأمر ... ووازنوا جيدا بين الحياتين حياة بليلة ببلال الراح المباح واخرى جافة بجفاف الزهد والامتناع ولم يوافق المؤتمر على هذا التعديل الا مراعاة لكل ذلك المضار التي في الخمر ... ثم أيدته عليه ست واربعون ولاية من الولايات المتحدة ...

وصادق على قانون التحريم التابع له كل من مجلس النواب (Congress) ومجلس الأعيان (Senate) وتم كل ذلك حسب رضاء الأمة الاميركية وارادتها .. وما دام امر هذا التحريم حبرا على القرطاس وحديثا في الأفواه بقيت الأمة تؤيده وتحامي عنه . (١)

" ولكن العجب – وأمر الغرب كله غريب – انه لم يكد يدخل هذا القانون في طور التنفيذ وفي حيز العمل حتى تبدلت الأمة غير الأمة

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥

فعادت — وهي ارقى أمم الارض مدنية واقواها سياسة وأغزرها علما وأرجحها عقلا واميلها الى الحقيقة والواقع — عادت لا تطيق الصبر عن أم الخبائث هذه ، وما باتت ليلة واحدة بدونها حتى جن جنونها وطارت حواسها وأخذت تأتي من الافعال ما يخيل الى الناظر انها توشك ان تشدخ رأسها بفهر أو صخرة كفعل العاشق المجنون ...

فلم تكد تغلق الحانات القانونية العلنية في البلاد بجانب ، حتى انفتحت فيها بجانب اخر الاف مؤلفة من الحانات السرية التي يحتال فيها اصحابها ضروبا من الحيل لبيع الخمر وشرائها وشربها وسقيها .. اتقاء مؤاخذة القانون .

* * *

وبلغ من طغيان شهوة الخمر على الناس ان اصبحت دلالة رجل منهم لآخر من اقاربه او اصدقائه على مكان حانة خفية او على كلمة سرّها ، عملا من البر والاحسان عظيما ..

وقد اصبحت الحكومة لا تستطيع ان تراقب عدد الحانات كما كانت تفعل ذلك قبل التحريم ... فاختلط الحابل بالنابل ، لا يعرف النوع الجيد من الرديء وأقبل الناس على شرب الخمر بشكل لا مثيل له في تاريخ اميركا .... فغلت اثمان الخمر غلاء فاحشا .. وعادت مهنة بيع الخمر من اربح المهن وأنفعها ... وبينما كان عدد مصانع الخمر الحائزة للامتياز قبل التحريم لا يعدو اربعمائة ، فقد عثروا في مدة سبع سنين بعد التحريم على قريب من ثمانين ألف ... ٨٠ مصنع ..

ووجدوا اكثر من تسعين الف أتون لصنع الخمر .. على اقل تقدير .. (١)

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦

" لقد حدث ان اصبح الاميركيون يشربون مئتي مليون غـالون (Gallons) من الخمر في كل سنة .. وكانت الخمور التي تصنـع بعد التحريم أردأ نوعا وأشد بالصحة ضررا حتى قال الأطباء انه سم وليس خمرا .

عـدد المرضـى

قد كان عدد المرضى حسب الاحصاءات لمدينة (نيويورك) في قبل التحريم فصار سنة ١٩٨٨م ٢٥٢ نفسا / (٤٧٤١) نسمة بعد التحريم .

وكان عدد الهالكين من استعمال الخمر آنذاك : ٢٥٢ نفسا

ثم بلغ عدد المرضى فيها لسنة ١٩٢٧ م بعد التحريم أحد عشر الفا وعدد الهالكين سبع الاف ونصف الألف . ما عدا الذين لم يعثروا عليهم فلا يعلم عددهم الا الله ..

" كذلك كثرت الجرائم وخاصة جرائم الفتيان كثرة فاحشة وشهـد القضاة الامريكيون انه لم تعهد في تاريخ بلادنا هذه الكثرة الكاثرة من الصبيان المقبوض عليهم في حالة السكر "انتهى (١)

هذه هي من نتائج الالحاد .. وهذه امريكا قد عجزت قوانينها ان تقرر هذا الحكم ... والان نود ان نعلق على هذه الحقيقة التاريخية الثمينة .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩

تأملات في هذا التقرير

ومن يتأمل في هذا التقرير يصل الى النتائج التالية :

(١) زالت عن القلوب حرمة القانون ونشأت نزعة للبغي والتمرد في كل طبقة من طبقات المجتمع الاميركي ..

(٢) لم تتحقق الغاية المقصودة من تحريم الخمر ، بل زاد الطين بلة ، بحيث زاد استعمالها بعد التحريم على ما كان عليه قبله ..

(٣) لقد تجشمت الحكومة خسائر فادحة لا تحصى في تنفيذ قانون التحريم .. ومثلها ايضا اصاب الشعب الاميركي لاشترائه الخمر خفية باثمان غالية فتأثرت بذلك اقتصاديات البلاد .

(٤) كثرت الامراض واختلت الصحة وازدادت نسبة الوفيات وفسدت الاخلاق وشاعت الرذائل وتفاحشت الجرائم في جميع طبقات المجتمع الاميركي وعلى الاخص في الجيل الناشيء ..

وكانت هذه كلها من ثمرات هذا القانون الذى صدر من تلك القلوب الملحدة والافكار المنحرفة التي جعلت نقطة انطلاقها الالحاد والبعد عن هدى الله في التصور والسلوك والحكم ..

هناك سؤال هام يفرض نفسه على الباحث وهو : ما هو السر في عجز القانون الاميركي ؟ هل هذا النقص يرجع الى القانون نفسه او الى الواضعين لهذا القانون ؟

فسوف نرى الاجابة على هذه الأسئلة في الصفحات التالية عندما نتحدث عن تحريم الخمر في الاسلام ..

كيف تم تحريم الخمر في الاسلام

والان هيا بنا نرسل نظرة عابرة في قطر كان يعد أعشق الناس الى شرب الخمر وأجهل اقطار الارض في أظلم عصور التاريخ الانساني ..

قطر كان الناس فيه متهالكين على شرب الخمر ومتفاوتين فيها ..

وأشعارهم شاهدة على ذلك : كانوا يعتبرون شرب الخمر لا زما من لزوم حياتهم ..

ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

حدث هناك ان هذا القطر هاجروا الخمر وهاجروا من يشربها بل يضربونه بالنعال — ولم يكتفوا بان يأتيهم امر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فينتهوا عنه ؟ بل قاموا هم بانفسهم يستفتون النبي صلى الله عليه وسلم عن حكم الخمر ..

فاذا الايات القرآنية الكريمة تقول :

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ، واثمهما اكبر من نفعهما ... ﴾ (١)

فيسمع الناس الاية الكريمة .. وليس فيها امر او نهي وانما هي خبر عن حقيقة الخمر وانها ذات منافع وذات مضار ولكن ضررها اكبر من نفعها ولكن بسبب تأثير تعاليم الاسلام فيهم ، نجد قوما منهم يتركونها ويقولون : لا حاجة لنا في شربها ولا في شيء فيه اثم كبير .. و يشربها قوم لقوله تعالى : ﴿ ومنافع للناس ... ﴾ .

ثم أعيد السؤال ثانية عن الخمر ، اذ كان بعض الناس يصلون وهم سكارى فنزلت الاية التالية :

---

(١) سورة البقرة : ٢١٩

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ (١)

فحرم السكر في اوقات الصلاة ولكنه تركها قوم بالمرة وقالوا : لاخير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة . وقال قوم .. نشربها ونجلس في بيوتنا فكانوا يتركونها وقت الصلاة ويشربونها في غير اوقات الصلاة وذلك لئلا يصلوا وهم سكارى أو يضطروا الى ترك الصلاة من أجل السكر ..

فبعد ذلك تطلعت نفوسهم الطاهرة الى بيان شاف للخمر ..

فأنزل الله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .. ﴾ ﴿ انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين .. ﴾ (٢)

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " انتهينا يا رب ! " وقال أنس رضي الله عنه : " حرمت ولم يكن للعرب يومئذ عيش اعجب منها ، وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر .. قال : فأخرجنا الحباب الى الطريق ، ولقد غودرت أزقة المدينة بعد ذلك حينا ، كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت ريحها " .

---

(١) النساء /٤٣

(٢) المائدة /٩٠

يراجع فى ذلك كتاب الشيخ القرضاوى سماه

أما منا تجربتان

أيها الملحد : ولوكنت ملحدا ولكن العقل والمنطق يستطيعان ان يفرقا بين المستقيم والمعوج ٠٠ وبين الحق والباطل اذا لم يكن هناك هوى النفس٠٠

أمامك تجربتان اثنتان :

- تجربة اجريت في اميركا في العهد القريب
- واخرى جريت في العرب في صدر الاسلام

والفرق بينهما كما سمعت ايها الملحد ! فلك ان توازن بينهما وتقارن ثم تستخلص من ذلك العبرة ٠

ففي القطر الاميركي قام اولوا الاصلاح بدعاية واسعة ضد الخمر مدة سنوات طوال ، وبذلوا ملا يين الدورات لاعلان مضارها ومساوئها وبينوا آفاتها وسيء آثارها في جسم الانسان واخلاقه واقتصاده بأدلة ناهضة من تعاليم الطب والاستنباط المنطقي وأثبتوها اثباتا لا يدع احدا في شك من الأمر ٠٠ بل أروا الناس مضار الخمر رأى العين متمثلة في الصور وسموا سميهم لأن يوءمن الناس بمفاسد أم الخبائث ٠٠ فيستعدوا لتركها من تلقاء انفسهم ٠٠ ثم ان الموءتمر الاميركي وهو اكبر حزب سياسي للأميركيين حينئذ قطع بتحريم الخمر باكثرية غالبة ،فسن له قانونا ،ثم جاءت الحكومة وهي من اعظم حكومات الأرض واقواها ٠ فاستفرغت جهودها لمنع بيعها وشرائها وصنعها وتصديرها واستيرادها ،ولكن الأمة وهي في طليعة الأمم "المثقفة المستنيرة " ترفض هجرها فاضطر القانون في مدة اربعة عشر عاما أن يرجع القهقرى فيحل بنفسه ما حرمه بالأمس٠٠

أنظر يا ملحد كيف يصنع الالحاد باهله ٠٠ فهم دائما في ريبهم يترددون ٠

ثم انظر يا ملحد الصفحة الثانية البيضاء ٠٠ هل رأيت أحدا في الاسلام

قام بنوع من الدعاية ضد الخمر ٠٠ هل رأيت أحدا انفق مالا في سبيل تحريمه ؟
الجواب لا !

وقال انس بن مالك : كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة ٠٠فاذا مناد ينادى فقال القوم : اخرج فانظر ! فاذا مناد ينادى ، ألا ان الخمر قد حرمت ٠٠ قال : فجرت في سلك المدينة فقال لي ابو طلحة : اخرج فاهرقها ! فهرقتها ٠٠

وقيل كان رجل يشرب الخمر واوشكت الكأس أن تمس شفتيه ، اذا بداخل دخل عليه وقرأ اية التحريم ،فانفصلت الكاس من فيه للحال ،ولم يذق لسانه قطرة مما فيها بعد ذلك ٠٠

وكل من شرب منهم بعد ذلك ضربوه بالنعال وبالجريد والعصى ثم جلدوه أربعين ،ثم جعلوا حد الشرب ثمانين جلدة ٠

فكان من نتيجة ذلك ان هجر هؤلاء الابرار ، شرب الخمر هجرا ٠٠
ثم حينما بلغ الاسلام اقطار الأرض من افريقيا وآسيا زهد الأمم فيها ونفروا عنها ٠٠ حتى صرت ترى اليوم — وقد ضعفت آثار تعليمه — ملايين من المسلمين في هذه الدنيا يجتنبون الخمر بدون زاجر من قانون التحريم او مانع من نظام التعزيز ٠٠٠

ولكن لو أحصيت اليوم نسبة الشاربين في العالم ولعل تكون هذه الجماعة الاسلامية ، أزهد الأمم في الخمر ٠٠٠

ولو شرب من هذه الأمة شارب ،لا يشرب الا وهو يعتقد انه يرتكب اثما ومعصية ، فيندم عليه في قلبه وربما تاب عنها من تلقاء نفسه ٠٠

وانما أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم على الناس أن يا قوم لقد حرم الله الخمر ٠٠٠ أعلنها في الأمة كانت أعشق للخمر من الأمة الأميركية ٠

فودعتها وداعا لا رجعة لها بعده ما دامت في دائرة الاسلام ٠٠

هل تدبرت جيدا —نى يا ملحد — أسباب هذا الفرق العظيم بين التجربتين :

الاسلامي والامبركي ؟ ••• ولو تدبرت حق التدبر تبينت لك أمور هي كالأصول الكلية الثابتة لا في الخمر وحدها بل في جميع مسائل القانون والاخلاق ••

أولهما :— انه فرق اساسي بين الاسلام والقوانين الوضعية في تنظيم السلوك الانساني ، فالقوانين الوضعية تعتمد تماما على الرأى الانساني •• والمعلوم ان الرأى الانساني مضطرب بطبيعة حال الانسان •• فكيف اذا كانت تلك القوانين مستمدة من آراء العامة ؟ فيهم مجرمون يريدون البقاء على اجرامهم كما حصل ذلك في هذه القصة التي نحن بصددها ••

* * *

ولنفرض ايضا ان القوانين مستمدة من رأى الخاصة اصحاب الاختصاص بوضع القوانين • فانهم ايضا لا يزالون يتأثرون في كل آن بالعواطف والنزعات الانسانية والأسباب والعوامل الخارجية واحكام العلم والعقل القابلة للتغيير مما لا يلزم ان يكونوا بجانب الصواب في كل حال ••

وهذا التأثير بلا شك — يؤدى الى التغير في الافكار والآراء وبهذا التغير تتبدل بالضرورة مقاييس الخير والشر والصحيح والخطأ •• والجائز والمحظور ••• والحرام والحلال ••

واضطراب هذه المقاييس يكره القانون على ان يميل معها حيث مالت وبذلك لا يتحقق للأخلاق والمدنية مقياس ثابت •

وأما الملاحدة الذين ابتعدوا عن الله تعالى يدعون الى الحرية في كل شيء هذا الذى يعبرون عنه بهذه الكلمات :

التقدمية — التطور — الواقعية — تحرير المرأة •••

يعني ان نترك الزمام بيد انسان نفسه لكي يتقدم و يتطور و يكون من الواقعيين و بحرير المرأة .. فلذلك يكرهون الاستسلام لله في الحكم .. (١)

ولا يدرى هذا القائل بجهله ان قانونهم كمثل سائق مريض يسوق السيارة فتعبث يداه بموجهتها يمينا وشمالا بدون نظام ..

والمعلوم ان اضطراب الموجهة يعقب اضطرابا في سير السيارة فلا تلتزم طريقا مستقيما .. واذا هي سارت مثل هذا السير فلا تلتزم طريقا مستقيما ، واذا هي سارت مثل هذا السير المختلج يمنة ويسرة فلا بد ان يتأثر به السائق ومن معه في السيارة .. فيكونون تارة على سواء الطريق وتارة على جانبيه يخشى في كل حين ان يسقط بهم المركب في فجوة او يصطدم بهم بصخرة او يصيبهم من صدمات الطريق ما هو أشد وأتعب ..

هذه هي السمة البارزة في جميع القوانين الوضعية .. فمن هذه الحيثية قلنا ان القوانين عاجزة كل العجز ان تلبي جميع متطلبات الانسان ..

واما الاسلام بخلاف ذلك لأن جميع الاصول الكلية ومعظم الفروع الجزئية فيه هي من وضع الله الى الرسول صلى الله عليه وسلم . وليس للرأى الانسانى التدخل فيها من سبيل .

فلذا اتفق جميع المسلمين في الأرض على تحريم الخمر وأعلوا اصواتهم بحق ذلك لم يستطيعوا ان يحلوا هذا الحرام أبدا ....

---

(١) الاسلام في الواقع الايدولوجى المعاصر ، د . محمد البهي ص ٢٢ ط ١ سنة ١٩٧٠

من بركات التشريع الاسلامي

وقد يقول القائل : ان الفقهاء قد تدخلوا في بعض الجزئيات في الاسلام نقول له : ان كان لهم بعض التدخل في الجزئيات فهو لا يعدو أن يستنبطوا فروعا جديدة من تلك الأصول الكلية ..

والحكمة في ذلك مراعاة لأوضاع الحياة المتبدلة ... وان من بركات هذا التشريع الرباني أنه يضع بأيدينا مقياسا ثابتا للمدنية والأخلاق لا يتزلزل .. فلا يكون في قوانيننا الخلقية والمدنية اثر للتلوث ... ولا يمكن عندنا ان يصبح حرام الأمس حلال اليوم ثم يعود حراما غدا ...

انما الحرام في الاسلام حرام الى الأبد ..

والحلال حلال الى يوم يلقونه تعالى ..

عليك بالله أيها الملحد : أي الفريقين أولى بالأمن ، الذى يسلم زمام مركبه الى حاذق تام البراعة .. او الذى يسلمه لمضطرب غير مجرب ؟ ؟ الجواب عند الملحد ...

وأما نحن معشر المسلمين انما افتخارنا في أننا على قول ثابت في الحياة الدنيا .. فهذا فضل من الله تعالى .. والملاحدة فلا يهتدون سبيلا ..

يقول تعالى :

* يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين * (١)

هذا هو الفرق الاول حسب ترتيبنا - بين القوانين الوضعية وبين الشريعة الاسلامية ..

---

(١) ابراهيم / ٢٧

وأما الأمر الثاني الخطير ان السلطات الدنيوية اذا ارادت وضع القواعد الانسانية ومحاولة الاصلاح في التمدن والاخلاق والاجتماع فهي تحتاج في كل مسألة فرعية الى استرضاء عامتها للاطلاع فيها قبل ان تتولاه وتأخذ في العمل له .

ولذلك يتوقف نفاذ كل مادة من مواد قانونهما على رضاء جمهور العامة وكل ما ينفذ في البلاد من قانون تنظيمي ،بخلاف رضاهم فانه - لا محالة - يلغى آخر الأمر بعد كثير من الفساد واضطراب الأحوال .

وليس هذا خاصا بما جربته امريكا وحدها وانما تشهد به تجارب الدنيا بأجمعها .. وهذا دليل على ان القوانين المدنية عقيمة نكدة لا تغني شيئا في اصلاح الأخلاق والاجتماع .

لأن المفسدين الذين تقصد هذه القوانين الى اصلاحهم ،هم الذين يتوقف على رضاهم تقرير تلك القوانين وتنفيذها او الغاؤها هذه هي مشكلة القوانين الوضعية الالحادية ...

الحل الاسلامي لهذه العقدة

وقد حل الاسلام هذه العقدة بطريق آخر ... ان تأملته علمت أنه لا حل لهذه المشكلة سواه ...

وهو أنه قبل ان يتعرض لمسائل التمدن والاجتماع والأخلاق وقبل أن يطالب الانسان باطاعة قوانين الشرع .

يدعوه أن يؤمن بالله وبكتابه ورسوله ..

فالانسان حينئذ مختار أن يؤمن أو لا يؤمن ..
ولكنه متى آمن بالله والكتاب والرسول ،
بطل كل سؤال : لماذا كذا ؟ ولم كذا ؟
وكل ما يقرره كتاب الله ورسوله كان امرا واجب الاذعان له ..
فلذا يدعونا الاسلام الى الايمان بكلمة (لا اله الا الله محمد رسول الله) واذا ثبت هذا الأصل من الايمان بالله جرى عليه جميع القوانين الشرعية ولم يعد لرضاه أو سخطه دخل في مسألة كلية أو جزئية ...

ولو تأملت - يا ملحد - ان هذا السبب في ان المشروع الذى لم يتحقق في اميركا على رغم ما أهلك في سبيله من ملا بين الدولارات و على رغم ذلك التبليغ والدعاية والنشر النادر النظير في تاريخ الأمم ومساعى الحكومات المتوالية على طول السنين ، تحقق في دنيا الاسلام باعلان واحد أعلنه الرسول عن ربه ...

الالحاد والجهل والانسان

ومن تأمل في التاريخ الانساني يجد كلما ابتعد الانسان ووضع لنفسه منهجا لحياته يجد الناس تحته الشقاوة والمتاعب. وذلك لا لشيء الا أن الانسان قاصر كل القصور ان يهاجم هذه المنطقة لأنها غيب . ولقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في أكثر من آية .

يقول الله تعالى :

﴿ ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ..﴾ (١)

---

(١) الروم ٦-٧

* يسألونك عن الروح : قل : الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا * (١)

* وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير * (٢)

* آباؤكم وابناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا * (٣)

* فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * (٤)

* وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون * (٥)

* لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * (٦)

* ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى * (٧)

* ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن * (٨)

* ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا * (٩)

---

(١) الاسراء : ٨٥
(٢) لقمان : ٣٤
(٣) النساء : ١٩
(٤) النساء : ١٢
(٥) البقرة : ٢١٦
(٦) الطلاق : ١
(٧) النجم : ٢٣
(٨) المؤمنون : ٧١
(٩) المعارج : ١٩

" وغير هذه الاشارات في القرآن كثير ... وهي تجيء - غالبا - تعقيبا على التشريعات والتوجيهات التي يسنها الله للناس ، ويخبرهم معها انهم هم لا يستطيعون ان يشرعوا لأنفسهم ، وليست لديهم القدرات والاستعدادات الضرورية لوضع منهج لحياتهم هم انفسهم ، لانهم يجهلون انفسهم ويجهلون مآلات تصرفاتهم ورغباتهم ، ويخضعون لأهوائهم وشهواتهم وكلها مؤثرات تجعل من الخطر على وجودهم ، وعلى خط سيرهم في الحياة ان يتولوا هم وضع شريعتهم وتخطيط منهج حياتهم الأصيل . (١)

فنجد هذه الاشارات في مثل هذه المناسبات :

* ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون *

* كتب عليكم القتال وهو كره لكم . وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وانتم لا تعلمون * (٢)

* يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن - الا ان يأتين بفاحشة مبينة - وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا * (٣)

* يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ... لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا * (٤)

---

(١) راجع الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ٢٦
(٢) الجاثية / ١٨
(٣) البقرة / ٢١٦
(٣) النساء / ١٩
(٤) الطلاق / ١

﴿ يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين .. فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك . وان كانت واحدة فلها النصف ، ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ـ ان كان له ولد ـ فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث .. فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين ـ آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم أقرب لكم نفعا . فريضة من الله .. ان الله كان عليما حكيما .. ﴾

هذا ما اشار اليه القرآن الكريم من ان الانسان لا يستطيع ان يضع لنفسه تشريعا عادلا .. ولقد رأينا انفا فشل اميركا في هذا المجال وفي مجالات تشريعية اخرى .. الذى يقال في شأن اميركا ، يقال ايضا في جميع القوانين الوضعية .. فكلها تتسم بالقصور والجهل لانها اتخذت الالحاد قاعدة الانطلاق .

الدكتور الكسيس كاريل يتكلم

ان هذه الحقيقة قد ادركها بعض الباحثين الاوربيين كامثال الدكتور الكسيس كاريل السالف الذكر .. كأن هذا الدكتور يقرأ القرآن حين قرر ان الانسان جاهل من ان يضع لنفسه منهجا لحياته ولذا ألف كتابا فسماه " الانسان ذلك المجهول " "L'Homme L'inconnu"

فلندعه يتكلم :

---

(١) ترجمة الدكتور الكسيس كاريل .. ولد د . كتور كاريل بالقرب من (ليون في فرنسا) وحصل على اجازة الطب بها .. كما حصل على اجازة العلوم من (ديجون) وبعد ان مارس التدريس في جامعة ليون عدة اعوام رحل الى الولايات المتحدة واشتغل في معهد (روكفلر) للابحاث العلمية في (نيويورك) وبقي هناك قرابة ثلاثين عاما حتى اعتزل العمل به سنة ١٩٣٠ .. ثم عهدت اليه وزارة الصحة الفرنسية بمهمة خاصة تتصل بالحرب ، وكانت هذه المهمة تكملة لمهمة اضطلع بها ابان الحرب العالمية الاولى ، عندما كان يعمل جراحا مع القوات الفرنسية والبريطانية والاميركية ومنح جائزة نوبل عام ١٩١٢ لابحاثه الطبية الفذة . راجع الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص ٧

" وفي الحق لقد بذل الجنس البشرى مجهودا جبارا لكي يعرف نفسه ، ولكنه بالرغم من اننا نملك كنزا من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانيين في جميع الازمان ، فاننا استطعنا ان نفهم جوانب معينة فقط من انفسنا .. اننا لا نفهم الانسان ككل .. اننا نعرفه على انه مكون من موكب من الاشباح تسير وفي وسطها حقيقة مجهولة .

اليس هذا الذى يقوله القرآن بقوله ﴿ يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ﴾

ثم اضاف قائلا :

" وواقع الامر ان جهلنا مطبق .. فاغلب الاسئلة التي يلقيها على انفسهم اولئك الذين يدرسون الجنس البشرى تظل بلا جواب .. لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية ، ما زالت غير معروفة .. فنحن لا نعرف حتى الان الاجابة على اسئلة كثيرة مثل :

" اننا ما زلنا بعيدين جدا عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمي والعضلات والاعضاء .. ووجوه النشاط العقلي والروحي .. وما زلنا نجهل العوامل التي تحدث التوازن العصبي ومقاومة التعب والكفاح ضد الأمراض ..

اننا لا نعرف كيف يمكن ان يزداد الاحساس الأدبي وقوة الحكم ، والجرأة ولا ما هي الاهمية النسبية النشاط العقلي والأدبي .. كذلك النشاط الديني ..

" أى شكل من اشكال النشاط مسؤول عن تبادل الشعور او الخواطر ؟ (١)

" كيف نستطيع ان نحول دون تدهور الانسان وانحطاطه في المدنية العصرية ؟

---

(١) راجع كتاب الانسان ذلك المجهول د. الكسيس كاريل تعريب شفيق اسعد فريد منشورات مكتبة المعارف بيروت ص ١٢ ــ ١٨

" وهناك اسئلة اخرى لا عداد لها ،يمكن ان تلقى في موضوعات تعتبر في غاية الاهمية بالنسبة لنا ٠٠ولكنها ستظل جميعا بلا جواب ٠٠ فمن الواضح ان جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانسان غير كاف وان معرفتنا بانفسنا ما زالت بدائية في الغالب ٠٠ " (١)

ولكن لماذا كان جهلنا مطبقا بحقيقة الانسان ؟ لماذا كان الذين يدرسون الحياة كمن ضلوا في طريقهم في غاب متشابك الاشجار ؟

هل كان ذلك لقصور وسائلنا العلمية في فترة من الفترات ؟ أم لظروف وقتية من ظروف حياتنا الانسانية ؟ ومن ثم يكون هناك امل كبير وفرص كثيرة لتكملة تلك الوسائل ،وتغيير هذه الظروف ثم الوصول الى معرفة الحقيقة الانسانية كاملة واضحة محددة ؟

ام هناك اسباب ثابتة في طبيعة الحقيقة الانسانية من جهة وفي طبيعة تفكيرنا من جهة اخرى ؟

يجيب هذا العالم (الكبير) بقوله :

" قد يعزى جهلنا في الوقت ذاته الى طريقة حياة اجدادنا ، والى طبيعتنا المعقدة والى تركيب عقلنا " . (٢)

وهكذا يتضح من هذا التقرير الحاسم من هذا العالم الكبير الذى اتيحت له فرصة الاطلاع على نتائج البحوث الضخمة ، ان هناك فارقا اساسيا بين علوم المادة وعلوم الحياة ٠٠ وان هذا الفارق لا يتعلق ببيئة ولا زمان ٠ وانما هو كامن في امرين ثابتين :

١ - تعقد الموضوع

٢ - طبيعة تركيبنا

وبهذا نستطيع ان نقول ان الحضارة الغربية ، تشق طريقها الى الدمار ٠٠ الدليل هو أوربا نفسها ٠٠

---

(١) راجع كتاب الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص١٤

(٢) المرجع السابق ص١٦

أوربا في القرن العشرين قد وصلت الى ذروة من العلم والقوة المادية وضخامة الانتاج لم تعرف لها البشرية مثيلا منذ مولدها ..

واوربا في القرن العشرين قد وصلت الى مستوى من الهبوط الخلقي والروحي لم تعرف البشرية أسوأ منه في جاهليتها القديمة والحديثة على السواء

وهذا برتراندرسل الفيلسوف الانكليزى الملحد المعاصر ، لم يمنعه الحاده أن يقول الحق فيما يرى من تدهور الحضارة المادية فقال :

" ان سيادة الرجل الابيض قد انتهت " (١)

لم يقل ذلك لان الرجل الابيض قد خلا من الانتاج ، ولكنه قال ذلك لأن الرجل الابيض قد فرغ من الداخل ..

فرغ من العقيدة الصالحة ..

فرغ من الروح ..

فرغ من الاخلاق بمعناها الانساني الواسع لا بمعناها النفعي الضيق الذى يمارسه الغرب في وقته الحاضر ..

ولو كان التقدم العلمي .. او الانتاج المادى او غير ذلك من الاشياء ا الموجودة لوجب ان يرتفع الغرب اليوم الى القمة الانسانية العليا في كل ميدان من ميادين السلوك البشرى .. ولما وجد هذا الوجه الكالح تحت هذه القوانين الوضعية الجائرة العاجزة ..

فقد رأينا كيف عجزت هذه القوانين في تحريم الخمر .

القوانين التي تجيز للناس التفرقة العنصرية والاستعمار والانحلال الخلقي والانحطاط الروحي والصراع الكريه والفزع المدمر الذى يعيش فيه العالم من خوف الحرب والهلاك ..

---

(١) معركة التقاليد ، محمد قطب ص ٨٧

الخلاصة :

ان من آثار الالحاد في اوربا الحديثة عجز القوانين الوضعية التي اتخذت نقطة انطلاقها من الالحاد والتعطيل .. اولا .. ومن الجهل المطبق لحقيقة الانسان ثانيا ..

من هنا وقع الناس في ظل هذه القوانين المزعومة في تخبط واضطراب ولا استطاع قانون من قوانينهم ان يضع للناس نظاما شاملا مضبوطا صالحا للحياة الانسانية ..

والذى نراه دائما هو ان اى نظام وضعه الانسان لا نسان ـ بعيدا عن منهج الله ـ لا بد ان يعرض الحياة الانسانية و يعرض الانسان نفسه للعطب والدمار في صورة من صور العطب والدمار .. وسنرى ان شاء الله في مبحث " عقوبة الفطرة " كيف اصبح الانسان في قلق شديد بسبب ما صنعته يداه من اسلحة مدمرة واستعدادات حربية ..

الفصل الرابـــــع

مشكلة العقوبة في القوانين الوضعيـــــة

أولا ــ في الشريعـــة :

تقوم نظرية العقوبات في الشريعة الاسلامية ، وفي كل شرع الله علـــى ارضه ، على الاعتقاد ان الانسان مخلوق يتمتع بالخيار الكامل في افعاله.. (١)

وهو يفعل كل ما يفعل باختياره وارادته وليس مجبورا كما تدعيــه الجبرية ، ولا هو خالق لا فعاله كما تدعيه المعتزلة (٢) المتطرفة ،ولا هـــو مريض كما يدعيه الملاحدة . (٣)

وانما يقترف الجرائم بارادته وخالص قصده .. ولذلك أوجب الله تعالى انزال العقوبات عليه لتكون عبرة (نكالا) للآخرين ، فيخافون من مصير المجرم ويجتنبون الاتيان بمثل ما أتى به ..

واليك نصوص تؤكـــد ذلك :

﴿ انا هدیناه السبیل اما شاکرا واما کفورا ﴾ (٤)

﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .. ﴾ (٥)

وفي العقوبات قال تعالى :

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما نكالا من الله ﴾ (٦)

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما ثمانين جلدة ﴾ (٧)

الى غير ذلك من الايات الكريمة التي تشير الى اثبات المشيئة للانسان وانه مطالب بكل ما يقوم به من عمل ..

---

(١) راجع شرح الاصول الخمسة ،عبد الجبار محمد ص ٣٣٦
هذا يخالف ما يقوله الجهمية راجع الملل والنحل شهرستان ج ١ ص ٨٧

(٢) راجع كتاب المعتزلة ، زهدي حسن جار الله ص ٣٠

(٣) كتاب الشريعة الاسلامية وتحديات العصر ،وحيد الدين خان ص ٢٥

(٤) سورة الانسان / ٣ (٥) سورة الكهف / ٢٩ (٦) المائدة / ٣٨

(٧) النور / ٢

هذا هو الكلام المعقول الذى تتجلى فيه الحكمة في خلقه التي هي غاية الوجود الانساني • فتعالى الى ارباب الجهالة العلمية لترى تفكيرهم بهذا الصدد ••

ثانيا ـ العقوبات عند الملاحدة :

ان الملاحدة ومن لف لفهم في نظريتهم الجديدة التي ظهرت في اوربا في نهاية القرن التاسع عشر باسم " علم الجريمة " يدعون بان الجريمة ليست عملا متعمدا بل هو عمل اضطرارى (١) و سبب الجريمة ـ في وجهة نظرهم هذه ـ يكمن في الاصول الحياتية والامراض العقلية والعسر المادى (الفقر) والاحوال الاجتماعية •

وعلى هذا الاساس طالبوا باعتبار المجرم مريضا وبمعالجته بدلا من معاقبته فوقفوا جميعا في صفوف الظلمة ضد أرباب الحقوق الشرعيين • هكذا يفعل الالحاد باهله ••

وقد حظيت هذه النظرية السخيفة بقبول عام في الغرب ، فأقيمت الاصلاحيات في كثير من البلدان الاوربية بدل السجون ، والغيت العقوبات الرادعة للجرائم الاخلاقية •• هكذا يدّعون ••

ولكن تصرفاتهم تكذب هذا القانون ••

فمثلا كانوا يعتبرون المجرم مريضا تجبر معالجته ، ولماذا لا يطبقون ذلك في جميع الأحوال :

---

(١) ان هذه الفكرة الشنيعة قد سبق ان اشرنا الى ان ميكافيلي هو ممن اسسوها لأنه يقول لا يجب الاعتقاد بأن الانسان شرير بطبعه وان رغبته في الخير مصطنعة يفتعلها لتحقيق غرض نفعي بحت •• وما دامت تلك هي طبيعته المتأصلة فلا حرج عليه ولا لوم اذا انساق وراءها " راجع الأمير : ص١٤٤ فاروق سعد ، مطبوع مع كتاب الفكر السياسي قبل الأمير وبعده ، بيروت ١٩٧٥م

ولماذا ابقوا العقوبات الرادعة للجرائم الخاصة بالأمن والدفاع ؟

ولماذا لا يقال لهؤلاء مثل ما قيل للسابقين ؟

ان هذه الحقيقة نفسها تشكك في هذه النظرية التي تعتبر الجرائم عملا اضطراريا •

هذا من ناحية ••

ولكن العلم الحديث أشار الى خطأ هذا القانون وهذه النظرية ••

لأنه قد اثبت ان الناس في المجتمعات المزدهرة والصحية اكثر ميلا

الى اقتراف الجرائم منهم في المجتمعات الفقيرة وغير الصحية ••

لقد رأينا في هذا الباب ان جميع التدابير قد أخفقت في اوربا وامريكا

في الحيلولة دون الجرائم ••

بل لقد ارتفع معدل الجرائم في الدول التي سلكت طريق تخفيف

العقوبات ••

وعلى سبيل المثال •• ألغت (سريلانكا) وولاية (دويلاوير)

الامريكية عقوبة الاعدام ، ولكنها اضطرتا لاعادتها بعد ان تفشت الجرائم

ولذلك اضطر خبراء التشريع لمراجعة نظريتهم السابقة ••

ويقول احدهم " ان اعتقاد الناس ان القتل يستوجب عقوبة

الاعدام للقاتل يتمتع في نفسه بقيمة ردع عظيمة " (١)

المملكة العربية السعودية خير شاهد

أيضاً

ان المملكة العربية السعودية خير شاهد على كذبهم واكبر شاهد/على ان

تطبيق الشريعة الاسلامية يتمشى مع كل زمان ومكان ••

فهي تعتبر النموذج الحي في الدول الاسلامية التي لا تزال تنفذ العقوبات

الشرعية فالمعلوم ان معدل الجرائم هنا اقل بكثير من الدول المتحضرة ••

* * *

---

(١) الشريعة الاسلامية وتحديات العصر ، وحيد الدين خان ص ٢٦

ان هذا التقرير ليس لاجل انتمائنا الى الاسلام وانما الواقع نفسه في المملكة العربية السعودية هو الذى يتكلم ...

ومن الشهادات التي سجلها الباحثون لهذه المملكة ، ما سطره الدكتور عبد العزيز عامر في حديثه عن نجاح تطبيق العقوبات الشرعية في مكافحة الجرائم وذلك في كتاب (التعزيز) فقال :

" ... واذا كانت الشريعة الاسلامية في الناحية الجنائية قد غذت الأمم الاسلامية على سعتها ، وكفتها مئونة البحث عن تشريعات اخرى ، واقيمت على اسسها المتينة الحكومة الاسلامية الرشيدة التي بسطت سلطانها على اهم بقاع المعمورة اجيالا عدة .. فانها لا تزال مصدرا صالحا للتشريع ، وان تطبيقها في العصر الحديث قد أمدنا بآية بينة وحجة دامغة وأكد انها شريعة كل عصر وأوان .. فان ما تتناقله الألسن عن الأمن في المملكة العربية السعودية واستتباب النظام في ظل الحكم بالشريعة الاسلامية لأصدق شاهد على ما نقول ، فلا يختلف اثنان في أن الامن هنالك مستتب في كل مكان ولا يجرؤ كائن من كان سواء أكان من اعراب البادية ام من سكان الحضر على اقتراف اية جريمة ، خصوصا السرقات . والسر في ذلك هو الأخذ باحكام الشريعة والشدة في معاملة المجرمين والثأر للناس وللمجتمع من كل من يرتكب جرما وتدل الاحصاءات الرسمية في السرقة ان الحد لا يطبق الا مرة واحدة او مرتين خلال السنة في جميع تلك البلاد الواسعة المترامية الاطراف .

" فاذا عرفنا كيف ان هذه البلاد تتوافر فيها معظم المغريات على ارتكاب الجريمة خصوصا في موسم الحج الذى يمكن فيه ارتكاب كثير من جرائم الاعتداء على النفس والمال بالنسبة للحجيج مما كان يحدث في العهود الماضية ، واذا عرفنا مع ذلك انه منذ تطبيق التشريع الاسلامي فيها على يد حكم السعود يين الرشيد ، والأمن مستتب ، والنفوس والأموال محفوظة .. والحجاج الذين يعدون بمئات الالوف الذين يفدون على تلك البلاد كل سنة .. ملبين دعاء الله لهم

بالحج ،فينتشر فيها الامان والطمأنينة وتبتعد عن محيطهم الجريمة ، حتى انه يندر ان تسمع بجريمة تقع على احد الحجاج الان .. نقول اذا عرف كل ذلك عرف السبب وتاكد اليقين بان الشريعة الاسلامية باحكامها السمحة وحدودها الصارمة في الظاهر من الأمر .. المنطوية على الرحمة بالناس في باطنه هي السر في نقل تلك البلاد من جاهلية البداوة وظلام الظلم الى صعيد المدنية ومجال العدل ،كما حصل في صدر الاسلام .. (١)

فماذا أقــــول ؟

أقول ان نجاح تطبيق الشريعة الاسلامية خصوصا في مجال العقوبات في تلك البلاد ، وقيامها على مصالح الناس في العصر الحاضر لأكبر برهان على سموها وتفوقها وانها ليست من الشرائع الخالية او شرائع القرون البالية ... بل انها شريعة حية ابدية صالحة لكل مكان وزمان ، لانها من وحي الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ...

ويعلم ما فيه صلاح الناس وما فيه فسادهم ،لأنه هو خالقهم العليم بدقائقهم ودخائل نفوسهم . فكيف مع ذلك يكون تشريع الخالق كتشريع البشر .. "

ونعتقد ان هذا القول فيه من الوضوح والأمانة في الاستشهاد ما يسكت القائلين بأن المجرم مريض يجب ان يعالج وان الشريعة في هذا المحيط قد دخلت في ذمة التاريخ .. بل انها شريعة تتحدى جميع الأنظمة الوضعية وقد رأينا ذلك في السطور الماضية .. والان نود ان ننتقل الى خطوة اخرى لنرى فيها بعض تحديات الشريعة الاسلامية للقوانين الوضعية ..

---

(١) علم الاجتماع ، الرئاسة العامة لتعليم البنات : ط اولى سنة ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م ص ٢٧٩

الفصل الخامس

ظهور آثار الالحاد في الدول الكبرى

ان الكثيرين يظنون ان محبة الشهوات سهلة وميسورة ، ولكنها مشقة وجهد وثقلة ، وعقابيلها في حياة المجتمع – بل في حياة كل فرد – عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة ..

والنظر الى الواقع في حياة المجتمعات التي "تحررت" من قيود الدين والاخلاق والحياء ، في هذه العلاقة ، يكفي ان يلقي الرعب في القلوب .. لو كانت هناك قلوب ..

لقد كانت فوضى العلاقات الجنسية هي (المعول) الاول الذى حطم الحضارة القديمة ، حطم الحضارة الاغريقية (١) وحطم الحضارة الرومانية ،

---

(١) اليونان : كان اليونان ارقى الأمم القديمة حضارة ، وكانت المرأة في أول عهده منحطة لا قيمة لها في المجتمع ثم ارتفعت مكانة المرأة بتأثير العلم وانتشار انوار الحضارة .. وكان الحجاب شائعا في البيوتات العالية .. ثم جعلت الشهوات النفسية تتغلب على اهل اليونان حتى تبدلت مقاييس الاخلاق عندهم الى حد جعل كبار فلاسفتهم وعلماء الاخلاق عندهم لا يرون في الزنا وارتكاب الفحشاء غضاضة يلام عليها المرء و يعاب .. وقلما يرون بأسا بأن يعاشر الرجل المرأة علنا من غير عقد ولا نكاح .. فكان ذلك هو السبب الحقيقي لزوال هذه الحضارة .. ثم جاء بعدهم الرومان فتقدموا قليلا في سبيل المدنية والحضارة .. ثم بدأت تتغير نظرتهم الى العلاقات والروابط القائمة بين الرجل والمرأة من غير عقد مشروع .. حتى ان العلماء فيهم يعدون الزنا شيئا عاديا .. وكان ذلك من اسباب هلاكهم وزوال حضارتهم
وأما (الفرس) كانت هناك (المزدكية) التي دعت الى شيوعية النساء :
وأما في (بابل) كان الناس ينظرون الى الزنا بعين التقديس والاجلال ..
وأما في (الهند)آنذاك كان هناك (بام مارك) .. هذه صور من الماضي ..
وسيرى القارئ ان صورها لا فرق بينها و بين الصورة الالحادية الحالية .. وان اختلفتا في مظاهرهما الا انهما لا تختلف في جوهرهما ..

وحطم الحضارة الفارسية ... وهذه الفوضى ذاتها هي التي تحطم الحضارة الغربية الالحادية ، وقد ظهرت آثار التحطيم شبه كاملة في انهيار فرنسا التي سبقت في هذه الفوضى والتي تعتبر – بحق – أم الحضارة الالحادية الحالية .. كما بدأت هذه الاثار تظهر في امريكا والسويد وانجلترا وغيرها من دول الحضارة الحديثة .. فلا بد اذن من التوضيح ..

واليك بعض الأمثلة تؤيد ما قلناه ..

أولا :ـ فرنسا ام الحضارة الاباحية :

هناك بحث قيم للاستاذ ابي الاعلى المودودى – رحمه الله – امير الجماعة الاسلامية بباكستان في كتابه القيم " الحجاب " سوف ننقل عنه كثيرا من هذه المعطيات التاريخية مما يتناسب وهذا الموضوع .

ومن نظر في انهيار فرنسا التام في كل حرب خاضتها منذ سنة ١٨٧٠ الى اليوم لا يستغرب من الكلمات التي سجلها الاستاذ ابو الاعلى المودودى في كتابه المذكور حيث يقول :

" ان اول ما قد جر على الفرنسيين تمكن الشهوات منهم ، اضمحلال قواهم الجسدية ، وتدرجها الى الضعف يوما فيوما . فان الهياج الدائم قد اوهن اعصابهم ، وتعبد الشهوات يكاد يأتي على قوة صبرهم وجلدهم ، وطغيان الامراض السرية قد اجحف بصحتهم ، فمن اوائل القرن العشرين لا يزال حكام الجيش الفرنسي يخفضون من مستوى القوة والصحة البدنية المطلوب في المتطوعة للجند الفرنسي على فترة كل بضع سنين . لأن عدد الشبان الوافين بالمستوى السابق من القوة والصحة لا يزال يقل ويندر في الأمة على مسير الايام .. وهذا مقياس أمين يدلنا كدلالة مقياس الحرارة في الصحة والتدقيق على كيفية اضمحلال القوى الجسدية في الأمة الفرنسية ".(١)

---

(١) راجع كتاب الحجاب للسيد ابي الاعلى المودودى امير الجماعة الاسلامية بباكستان ص ٩١

ثم قال : " ومن اهم عوامل هذا الاضمحلال : الامراض السرية الفتاكة .
يدل على ذلك ان كان عدد الجنود الذين اضطرت الحكومة الى ان تعفيهم من العمل وتبعث بهم الى المستشفيات في السنتين الاوليين من سني الحرب العالمية الاولى لكونهم مصابين بمرض الزهري ، خمسة وسبعين الفا . وابتلى بهذا المرض وحده ٢٤٢ جنديا في آن واحد في ثكنة متوسطة . وتصور بالله - الكلام لأبي الاعلى المودودي - حال هذه الأمة البائسة في الوقت الذي كانت فيه - بجانب - في المضيق الحرج بين الحياة والموت ، كان ابناؤها الشباب تعطل الاف منهم عن اعمال الدفاع ، من جراء انغماسهم في اللذات .. وما كفى امتهم ذلك خسرانا ، بل ضيعوا جانبا من ثروة الأمة ووسائلها في علاجهم في تلك الأوضاع الحرجة .

" يقول دكتور فرنسي نطاسي يدعى الدكتور (لبريه) . انه يموت في فرنسا ثلاثون الف نسمة بالزهري ، وما يتبعه من الامراض الكثيرة في كل سنة . وهذا المرض افتك الامراض بالأمة الفرنسية بعد حمى (الدق) . وهذه جزيرة مرض واحد من الامراض السرية التي فيها عدا هذا أمراض كثيرة اخرى ".(١)

قلة الزواج في فرنسا

ومن تأمل في اخلاق الفرنسيين عن كثب وعن كتب أيضا يراهم انهم يتأنفون من الزواج وذلك لسهولة تلبية الميل الجنسي وفوضى العلاقات الجنسية . والفرار من تربية الاطفال . ومن ثم قل التناسل فيهم وانحدروا الى الهاوية ..

فلنستمع الى الاستاذ المودودي مرة ثانية ليؤكد هذه الحقيقة :

" سبعة او ثمانية في الالف هو معدل الرجال والنساء الذين يتزوجون في فرنسا اليوم . ولك ان تقدر من هذا المعدل المنخفض كثرة النفوس التي لا (٢)

---

(١) المصدر السابق ص ٩١ - ٩٢ .
(٢) " " ص ٩٢

تتزوج من اهاليها . ثم هذا النذر القليل من الذين يعقدون الزواج ، قل فيهم من ينوون به التحصن والتزام المعيشة البرة الصالحة بل هم يقصدون به كل غرض سوى هذا الغرض حتى انه كثيرا ما يكون من مقاصد زواجهم ان يحللوا به الولد النغل الذى قد ولدته امه قبل النكاح ، و يتخذوه ولدا شرعيا " .

العدوى في مستعمراتها

نقول : ان هذه العادة قد انتشرت في جميع المستعمرات الفرنسية انك تجد الرجل ليس تحته الا زوجة واحدة ولكنك تجد في بيته اولادا كثيرين مختلفين في اللون واللغة وكلهم ينتسبون اليه . ذلك ان القانون سمح له ان يتزوج زوجة واحدة فقط ويحرم عليه تعدد الزوجات على حين فتح له باب المومسات والمحبوبات واذا ولدن له اولادا غير شرعيين فله الحق ان يضمهم الى بيته باسم زوجته الشرعية الوحيدة . وهذا القانون شائع في جميع المستعمرات الفرنسية ولا يحتاج الى استدلال او ادنى تأمل ...

ويوجد ايضا في تلك المستعمرات بيوت الدعارة للنساء مفتحة ابوابها ليل نهار لممارسة الالتقاء الجنسى علنا بدون حياء من الناس . بل اصبح ذلك عادة حتى لا يفكر فيها أحد هناك من الناحية الاخلاقية . وكل ذلك رغم الجهود المبذولة من العلماء هناك وأئمة المساجد وكلهم قاموا بدورهم في تقبيح هذه العادة ولكن الشباب اصبحوا كالذئاب الضارية لا يلتفتون الا الى ما يتلقونه من اساتذتهم الفرنسيين. وهناك امور من المضحكات المبكيات لا يصدقها الا من عاش هناك فترة من الزمن .

هذا بعض آثار الالحاد في فرنسا و مستعمراتها .

* * *

الآن الكلام لكاتب فرنسي يصور لنا كيف كان الغرض من الزواج ـ آنذاك في فرنسا اسمه : (بول بيورو) وهو يقول :

" من العادة الجارية في طبقة العاملين في فرنسا ان المرأة منهم تأخذ من خدنها ميثاقا قبل ان يعقد بينهما النكاح ، ان الرجل سيتخذ ، ولدها الذى ولدته قبل النكاح ولدا شرعيا له . وجاءت امرأة في محكمة الحقوق بمدينة سين (Sine) فصرحت : " اننى/ كنت قد أذنت بعلى عن النكاح بأني لا أقصد بالزواج الا استحلال الاولاد الذين ولدتهم نتيجة اتصالى به قبل النكاح . وأما ان اعاشره واعيش معه كزوجة ، فما كان في نيتى عند ذاك ، ولاهو في نيتى الان . ولذلك اعتزلت زوجى في اصيل اليوم الذى تم فيه زواجنا . ولم التق به الى هذا اليوم (١) لانى كنت لا أنوى قط ان اعاشره معاشرة زوجية .

ثم أضاف (بول بيورو) قائلا عن عميد كلية شهيرة في باريس :

" ان عامة الشباب يريدون بعقد النكاح استخدام بغي في بيتهم أيضا . ذلك انهم يظلون مدة عشر سنين او اكثر يهيمون في أودية الفجور احرارا طلقاء ثم يأتي عليهم حين من دهرهم يملون تلك الحياة الشريدة المتقلقلة فيتزوجون بامرأة بعينها ، حتى يجمعوا بين هدوء البيت وسكينته ، ولذة المخادنة الحرة خارج البيت " (٢)

وهكذا تدهورت فرنسا وهكذا هزمت في كل حرب خاضتها وهكذا تتوارى عن مسرح الحضارة ثم عن مسرح الوجود يوما بعد يوم حتى تحقق سنة الله التى لا تتخلف وان بدت بطيئة الدوران في بعض الأحيان بالقياس الى تعجل الانسان . وصدق القائل حيث يقول :

انما الأمم الأخلاق ما بقيت وان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

---

(١) المرجع السابق ص ٩٤

(٢) المرجع السابق ص ٩٤

اما الدول التي لا تزال تبدو فتية ، أو لم تظهر فيها آثار الدمار واضحة بعد فهذه نماذج مما يجرى فيها ، فلنبدأ بـ :

السويد : (13)

يقول صحفي ممن زاروا السويد حديثا (١) .. بعد ان يتحدث عن " حرية الحب في السويد " وعن الرخاء المادى والضمانات الاجتماعية في مجتمعها الاشتراكي النموذجي : " اذا كانت اقصى احلامنا ان نحقق للشعب هذا المستوى الاقتصادى الممتاز وان نزيل الفوارق بين الطبقات بهذا الاتجاه الاشتراكي الناجح ، وان نؤمن المواطن ضد كل ما يستطيع اى عقل ان يتصوره من انواع العقبات في الحياة .. اذا وصلنا الى هذا الحلم البهيج الذى نسعى بكل قوانا وامكانياتنا الى تحقيقه في بلادنا الشرقية .. فهل نرضى نتائجه الاخرى ، هل نقبل الجانب الأسود من هذا المجتمع المثالي ؟ هل نقبل "حرية الحب " واثرها الخطير على كيان الأسرة ؟

دعونا نتحدث بالارقام :

" مع وجود كل هذه المجتمعات على الاستقرار في الحياة ، وتكوين اسر اسرة فان الخط البياني لعدد سكان السويد يميل الى الانقراض .. مع وجود الدولة التي تكفل للفتاة اعانة زواج ثم تكفل لطفلها الحياة المجانية حتى يتخرج في الجامعة فان الاسرة السويدية في الطريق الى عدم انجاب اطفال على الاطلاق !

" يقابل هذا انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين ، وارتفاع مستمر في نسبة عدد المواليد غير الشرعيين • مع ملاحظة ان عشرين في المائة من البالغين الاولاد والبنات لا يتزوجون أبدا •

" لقد بدأ عهد التصنيع • وبدأ معه المجتمع الاشتراكي في السويد عام ١٨٧٠ م كانت نسبة الأمهات غير المتزوجات في ذلك العام ٧ في المائة

---

(١) راجع في ظلال القرآن ، سيد قطب الجزء الرابع الطبعة السابعة ص ٣٢٩ نقد عن كتاب الحجاب •

وارتفعت هذه النسبة في عام ١٩٢٠ م الى ١٦ في المئة • والاحصائيات بعد ذلك لم أعثر عليها • ولكنها ولاشك مستمرة في الزيادة !

بدء العلاقات الجنسية البشعة في السويد

ثم اضاف قائلا :

" وقد أجرت المعاهد السويدية العلمية عدة استفسارات عن " الحب الحر " في السويد فتبين منها ان الرجل تبدأ علاقاته الجنسية بدون زواج في سن الثامنة عشرة والفتاة في سن الخامسة عشرة • وان ٩٥ في المئة من الشبان في سن ٢١ سنة لهم علاقات جنسية ثم أكد ذلك بقوله :

" واذا اردنا تفصيلا تقنع المطالبين بحرية الحب فاننا نقول : ان ٧ في المئة من هذه العلاقات الجنسية مع خطيبات و ٣٥ في المئة مع حبيبات و ٥٨ في المئة مع صديقات عابرات •

" واذا سجلنا النسب عن علاقة المرأة الجنسية بالرجل قبل سن العشرين وجدنا ان ٣ في المئة من هذه العلاقات مع ازواج و ٢٧ في المئة منها مع خطيب و ٦٤ في المئة منها مع صديق عابر •

" وتقول الابحاث العلمية : ان ٨٠ في المئة من نساء السويد مارسن علاقات جنسية كاملة قبل الزواج و ٢٠ في المئة بقين بلا زواج •

" وأدت حرية الحب بطبيعة الحال الى الزواج المتأخر • والى الخطبة الطويلة الأجل • مع زيادة عدد الاطفال غير الشرعيين كما قلت• (١)

اذا بلغ المجتمع الى مثل هذا المستوى البهيمي ، فلا بد ان يزيد تفكك الأسرة فيه ويكثر الطلاق ولذا قدروا نسبة الطلاق في السويد انه قد ارتفع عام ١٩٥٤ الى ١١٤ طلاقا بين كل ١٠٠ الف من السكان •

---

(١) المرجع السابق ٣٣٠

ثم الاقبال على المخدرات والخمور شيء يفوق حد الوصف • ولا فرق في ذلك بين الكبار والصغار • وكما كانت حرية الحب مكفولة في السويد كانت حرية الالحاد مكفولة ايضا • ولذا ان عشر الذين يصلون الى سن البلوغ في السويد يتعرضون لاضطرابات عقلية ويقول اطباء السويد : " ان ٥٠ في المئة من مرضاهم يعانون من اضطرابات عقلية تلازم امراضهم الجسدية " (١)

ولا شك ان التمادى في التمتع بحرية الالحاد سيضاعف هذه الانحرافات النفسية ويزيد من دواعي التفكك الاسرى ، ويقربهم الى هوة انقراض النسل •• هذا ما فعله الالحاد واتباع الشهوات بهذا المجتمع • وكل ذلك نتيجة الحياد عن منهج الله تعالى • لأنه ليس هناك الا منهج واحد هو الجد والاستقامة والالتزام وكل ما عداه ان هو الا هوى يتبع وشهوة تطاع ، والحاد وفسوق وضلال •

ثانيا ــ الحال في امريكا : (١٤)

ومن تتبع المجتمع الامريكي يرى ان الحال في امريكا لا تقل عن هذه الحال في السويد رغم هذه الظواهر البراقة الخارجية ، هناك الدمار الداخلي يسرى في عروق هذا المجتمع وعوامل التدمير تعمل في كيانها لأن سنة الله لا تختلف • فكل أمة تتخذ الالحاد والابتعاد عن منهج الله مذهبا لحياتها فلا شك ان تنال نصيبها من الدمار والويلات •

وامريكا قد بدأ ينتشر فيها الانحلال الخلقي والانحراف في الشهوات في شتى المجالات •• هذا ما لاحظه رئيس الولايات المتحدة ان ستة من كل سبعة من شباب امريكا لم يعودوا يصلحون للجندية بسبب الانحلال الخلقي الذى يعيشون فيه (٢) •

---

(١) نقلا عن كتاب الحجاب للمودودى ص ١٢٩ ــ ١٣٠

(٢) في ظلال القرآن جـ ٤ ص ٢٣٢

وقد كتبت احدى المجلات الامريكية منذ اكثر من ربع قرن تقول :

" عوامل شيطانية ثلاثة يحيط ثالوثها بدنيانا اليوم • وهي جميعها في تسعير سعير لأهل الأرض :

أولا :ـ الادب الفاحش الخليع الذى لا يفتأ يزداد في وقاحة ورواجه بعد الحرب العالمية الاولى بسرعة عجيبة •

والثاني :ـ الافلام السينمائية التي لا تذكي في الناس عواطف الحب الشهواني (١) فحسب بل تلقنهم دروسا عملية في بابه •

الثالث :ـ انحطاط المستوى الخلقي في عامة النساء الذى يظهر في ملابسهن بل في عريهن وفي اكثارهن من التدخين واختلاطهن بالرجال بلا قيد ولا التزام •

وهذه المفاسد الثلاثة فينا الى الزيادة والانتشار بتوالى الأيام •

ولا بد ان يكون مآلها زوال الحضارة والاجتماع النصرانيين وفناء ها اخر الأمر فان نحن لم نحد من طغيانها فلا جرم ان يأتي تاريخنا مشابها لتاريخ الرومان • ومن تبعهم من سائر الأمم الذين قد اوردهم هذا الابتداع للأهواء والشهوات موارد الهلكة والفناء • مع ما كانوا فيه من خمر ونساء او مشاغل ورقص ولهو وغناء " (٢)

---

(١) راجع تطور المجتمع الامريكي ،تاليف كينت لن ت : نعيم موسى ،دار اليقظة ١٩٦٦ م انه اميركي ومع ذلك صرح بالتصريح التالى : " أرى موكبا لا نهاية لـه من اعمال السلب والاحتيال الحكومية ، وللصوصية التجارية وشنق الاعناق ••• وقلة الذوى والاختلاس والزنى الشرعى ".

(٢) المرجع السابق ٣٣٢

والذى حدث ان امريكا لم تحد من طغيان هذه العوامل الثلاثة . بل استسلمت لها تماما وهي تمضي في الطريق الذى سار فيه الرومان . ودليلنا على ذلك ما كتبه صحفي آخر عن موجة انحراف الشباب في امريكا (١) وبريطانيا وفرنسا وهو يقول :

" انتشرت موجة الاجراء بين المراهقين والمراهقات من شباب امريكا واعلن حاكم ولاية نيويورك انه سوف يجعل علاج هذا الانحراف على رأس برنامج الاصلاح الذى يقوم به في الولاية .

" وعهد الحاكم الى انشاء المزارع " والاصلاحيات " التهذيبية خاصة بين طلبة وطالبات الجامعات ومنها الحشيش والكوكايين لا يدخل في برنامجه ، وانه يترك امره للسلطات الصحية "

وهكذا عجز المصلحون في رد الشباب في امريكا الى رشدهم وكيف يستطيعون اصلاح مجتمع قد اختار الالحاد على الهدى والايمان .

وكيف يستطيعون ذلك وقد بلغت ارقام الجرائم فيه كالتالي :

" ان الاحصائيات الامريكية الحديثة تشير الى ان ١٫٧٥٠٫٠٠٠ جريمة خطيرة ترتكب في كل عام . وأن ١٫٥٠٠٫٠٠٠ طفل بين ٧ و ١٧ سنة من عمره تقبض عليهم الشرطة من هؤلاء ٣٥٠٫٠٠٠ يقدمون الى محاكم الاحداث لا يقل في العام عن اربعة ونصف مليون مدمن وان حالات الانتحار فهي اكبر من ذلك بكثير ".

---

(١) راجع كتاب المجتمع الامريكي عاريا ص ٣٠ تاليف فينس باكارد ت : عبدالحميد سليم مصر ١٩٧٢م يقول هذا الاستاذ مايلي : " اننا نجد تناقضا في مجتمع يحاول ان يضع اناسا على القمر في حين ان ملايين من سكانه في المدن لا يجرؤون على السير وحدهم ليلا في الشوارع او في الحدائق المجاورة لبيوتهم ".

(٢) في ظلال القرآن سيد قطب ج ٤ ص ٣٣٣

(٣) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام يوسف كمال ص ٢٨

ويقول القاضي (لندس) انه يسقط فيها مليون حمل على الاقل في كل سنة ويقتل الاف الاطفال من فور ولادتهم ..

وفيها تبلغ نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية في احدى المدن ٤٨ بالمائة حسب احصاء عن مدينة (نفز) عاصمة (كولورادو) .

وفيها تبلغ نسبة البيوت والاسر المحطمة بالطلاق تقفز فترة بعد فترة كلما ازداد الاختلاط وكثرت الاباحية وهذه النسبة المخيفة تمضي في هذه النسبة حسب احصائية امريكية صدرت سنة ١٩٥٠م

نسبة الطلاق ٦٪ عام ١٨٩٠
١٠٪ = ١٩٠٠
١٠٪ = ١٩١٠
١٤٪ = ١٩٣٠
٢٠٪ = ١٩٤٠
٣٠٪ = ١٩٤٦
٤٠٪ = ١٩٤٨

انشاء غرف ولادة في جميع المدارس

وفي امريكا صدرت التعليمات الى جميع مدارس نيويورك بانشاء غرف ولادة في كل مدرسة على ان يدرب اثنان من موظفي المدرسة على اعمال التوليد الى ان يتم استدعاء الطبيب المختص ، وقد صدرت تلك التعليمات من المجلس الصحي للمدينة بناء على طلب مجلس التعليم الذى يرى تسجيع الطالبات الحوامل على الاستمرار في الدراسة بدل فصلهن من المدرسة وقال المجلس : ان عدد الطالبات الحوامل دون زواج في مدارس (نيويورك) وحدها بلغ ٢٤٧٨ حاملا في عام ١٩٦٩م " (١)

---

(١) راجع كتاب خطر التبرج والاختلاط عبد الباقي رمضان ص ١٤٣ ط اولى في مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤م

ففي عام ١٩٦٨م وقعت ٥ر٤ مليون جريمة كبرى في الولايات المتحدة وجرائم القتل فيها تزيد ٤٨ مرة عن مثيلاتها في بريطانيا والمانيا واليابان مما .. فالعنف اصبح حقيقة اساسية موجودة في المجتمع الامريكي والامريكيون يعيشون في رعب الجريمة كل يوم .. ولذا يخشى اغلبية السكان الخروج وحدهم ليلا وتقتني ثلث العائلات الامريكية بنادق في بيوتها بينما يحاول اكثر سكان المدن الرحيل بعيدا الى الريف هربا من كابوس جرائم المدن المخيف . (١)

* * *

وقرر كنيدى في تصر يحه الخطير سنة ١٩٦٢م . ان مستقبل امريكا في خطر لان شبابها مائع منحل غارق في الشهوات لا يقدر المسئولية الملقاة على عاتقه ، وانه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لان الشهوات التي غرقوا فيها أفسدت قواتهم الطبية والجسمية والنفسية . (٢)

ثالثا — وفي روسيا الملحدة ايضا :

(15)

وصرح خروشوف سنة ١٩٦٢ م كما صرح كنيدى في نفس العام بأن مستقبل روسيا في خطر وان شباب روسيا لا يؤتمن على مستقبلها لأنه مائع منحل غارق في الشهوات .

ففي روسيا وفي المانيا كذلك شعار تتناقله الألسن وهو : عار على البنت الروسية والالمانية ان تبقى بكرا وأدوات منع الحمل موجودة في كل طريق . (٣)

---

(١) المرجع السابق ص١٤٠

(٢) المرجع السابق ص١٤٠

(٣) المرجع السابق ص١٤١

رابعا ـ نظرة عابرة على بريطانيا :

ولم يعد غريبا ان نجد الشهوات في جميع المجالات في بريطانيا بعد ما أن تقدم بالفعل بعض اعضاء المحافظين الى مجلس العموم البريطاني في دورته في نوفمبر سنة ١٩٦٥ بمشروع قانون يتضمن باباحة العلاقات الجنسية (١) .

واذا وقع هذا كيف نستغرب من الحكاية التالية يذكرها الاستاذ المودودى في كتابه السابق :

" ومنذ شهرين اثنين كان شيخ عجوز في طريقه الى القرية ، عندما أبصر على جانب الطريق ـ وتحت شجرة ـ غلاما يضاجع فتاة ..

" واقترب الشيخ منهما . وركز الغلام بعصاه وزجره ووبخه ، وقال له : ان ما يفعله لا يجوز ارتكابه في الطريق العام ، ونهض الفتى وركل الشيخ بكل قوته في بطنه .. ووقع الشيخ وهنا ركله الفتي في رأسه بحذائه .. واستمر يركله بقسوة حتى تهشم الرأس .

" وكان الغلام في الخامسة عشرة ، والفتاة في الثالثة عشرة من عمرها " (٢)

القصة العجيبة من بريطانيا

نشرت جريدة التايمز اللندنية تقارير طبية وصرخات رسمية وخاصة عديدة بشأن الاجهاض وخطره منها :

وقفت الجمعية الطبية البريطانية مذهولة ازاء ارقام الاجهاض الملحوظة في الربع الاول من سنة ١٩٧١ م اى فى ربع سنة فقط والبالغة : ٨٠٨ ٢٢ حادثة وردت حسب العمر على الشكل التالي :

---

(١) مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ، يوسف محمد كمال ص ١٦

(٢) كتاب الحجاب ابو الأعلى المودودى ص ١٣٠

(٣) راجع كتاب خطر التبرج والاختلاط عبد الباقي رمضون ص ١٤٣

السن	عدد الحوادث
اقل من ١٦	٥٣٣
١٦ ــ ١٩	٤٠٦٣
٢٠ــ٣٤	١٣٨٧٣
٣٥ــ٤٤	٣٧٨٦
٤٥ــ وما فوق	١١٤
بدون تحديد	٢١٧

هذا وقد علقت الجمعية الطبية المذكورة على العدد الاجمالي لحوادث الاجهاض لعام ١٩٧١م البالغ ٢٢٠٧٢٣ حادثة قائلة :

ان الزيادة في عدد الحوادث في الاجهاض في الوقت الحالي تحتم علينا المطالبة بوضع حد حازم وفعال للاجهاض خاصة وان الارقام في زيادة مستمرة ..

في السويد :

انخفاض مستمر في نسبة المتزوجين الى غير المتزوجين وارتفاع مستمر في عدد المواليد غير الشرعيين مع ملاحظة ان ٢٠ ٪ من البالغين من الاولاد والبنات لا يتزوجون ابدا وان نسبة الطلاق في السويد هي اكبر نسبة في العالم كله ، وانه يحدث حادثة طلاق واحدة من بين ست او سبع زوجات طبقا للاحصائيات التي اعدتها وزارة الشئون الاجتماعية في السويد . (١)

وفي ايطاليا : (16)

اثبت الاحصاء ان ٧٥ ٪ من الشعب الايطالي يفضلون قراءة مجلات الجنس والفكاهة اكثر من اهتمامهم بالصحف السياسية اليومية ، واكد الاحصاء ايضا ان مؤسسات نشر الكتب والمجلات الجنسية العارية تعتبر اضخم المؤسسات في ايطاليا .

---

(١) المرجع السابق ص ١٤٢ وقد تحدثنا عن السويد سابقا ولكننا اعدنا الكلام عليها هنا لموضوع الطلاق.

وفي المجر : (17)

أعلن البروفسور المجرى : ان عدد حالات الاجهاض التي تحدث في العالم اصبحت تبلغ ٣٠ مليون حالة سنويا اى ما يعادل حالة اجهاض واحدة كل ثانية واشار الى ان عدد عمليات الاجهاض في بعض الدول يفوق عدد حالات الوضع ومن بين هذه الدول المانيا والنمسا وبلجيكا ٠ (١)

وفي الدانمرك : (18)

قامت تظاهرة نسائية ضخمة في شوارع عاصمتها كوبنهاجن سنة ١٩٧٠م تناقلتها بعض وكالات الانباء بالاذاعات ونشرت في كثير من الصحف منها مجلة الاسبوع العربي بنفس العام وفي شهر ايلول ونشرت صورتها في المجلة ٠٠ اشترك فيها عدد كبير من الفتيات وطالبات الجامعة وكن يرددن الهتافات التالية وبحملنها على اللافتات المكتوبة والمصورة في المجلة :

- نرفض ان نكون اشياء ٠٠
- نرفض ان نكون سلعا لتجارة الاباحية ٠٠
- سعادتنا لا تكون الا في المطبخ ٠٠
- نريد ان تبقى المرأة في البيت ٠٠
- أعيدوا الينا انوثتنا ٠٠
- اننا نرفض الاباحيــة ٠٠ (٢)

هكذا يفعل الالحاد باهله ٠٠٠ يا ليتهن يقرئــن قوله تعالى :

﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا ﴾ (٣)

---

(١) المصدر السابق

(٢) خطر التبرج والاختلاط عبدالباقي رمضون ص١٤٤

(٣) سورة الاحزاب الاية /٣٣

وقوله تعالى : ﴿ واذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن .. ﴾ (١)

وقوله تعالى ﴿ يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما ﴾ (٢)

تقول الكاتبة الانجليزية انى رود عن ذلك :

" اذا اشتغلت بناتنا في البيوت خوادم اوكالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن في المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها الى الأبد ..

أيا ليت بلادنا كبلاد المسلمين حيث فيها الحشمة والعفاف والطهارة رداء الخادمة والرقيق اللذين يتنعمان بأرغد عيش ويعاملن معاملة أولاد رب البيت ولا يمس عرضهن بسوء ..

نعم انه عار على بلادنا الانكليزية ان تجعل بناتها مثلا للرذائل بكثرة مخالطتهن للرجال ، فما بالنا نسعى وراء ما يجعل بناتها تعمل ما يوافق فطرتها الطبيعية كما قضت بذلك الديانة السماوية وترك اعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها .. (٣)

حقا .. هذا ما اشار اليه الاستاذ محمد فريد وجدى بقوله :

" وظيفة المرأة الحقيقية هي القيام بالواجبات المنزلية .. " (٤)

ولكنها ان تركت هذه الوظيفة " نجم عنه الشقاء المستديم للمرأة وللمجتمع كله " (٥)

---

(١) سورة الاحزاب / ٥٣ (٢) سورة الاحزاب / ٥٩

(٣) الاسلام روح المدنية ط مصطفى الغلاييني ص١١١ المكتبة الاهلية ، ١٣٤٤هـ

(٤) راجع دائرة معارف القرن العشرين فريد وجدي ٦٣٩/٨

(٥) انظر المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ص ٣٠٠ ط ٤ المكتب الاسلامي وراجع ايضا مجلة الاعتصام العدد ٣ السنة ٤١ / ١٣٩٨هـ

كوبنهاجن تصدر المطبوعات الجنسية (19)

وكتبت مجلة "حضارة الاسلام" في عددها العاشر لعام ١٩٧١ مايلي :

" تنتشر في كوبنهاجن — عاصمة الدانمارك المتاجر التي تختص ببيع المطبوعات الجنسية حتى اصبح هذا هو طابع تلك المدنية واكثر صادراتها في انحاء العالم . وهي عاصمة (الهيبيين) يحجون اليها ، و يتجمعون في انحاء ميادينها الواسعة ويسيرون ذهابا وايابا بملابسهم الخاصة القليلة واقدامهم الحافية و شعورهم الشعثة الوسخة في شوارعها .. (1) "

والهيب والخنفس والبوب — شباب فارغ نفسيا وروحيا وفكريا .. أهملته الحضارة الالحادية الحاضرة فلم تملأ فراغه ، فراح يملوه بنفسه في اماكن العبث واللهو حسب الهوى ... فاصبح يتصرف حسب الأهواء ،

مرة يلبس القصير الضيق

واخرى الطويل الفضفاض

ومرة يطيل شعره حتى يبلغ ظهره

واخرى يحلقه من اصله

ومرة يقلد الحشرات

ومرة يقلد الحيوانات ..

الى غير ذلك من المتناقضات في السلوك والتصرفات والخواطر والأفكار ..

هذا ما يفعله الالحاد بأهله ...

---

(١) مجلة " حضارة الاسلام " في عددها العاشر لعام ١٩٧١م ص ٢٧

أوربا عامة

صار الجنس وعملياته شيئا يرافق الفرد الاوربي اينما وجد وحيثما كان في حله وترحاله وفي جميع جوانب حياته حتى غدا شيئا مألوفا ومتعارفا عليه وبتعبير آخر — متواطأ عليه — دون تمييز بين خير او شر ودون تفريق بين فضيلة ورذيلة أو بين ضار أونافع أو بين صالح أوفاسد .

والغريب ان جميع المستعمرات الاوربية — حتى ولو بعد ان نالت استقلالها — يقلد شبابها أوربا في كل هذه الدعارة . وربما يفعلون اشياء في هذه الناحية ما لا يفعله الأوربيون انفسهم .

ففي تلك المستعمرات تجد النساء المرافقات — او السكرتيرات — وهن رفيقات تحت اسم جديد .. فلا يكاد لا يخلو منهن مصنع أو متجر او حانوت او مكتب .. للخدمة والمتعة والتسلية والضيافة ..

وعموما فان الحياة المادية المحضة هي التي تسود اوربا وجميع مستعمراتها في الشرق والغرب واصبح هدف الناس الوحيد هو تأمين المال والخمرة واللذة دون اهتمام للقيم الانسانية والكرامة والآدمية ودون اى امتثال للحقائق العلمية والاكتشافات الطبية والنظريات العقلية والآراء المنطقية ..

قد سادت الانانيات ، وتفشت الأوبئة وكثرت الجرائم واصبح الانسان عدوا لأخيه الانسان ..

فالحقيقة ان الذى يتصل بالأوربيين عن كثب بل عن كثب أيضا يستغرب أن تكون في قلوبهم أدنى شيء من الغيرة الانسانية .

---

(١) خطر التبرج والاختلاط عبد الباقي رمضون ص١٤١

تجدهم يرقصون مع زوجات اصدقائهم في حضرتهم او في حال غيابهم .. ولا يشعر احد منهم بغيرة . بل يعتبرون ذلك تمدنا وحضارة وتفتحا ..

اذا رأيتهم يرقصون لا تجد بينهم و بين البهائم فرقا بل البهائم اهدى منهم بكونها باقية على فطرتها وخلقتها .. واذا أردنا مزيدا على ذلك فلنقرأ الكلمات التالية :

" ففي مسرحية - هير - ظهر فيها الممثلون [١] عراة " تماما على خشبة المسرح ،ثم ظهرت في نيو يورك (تشي غيفارا) وقف فيها الممثلون ليمارسوا عملية الشذوذ الجنسي - اللواط امام اعين المتفرجين ..

وفي نيو يورك ايضا مسرحية (أوه كالكوتا) تحتوى على عشر شخصيات ، منها خمسة رجال وخمس نساء وقفوا ليقوموا فيها بعملية العلاقة الجنسية " كل رجل مع امرأة " علانية وأمام مئات المتفرجين دون اى حرج وبوقاحة حيوانية منقطعة النظير ..

وفيها ايضا تعرض الفتيات والنساء باوضاع مغرية ومثيرة يراها الصادى والغادى كما تعرض الأزياء وكل منها بسعره فيأخذ الرجل منهن من تعجبه ...

انا لله وانا اليه راجعون ..

وصدق الله تعالى ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ﴾

هذه من آثار الالحاد والاعراض عن وحى السماء .. ان هذا لا يدع مجالا للشك من أن الدول الأوربية تنهار ان استمرت على هذا الخط المعوج ...

---

(١) المرجع السابق ص١٤٦

الخلاصـــــــة !

ان في تلك المجتمعات الالحادية تجـد :

- الشاب الشارد والخمور والحشيش والا فيـون
- الجيل المنحل المريض جسميا وعقليا ونفسيا ..
- عصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسي ..
- عصابات التهريب للمخدرات كالافيون والحشيش
- تجار الشهوات والغرائز وبيع الفتيات وتاجير البغايا ..
- عصابات من الاطباء والمحامين ورجال القانون لتغطية الجرائم وهضم الحقوق لقاء الرشوة المالية والجنسية ..
- نوادي العراة يتعرى فيها روادها من كل رداء دون اي حياء
- افواج العاهرات والمومسات يحترفن الزنى لكسب الكفاف ..
- الاغاني الفاحشة والموسيقى المثيرة والتمثيليات المهيجـة
- كتب الجنس ومجلات العرى ومسارح الرقص والمجون ..
- افواج (الهيبيين) المتشبهيــن بالحيوانات والحشرات ..
- افواج (البوب) الغارقين في السكر والمخدرات والزنى والفحش ..

الى غير ذلك من مظاهر الالحاد والفساد مما لا يمكن عدها وحصرها .. (١)
هذه هي صورة اوربا الحالية شرقية وغربية . وهذه الصورة ، كما قلنا ، تنطبق على اغلب مستعمراتها التي قلدتها في التبرج والاختلاط والاباحية والالحاد .

---

(١) نكرر دائما أن اسباب هذا الالحاد الفريد راجــع باديء ذي بدء الى طغيان الكنيسة قد أتت قومها برهبانية تصادم الفطرة الانسانية .. وكانت هذه الاباحية المطلقـة ردود فعل لهذه الرهبانية العاتية .. ومثال ذلك قول احد رجـال الكنيسة لتلاميذه مرة : " اذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا انكم ترون كائنا بشريا بل ولا كائنا وحشيا .. وانما الذى ترون هو الشيطان بذاتــــه والذى تسمعون هو صفير الثعابين "
راجــع اساطير اغريقيــة من سلسلة التراث الانسانية .

الفصل السادس

أسباب تدمير الأمم والشعوب

اذا قلنا ان اوربا تشق طريقها الى الدمار ، لا نقول ذلك من بنات افكارنا وانما نجد امامنا نصوصا قاطعة لا تقبل اى تأويل .. فهي تشير الى اسباب تدمير الشعوب والأمم ..

ومن يتأمل في هذه الاسباب يجدها تنطبق على أوربا الحالية أيما انطباق .

اذا رجعنا الى القرآن الكريم نرى من القواعد الكلية التي اثبتها ، ان الله تعالى ليس بظالم حتى يهلك أمة بلا سبب وهي تعمل صالحا .

﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ﴾(١)

وليس المراد بهذا الهلاك والتدمير ان تقلب طبقات البلاد فحسب ، بل من صور الافناء والتدمير ايضا ان يشتت أمر الأمم وتكسر قوتهم الاجتماعية وتضرب عليهم الذلة والعبودية والخزى ..

وبحسب هذه القاعدة القرآنية ، لا يصيب أمة ما اى نوع من انواع الدمار والخراب الا اذا تركت منهج الخير والصلاح واخذت تسلك مناهج الشر والفساد والعتو والعصيان وبذلك ظلمت نفسها بنفسها ..

* * *

ان الله تعالى حيث يذكر في كتابه امة اصيبت بعذاب وهلاك يذكر بجانب ذلك جريمتها اثباتا لتلك القاعدة ، حتى يتبين للناس ان وبال اعمالهم السيئة هو الذى يفسد دنياهم وآخراهم ..

يقول تعالى ﴿ فكلا أخذنا بذنبه .. وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴾

---

(١) هود اية ١٧ (٢) العنكبوت اية ٤٠

والأمر الاخر الذى يستخرج من هذه القاعدة هو انه لا يكون باعث الهلاك والدمار هو الفساد الفردى ،بل هو الشر والفساد الاجتماعي القومي ...

ومعنى ذلك انه اذا كانت المفاسد الاعتقادية والعملية ، انما توجـــد متفرقة في الافراد وكان مستوى الامة الدينى والخلقى رفيعا .. من حيث المجموع على حدة .. تظل الامة من حيث المجموع محتفظة بكيانها ولا تحل بهـــا فتنة عامة تجر عليها الهلاك باكملها ..

ولكنه متى جاءت المفاسد الاعتقادية والسلوكية تجاوز الافراد الى الأمـة بأسرها وتخدر شعور الامة الدينى والاخلاقي الى حـد انها اصبحت صالحـة لان يزكو فيها الشر والفساد بدل الخير والصلاح .. فان العنايـــة الالهية ـ عندئذ ـ تنصرف عن هذه الأمـة ،وتأخذ هذه بالهبوط من علياء العـز الى درك الهوان حتى تحين الساعة التي يهيج فيها غضب اللـــه عليها فيدمرها تدميرا .. وقد تحدثنا جانبا من اسباب هلاك الأمـم فـــي مبحث الانتخاب الطبيعي عندما تكلمنا على النشوء والارتقـاء والان نرجـــع الى القرآن الكريم لنرى أدلة اخرى تؤيد الاولى ،نكررها لغيبوبتها عن حس الناس اليوم .. فتلك أمـة نوح عليه السلام قد اهلكت حين تأصلت فيهـــا مفاسد الاعتقاد والسلوك وجعلت تنمو وتنتشر في المجتمع كله ، ولم يبق من أمل في أن شجرتها الخبيثة ستنتج ثمرا صالحـا أبدا فاضطر نوح عليه الســـلام الى أن ينادى ربه :

﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا .. ان تذرهم يضلـوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كـفارا ﴾ (١)

ومن عرف الاوربيين عن كثب بل عن كتب ايضا يعلم ان فساد الاعتقاد والسلوك موجودان عندهم بشكل لا مزيد عليه . ولقد رأينا في الفصل السابق كيف انتشرت فوضى الجنسية والفساد والانحلال الخلقى فيهم ..

---

(١) سورة نوح اية ٢٦

قـــوم عـــاد

وتلك عاد لاهلكوا حينما بلغ الشر والفساد من نفوسهم بحيث اصبح المفسدون الظالمون هم الآمرون ..

﴿ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد ﴾ (١)

اليس الملاحدة في اوربا وامريكا بل في روسيا ايضا هم الذين يملكون زمام العالم وعندهم (النقض) حق الفيتو ؟ فكل قضية ليست لهم فيها اية مصلحة يستعملون حق الفيتو .

وان غدا لناظره لقريب ..

* + *

قـــوم لـــوط

فلنتقدم الى قوم لوط الذين اتخذوا فوضى الجنسية شعارا لهم فأخذهم الله بعذابه عندما بلغ من تبلد حسهم الخلقي ووقاحتهم النهاية اذ عادوا يرتكبون الفواحش علانية في المجالس والأسواق ولم يبق فيهم شعور لكون الفواحش فواحش :

﴿ أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر ﴾ (٢)

فمن شدة تبلد حسهم كانوا يستغربون من الذين يتنزهون من اقتراف هذه المنكرات فقالوا :

﴿ اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون ﴾

هل يوجد هناك فرق بين هذه الصورة وبين اوربا الحديثة ؟

لا ! بل يوجد عندهم الان ما هو ادهى وأمر .. لقد نبت جيل في أوربا وامريكا متحلل من كل قيد .. حقيقة .. لا يربطه رابط من خلق أو دين أو تقليد في مسألة الجنس لا شيء على الاطلاق يقول له : أمساك كل شيء حوله انما يقول : أقدم ..

---

(١) هود آية ٥٩

(٢) العنكبوت اية ٢٩

كل التوجيهات وكل " التنظيمات " وكل التيار تهيء له الانطلاق الجنسي وتزينه له وتدفعه اليه ..

وصار أمرا طبيعيا جدا وهينا جدا ،ومعروفا جدا ان تتخذ كل فتاة صديقا (Boy Friend) وكل فتى " صديقة " (Girl Friend) يقضيان كل ما يريدان .. وحبوب منع الحمل تيسر الطريق ...

واستمتعت اوربا وامريكا بنتائج " الاختلاط " كاملة .. وبدا للناس هناك ان هذا هو الأمر الطبيعي الذى لا يستنكر .. ابدا .. صورة طبق الاصل .. رأينا قوم لوط لا يستنكرون على ذلك بل يخرجون من يتنزه عن ذلك من قريتهم ..

وهؤلاء المتأخرون ايضا يجعلون كل من لا يمارس هذه الفعلة القبيحة رجعيا غير متمدن .. (١)

* * *

اهـــل مديـــن

وهناك صورة اخرى اذا نظرنا الى اهليها نجدهم كانهم يعيشون في القرن العشرين هذه الصورة هي صورة اهل مدين ..

ان هؤلاء الفسقة الخونة قد ذاقوا عذاب الله عندما اصبحت الأمة كلها خائنة غشاشة سيئة المعاملة . ولم يبق التطفيف في الوزن والكيل واخذ الزائد على الحق شيئا معيبا عندهم ومات الحس الخلقي فيهم الى حد انهم يلومون من ينهاهم عن ذلك ويخطئونه ..

﴿ يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (٢) ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ﴾ (٣)

---

(١) راجع التطور والثبات في حياة البشرية الاستاذ محمد قطب ص١٥٤ ــ ١٥٥
(٢) هود اية ٨٥ (٣) هود اية ٩١

هذه صورة من الصور الالحادية قديما فأهلك الله اصحابها وسنة الله لا تتخلف وسوف يلقى هؤلاء الملاحدة المعاصرون ما لقى اسلافهم من الدمار والويلات •

﴿ انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ﴾

* * *

انتحار الحضارة الغربية

قد تبين لنا السنن الربانية في هلاك الشعوب والأمم ، ونريد هنا ان نزيل الاوهام عن قلوب قد يخيل اليها ان رقي هذه الأمم الغربية أبدى سرمدى ، لشدة ما تندهش به العقول من هذا الرقي العجيب الذى حازته امم الغرب في ميادين السياسة والتجارة والصناعة والحرف والعلوم والفنون والشئون الاقتصادية (١) وغير ذلك •

كما يخيل الى تلك القلوب ان الغرب قد قضى الأمر بدوام غلبتها واستيلائها على العالم وانها قد اختصت - دون غيرها - بالحكم على البسيط الارض والسيطرة على عناصر الكون وان قوتها قد بلغت من الشدة والرسوخ الى ان لا يمكن استئصالها ••• الى اخر هذه التخيلات الفارغة ••

واذا رجعنا الى التاريخ نجد ان مثل هذا الظن الكاذب قد غلب العقول في كل زمان بالنسبة الى كل تلك الأمم التي كانت " الأمة الغالبة " في زمانها •• ففراعنة مصر وأمثال عاد وثمود والكلدانيون في العراق وأكاسرة فارس والغزاة اليونانيون الغالبون ، وملوك الروم الحاكمون على اقطار الارض ، والمجاهدون المسلمون الفاتحون للعالم وجنود التتر المخربون ودولة غانا (٢) ومالى (٣) والسنغاي (٤) والامام ساموراى (٥) وسيطرته في افريقيا الغربية ، كل اولئك قد مثل دور القوة

---

(١) راجع تكوين العقل الحديث ج•هـ• راندال ت: جورج طعمة دار الثقافة ج١ ص٤٦٨
(٢) (غانة) كانت دولة في افريقيا الغربية (٣) (مالى) هي جاءت بعد غانا
(٤) (سنغاى) جاءت ايضا بعد (مالى)
(٥) (الامام ساموري) كان ايضا في غرب افريقيا قائد شجاعا ••

والسيادة على مسرح هذه البسيطة ..

فكل أمة من تلك الأمم لما نهضت غمرت العالم كله بسيادتها .. وقد سمع دوي شوكتها وجبروتها في ربوع الارض ،حتى خيل للناس ممن كانوا يعاصرونهم ان قوتها لن تزول ...

ولكن جاء اجلها وقضى بزوالها الحاكم القوي الذي لا زوال لقوته أبدا عثرت عثرة لم ير لاكثرها وجود بعدها .. اوخضعت لمحكوميها .. بالأمس واصبحت مملوكة لمماليكها في الغابر ..

يقول تعالى ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (١)

وانا لترى — اليوم — كل بقعة من بقاع الارض آثار الأمم التي سبقتنا وقد خلفت تلك الأمم من ايات حضارتها وتمدنها وصناعتها وحذقها وكمال براعة يدها ما يدل على انها لم تكن باهون من هذه الأمم الراقية الغالبة في زمانها بل الصواب انها (الامم الماضية) كانت اقوى وأغلب من هذه الأمم المعاصرة في ذلك العصر :

﴿ كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها اكثر مما عمروها ﴾ (٢)

ولكن كيف كانت النتيجة ؟

انها انخدعت بما وجدت نفسها فيه من حالة النعم .. وفتنتها الرفاهية فتكبروا وتجبروا لما استتب لهم من القوة والغلبة ، فأخذوا يظلمون انفسهم بما يرتكبون من سيئات الأعمال :

﴿ واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾ (٣)

وقد أمهلهم الله على رغم تمردهم وابتعادهم عن هدى الله والحادهم :

﴿ وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ﴾ (٤)

ولكن كل مهلة امهلوها اصبحت لهم بلاء جديدا .. اذ يزعمون انهم قد عجزوا الله بمكرهم وتدبيرهم .. وهناك انصرفت عناية الله عنهم ..

﴿ ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ﴾ (٥)

---

(١) آل عمران/ ١٣٧ (٢) الروم/ ٩ (٣) هود/ ١١٦ (٤) /
(٥) الحج/ ٤٥

وان المكر والتدبير الالهي لا يواجه المرء من امام بل هو ينبعث من داخل الانسان نفسه فيسري الى ذهنه وقلبه ليعمل عمله ، ويجعله مكفوف البصيرة لا مكفوف البصر : ﴿ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (١)

واذا افتقد المرء نور قلبه الداخلي ، فكل تدبيره لمصلحته يأتي على العكس المقصود فيضر — والعياذ بالله — وكل خطوة يخطوها نحو غاية النجاح تقوده الى مهوى الهلاك : ﴿ فانظر كيف كانت عاقبة مكرهم .. انا دمرناهم وقومهم اجمعين ﴾ (٢)

اننا نرى كل يوم سنة الله ، سنة الصعود والهبوط في كل شيء فهناك حركة دائمة وتغير ودوران مستمر لا تدع شيئا يستقر على حال فكل بناء يصحبه خراب وكل ربيع يتلوه خريف وهكذا على العكس ..

فأنت ترى حبة مستصغرة تذروها الرياح اليوم من مكان الى آخر وغدا تتأصل هذه الحبة في الأرض فاذا هي شجرة باسقة الفروع .. ثم تصبح خشبة فتسقط على الارض وهكذا دائما ..

وهذا كله من عمل الرفع والخفض الجاري في هذه الحياة .. فاذا ما رأينا حالا من هاتين الحالتين تستمر لمدة طويلة ذهب بنا الظن الى ان هذه الحالة ستبقى الى الأبد .. لا ! وليس الأمر كذلك ..

يقول تعالى ﴿ وتلك الايام نداولها بين الناس ﴾ (٣)

تلك هي سنة الله فيما خلق وهذه السنة كما هي جارية في سائر الموجودات هي جارية ايضا في الانسان في حالته الفردية او في حالته الجماعية القومية .. فلا يزال العز والذل .. والعسر واليسر .. والصعود والنزول .. وما الى ذلك من الحالات ينتاب الافراد والأمم المختلفة ..

---

(١) سورة الحج الاية /٤٦

(٢) سورة النمل الاية /٥١

(٣) سورة آل عمران الاية /١٤٠

هذه السنة الربانية لا تتخلف :

* سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا * (١)

بالأمس القريب كانت دولتا فرنسا وانجلترا في القمة في عالم الصناعة والتجارة والسياسة والاستعمار .. وكيف كان الوضع ؟ لقد اصبحتا في زاوية النسيان وانسحبتا من مركز القيادة العالمية لتسلما القيادة لامريكا وروسيا .. والان بدأت الصين تغزو العالم بصناعتها الجيدة ولا نعلم ماذا يحدث الله بعد ذلك ..

وبعد هذه الجولة البعيدة ـ نستطيع ان نقول بكل ثقة وامان ان الأمم الغربية تشق طريقها الى الهلاك والدمار .. لماذا ؟

لأن وبال الاعمال السيئة الذى ذاقته الأمم السالفة قد أحاق اليوم بالأمم الغربية ..

وذلك انه قد انذرت هذه الأمم بكل وجه ممكن للانذار ..

فأتات الحرب العالمية ومشكلات الاقتصاد .. وازدياد التعطل .. وانتشار الامراض الفتاكة وتبدد النظام العائلى .. كل اولئك ايات بينات لو تأملوها لعلموا ان كل ذلك ثمرة ظلمهم وعتوهم على ربهم واتباعهم للشهوات .. سنجد مزيدا من ذلك في باب عقوبة الفطرة الآتى ..

ان كل ذلك يمر امام الملاحدة ... ولكنهم لا يجدون في هذه الايات ما يعتبرون به فلا يزالون يميلون عن الحق ويشردون عنه * كأنهم حمر فرت من قسورة * (٢)

تراهم يعقدون المؤتمرات الدولية لمعالجة الشئون الدولية ولكن لا تصل ابصارهم الى العلة الرئيسية للمرض الذى اصاب جسم العالم فافقده وعيه .. الا وهو مرض الالحاد والابتعاد عن الله ..

وبهذا الخطأ البين في العلاج لا يزال داؤهم يستفحل كلما عولج ... * وان عسى ان يكون قد اقترب أجلهم * (٣)

---

(١) الاحزاب / ٦٢ (٢) المدثر / ٥٠

(٣) الأعراف /

الفصل السابع

عقوبة الفطرة

من الثابت نقلا وعقلا - ان الضمير الانساني لم يكن مستطاعا ان يستقر على قرار في امر هذا الكون وفي امر نفسه ، وفي غاية وجوده ، وفي منهج حياته ، وفي الارتباطات التي تقوم بين الانسان والكون والتي تقوم بين افراده هو وتجمعاته ..

لم يكن مستطاعا ان يستمر الضمير البشري على قرار في شيء من هذا كله قبل ان يستقر على قرار في امر عقيدته وفي امر تصوره لالهه ..

ولما علم الله ان الانسان لا يستطيع ان يصل الى يقين واضح في ذلك الأمر اودع في فطرته هذا السر العظيم : ذلك الدين القيم

﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله/ولكن اكثر الناس لا يعلمون ﴾ (١)

ثم أودع في هذا الكون موقظات الفطرة اذا نبتت في جو غير صالح ..

﴿ وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون ﴾ (٢)

ومن تلك الموقظات الكون بضخامته ، وظاهرة الحياة والموت ، وظاهرة الليل والنهار ظاهرة الشمس والقمر ، ظاهرة الاجابة عند الشدائد ظاهرة الاتقان في بناء الكون ، ظاهرة الحكمة في كل شيء وظاهرة العناية في الخلق ، ظاهرة الوحدة المتمثلة في التكامل في اجزاء هذا الوجود .. ظاهرة السببية .

ان كل واحدة من هذه الظواهر توقظ الفطرة الانسانية -كما سبق ذلك- اذا تأمل فيها الانسان .. يقول تعالى ﴿ قد بينا الايات لقوم يوقنون ﴾ (٣)

---

(١) الروم / ٣٠

(٢) الذاريات / ٣٠

(٣) البقرة / ١١٨

ولكن الانسان الذى تتعطل فيه اجهزة الاستقبال الفطرى لا يشعر بهذه الظواهر٠٠ ولا ينظر في خلالها الى خالق مدبر حكيم ٠٠ وانما تقول ترديدا لقول الجاهليين : *وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر*

مثل هذا الانسان لا بد ان ينال جزاءه من عقوبة الفطرة ٠٠ ولقد رأينا أثناء هذا البحث وخاصة في باب اسباب هلاك الأمم الويلات التي صبت على رؤوس المنكرين الملاحدة في القديم ٠٠ ونود في هذه الفقرة ان نشير الى عقوبات قد منحت به البشرية اليوم نتيجة كفرها والحادها ٠٠

اذا سمحنا هذا فلنقرأ الكلمات التالية :

لقد تكبدت البشرية عقوبة الفطرة في الحرب العالمية الاولى و يقدر الاحصائيون الخسائر التالية :

عدد القتلى : ٩٫٩٩٨٫٧٧١ نفسا

عدد الجرحى من ذوى الاصابات الخطيرة : ٦٫٢٩٥٫٥١٢ نفسا

عدد الجرحى من ذوى الاصابات العادية : ١٤٠٫٠٢٢٫٠٣٩ نفسا

عدد اسرى الحرب : ٥٫٩٨٣٫٦٠٠

عدد ضحايا الحمى الوافدة من اسبانيا من نتائج الحرب : ١٠٫٠٠٠٫٠٠٠

المجموع : ٤٦٫٢٧٩٫٩٢٢ نفسا (١)

كان هذا بعض عقوبات الفطرة ٠٠ فما وقع في الحرب العالمية الثانية ادهى وأمر ٠٠

أنظر كيف يفعل الالحاد بأهله ٠٠

---

(١) بدر الدين السباعى ، الحرب والشيوعية ، دار ابن الوليد حمص ١٩٥٧ ص٣ نقلا عن كتاب الأقصى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص ٣٤ ٠

العقوبات التي تجرى اليوم في عروق الملاحدة

يقول طبيب فرنسي يدعى الدكتور (ليريد) :

" انه يموت في فرنسا ثلاثون الف نسمة (20) بالزهرى وما يتبعها من الأمراض الكثيرة كل سنة .. وهذا المرض هو افتك الأمراض بالأمة الفرنسية بعد حمى الدق (10) .. " (١)

وتقول دائرة المعارف البريطانية عن المجتمع الامريكي انه يعالج في المستشفيات الرسمية هناك مائتا الف مريض بالزهرى ومائة وستون الف مصاب بالسيلان اللبني في كل سنة بالمعدل .. " (٢)

" وقد اختص بهذه الامراض وحدها ستمائة وخمسون مستشفى على انه يفوق هذه المستشفيات الرسمية نتائج الأطباء غير الرسميين الذين راجعهم ٦١ % من مرضى الزهرى و ٨٩ % من مرضى السيلان ..

ويقول كتاب القوانين الجنسية : (Laws of Sex)

" يموت في اميركا ما بين ثلاثين واربعين الف طفل بمرض الزهرى الموروث وحده في كل سنة ، وان الوفيات التي تقع بسبب جميع الأمراض عدا السل يربو عليها جملة عدد الوفيات الواقعة من مرض الزهرى وحده " (٣)

" واقل ما يقدره المسؤولون في مرض السيلان انه قد اصيب به ٦٠% من النفوس في سن الشباب ، وقد اجمع الماهرون في امراض النساء على أن ٧٥ % من اللاتي تجرى العملية الجراحية على اعضائهن الجنسية يوجدن متأثرات بمرض السيلان " (٤)

انظر كيف يفعل الالحاد باهله ...

---

(١) المذاهب المعاصرة عبد الرحمن عميرة ص ٧٧ اعيدت هذه الجملة مرة ثانية لعلاقتها بالموضوع .

(٢) دائرة المعارف البريطانية جـ ٢٣ ص ٤٥

(٣) كتاب القوانين الجنسية ص ٣٠٤

(٤) كتاب القوانين الجنسية ص ٣٠٤

امـــرأة تنتحــــر

قد انتقمت الممثلة الشهيرة (مارلين مونرو) من نفسها بالانتحـــار

فكتبت قبيل انتحارها نصيحـة لبنات جنسها تقول فيها :

" احذرى المجد ••• احذرى من كل من يخدعك بالأضـواء ••

اني اتعس امرأة على هذه الأرض •• لم استطع ان اكون أمـا •• انى امرأة أفضل

البيت •• الحياة العائلية الشريفة على كل شـيء •••

* * *

" ان سعادة المرأة الحقيقيـة في الحياة العائلية الشريفـة الطاهـرة

بل ان هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة بل الانسانية •• وتقول

في النهاية :

" لقد ظلمني كل الناس ••• وان العمل السينمائي يجعل من المرأة

سلعة رخيصـة تافهـة مهما نالت من المجـد والشهرة الزائفة " •

* * *

محـاولات الانتحــار

وليس غريبا ان تؤكـد الاحصائيات العالمية ان نسبة محاولـــة

الانتحار عند النساء اكثر منها عند الرجال ••

(١١)

واليك تقارير يكتبها احد الاطباء الاجتماعيين في فيينا : يقول :

" وقد لوحـظ ان النساء اكثر محاولة من الرجـال ••

في عام ١٩٤٨ م كان عدد المحاولات في النساء ٣٨١ وهذا يوافق

٦١ر٥٨ ٪ من المجموع ••

وفي عام ١٩٥٦ م كان العدد ٥٩٠ اى بنسبة ٥٦/٧٣ ٪

وفي عام ١٩٥٩ م كانت النسبة ٩٤ر٥٥ ٪

كما لوحظ ان نسبة المحاولات في الفتيان والفتيات الذين تتراوح اعمارهم

بين ١٤ عاما و ٢٠ عاما ترتفع باستمرار ..

فعند الفتيات كانت النسبة في عام ١٩٤٨ م ٥ر٦ %

وفي عام ١٩٥٦ م كانت النســــــبة ٣ر٦٥ %

* * *

واما عند الفتيات فالتصاعد مخيف :

ففي عام ١٩٤٨ م حاولت ٥٠ فتاة الانتحار وهذا يشكل نسبة ٦٩ر٧% من مجموع محاولات الانتحار في ذلك العام ..

وفي عام ١٩٥٦ م حاولت ٨٩ فتاة الانتحار .. وهذا يشكل نسبة ٥٥ر٨ %

وفي عام ١٩٥٩ م حاولت ١٥٠ فتاة الانتحار .. وهذا يعني ان كل تسعة ايام توجــد ست محاولات انتحار (اربع منها) من جانب الفتيات (واثنان) من جانب الفتيان • (١)

• وهناك العديد من المصائب التي تصيب المرأة من حيث يبقى الحليم حيران عــند سماعها .. فاليك نوعا من ذلك :

قد نشرت الصفحــة الامريكية فــي عام ١٩٧٧ م من ان فتاة امريكيــة في احدى الولايات الوسطى بالقرب من مدينة غــير مشهورة وجدت مقتولة وقــد طرحت جثتها في الغابة ..

وحمل البوليس الجثة الى المستشفى ونشر اعلانا يتضمن سن الفتاة وصفاتها الجسدية لكي يحضر قريبا لتسلم الجثــة ..

فماذا كانت النتيجــة ؟ ..

تقول الصحف : ان المستشفى تلقى ١٢٠٠ مكالمة من اناس كل منهــــم يشك في انها قريبته ويستوضح بعض صفات الفتاة اخرى بينما حضر الى المستشفــى شخصيا قرابة ٥٠٠ شخص لمعاينة الجثــة • (٢)

* * *

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون : مصطفى السباعي ص٢٧٣ـ ٢٧٤
(٢) مجلة الدعوة بالرياض صفر ١٣٩٧هـ

ان هذا على أى شيء يدل ؟

يدل على ان فتيات كثيرة قد فقدن ٠٠ وكلهن على تلك تلك الصفات وفي السن نفسه ٠٠ وكما يدل على ان هناك عددا اخرا من الفتيات اللائى لسن على هذه الصفة ٠٠ قد فقدن ايضا لا يعلمهن الا الله ٠٠؟

والاغرب ان امريكة التي تريد ان تفتش ما فوق القمر ولا تدرى ما يجرى في ولاية واحدة من ولاياتها ٠٠ فكيف بالولايات كلها ؟ ٠٠

ان هذا لهو البلاء المبين !

فتلك من عقوبات الفطرة التي لا تعصى ولا تخان ٠٠

* * *

المطالبة بحق حرية اللواط في أمريكا

فقد نشرت الصحف " ان وفدا يبلغ تعداده (عشرين) شخصا يمثلون اللواطة والسحاق في الولايات المتحدة الامريكية قاموا بمقابلة السيدة (مارغريت) مساعدة الرئيس (كارتر) للعلاقات العامة للمطالبة بحق حرية العمل في المؤسسات العسكرية ولسماح بمزيد من اللواطة في مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة الاستخبارات ووزارة الخارجية ومنح صفة معفى من الضرائب لمنظماتهم ٠٠

وقال رئيس الوفد : ان هذه هي المرة الاولى في تاريخ الولايات المتحدة التي رأينا فيها ان الرئيس (كارتر) بمناسبة الاعتراف بحقوق ومتطلبات عشرين مليون امريكي من الجنسين يسمح لهم بممارسة عملية اللواط والسحاق والشذوذ الجنسي بانواعه " (١)

* * *

---

(١) المجتمع العدد ٣٥٠ نقلا عن الدستور الاردنية

رجل يعقد على رجل في دول الشمال الاسكندنافية

ان مما يصادم الفطرة السليمة ان تطالب البرلمانات في دول الشمال (الاسكندنافية) باعتبار عقد الرجل على الرجل عقدا قانونيا مشروعا يقام في الكنيسة بل لقد تم عقد فعلى في احدى الكنائس بولاية كاليفورنيا " (١)

ان هذا أسوأ من كل ما ذكر .. هكذا يفعل الالحاد بأهله ...

* * *

الزواج رجعى في الشيوعية

أما فيما يتعلق بالزواج ،فالشيوعية تعده وما ينشأ عنه من الأسرة وتربية الاطفال أثرا من آثار البورجوازية الرجعية ، وبقية من تقاليد العصر الاقطاعى لا تليق بالمجتمع العملى الحديث ...

لا نقول هذا الكلام لمجرد المزايدة على الغير ، بل امامنا نصوص من الشيوعية نفسها تؤكد ذلك :

(أ) — البيان الشيوعي الذى يقول :

" ان الاسرة البرجوازية سوف تختفي بشكل طبيعي باختفاء رأس المال .. وأما التهريج البرجوازى عن الأسرة وأهميتها في التربية وعن أهمية العلاقة بين الولد وأبويه ، فهو مما يثير الاشمئزاز ..

ان تقدم الصناعة الحديثة سوف يقطع كل الصلات العائلية بين افراد الطبقة العاملة " (٢)

---

(١) مجلة الدعوة المصرية العدد ١٣٩٨/٣٦
ومراجعة كتاب الطفولة الجانحة تجد ما تقشعر منه الجلود من آثار الالحاد وخاصة ص ٥٣ ، جان شازال ت : انطوان عبده بيروت ١٩٧٢م

(٢) الصنم الذى هوى ص ٢٤ ، ستة من كبار الغرب ت : فؤاد حمودة ، المكتب الاسلامى ١٩٦٠ م

(ب) تحدث (أثر كستلر) العضو السابق للحزب الشيوعي عن نوايا الشيوعية بالنسبة لقاعدة الأسرة وقال :

" اما بخصوص الدافع الجنسي فقد كان مقررا ومعترفا به ، الا انا كنا في حيرة بشأنه ..

كان نظام الاسرة عندنا أثرا من آثار النظام البورجوازى ينبغى نبذه لأنه لا ينمي الا الفردية والانفاق والاتجاه الى اعتزال الصراع الطبقى ..

بينما الزوج البورجوازى لم يكن في نظرنا الا شكلا من اشكال البغاء يحظى بوضوء المجامع و موافقته الا ان السفاح والاتصال الجنسى العابر كان يعتبر ايضا شيئا سيئا غير مقبول ...

من هذا ترى ان الفضيلة البورجوازية شيئا سيئا كما ان السفاح كان سيئا كذلك ...

* * *

" واما الموقف الصائب الذى ينبغى ان نتخذه نحوهذا الدافع الجنسى فهو الفضيلة العملية التي تتلخص في ان الانسان ينبغي له ان يتزوج و يخلص لزوجته و ينجب ابناء عماليين ..

فاذا تساءلت : اليست هذه الفضيلة البورجوازية التي استنكرناها من قبل ؟ قيل لك : ان هذا التساؤل ايها الرفيق يدل على انك لا زلت تفكر بالطريقة الالية لا بالطريقة الجدلية ..

ان نظام الزواج الذى يعتبر في المجتمع الرأسمالى مظهرا من مظاهر الفساد والتحلل يتحول " مذاقيا " الى عكس ذلك المجتمع العمالى السليم فهل فهمت ايها الرفيق ام تحب ان أعيد عليك جوابي بطريقة " محكمة " اكثر من هذا ؟

---

(١) المصدر السابق ٥٦ ـ ٥٧

وهكذا رأينا اثر الالحاد في الدول الملحـدة في الشرق والغرب قد تساويا في التفكك الأسرى والتفسخ الاجتماعى الا أن الشيوعية تضـيف الى ذلك شيئا زائدا ٠٠ وهو الشعور الدائم بالهلع والرقابة البوليسيـة والشك من كل انسان ٠

الخـلاصـة :ـ

ان المجتمع الشيوعي الملحد أخس جميع اصناف الملاحـدة كلهم ٠٠٠ سواء من الناحـية الاخلاقية او من ناحية الطمأنينـة النفسية والسعادة الاجتماعية ٠٠

انـه مجتمـع ملعون شـقى منحـط الى اقصى درجـة الانحطـاط الخلقـي والفسـاد الاجتماعـي حـتى لا يتخيل احد منهـم فـي الخلاص من هذه الدناءة والسـفالة ٠٠

وكل ذلك لكفرهـم وعنادهم على خالقهم ٠٠٠ لقد فتحت لهم ابواب كل شـيء ولكنهم فيها مبلسـون ٠٠٠

وصدق الله تعالى :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتـة فاذا هم مبلسـون ﴾ (١)

---

(١) الانعام /٤٤

شيطانان قد تسلطا على الملاحـــدة

انه قد سلط على الأمم الملاحدة شيطانان قويان يجرانهمــــــا الى ما فيه الهلاك :

اولهما :ـ شيطان قطع النسل

والآخر :ـ شيطان القوميــــة

فالشيطان الاول قد سيطر على افرادها ..

والآخر قد سيطر على أممها وحكوماتها : فكل منهما عقوبة من عقوبات الفطرة ..

ان الشيطان الاول ، شيطان قطع النسل ، قد قلب عقول رجالها ونسائها فجعلهم يستأصلون أنسالهم بأيديهم ... انه يعلمهم تدابير منع الحمل ويحضهم على تعمد الاسقاط و يلقنهم فوائد عملية التعقيم : (Sterzation) التي يقضون بها على قوتهم التوليديـــة للأبد ، و يبعث فيهم من القســـوة والغلظـــة ما يجعلهم يقتلون اولادهم بأيديهم ، فهذا هو الشيطان الذى يدفعهم تدريجيا الى الانتحار ...

انظر كيف يفعل الالحاد باهله ...

* * *

وأما الشيطان الثاني الذى هو القوميـــة : فقد سلب أكابر ساستهـــم وقادة حربهم قوة التفكير السليم والتدبير الصحيح ، فهو يبعث فيهم نزعـــات الأثرة " المسابقة والتنافر والتعصب ، والحرص والطمـــع ، وبذلك يقسمهم ويفرقهم شيعا متعادية متحاربة ، ليذيق بعضهم شـــدة بعض ... وهذا ايضا من صور النقمة الالهية ..

* أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم بأس بعض * (١)

انظر كيف يفعل الالحاد بأهله ...

---

(١) سورة الانعام / ٦٥

الاستعدادات الحربية لتدمير العالم مرة ثالثة

ان شيطان القومية قد جمع ذخائر البارود في انحاء العالم ...
وأقام مراكز هنا وهناك ، انتظارا للحرب العالمية الثالثة ...

ان هذه الحرب التي يستعدون لها اذا حلت سيهون في جنبها هلاك الأمم الماضية ..

وهذا الذى أقوله لا مبالغة فيه ، فان الاستعدادات الحربية التي لا تزال تباشر الآن في أوربا وامريكا واليابان للحرب الاتية ترسل هزة الذعر والخوف في نفوس أولى الابصار من تلك الأمم نفسها ، وقد استطيرت ألبابهم روعا لما يتصورون من نتائج الحرب الاتية ..

فدونك تقريرا من المستر سر جل نيومان (Sergel Neuman) الذى كان عضوا في الهيئة الجندية الامريكية سابقا قد كتب مقالا عن صورة الحرب الاتية يقول فيه :

" ان الحرب الاتية لن تقتصر على الجنود المتحاربين ، بل هي ستكون افناء عاما لا تنجو منه النسوة ولا الأولاد ، وذلك ان عقول العلماء الكيماويين (Scientists) قد نزعت وظيفة الحرب والقتال من الجنود الانسانيين وفوضتها الى المركبات الكيماوية والات الحرب التي لا روح فيها ولا شعور والتي لا تميز بين محارب وغير محارب (Non Combatant)(١)

فالان لا يتحارب الفريقات في الميادين أو في القلاع ، بل ستقع حربها في المدن والقرى ، لأن قوة العدو الاصلية - حسب النظرية الجديدة - لا تكون في جنودها بل في بلادها المعمورة وأسواقها التجارية ومصانعها الصناعية .

---

(١) نحن والحضارة الغربية - المودودى ص٧٨

" فالآن ستروى كل هذه الاماكن بالقنابل من فوق ، وستنفجر عن المواد المحرقة والغازات السامة وجراثيم الأمراض التي تهلك الالوف المؤلفة من الجموع الانسانية ، ومن تلك القنابل قنبلة عظيمة تدعى (Le Wiste Bomb) تكفي وحدها لتهدم اضخم عمارة من عمارات لندن . وهناك غاز سام يعرف باسم (Green, Groses, Gas) خاصيته كسم الحية .. وكل من استنشقه لقي من الأذى والحتف ما يلقاه السليم .. (١)

" وهناك اثنا عشر نوعا آخر من مثل هذه الغازات كلها غير مرئي فلا يحس المرء أثره بادئ ذي بدء — واذا أحسه فلا يكون هناك امكان لتدبر العلاج ...

" ومن تلك الغازات غاز اذا وصل الى علياء الجو امتلأ وانتشر.. فاذا اجتازت منطقته طائرة عمي كل من فيها .. وقد قدروا أنه لو يطلق بعض الغازات السامة بمقدار رطن واحد على مدينة (باريس) لافنى كل ما فيها في ساعة واحدة ، وهذه العملية لا تحتاج الا الى مائة من الطائرات .. (٢)

" وقد اخترعوا قنبلة مدفعية كهربائية محرقة ، لا يزيد وزنها على كيلوجرام واحد ، ولكن هذه القنبلة الصغيرة تنطوي من القوة على ما يدهش وذلك انها اذا اصطدمت بشيء تولدت منها حرارة بمقدار ٣٠٠٠٠ (فهرنهايت) فما يكون منه حريق لا يمكن أن يطفئه شيء حتى الماء (لا) يفيد في اطفائه بل هو كالبترول يزيده تضرما ، ولم ينجح علم الكيمياء بعد في ان يجد ما يطفىء به هذا الحريق ...

---

(١) المرجع السابق ص٨٨

(٢) المرجع السابق ص٢٩

وبما ينوون أنهم سيقذفون هذه القنبلة على كبار شوارع المدن والعواصم ، حتى يضطرم فيها ذلك الحريق الهائل من جانب الى آخر .. فاذا فزع الناس بهذا السعير وحاولوا الفرار منه القيت على رؤوسهم قنابل الغازات السامة لكي يستكمل الردى والهلاك ..

ونظرا الى هذه المخترعات المتكهلكة قد حدث الماهرون انه تكفي عدة طائرات لأن تهدم بها اكبر وآمن عاصمة في الأرض في مدة ساعتين فقط وأن يسمم مئات الآلاف من النفوس الانسانية بحيث يرجعون الى فراشهم بالليل سالمين ولا ينتبه منهم احد من نومه في الصباح ، وأن يهلك الماشية والسوائم وتخرب الحقول والرياض .. فتسمم ذخائر الماء كلها في قطر بأجمعه .. ولم تكشف العلوم التجريبية (Science) بعد وسيلة ناجحة لمدافعة مثل هذه الحملات المردية الا ان لا يهجم كل من الفريقين المتحاربين على الآخر .. "

هذا بيان موجز لما يتخذون من الأهب للحرب المستقبلة ، ومن شاء التوسع في الموضوع فليراجع كتاب " ما يكون من صفات الحرب الاتية " الذى نشره الاتحاد البرلماني العالمي بجنيف بعد التحقيق التام ..

واذا نظرت فيه علمت كيف ان الحضارة الغربية قد هيأت الاسباب لخرابها وفنائها بأيديها ...

فحياتها الان مرتهنة بالساعة التي تعلق فيها الحرب ، فاذا ما شبت الحرب بين دولتين كبيرتين من هذا العالم ، فاعلموا انه قد قضى الأمر بخراب هذه الحضارة الغربية ، لأنه اذا نزلت الدولتان الكبيرتان ساحة الحرب فلن يكون هناك ما يمنع الحرب ان تكون عالمية ، واذا كانت الحرب عالمية فلا بد ان يكون البوار والدمار ايضا عالميا شاملا ..

* ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون * -(٢)

---

(١) المراجع السابقة ص ٨٠

(٢) سورة الروم الاية /٤١

الوراثـة الا ُرضـية من جـــد يد

على كل حال قد اقترب الوقت ،لا ُن يدبر امر الوراثـة الارضيـة مـن جـد يد وان يسقط هؤلاء الملاحدة الظالمون المسرفون عن مقام الخلا فة الارضية وتشرف بها أمة أخرى ٠٠ لعلها ان تكون من الا ُمـم المستضعفة فلينظـر الناظرون من يقع عليه الانتخاب الالهي في هذه المرة لانقاذ العالم من هذا الفســـاد المتراكـم ٠٠٠

اننا لا نعلم الغيب لتعيين أمة بانها هي التي ستقام في الا ُرض بعد هؤلا ء الملاحدة الذين عكروا جـو العالم بالحادهم ٠٠ ولكـننا علمنـــا من كتاب ربنا انه اذا صرع الله أمـة لا ُجـل اعمالها السيئة ، أقام مقامهـــا أمـة ٠٠ لا تكون آثمـة متمردة كأختها المغضوب عليها ٠٠٠

﴿ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ﴾ (١)

ان كانت هذه الحضارة لا تلائمنا فما هي الشروط اللا زمـة للحضارة حتى تكون حضارة مثالية تسعد في ظلـه البشرية جمعاء ٠٠؟

ففي الصفحات الاتية محاولات للاجابة على هذا السوءال ٠٠

---

(١) سورة محمد الاية / ٣٨

الفصل الثامـــــن

حـضا رة لاتلا ئـــم الانســـــان

لقد رأينا في الصفحات الماضيــة ان هذه الحضارة الالحادية لا تصلــح ان تستمر على القيادة العالمية ، لانها لم تتوفر فيها شروط الخلافة •

ان الملاحــدة يعتبرون هذا الكــلام ضربا من الجنون لا نهم يظنون ان حضارتهم هذه ، هي ارقى حضارة عرفتها البشرية جمعاء ••• فقد نقلنا عن الملحد العاتى (جوليان هكسلى) قوله :

" تعتبر التطورات العلمية التي حدثت في القرن الماضــى انفجـــارا معرفيا في وجـــه الاساطير الانسانية عن الالهـــة والدين كما تفجـــرت الافكار القديمـــة عن المادة ونسفت بمجرد تفجير الذرة " •

وتعتبر الصفحات الاتية ردا على هذا التحدى الالحادى لترى مما : المجتمع المتحضر الذى يلائم هذا الانسان من المجتمع المتخلف الذى لا يتناسب وكرامـــة الانسان • وانما نريد فقط

لا نريد هنا من الملحدين ان ياخذوا كلا منا دون تحكيم عقولهم ان ينبذوا التعصب الالحادى المذموم ••

واذا وافقونا على ذلك ، فاليهم الصفات التي يجـــب ان تتوفـــــــر في المجتمع المتحـــضر المثالى الذى يجب ان يكون على قيادة الشعوب والأمـــم ••

(أولا) ـــ ان المجتمع المتحضر هو الذى يتحرر فيه جميع افراد المجتمع مـــن عبودية بشر على بشر •

(ثانيا) ـــ ان يكون هذا التجمع على أمر يتعلق بارادتهم المحضـــة ••

(ثالثا) ـــ ان تكون انسانية الانسان هي محل الاحترام لا المادة ••

(رابعا)ـــ ان يتحلى بالقيم والاخلاق

(خامسا)ـــ أن تكون الاسرة قاعدة التجمع

اعتقد جازما انه لا يوجد عاقل يرفض هذه الشروط لأنها كلها تؤكد كرامة الانسان واحترامه ـــ اذن لنضع المجتمع المادى الحاضر في الميزان ••

أولا ـ التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان :

ان التحرر الكامل من عبودية انسان على انسان لا يتحقق ابدا الا اذا كانت الحاكمية العليا لله تعالى وحده ٠٠ متمثلة في سيادة الشريعة الالهية ٠٠٠ تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحررا كاملا وحقيقيا من العبودية للبشر ٠٠ وتكون هذه هي = الحضارة الانسانية = لان حضارة الانسان تقتضي قاعدة اساسية من التحرر الحقيقي للانسان ٠٠

ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع ٠٠ ولا حرية في الحقيقة ولا كرامة للانسان في مجتمع بعضه ارباب يشرعون وبعضه عبيد يطيعون ٠٠٠

ولا نعني الشريعة هنا في الاحكام القانونية فحسب ـ كما هو المفهوم السائد اليوم ٠ ولكن نعني بالشريعة التصورات والمناهج والقيم والموازين والعادات والتقاليد ٠٠ كل ذلك تشريع يجب ان يخضع لافراد قديما وحديثا لضغطه ٠٠

اتوافق ـ ايها الملحد ـ ان يصنع الناس ـ بعضهم لبعض ـ هذه السلطات وهذه الضغوط ٠٠

الجواب لا ! لانكم تحتفلون دائما لتحرركم من ضغوط الكنيسة ٠٠ ومن ثم نتفق معكم ان التحرر الكامل هو الذى لا يكون فيه ضغط احد على أحد ولا يشرع احد لأحد ٠

اذا وجدنا الناس في المجتمع الرأسمالي الطاغي والمجتمع الاشتراكي المستغل يصنعون هذه الضغوط لشعبهم فبماذا نسمي هذين المجتمعين ؟ حسب قاعدة التحرر ؟

فلا شك انهما مجتمعان متخلفان او مجتمعان جاهليان ٠٠ اذن ان المجتمع الاسلامي ـ وحده ـ هو المجتمع المتحضر ، لأنه هو وحده يهيمن عليه اله واحد ، ويخرج الناس فيه من عبودية العباد الى عبودية الله وحده ٠٠ وبذلك يتحررون التحرر الحقيقي الكامل الذى ترتكز اليه حضارة الانسان ٠

---

(١) راجع عرضا كتاب معالم في الطريق ، سيد قطب ص ١٠٧

ثانيا — ان يكون التجمع على أمر يتعلق بارادتهم المحضة واختيارهم الذاتي :

حين يكون التجمع على امر يتعلق بارادتهم المحضة واختيارهم الذاتي مثل العقيدة والتصور والفكرة و يكون كل ذلك صادرا عن اله واحد ، تتمثل فيه السيادة العليا ببشر ، وان كان صادرا من ارباب ارضية فلا بد ان تتمثل فيه عبودية البشر للبشر ..

ثم انه اذا كان التجمع على الجنس واللون والقوم والارض ، فهو تجمع متخلف رجعي لأنه لا تمثل فيه الخصائص العليا للانسان ...

فالانسان يبقى انسانا بعد الجنس واللون والقوم والارض ولكنه لا يكون انسانا بعد ضياع الروح والعقيدة والفكرة .

اذا القينا نظرة عابرة على المجتمعات الحالية نجدها كلها قائمة على الجنس واللون والقوم والارض و ليست قائمة على ارادتهم المحضة من عقيدة وفكرة وروح ..

فالمجتمع الذى يكون التجمع على الجنس واللون والقوم والارض فهو مجتمع متخلف وليس مجتمعا متحضرا ..

واما المجتمع الذى يتجمع فيه الناس على أمر يتعلق بارادتهم الحرة واختيارهم الذى هو المجتمع المتحضر ...

فالمجتمع الاسلامي وحده هو المجتمع الذى تمثل فيه العقيدة رابطة التجمع الاساسية واقرب مثال لذلك هو المجتمع الاسلامي في المدينة المنورة حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم " سلمان منا آل البيت ". (1)

هو المجتمع الذى اعتبرت فيه العقيدة هي الجنسية التي تجمع بين الأسود والابيض والاحمر والاصفر .. والعربي والرومي والفارسي والحبشي وسائر اجناس الارض في أمة واحدة .. ربها الله .. وعبوديتها له وحده والأكرم فيها الأتقى والكل فيها انداد يلتقون على أمر شرعه الله لهم ولم يشرعه أحد من العباد ...

---

(1) راجع المرجع السابق ص ١٠٧ — ١٠٨

ثالثا ــ ان تكون انسانية الانسان هي موضع الاحترام :

المجتمع المتحضر هو المجتمع الذى تكون انسانية الانسان هي موضع الاحترام . فأما حين تكون " المادة " ــ في اية صورة ــ هي القيمة العليا كما في نظرية التفسير المادى للتاريخ وفي صورة الانتاج المادى . في امريكا واوربا وسائر المجتمعات التي تعتبر الانتاج المادى قيمة عليا تهدر في سبيلها القيم والخصائص الانسانية فان هذا المجتمع يكون ــ بلا شك مجتمعا متخلفا .

ولسنا نريد في هذا التقرير ان نحتقر المادة في صورة من صورها لأن الانتاج المادى من مقومات الخلافة في الأرض عن الله .. ولكننا لا نعتبرها هي القيمة العليا التي تسقط في سبيلها خصائص " الانسان ومقوماته " وتذهب معها حرية الفرد حيث يصبح مجرد آلة في المجتمع ..

وحين تكون القيم الانسانية والاخلاق الانسانية هي التي يقوم عليها المجتمع فهو المجتمع المتحضر ... لأن القيم والاخلاق بهما يتفرد الانسان عن الحيوان وبهما ايضا فضلت أمة محمد على سائر الأمم السابقة فقال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١)

فأى مجتمع من المجتمعات اذا تخلى عن هذا المبدأ فهو مجتمع جاهلى متخلف بصرف النظر عن تقدمه المادى .وسواء ان هذه المجتمعات فقيرة او غنية فانها ترتقى صعدا بالاخلاق الفاضلة التي هي اخص خصائص الانسان فاذا ابتعدت عن هذه المبادئ مع حضارة المادة ــ فلن يكون ذلك حضارة انما هو " التخلف " او هو " الجاهلية " (٢) وذلك ان خلاصة رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي مكارم الاخلاق .

وقد ورد في الحديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (٣)

---

(١) سورة آل عمران / ١١٠

(٢) راجع عرضا كتاب معالم في الطريق سيد قطب ص ١١٠

(٣) الحديث ورد في الموطأ للامام مالك رضى الله عنه (٨)

وخامساً

رابعاً : ان تكون الأسرة قاعدة التجمع :

فحينما تكون الأسرة هي قاعدة المجتمع ، وتقوم هذه الأسرة على أساس الزواج المشروع أولا ثم تكون رعاية الأولاد هي اهم وظائف الأسرة يكون هذا المجتمع متحضرا ..

لأن الاسرة بمثابة البيئة الصالحة يخرج نباته باذن ربها .. ففيها ينشأ الأولاد تنشئة صحيحة وتنمى فيها القيم والأخلاق الانسانية الحقة .

واما حين تكون علاقات الجنسين على أساس الهوى والانفعال لا على اساس الواجب والتخصص الوظيفي في الأسرة .. حين تصبح وظيفة المرأة هي الزينة والغواية والفتنة ..

وحين تتخلى المرأة عن وظيفتها الاساسية في رعاية الجيل الجديد ، وتؤثر — او يؤثر لها المجتمع ان تكون مضيفة في فندق او سفينة او طائرة أو سكرتيرة مكتب ...

حين تنفق المرأة طاقتها في الانتاج المادى وصناعة الادوات ولا تنفقها في صناعة الانسانية — لماذا ؟ لان الانتاج المادى أعلى وأعز في النفوس من الانتاج " عندئذ يكون هذا هو " التخلف الحضاري " او الجاهلية في المفهوم الاسلامي .

وقد رأينا فيما مضى ان العلاقات الجنسية البهيمية هي المعول الأول الذى حطم الحضارات المادية قديما وحديثا ..

خامسا : لأن المجتمعات التي تسود فيها الاخلاق الحيوانية لا يمكن بحال من الاحوال ان تكون مجتمعات متحضرة مهما تبلغ من التقدم الصناعي والاقتصادى والعلمى ..

ان هذا المقياس لا يخطىء في قياس مدى التقدم " الانسانى " (١)

---

(١) المرجع السابق مع تغييرات طفيفة ص١١١

وأخيرا قد رأينا فيما سبق ان الحضارة المادية الملحدة الحاضرة ليست مجتمعا متحضرا بالتحقيق ٠٠ لان الحضارة الحقيقية الراقيــة لا توجد الا بعـد ما يقوم " الانسان " بالخلافة عن الله تعالى في ارضـه على وجههـــا الصحيح : بأن يخلص عبوديته لله تعالى ، ويخلص من العبودية لغيره ٠٠ وأن يحقق منهج الله وحده ، و يرفض الاعتراف بشرعية منهج غيره ٠٠ وان يحكم شريعته وحدها في حياته كلها و ينكر تحكيم اى شريعة سواها ٠٠

وان يتحلى بالقيم والاخلاق التي قررها الله له ويسقط القيم والاخـــلاق المدعاة ثم بأن يتعرف بعد ذلك كله الى النواميس الكونية التي اودعهـــا الله هذا الكون المادى و يستخدمها في ترقية الحياة ٠٠٠ وعندما يفعل ذلـك فيومئذ يكون هذا الانسان كامل الحضارة ٠٠٠ و يكون هذا المجتمع قد بلغ قمة الحضارة ٠٠

فأما الابداع المادى وحده فلا يسمى - في الاسلام - حضارة بدليل ان الابداع المادى قد يوجـد وتوجـد معه الجاهلية والتخلف وقد وصف القرآن لبعض الجاهلين القدامى مجتمعاتهم انها قد قطعت شوطا كبيرا فـــي المجالات المادية ومع ذلك ما زالوا جاهليين ٠٠ يقول تعالى :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء ، حتى اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغتة فاذا هـم مبلسـو ن فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (١)

وقال ايضا : ﴿ اتتركون فيما هنا آمنين ، في جنات وعيون وزروع و نخـل طلعها هضيم ٠٠ وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ؟ فاتقوا الله واطيعـــون ولا تطيعوا امر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ (٢)

وبهذه وتلك نعلم ان هذه الحضارة المادية لا تلائم الانسان ، لأنّ فيها قد لاقى الانسان كثيرا من الاضطرابات والهموم والمصائب والانحلال الخلقى

---

(١) الانعام / ٤٣-٤٥

(٢) الشعراء / ١٢٧-١٣٥

والتفكك الاسرى والدعارة والفجـور ٠٠٠ وقد حطت فيها كرامة الانسان وارتفعت فيها قيمة الماء الصماء ٠٠

واذا لم يرض الملاحدة بهذا البحث العلمي الذي أقام عليهم الحجة ننتقل معهم الى استماع شهادات من بعض مفكرى أوربا المنصفين :

أولا ـ شهادة الكسيس كاريـل

يقول الكسيس كاريل [١] في كتابه القيم : الانسان ذلك المجهول وهو عالم اتيحت له فرصة الاطلاع على نتائج البحوث الضخمة هو الذى تحدثنا عنه سابقا ويبدأ شهادته بالكلام عن مخالفة البشر لما يسميه " القوانين الطبيعية " ونسميه نحن " قوانين الفطرة التي فطر الله الناس عليها " والعواقب التي لا بد أن يلقاها من يخالف هذه القوانين الصلبة التي لا تلين ، ولا تترك مخالفيها بلا عقوبة ثم يأخذ ما حل بالبشرية فعلا من هذه العقوبة :

" ان الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا ٠ لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ٠ اذ انها تولـدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس ، وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم ٠ وعلى الرغم من انها انشئت بمجهوداتنا الا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا " (٢)

---

(١) ولد الدكتور كاريل بالقرب من ليون في فرنسا وحصل على اجازة الطب بها ، كما حصل على اجازة العلوم من ديجون ٠ وبعد ان مارس التدريس في جامعة ليون عدة اعوام رحل الى الولايات المتحدة ٠ واشتغل في معهد (روكفلر) للابحاث العلمية بنيويورك ٠ وبه قرابة ثلاثين عاما حتى اعتزل العمل بـه سنة ١٩٣٦م ثم عهدت اليه وزارة الصحة الفرنسية بمهمة خاصة تتصل بالحرب وكانت هذه المهمة تكملة لمهمة اضطلع بها ابان الحرب العالمية الاولى ، عندما كان يعمل جراحا مع القوات الفرنسية والبريطانية والامريكية ٠٠٠ ومنح جائـزة نوبل عام ١٩١٢ م لأبحاثه الطبية الفذة ، (راجع كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة سيد قطب ص ٧)

(٢) راجع كتاب : الانسان ذلك المجهول الكسيس كاريل ص ٣٨

" يجب ان يكون الانسان مقياسا لكل شيء .. ولكن الواقع هو عكس ذلك. فهو غريب في العالم الذى ابتدعه . انه لا يستطيع ان ينظم دنياه بنفسه لأنه لا يملك معرفة عملية بطبيعته .. ومن ثم فان التقدم الهائل الذى احرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو احدى الكوارث التي عانت منها الانسانية .. فالبيئة التي ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ، ولا بالنسبة لهيئتنا ..

" اننا قوم تعساء لأننا ننحط اخلاقيا وعقليا .. " (١)

" ان الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية اعظم نمو وتقدم ، هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف والتي ستكون عودتها الى البربرية والهمجية اسرع من عودة غيرها اليها ..

" ان الحضارة لم تفلح حتى الان في خلق بيئة مناسبة للنشاط العقلي . وترجع القيمة العقلية والروحية المنخفضة لأغلب بني الانسان ـ الى حد كبير ـ للنقائص الموجودة في جوهم السيكلوجي . اذ ان تفوق المادة ومبادئ " دين الصناعة " حطمت الثقافة والجمال والأخلاق ".

هكذا يقول هذا العالم "الكبير" الأوربي الامبركي الذى لا يجادل العلماء ، علماء الحضارة الحديثة في مكانته " العلمية " ولا في " حداثة " نظرياته ـ أودراساته بتعبير ادق ـ ولا في جديتها . هو يرى ان هذه الحضارة القائمة على محاربة الأخلاق والمبادئ السامية ، لا تلائم هذا الكائن الانساني الذى صار غريبا بين مكتشفاته ومخترعاته انه عقوبة الفطرة وبتعبير آخر انه السنة الربانية التي لا تتخلف .

---

(١) المرجع السابق ص٤٣ ـ ٤٤

ثانيا ـ شهادة (ول ديورانت)

ولنأخذ شهادة (ول ديورانت) الكاتب الاميركي المتفلسف .. وهو رجل لا يمكن ان يقال انه من اعداء هذه الحضارة . فهو شديد الاعجاب بالتقدم الذي تمثله هذه الحضارة في مجموعها.

وهو يبدو معارضا للدين في جملته ، كما انه ظاهر العداء للاسلام بصفة خاصة .. وقد نشرت له مؤسسة فرنكلين ترجمة جزء من كتابه مناهج الفلسفة ونشرت له جامعة الدول العربية ترجمة اجزاء من كتابه قصة الحضارة . ويستطيع قارئ اللغة العربية ان يلاحظ موقفه هذا من الاعجاب بهذه الحضارة في جملتها ، كما يلاحظ موقفه من الدين جملة وعداءه الظاهر للاسلام خاصة . ومع هذا كله فهو يؤدي هذه الشهادة عن هذه الحضارة في كتابه " مناهج الفلسفة " (٢)

يقول هذا الكاتب الاميركي :

" وثقافتنا اليوم سطحية ومعرفتنا خطرة ، لاننا أغنياء في الالات فقراء في الأغراض . وقد ذهب اتزان العقل الذي نشأ ذات يوم من حرارة الايمان الديني ، وانتزع العلم منا الأسس المتعالية لأخلاقنا ، ويبدو العالم كله مستغرقا في فردية مضطربة تعكس تجزؤ خلقنا المضطرب " *

---

* يلاحظ ان الكاتب ـ مع اقراره بأن حرارة الايمان الديني قد انشأت ذات يوم اتزانا في العقل لا يدعو ولا يعمل لاستعادة حرارة الايمان الديني . انما هو يلجأ الى الفلسفة لتعيد اتزان العقل المفقود ! والفلسفة في تاريخها الطويل كانت حصيلة ذهنية باردة ، لم تؤثر قط في حياة البشرية . فالحياة البشرية لا تؤثر فيها الا العقيدة الدافعة . ولكن الكاتب الغربي ـ الامريكي ـ لا يملك الا هذا الحل الهزيل .. لأنه هارب من الكنيسة !

(١) المرجع السابق ص١٨٤

(٢) راجع كتاب الاسلام ومشكلات الحضارة ، سيد قطب ص١٣٣ مع تغييرات طفيفة .

اننا نواجه مرة اخرى تلك المشكلة التي اقلقت بال سقراط ، نعني كيف نهتدى الى اخلاق طبيعية تحل محل الزواجر العلوية التي بطل أثرها في سلوك الناس ؟ .. (١)

" وعندنا مئة الف سياسي وليس عندنا " رجل حكيم " واحد . اننا نطوف حول الأرض بسرعة لم يسبق لها مثيل . ولكننا لا نعرف الى اين نذهب ، ولم نفكر في ذلك ، اوهل نجد هناك السعادة الشافية لأنفسنا المضطربة .

اننا نهلك انفسنا بمعرفتنا التي اسكرتنا بخمر القوة . ولن ننجو منها بغير الحكمة " (٢)

" واختراع موانع الحمل وذيوعها هو السبب المباشر في تغير اخلاقنا فقد كان القانون الاخلاقي قديما يقيد الصلة الجنسية بالزواج ، لأن النكاح كان يؤدى الى الأبوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما ولم يكن الوالد مسئولا عن ولده الا بطريق الزواج ، أما اليوم فقد انحلت الرابطة بين الصلة الجنسية وبين التناسب وخلقت موقفا لم يكن آباؤنا يتوقعونه ، لأن جميع العلاقات بين الرجال والنساء آخذة في التغير نتيجة هذا العامل . ويجب على القانون الاخلاقي في المستقبل أن يدخل في حسابه التسهيلات الجديدة التي جاءت بها الاختراعات لتحقيق الرغبات المتأصلة " (٣) .

هذه هي شهادة هذا العالم الاميركي ، أداها لا لكونه يحب التدين ولكن الأمر الواقع فرض نفسه عليه .

---

(١) راجع مناهج الفلسفة " ول ديورانت " ج ١ ص ٦ ـ ٧

(٢) المرجع السابق ص٦ ـ ٧ ج ١

(٣) المرجع السابق ج ١ ص ١٢٥

ثالثا ـ شهادة الأستاذ أبي الأعلى المودودي

والآن نسمع شهادة الاستاذ أبي الأعلى المودودي في بعض جوانب هذه الحضارة وما أنشأته من آثار تنطوي على تهديد مدمر للحياة الانسانية ذاتها فضلا على الخصائص الانسانية .

من كتاب " الحجاب " :

" ولما كثر بذلك اختلاط الصنفين ، واحتكاك الذكور بالاناث ، وأخذت تظهر عواقبه الطبيعية في المجتمع ، تقدم هذا التصور للحرية الشخصية ، وهذه الفلسفة الجديدة للأخلاق ، فهدأ من قلق الآباء والبنات ، والأخوة والأخوات والبعولة والزوجات ، وجعلا نفوسهم المضطربة تطمئن الى ان الذى هو واقع امام اعينهم ، لا بأس به ، فلا يوجسوا منه خيفة ، اذ ليس هبوطا وترديا ، بل هو نهضة وارتقاء (Emancipation) وليس فسادا خلقيا بل هو عين اللذة والمتعة التي يجب ان يتقنها المرء في حياته وان هذه الهاوية التي يدفع بهم اليها الرأسمالي ، ليست بهاوية النار ، بل هي جنة تجرى من تحتها الأنهار .

" ولا يزال هذا الداء الوبيل ـ من غلبة الشهوات البهيمية ـ ينخر في كيان الأمم الغربية وينتقص من قوة حياتها بسرعة هائلة . والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة ، الا اوردها موارد التلف والفناء . ذلك بأنه يقتل في الانسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية لبقائه وتقدمه في هذه الحياة .

" وأنى للناس ـ لعمر الله ـ ذلك الهدوء وتلك الدعة والسكينة التي لا بد لهم منها لمعالجة أعمال الانشاء والتعمير ما دامت تحيط بهم محركات شهوانية من كل جانب ، وتكون عواطفهم عرضة ابدا لكل فن جديد من الاغواء والتهييج ، ويحيق بهم وسط شديد الاستثارة قوى التحريض ، ويكون

الدم في عروقهم في غليان مستمر بتأثير ما حولهم من الأدب الخليع والصور العارية ،والاغاني الماجنة ، والافلام الغرامية ، والرقص المثير ،والمناظر الجذابة من الجمال الانثوي العريان ، وفرص الاختلاط بالصنف المخالف استغفر الله ... "

وبعد هذه المأساة التي اصابت الانسانية فما هي كيفية الخلاص منها وما هو طريق الخلاص أيضا ...

في الصفحات الآتية تحاول -بكل اختصار- أن نجيب عن هذا السؤال ان شاء الله تعالى .

الخاتمـــة

كـيف الخـــلاص من الالحـــاد

ان نصوص القرآن كلها تشير الى ان طريق الخـلاص من الالحــــاد هو الايمان بوجود الله ... يقول تعالى * ومن يؤمن بالله يهد قلبه * الاية ولكن ما الايمان الذى نعنيه في هذه الدراسة ؟

نقول في الاجابة عن هذا السؤال ، ان الايمان الذى نعنيه هنـــا ليس مجرد اعلان المرء بلسانه أنه مؤمن . فما اكثر المنافقين الذيــن قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم :

* ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الاخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون *

وليس مجرد قيام الانسان باعمال وشعائر أعتيد ان يقوم بهـــا المؤمنون ، فما اكثر الدجالين الذين يتظاهرون بالصالحات واعمال الخير ، وشعائر التعبد .. وقلوبهم خراب من الخير والصـلاح والاخلاص للـه :

* ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . واذا قاموا الى الصـلاة قاموا كسالى ، يراؤون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا *

وليس هو مجرد معرفة ذهـنية بحقائق الايمان ،فكم من قوم عرفـوا حقائق الايمان ولم يؤمنوا * وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ..* وحال الكبر او الحسد اوحب الدنيا بينهم وبين الايمان بما علموه من بعد ما تبين لهم الحق * وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون *

ولا يدخل في الايمان الذى نعنيه هنا الايمان (بالشيوعية) والايمان (بالوجودية) والايمان (بالقومية) والايمان (بالوطن) والايمان (بالثورة) والايمان بغير ذلك مما ابتدع البشر لأنفسهم مما لم يأذن به الله ..

وليقل الناس ما شـاءوا ..

ان الايمان الذى نعنيه .. الذى يخلص من الالحاد هو الايمان الذى حدده سيد قطب في ظلال القرآن فلنقرأ هذه الكلمات :

" فالايمان تصديق القلب بالله وبرسوله .. التصديق الذى لا يرد عليه شك ولا ارتياب .. التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذى لا يتزعزع ولا يضطرب .. ولا تهجس فيه هواجس ... ولا يتلجلج فيه القلب والشعور .. والذى ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله ، فالقلب متى تذوق حلاوة هذا الايمان واطمأن اليه وثبت عليه .. لا بد من محاولة لتحقيق حقيقته في خارج القلب في واقع الحياة في دنيا الناس .. يريد ان يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الايمان .. وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة ، ولا يطيق الصبر على المفارقة وبين الصورة الايمانية التي في حسه .. والصورة الواقعية من حوله .. لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة ومن هنا هذا الانطلاق الى الجهاد في سبيل الله بالمال والنفس ... فهو انطلاق ذاتي من نفس المؤمن .. يريد به ان يحقق الصورة الوضيئة التي في قلبه ، ليراها ممثلة في واقع الحياة والناس " (١)

" والخصومة بين المؤمن وبين الحياة الجاهلة من حوله خصومة ذاتية ناشئة من عدم استداعته كذلك التنازل عن تصوره الايمانى الكامل الجميل المستقيم في سبيل واقعه العملى الناقص الشائن المنحرف ..

فلا بد من حرب بينه وبين الجاهلية من حوله ، حتى تنتهى هذه الجاهلية الى التصور الايمانى والحياة الايمانية ".

هذه العناصر والمقومات هي التي تكون " الايمان الحق " وان شئت قلت " العقيدة الحقة " واذا فقد بعض هذه العناصر فان ما بقي منها لا يستحق ان يسمى (ايمانا) أو (عقيدة) ..

---

(١) في ظلال القرآن ٢٦

يمكن ان تسمى (فكرة) أو (نظرية) أو (رأيا) أو أى عنوان من هذه العناوين .. اما الايمان الحق فهو الذى تشرق شمسه على جوانب النفس كلها فتنفذ اليها اشعتها حاملة الضوء والحرارة والحياة ..

ويعجبنى ما كتبه في هذا المقام الاستاذ احمد امين رحمه الله مفرقا بين الرأى والعقيدة قال :

" فرق كبير بين ان ترى الرأى وأن تعتقده .. اذا رأيت الرأى فقد ادخلته في معلوماتك ..

واذا اعتقدته جرى في دمك وسرى في مخ عظامك وتغلغل في اعماق قلبك " (١)

حقا .. ذو الرأى فيلسوف يرى رأيا صوابا قد يكون في الواقع باطلا أما ذو العقيدة فجازم بات بذلك الاقتناع والتصديق .

الرأى جثة هامدة .. لا حياة لها ما لم تنفخ فيها العقيدة من روحها ..

ذو الرأى سهل ان يتحول ويتحور ، هو عند الدليل أو عند المصلحة تظهر في شكل دليل ...

أما ذو العقيدة مخبر مظهر له ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" لو وضعوا الشمس في يمينى ، والقمر في شمالى ، على أن ادع الذى جئت به ما تركت ... "

<u>مثل هذا الايمان هو الذى نعنيه ، وهو طريق الخلاص من الالحاد</u> ..

وبعد هذا التقرير الحاسم نود ان نشير الى شيئين هامين :

<u>أولهما :</u> ما هو الاله الذى نؤمن به ؟

<u>ثانيهما :</u> كيف يوصف الله ؟

في الصفحات الاتية محاولات للاجابة عن ذلك .

---

(١) كتاب فيض الخاطر . احمد امين ج ١
نقلا عن كتاب الايمان والحياة د . يوسف القرضاوى ص ٢٢

اللــه الذى نؤ من بــــــه

لقد قامت الادلة على ان وراء هذا الكون قوة علـيا تحكمه وتدبره وتشرف عليه . سماها احدهم العلة الاولى ، وسماها غيره العقل الاول وسماهـــا غيرهم المحرك الأول ، وسماها غيرهم (يهــوه) وسماها ايضا غيرهم (بالأب والابن وروح القدس) وسماها القرآن العظيم المبين ، وكتب السماء التي لم تحرف ، بهذا الاسم الجامع لصفات الجمال ﴿ اللـــــه ﴾ ..

ان هذه القوة العليا ـ وبعبارة اخرى .. هذا الاله العظيم ليس في استطاعة العقل البشرى ادراك كنهه ـ ولا معرفة حقيقته ... كيف وقد ثبت عجز الانسان عن معرفة كنه ذاته وعن كنه النفس وعن حقيقة الحياة وعن حقيقة المادة وكثير من حقائق الكون المادية من كهربية ومغناطيسية كل ذلك ما عرف الا باثارها .. فكيف يطمع الملحد في معرفة ذات الله العلى الكبير ..

﴿ ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ﴾ (١)

وكيف يستطيع العقل البشرى ان يتصور الها تكون الأرض وما فيها من جبال وانهار وأبحر ورمال وصخور وكل شيء من يابس ورطب قبضته يوم القيامة .. !

فأى خيال يستطيع ان يتصور هذه العظمة ؟

فلذا أرشد النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم الى أقرب طريق وأنفعها في هذا الباب فقال :

" تفكروا في آيات الله ولا تفكروا في ذات الله فانكم لن تقدروه قدره ".

---

(١) الانعام / ١٠٣

يقول تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره .. والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

نعم ان الملحدين ما قدروا الله حق قدره فلذا بدأوا يبحثون عنه من ذرات المادة الصماء ..وهم لا يدركون وحدانيته وعظمته وهم لا يستشعرون جلاله وقوته ..

ولما علم الله أن الانسان عاجز كل العجز أن يتصور مقدار عظمة الله عز وجل خالق كل شيء . كشف برحمته الواسعة ـ لهذا الانسان المسكين الضئيل عن جانب من عظمته وقوته .

ان هذا الجانب يقرب للبشر الحقائق الكلية يتصورها ادراكهم المحدود .

فقال ﴿ والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ﴾

هنا منقطع الخيال ويرجع الملحد الى حجمه الطبيعي . لأنه أدرك ان هذا الاله لا يمكن ان يتصوره العقل البشرى الضعيف كيف يتصوره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة . فأى عقل يستطيع ان يعرف مدى هذه العظمة وهذه القوة ؟ .. فما على الانسان الذى منّ الله تعالى عليه ووصل الى هذا الفهم العميق الا أن يقول :

﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

كيف يوصف الله عز وجل

لقد رأينا في السطور السابقة أن طريق الخلاص من الالحاد هو الايمان بالله على نحو ما حدده سيد قطب رحمه الله وهنا نود ان نشير الى نقطة هامة وهي : اقرار صفات الله كما جاء بها القرآن هو العصمة الوحيدة من الالحاد هذا ما قرره الشيخ الامام ابن تيمية فلنستمع اليه :

يقول : " فأما الأول وهو (التوحيد في الصفات) فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله ، نفيا واثباتا فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه " .

وقال ايضا " قد علم ان طريقة سلف الأمة وأئمتها اثبات ما اثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك يلفون عنه ما نفاه عن نفسه مع اثبات ما اثبته من الصفات من غير الحاد : لا في أسمائه ولا في آياته . فان الله تعالى ذم الذين يلحدون في اسمائه وآياته ، كما قال تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾

وقال تعالى ﴿ ان الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم ﴾ الاية (١) اذن نصل الى النتائج التالية :

١ ـ من زاغ وحاد عن طريقة القرآن في اثبات صفات البارى من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تحريف ولا تأويل ، لا يسلم من الالحاد ولو اثبت وجوده بدليل هذه التهديدات المذكورة في الآيتين ..

هذا ما أكده شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله :

" وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم (الأنبياء) من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ، ومن دخل في هؤلاء من الصائبة والمتفلسفة والجهمية والقرامطة والباطنية ونحوهم .. فانهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ، ولا يثبتون الا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل ،وانما يرجع الى وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان " . ثم زاد قائلا :

" فقولهم يستلزم غاية التعطيل (الالحاد) وغاية التمثيل ،فانهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات ،والجمادات ،ويعطلون الأسماء والصفات ،تعطيلا يستلزم نفي الذات " .

بهذا التقرير نفهم أن نفي صفات الله يؤدى ذلك الى نفي الذات وهو الالحاد الصرف . (٢)

---

(١) الرسالة التدمرية ، شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٧ تحقيق الاستاذ زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي .

(٢) المصدر السابق ص ١١

٢ — توافق بعض أسماء الله مع بعض أسماء المخلوق لا يؤدى الى التشبيه :

وبيان ذلك : قد تقرر معنا انه يجب اثبات الصفات بلا تشبيه . ولكننا تجد بعض أسماء الله ذكرت في القرآن توافق أسماء بعض المخلوقين فما المخرج من ذلك ؟

وللاجابة عن هذا السؤال نقول :

ان اتفاق الاسمين (اسم الله واسم المخلوق) لا يؤدى — بحال من الأحوال — الى تشبيه المخلوق بالخالق ..

فلا بد من ضرب أمثلة على ذلك :

قد سمى الله نفسه (حيا) فقال : * الله لا اله الا هو الحى القيوم *
وسمى بعض عباده (حيا) فقال : * يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى *

هل الحياة كالحياة ؟ الجواب لا !

وما قيل في صفة الحياة ، يقال ايضا في جميع الصفات .. مثل السمع والبصر والعلم والرضا والغضب والعمل والنداء والتكليم والاستواء ..

* * *

ولست أدرى لماذا أول الناس الصفات أونفوها خوفا من التشبيه ؟ ان الاشتراك اللفظي لا يؤدى الى التشبيه . فالأمر بحسب المضاف اليه وذلك ان الله تعالى وصف نفسه بأنه استوى على عرشه فذكر ذلك في سبع مواضع من كتابه ، انه استوى على العرش ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله * لتستوا على ظهوره * وقوله * فاذا استويت انت ومن معك على الفلك * وقوله * واستوت على الجودى *

هل يعقل في الذهن أن استواء الله مثل استواء هذه المخلوقات ؟ لا !
ليس الاستواء كالاستواء ..

فالأمر — كما قلنا بحسب المضاف اليه فاستواء الله على عرشه خاص به واستواء المخلوق خاص به لا يشاركه فيه الخالق ..

ولعل وهمهم جاء من فهمهم للاية ﴿ هل تعلمون له سميا ﴾ . يقول اهل اللغة : هل تعلم له سميا أى نظيرا يستحق مثل اسمه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ مثيلا أو شبيها .. فلا اشكال في ذلك أبدا ..

هناك آية أخرى تعتبر الفيصل في هذا الباب وهي قوله تعالى :
﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١)

ففي قوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ رد للتشبيه والتمثيل .. وقوله ﴿ وهو السميع البصير ﴾ رد للالحاد والتعطيل ..

تطبيقا لهذه القاعدة المقررة نقول ان الله تعالى وصف نفسه ببسط اليدين فقال : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾

ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ فيجب اذن — أن نثبت لله بسط اليد وان لم نثبته نكن من الملحدين المعطلين .. ثم ننفي المماثلة والتشبيه والا نكن من المشبهين .. هل يد الله كيد الانسان ؟ الله تعالى أخبر ان هذه الأرض كلها قبضته يوم القيامة فأين التشبيه — اذن — بين تلك وهذه اليد ؟ وبين ذلك البسط وهذا البسط ؟ ..

وكما لا يجوز ان ننفي عن الله صفة العلم والقوة والرحمة والوجود والحياة والكلام — رغم اتصاف المخلوق بكل ذلك — لا يجوز لنا اذن أن ننفي أو نؤول صفة اليد والاستواء عن الله خوفا من التشبيه .. اذا فعلنا ذلك كأننا لم نفهم مراد الله من الاية ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ فصدر الآية نفي التشبيه وفي آخرها اثبات للصفات .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية اخراج ناصر الدين الالباني محمد : ص ٩٩ سنة ١٣٩١ هـ

النتيجـــــــة :

قد يقول قائل : ان الخوض في مسألة الصفات قد فات زمانه ‥ والان نحن في معركة شرسة مع الملحدين المنكرين لوجود الله تعالى ‥ فلسنا في حاجة الى معركة قد خاضها ابن تيمية والشيخ محمد عبد الوهاب رحمهما الله تعالى .

نقول لهذا القائل قد عرفت شيئا وفاتتك أشياء ‥ ان مما فاتك أن نفي الصفات أو تأويله يجعل في الانسان نوعا من قابلية الالحاد .

وبيان ذلك : ان الملحد الكافر عليه — لعائن الله — يوءمن بقوة مطلقة سماها (الطبيعة) . وهذا الموءمن النافي للصفات يوءمن بالله ثم ينفي عنه جميع الصفات مخافة تشبيهه بالمخلوق ‥ فوصف الهه بالسلوب وجعله هو الوجود المطلق بشرط الاطلاق ‥ (١) فما الفرق اذن بين هذا "الموءمن" وهذا الملحد ؟

ان الفرق بينهما في التسمية فقط : والا كلا هما يوءمن بقوة لا وجود لها في الخارج ‥ الملحد آمن بقوة مطلقة ليس لها صفة ‥

وهذا الموءمن آمن بقوة (اله) لاتتصف بصفة ‥ وجميع من يحترم عقله يعلم ان هذه الصورة لا وجود لها في الخارج ابدا ‥ انما توجد في الذهن فقط !

انظروا الى نتيجة نفي الصفات أو تأويلها ، فانها توءدي — بقصد أو بغير قصد — الى انكار وجود الله .

وبعد هذا كيف نقول ان قضية نفي الصفات لا وجود لها في الواقع المعاصر .

والمتفق عليه عند العلماء السلفيين ان من قال : ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا ناجى ، فقد ألحد لأنه مثل ربه بالمعدومات والجمادات ‥ وكذلك من قال ان الله ما استوى وليس له يدان حقيقة

---

(١) الرسالة التدمرية ، ابن تيمية ص ١١

نقد الحد ايضا لأنه نفى ما وصف به نفسه .. هو الذى يعلم نفسه و يعلم ما يليق به من الصفات الكمالية . (١)

وكذلك الحال في الطرف الثاني .. فمن قال لله علم كعلمى أو قوة كقوتي أوحب كحبى او رضا كرضائى أو يدان كيداى أو استواء كاستوائى فلا شك انه من المشبهين الممثلين لله بالحيوانات . (٢)

فالخلاص من الالحاد اذن يتمثل في شيئين :

١ — الايمان بذات الله سبحانه بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل .

٢ — الايمان بالصفات بلا تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل .

هذا ما تحدث عنه الشيخ ابن تيمية وهو يرد على الذين ينفون الصفات فقال :

" وهؤلاء جميعا يفرون من شئ فيقعون في نظيره وفي شر منه . مع ما يلزمهم من التحريف والتعطيل . ولو امعنوا النظر لسووا بين المتماثلات وفرقوا بين المختلفات ، كما تقتضيه المعقولات : ولكانوا من الذين أوتوا العلم الذين يرون انما انزل الى الرسول هو الحق من ربه ، و يهدى الى صراط العزيز الحميد . (٣)

اطمئنان وتيه

ان المؤمن الذى يؤمن في أعماق قلبه أن ربه له ذات ليست كسائر الذوات .. وله صفات ليست كسائر الصفات أحق بالأمن أم من لا يعرف شيئا عن ربه الا انه قوة مطلقة في الذهن ؟ فيقول انه : لا موجود ولا معدوم ؟ ولا حى ولا ميت ،ولا عالم ولا جاهل ، وليس متصلا ولا منفصلا ،وليس في داخل الكون ولا في خارجه ولا يتكلم ولا يرحم انما رحمته ارادة الرحمة وغضبه

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠ (٢) المرجع السابق ص ٢٠ (٣) المرجع السابق ص ٢٠

ارادة الغضب ولیس له جهة العلو ولا يستوى على عرشه وليس له يد ولا البسط ولا البطش .

لا يستويان ابدا فالمثبت يعيش في أمن وطمأنينة واما النافى يعيش في خيال وتيه ولا يجد في قلبه حلاوة الايمان. (١) هذا ماأقره صاحب نهاية الأقدام وهو من سلاطين أئمة المعارف العقلية يقول: لقد طفت في تلك المعاهد كلها .. وسيرت طرفي بين تلك المعاهد فلم أر الا واضعا كف حائر .. على ذقن أوقارعا سنّ نادم .

* * *

وكيف لا يعيش المثبت في طمأنينة نفسية اذا علم أنه ربه في السماء ﴿ أم آمنتم من في السماء ﴾ .

وانه فوق عرشه بكيفية تليق به .. وأنه يتكلم ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾

وأنه يرحم ﴿ ان الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾

وأنه سميع بصير ﴿ ان الله كان سميعا بصيرا ﴾

وأنه حيّ ﴿ الله لا اله الا هو الحيّ القيوم ﴾

وأنه يحب ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾

وأنه يمقت ﴿ ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ﴾

وأنه وصف نفسه بالمكر والكيد ﴿ ويمكرون ويمكر الله ﴾

﴿ انهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا ﴾

وأنه وصف نفسه بالعمل : ﴿ أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاما فهم لها مالكون ﴾ .

وأنه ينادى ويناجى ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾

---

(١) ايثار الحق على الخالق ابوعبدالله محمد بن المرتضى اليمانى ص٨

وأنه وصف نفسه بالتعليم * الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان *

وأنه يغضب و يلعن * و غضب الله عليهم و لعنهم *

ونظائر هذا كثير جدا . فلا شك ان الذى يحمل في رأسه هذه المعانى كحقيقة و يعيش عليها ، انه يكون في مأمن عن وساوس الشيطان ومن لوثة الالحاد وفوق كل ذلك انه في مرضاة الله لأنه عرف ربه على حقيقته ، عرفه كما اخبره في كتابه .. وكما اخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم ..

وأما الذى ينحت في رأسه صنما ذهنيا فيجعله ربا ثم يقول للناس هذا هو الله الذى لا اله الا هو فلا شك انه لا يكون في محل بر الله واحسانه لأنه كره الصفات المنزلة في القرآن .. وانه استبدلها بصفات مصطنعة فلا بد أن يسخط الله عليه سبحانه .. يقول تعالى :

* ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم *

نعلم - اذن - أن مسألة اثبات صفات الله ليست مسألة اجتماعية حتى تتعلق ببيئة أو بطور اجتماعي أو سياسي وانما هي حقيقة .. يأخذها المجتمع كما هي فيكون ايمانه كاملا .. او يرفضها فيكون ايمانه غير كامل

* سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين *

فسبح نفسه عما يصفه المفترون المشركون .. و سلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من الافك والشرك ، وحمد نفسه ، اذ هو سبحانه المستحق للحمد بما له من الأسماء والصفات ، وبديع المخلوقات .

حواشي الباب الثانـــــي

(1) الذرة : في الفيزيقا والكيميا .. اصغر جزء من المادة اعتبرها جون دالتون الوحدة التى تتقسم اليها المادة .. وثبت غير هذا الان .. فالذرة تتكون من نواة بها جسيمات تحمل شحنات كهربية موجبة تسمى (البروتونات) وجسيمات لا تحمل شحنات كهربية وتساويها في الوزن تقريبا تســـمى (نيوترونات) .

و يحيط بالنواة جسيمات اصغر من البروتونات تسمى (الالكترونات) تحمل شحنات كهربية سالبة .. وعددها يساوى عدد البروتونات لتعادل الذرة كهربيا ..

و تختلف ذرات العناصر المختلفة في الوزن .. فمثلا ذرة الايدروجين تتكون نواتها من بروتون يدور حولها الكترون .

وذرة الاكسجين بنواتها (٨) بروتونات يدور حولها (٨) الكترونات ولم يزل العلماء يقدمون الذرات حتى انتهت بحوث الذرة في امريكا بالقنبلة الذرية والخدمات السلمية للطاقة الذرية . الموسوعة ص ٨٤٤ - ٨٤٥

(2) المجرة ، المجموعة الكبرى للنجوم والسدم بين الأرض والمجرات الخارجية تحتوى على ثلاثين الف مليون نجم ، فضلا عن المجموعة الشمسية ... وتقـــع المجموعة الشمسية على بعد ... ٣٠ سنة ضوئية من مركز المجرة التي تشـــبه القرص او العدسة ..

والمجرة تدور حول محور عمودى على مستوى الطريق اللبنى (وهـــو طريق أبيض في السماء) فى مائتى مليون سنة ضوئية .. الموسوعة ص ١٦٤٨ .

(3) بوفون ، جورج لوى لكلرك ، الكونت دى : ١٧٠٧ - ١٧٨٨ عالم طبيعي ومؤلف فرنسى ، كان أمينا لحديقة الملك (حديقة النباتات الان) بباريس .. من ١٧٣٩ الى آخر ايامه ا كرس حياته لكتابة موسوعته الضخمة : "التاريخ الطبيعى" ٤٤ جزءا .

(4) جورج جاموف ١٩٠٤ - فيزيقي ورياضى امريكى من اصل روسى اجرى بحوثه الاولى عن الطبيعة النووية بجامعة لينجراد وكوبنهاجن عين استاذا بجامعة لينجراد ١٩٣١ ثم ذهب للولايات المتحدة فعمل ١٩٣٤م بجامعة جورج واشنطن .. له كتاب (ميلاد الشمس وموتها) ١٩٤٠م و (تاريخ حياة الارض) ١٩٤١م و (واحد ، اثنان ، ثلاثة ، لا نهاية) ١٩٤٧م ..(ونشوء الكون) والاخيران مترجمان الى العربية .. الموسوعة ص ٦٠٧

(5) الأثير في الكيمياء : مصطلح يطلق على أثير الايثيل ، وهو مركب من الاصل "ايثيل" ( ) واكسجين . مائع لا لون له طيار قابل للاشتعال . يستخدم مذيبا عضويا . ومخدرا .

اما في الفيزيقا وعلم الفلك ، فالاثير وسط فرضى ينقل الضوء والحرارة ويملأ جميع الفراغات . خفى ، عديم الرائحة لا يتدخل في حركة الاجسام خلال الفضاء وينكر الكثيرون وجوده المادى : يسمى ايضا في الفرنسية (Ether) . راجع الموسوعة ٥٢

(6) دوركايم أميل ١٨٥٨ - ١٩١٧م رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد (كونت) كان استاذا بالسوربون ، تأثر اتجاهه في علم الاجتماع بفلسفة كونت الوضعية ، وكان له تابعا ناقدا . عزا الى العقل المشترك للمجتمع اصل الدين والأخلاق .. الموسوعة ص ٨١٦

(7) الطوطم : حيوان يرتبط باسم العشيرة عند الشعوب البدائية وبخاصة اهالى استراليا الاصليين . ويعتبر لحمه محرما على افرادها الذين يعتقدون انهم انحدروا منه .. ويحملون لذلك اسمه (مثل عشيرة القنغر) و(عشيرة باميا) في افريقيا الغربية وغير ذلك ..

ثم قال : ولا توجد نظرية واحدة مقبولة تماما عن اصل ذلك النظام .

الموسوعة ص ١١٦٦م

(8) كوبرنيكوس (Copernic) ١٤٧٣-١٥٤٣ فلكي بولوني .. برهن عن دوران الكرة الارضية على ذاتها وحول الشمس فغير النظرية القديمة بأن الأرض ثابتة وان الشمس تدور حولها .. وهو ، بذلك ، يعتبر مؤسس على الفلك الحديث ، ولكن الفضل الاول يرجع الى البيرونى ، العلامة العربي الذى قال ذلك قبل خمسمائة عام. راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٩٤ .

حواشي الباب الثالث

(1) هكسلي ، توماس هنري : ١٨٢٥-١٨٩٥ بيولوجي ومرب انجليزي تخرج في مستشفى شيرنسج كروس ١٨٤٥ . وفي اثناء عمله جراحا مساعدا على ظهر السفينة البريطانية (راتلسنيك) في رحلة بحرية الى المحيط الهادي (١٨٤٦-١٨٥٠) جمع اشكالا من كائنات البحر .. وصنفها على اساس لم يكن معروفا من قبل ونشره ١٨٤٩ تقارير عن عمله في النبت الفلسفي للجمعية الملكية . وقد غدا هكسلي داعية للداروينية .. وان كان قد اعتنقها مع شيء من التحفظ .. له عدة كتب في فروع علم الحيوان المختلفة عدا ابحاثه المبتكرة التي جمعت في اربعة مجلدات ومقالاته ومحاضراته العامة التي جمعت ايضا في تسعة مجلدات . راجع الموسوعة ص ١٨٩٩ .

(2) كانت ، عمانوئيل : ١٧٢٤ - ١٨٠٤ ، فيلسوف الماني يعد من اعظم الفلاسفة جميعا .. ولد في كونجزبرج ، حيث تعلم وعلم بجامعتها المنطق والميتافيزيقية ، فند مذهب الشك الذي انتهت اليه الفلسفة عند هيوم لانها لم تحلل المعرفة الانسانية تحليلا وافيا .. وقد شبه مذهبه بثورة كوبرنيكس في علم الفلك فبعد ان كانت الأرض مركزا والاجرام تدور حولها اصبحت الارض تدور حول الشمس الثابتة .

وكذلك في نظرية المعرفة ، فبعد ان كان صوب فكرة ما ، متوقفا على كونها مطابقة لخارج ثابت ، اصبح الواقع الخارجي مقصور على ظواهره المدركة بالحس ، وأما ما وراء الطبيعة ما يسميه (كانت) بالشيء في ذاتع ، فلاسبيل الى معرفته بالعقل المحض .. واذا حاول الانسان المحاجة بعقله النظري في حقائق الاشياء في ذاتها وقع في تناقض . فالبحث في الله - عنده - ينتهي الى أنه موجود وغير موجود .. راجع الموسوعة ص ١٤٣٥ .

(3) كومت ، أو كونت أوجست ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ، فيلسوف فرنسي موٌسس الفلسفة الوضعية التي ترفض الميتافيزيقا وتعتمد على نتايج العلوم الطبيعية الحديثة .. هدفه الأسمى هو اصلاح المجتمع ليعيش الناس في توافق وانسجام ، ومذهبه مبسوط في كتابه " محاضرات في الفلسفة الوضعية " وفيه بين المراحل الثلاثة التي اجتازها الفكر في تطوره : اللاهوتية التي تعلل الأشياء بقوى خارقة .. والميتافزيقية التي تعلل الاشياء بمبادئ مجردة .. والوضعية التي تعلل الاشياء بالمشاهدة والتجارب تأييدا للفروض .

وتتفاوت العلوم بساطة وتركيبا فابسطها الرياضة ، فالفلك ، فالفيزيقية فالكيمياء فعلم الاجتماع .. وكل منها يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد عليها جميعا ، وكلها في خدمته .. راجع الموسوعة ص ١٥١٧ .

(4) جرينتش ، ناحية بلندن بانجلترا على نهر التايمز تقع فيها الكلية الملكية البحرية ومستشفى جرينتش والمتحف البحرى الوطني لا يزال خط الطول الجغرافي يحسب فيها تبعا لخط الزوال .. راجع الموسوعة ص ٦٢٨

(5) هيوم دافيد ١٧١١ - ١٧٧٢ فيلسوف ومؤرخ اسكتلندى مذهبه نتيجة منطقية لفلسفة لوك وباركلى . قال ان كل شئ بما في ذلك الانسان سلسلة حالات متتابعة ، وليس لشئ ذاتية قائمة دائمة .. فمعرفتنا سلسلة انطباعات حسية .. والفكرة التي يستحيل ردها الى الانطباعات الحسية التي كونتها تكون وهما ..

ومن هنا عرف مذهب هيوم بالشك .. مؤلفه الرئيسى ، رسالة في الطبيعة البشرية .. راجع الموسوعة ص ١٩٣٣

(6) براجماتية : مذهب فلسفي ، يقيس صدق القضية بنتائجها العملية فليس هناك معرفة اولية في العقل تستنبط منها نتائج صحيحة بغض النظر عن جانبها التطبيقي ... بل الامر كله موهون بنتائج التجربة الفعلية العملية التي تحل للانسان مشكلاته .

ولما كان تقدم العلم يغير من صدق القضايا ، فالصالح في ظروف سابقة يصبح غير صالح في الظروف الراهنة ، كان "الحق" أمرا نسبيا يقاس الى زمن معين ومكان معين ، ومرحلة من التقدم العلمي معينة ..

واعلام البراجماتية هم : (جيمس) و (بيرس) و (ديوى) . الموسوعة ص ٣٣٥

(7) كنيدى . جون فتزجرالد : ١٩١٧ - ١٩٦٢ الرئيس الخامس والثلاثون للولايات المتحدة الاميريكية ، ولد ببروكلفين بالقرب من بوسطن ٢٩ مايو وتعلم في جامعة هارفرد ، خدم في البحرية الامريكية ١٩٤١ - ١٩٤٥ م اشتغل بالصحافة مراسلا للاخبار ، واشترك في الاعمال السياسية وبرز في الحزب الديمقراطي .. انتخب عضوا بمجلس النواب ١٩٤٧ - ١٩٥٢ ثم بمجلس الشيوخ ..

انتخب رئيسا للجمهورية في ٨ نوفمبر ١٩٦٠ م

دافع عن الزنوج الامريكيين للحفاظ على حقوقهم المدنية . توصل مع المملكة المتحدة والاتحاد السوفييتي الى ابرام اتفاقية تحريم التجارب النووية في نطاق محدود ١٩٦٢ وذلك لتحقيق السلام العالمي .. اغتاله (لى اوزوالد) بطلق ناري في اثناء زيارته لدالاس بتكساس فسقط ميتا فخلفه ليندن جونسون في منصب الرياسة ..

راجع الموسوعة ص ١٤٨٦ .

(8) جمهورية السنغال ١٦١ر١٦٧ كم٢ ، ٠٠٠ر١٤٠ر٣ نسمة بغربي افريقيا عاصمتها دكار . اهم قبائلها الولوف المسلمون ٧٠٠ ألف والبامبارا والماندنجو .

من منتجاتها : الذرة والفول السوداني والصمغ العربي .. يجرى فيها نهر السنغال ... كانت جزءاً من افريقيا الغربية الفرنسية ثم عضوا بمجموعة الدول الافريقية المرتبطة بفرنسا ٢٥ نوفمبر ١٩٥٨ م . كونت اتحادا مع مالي ولكنه لم يستمر . استقلت في ٢٠ اغسطس ١٩٦٠ م وهي عضو بهيئة الأمم ٢٩ سبتمبر ١٩٦٠ م. بها جامعة افتتحت في ٢٤ فبراير ١٩٥٧ م وتضم كليات الحقوق والاداب والعلوم والطب . الموسوعة ص ١٠٢٣ م

(9) لشبونة ، مدينة ٤٣٤ر٧٩٠ نسمة ميناء يمتاز بهدوئه واتساعه في غرب البرتغال وعاصمتها . هي من اكبر موانئ اوربا .

(10) السودان الغربي اقليم في افريقيا الغربية يمتد بين الصحراء الكبرى والمناطق الاستوائية ويشمل النيجر ونيجريا والسنغال وفولتا العليا ومالي وداهومي والكونغو وغانا وتوغو وساحل العاج وسيراليون وليبريا وغينيا وغير ذلك

(11) وكانت هذه التجارة البشعة (تجارة السود) تشمل جميع بلدان افريقيا الغربية وفي مقدمتها نيجريا وما حولها من ساحل العاج وغيرها فلنتكلم عن نيجيريا ثم عن ساحل العاج ..

(نيجريا) جمهورية اتحادية ٩٥٢ر١٦٨ كم٢ ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٧ نسمة ولكن الاحصائيات الاخيرة تقول انها قرابة ٠٠٠ر٠٠٠ر٨٠ نسمة او يزيد .. وهي في نطاق الكومنولث بغرب افريقيا على خليج غينيا عاصمتها لاجوس ، تنسب الى نهر نيجر .

وتتكون نيجريا من اتحادا فيدراليا يضم اربعة اقاليم هي : نيجريا الشمالية وعاصمتها (كادونا) و معظم سكانها مسلمون من قبائل الهوسا والفولاني ..

ونجريا الغربية وعاصمتها (ابادن) وسكانها كان حوالى خمسة ملايين معظمهم من قبائل اليوربا .

ونيجريا الشرقية وعاصمتها انوجو وسكانها خمسة ملايين ومعظمهم من قبائل (الايبو) والكمرون الشمالى .. وكانت تحت الوصايا البريطانية ثم انضم الى الاتحاد في يونيه ١٩٦١ م .. اهم الموانىء لاجوس .. يزرع الكاكاو والمطاط والنخيل ويستخرج منها البترول ..

تأثر اهل الشمال بحركة الاصلاح الديني التي تزعمها الحاج عثمان دان فوديو وسلالته في اخريات القرن ١٨ واوائل ١٩ وما زال أثرها قويا في المنطقة الشمالية ..

كان البرتغاليون أول الشعوب الاوربية الذين وصلوا الى ساحل نيجريا ١٤٧٢ م وتبعهم البريطانيون ١٥٥٢ م وسرعان ما اصبحت المنطقة الساحلية سوقا لترحيل الارقاء الى أوربا والامريكيتين .. الموسوعة ص ١٨٦٥

(ساحل العاج) جمهورية ٣٢٢٤٦٣ر٣٢٢ كم٢ ، ٠٠٠ر٣٠٠ر٢ نسمة بغربى افريقيا على ساحل المحيط الاطلنطى .. بين ليبريا وغانة عاصمتها وأهم مدنها (أبدجان) ٥٠٠ر١٧٧ نسمة تتكون من سهل ساحلى منبسط وهضبة داخلية تغطيها الغابات والسفانا الطويلة ..

وهي تعتبر من اغنى بلاد افريقيا الغربية بمنتجاتها الكثيرة منها القطن والكاكاو وزيت النخيل والخشب والبن وغير ذلك ..

وقد استقربها التجار البرتغاليون الذين جعلوا السود سلعة حقيرة في القرن ١٦ ..

حصلت فرنسا على حقوق في الساحل ١٨١٢ م ولكنها لم - تحتل

المنطقة احتلالا مستمرا الا في ١٨٨٢ .. اصبحت محمية فرنسية ١٨٩١ م ..
وفي يناير ١٩٣٣ م اضيف جزء من فولتا العليا لساحل العاج .. ولكن حينما
أعيد تخطيط فولتا العليا اول يناير (١٩٤٨) ضم اليها مقاطعات بوبو
ديولاسو وجاووا .

ادمج ساحل العاج في افريقيا الغربية الفرنسية ١٩٠٤ م فهي عضو
في مجموعة الدول الافريقيــة المرتبطة بفرنسا منذ ٤ ديسمبر ١٩٥٨ م استقل
في ٧ اغسطس ١٩٦٠ م عضوا بالأمم المتحدة .

ونسبة المسلمين حسب الاحصائيات الاخيرة : ٦٥ في المائة واما المسيحيون
١٥ في المائة والباقي ٢٥ في المائة لا ينتسبون الى دين سماوى . وفـــي
الشمال يوجد بعض المسلمين مثل مدينة (بندوكو) و (دبكلا) و (كون)
و (ستاما) و (بوتا) و (وجينى) وبلاد كوياغا من (مانكونو) و
(سيفيلا) و (توبا) و (تورغو) و (بونجلى) و (بغاريبو) و (ويندغا)
وغير ذلك .. ثم هم منتشرون في جميع بقية البلاد ..

(12) روزفلت ،فرانكلين ديلا نو : ١٨٨٢-١٩٤٥ الرئيس الامريكي ٣١
للولايات المتحدة الامريكية ،وكيل وزارة البحرية ١٩١٣-١٩٢٠ م رشح ١٩٢٠
نائبا لرئيس الحزب الديمقراطي ، اصيب ١٩٢١ بمرض شلل الاطفال ، ولكنه
استعاد استخدام قدميه ، وأقام في (وارم سبرنجز) بجورجيا ، مؤسســة
لمعالجة ضحايا هذا المرض ..

حاكم نيويورك ١٩٢٩ - ١٩٣٣ م بدأ عهد رئاسته ١٩٣٣ م والأزمــة
على اشدها ، وأعلن مولد الخطة الجديدة ، فاخذت الادارات الحكوميـــــة
تعمل على انعاش الاقتصاد ، بانفاق الاموال العامة ، و تنمية الموارد الطبيعية
و تهيئة العمل للعاطلين ..أعيدت الانتخابات ١٩٣٦ . فواجهت روزفلت مقاومة
شديدة وأعلنت المحكمة العليا ببطلان بعض اجراءات الخطة الجديدة فشل في
اعادة تنظيم المحكمة العليا ١٩٣٧ م. ماتفجأة ودفن (بهايد بارك) .. زوجته آنا ،
الينور روزفلت ..

(13) السويد ، مملكة مساحتها ٤٥٠٠٩١٠ر كم٢ وسكانها ٧ر٤٩٥ر١٢٩ نسمة عاصمتها ستوكهولم سطحها جبلى يرتفع الى ٢١٢٣ م تقع في شرق أوربا ..

(14) امريكا الجنوبية : قارة مساحتها ١٧٨١٠٠٠ر كم٢ وتعدادها ١١٠٠٠٠٠٠٠ر نسمة . تتقسم سياسيا الى عشر جمهوريات .

(اميركا الشمالية) : يعرف بهذا الاسم القسم الشرقى من نصف الكرة الغربى مساحته ٢٣٣١٠٠٠٠ر كم٢ تعداده ٢٠٠ مليون نسمة يحده شمالا المحيط المتجمد الشمالى ، وشرقا المحيط الاطلنطى وخليج المكسيك ، وجنوبا امريكا الوسطى وغربا المحيط الهادى . الاقسام السياسية بالقارة خمسة .. وقد ضمت للولايات المتحدة ١٩٥٩ م

(امريكا اللاتينية) .. مصطلح يطلق على جميع اقطار امريكا الشمالية ، اى جميع الاقطار الناطقة بالاسبانية او البرتغالية او الفرنسية .. وهذه الاقطار توءلف اليوم عشرين جمهورية ..

تعتبر - اليوم - الولايات المتحدة في طليعة البلاد الزراعية والصناعية ويعتبر اكتشاف كولومبوس للقارة الامريكية ١٤٩٢ حدثا خطيرا ونقطة تحول في تاريخ العالم. فعلى اثره فتحت تلك القارة للاستيطان الاوربي ونالت استقلالا لها في يوليو ١٧٧٦م . راجع الموسوعة ص١٩٥٩ م

(15) خروشوف ، نيكيتا سرجيفتش : ١٨٦٤ - زعيم روسي شيوعي ، كان صانع اقفال انضم للحزب الشيوعي ١٩١٩ . اصبح السكرتير الاول للمجلس الاقليمى للحزب بموسكو ١٩٣٥-١٩٣٨ و ١٩٤٦-١٩٥٣ عين سكرتيرا أول للجنة المركزية للحزب الشيوعي بعد وفاة ستالين . اصبح له تأثير كبير في الشئون السوفييتية وفي سياستها الخارجية .. شارك في موءتمر جنيف ١٩٥٥ م ..انتقد ١٩٥٦ م سياسة ستالين الدكتاتورية ..راجع الموسوعة العربية الميسرة .

(16) جمهورية مساحتها ٣٠١٢٢٥٠١ كم٢ وعدد سكانها ٥٠,٤٦٤,٠٠٠ نسمة تقع في جنوب اوربا وعاصمتها روما .. وتحتوى على مدينة الفاتيكان .

(17) المجر أو (مجيار) شعب هنغاريا ، وينتمي الى الفصيلة اللغوية الفينية - وكانوا قبائل رحل ، هاجروا ح ٤٦٠ من الأورال الى شرقي القوقاز .. حين اتصلوا بالشعوب التركية ، ومنهم تعلموا الزراعة واقتبسوا نظمهم السياسية والحربية ..

(18) الدنمارك مساحتها ٤٢,٩٣١ كم٢ وسكانها ٥,١٨١,٠٠٠ نسمة مملكة في شمال غرب اوربا واقصى جنوب البلاد الاسكندنافية . "

(19) كوبنهاجن ، عاصمة الدانمارك وهي ٧٥٣,٣٦١ نسمة وتعتبر كوبنهاجن من اجمل مدن اوربا ..

قد تعرضت هذه المدينة لهجمات متكررة .. ففي ١٨٠٧ قذف البريطانيون المدينة بالقنابل وكادوا يدمرونها كلها بعد ان رفضت الدانمارك المحايدة تسليم اسطولها .

احتلها الالمان ١٩٤٠-١٩٤٥ وقذفها بالقنابل . وبها جامعة هي من الجامعات الاوربية القديمة ، أسست ١٤٧٩م وتتألف من خمس كليات : اللاهوت والحقوق والطب والفلسفة والرياضيات والعلوم الطبيعية .. راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٤٩٦م

(20) زهرى : من الامراض التناسلية ، سببه احدى اللولبيات الرخوة ، وتنتقل عداوته غالبا بالاتصال الجنسى ، وقد تنتقل من الأم المصابة الى الجنين في اثناء الحمل واحيانا باللمس المباشر .

و يمكن الوقاية منه بنشر الثقافة الصحية والاجتماعية لمنع او تنظيم الاتصال الجنسى العابر (البغاء) . .

هذا هو رأى العلم الحديث . وأما الاسلام الذى نزل على محمد صلى الله عليه وسلم منذ اربعة عشر قرنا يقول : * ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا * ثم اوجب على كل من يغفل ويفعل ذلك بعد الاحصان أن يرجم حتى يموت . ولن لم يكن محصنا يجلد مائة جلدة ثم قال الله تعالى * قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم * الايـــة * و قل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن * ثم أمـــــر النساء المؤمنات بالحجاب فقال * يا أيها النبي قل لأزواجك و بناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلا بيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فيؤذين * و غير ذلك .

هذا هو العلاج الصحيح . . . وأما نشر الثقافة الصحية والاجتماعية ليس بعلاج والدليل على ذلك ان الدول الكبرى المثقفة هي اسرع الدول الى اقتراف هذه الجريمة النكراء . .

(21) سلمان الفارسى (ت ٦٥٥) ، مجوسى ، تنصر ، و جدّ في البحث عن العقيدة الحقة رحل الى الشام ثم الى يثرب (المدينة المنورة) حيث التقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة . . واعتنق الاسلام وأضحى من مشهورى الصحابة ، أشار بحفر خندق في الاماكن الضعيفة للمدينة فحماها من هجوم الاحزاب في غزوة الخندق . اشتهر بالزهد والتقشف واتباع السنة النبوية المطهرة وقال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم (سلمان منا آل البيت) اشارة الى الأخوة الاسلامية الفذة . .

(22) حمى : ارتفاع في درجة الحرارة عن حدها الطبيعي وهي صباحا ٣٦ درجة او ٥ر٣٦ درجة مئوية .

تقاس درجة الحرارة عادة بوضع مقياس الحرارة في الفم ويوضع في الشرج في حالة الوضع وصغار الاطفال وبعض المرضى الا ان درجة الحرارة بواسطة الشرج تكون اعلى منها بواسطة الفم بمقدار خمس الدرجة المئوية .

(23) فيينا ، مدينة ١٢١٤ كم٢ وسكانها ١ر٧٦٠ر٧٨٤ نسمة وهي عاصمة النمسا .

المراجع العربية والاجنبية

المراجع العربية

(حرف الهمزة)

١ - الله العلم ،بشير التركى ط سنة ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م

٢ - الله يتجلى في عصر العلم تاليف نخبة من العلماء الامريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الارض ت : الدمراش سرحان القاهرة ١٩٦٨م

٣ - الله والعلم الحديث تاليف عبد الرزاق نوفل ط الثالثة سنة ١٣٩٣هـ

٤ - الله جل جلاله ، سعيد حوى ، ١٣٩٥هـ ط ٢ منقحة

٥ - الله تاليف عباس محمود العقاد

٦ - الله نظرات في الكون والحياة ، عبد الجواد رجب سنة ١٣٩٤ هـ

٧ - أبو داود (السنن)

٨ - أباطيل يجب ان تمحى من التاريخ د . ابراهيم على شعوط سنة ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦م شارع يعقوب بالمالية .

٩ - اتجاهات هدامة في الفكر المعاصر د . محمد محمد حسين

١٠ - اتمام الوفاء في سير الخلفاء ، محمد الخضر مكتبة دار الدعوة بحلب الطبعة الاولى المحققة ١٣٩٨ هـ

١١ - اثر العلم في المجتمع ، بيرتراند رسل ت : تمام حسان مصر

١٢ - اثر العرب في الحضارة الاوربية ، عباس محمود العقاد دار المعارف بمصر ١٩٦٠م

١٣ - اثر العرب والاسلام في النهضة الأدبية تاليف د . عبد الحليم منتصر

١٤ - احجار على رقعة الشطرنج ، وليام ذى كار بيروت ت: جزايرلى ط . الاولى سنة ١٩٧٠م

١٥ - الأخلاق ، موسوعة احمد امين الأدبية

١٦ - الادوية المفردة ، عبدالله بن احمد البيطار المتوفي ٦٤٦ هـ

١٧ - الأديان في القرآن ، تاليف محمود بن الشريف

١٨ - أساس البلاغة الزمخشري

١٩ - اساليب الغزو الفكرى تاليف الاستاذين د . على جريش و محمد شريف الزيبق . . ط الثانية سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٢٠ - الاسفار المقدسة ، دكتور وافي .

٢١ - اساطير الاغريق سلسلة تراث الانسانية مجموعة من الاساتذة الهيئة العامة مصر . .

٢٢ - الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد ، أبو شهبة سنة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٢٣ - أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، تاليف سبيركين ياخوت ت : محمد الجندى ، دار التقدم موسكو

٢٤ - الاسلام فى عصر العلم ، محمد فريد وجدى ط ٣ سنة ١٣٨٦ هـ ١٩٦٧ م بيروت

٢٥ - الاسلام وقضايانا المعاصرة ، احمد موسى سالم دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٥ م

٢٦ - الاسلام في عصر العلم ، محمد احمد الغمراوى ، اعداد د . احمد عبد السلام الكردى ١٩٦٠ م

٢٧ - الاسلام و مشكلة الحضارة ، سيد قطب مصر سنة ١٩٦٧ م

٢٨ - الاسلام على مفترق الطرق محمد أسد ، ت : نجدة هاجر وزميله مصر ١٩٦٠ م

٢٩ - الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ط ٧ سنة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

٣٠ - الاسلام في وجه الزحف الاحمر ، محمد الغزالى رجب سنة ١٣٨٦ هـ اكتوبر سنة ١٩٦٦ القاهرة

٣١ - الاسلام والنصرانية ، محمد عبدة .

٣٢ - الاسلام ومذهب داروين ، محمد باشميل ، جمادى الاولى ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م

٣٣ - الاسلام والخلافة ، على الحسينى الخربوطلى ، بيروت ١٩٦٩ م

٣٤ - الاسلام والشيوعية ، وزارة الاوقاف الادارة العامة للدعوة مصر ١٩٧٦م

٣٥ - الاسلام أو الشيوعية ، تاليف محمد عرفة ص ٣٦

٣٦ - الاسلام في الواقع الايدولوجى المعاصر د . محمد البهى سنة ١٩٧٠م

٣٧ - الاسلام روح المدنية ، مصطفى الغلاييني المكتبة الاهليـــة سنة ١٣٤٩هـ

٣٨ - الاسلام والعلم الحديث ، عبدالرزاق نوفل ط الثانية

٣٩ - اشتراكيتهم واسلامنا بشير العوفة بيروت ١٩٦٦م

٤٠ - اصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتزر ، مى بيسى ، موريس كافين

٤١ - أضواء البين ، محمد الأمين الشنقيطى مصر سنة ١٣٨٦ هـ

٤٢ - اظهار الحق رحمة الله الهندى ، تحقيق عمر الدسوقي ، الدار البيضاء ١٣٨٤هـ

٤٣ - أزمة العصر ، محمد محمد حسين سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

٤٤ - افكار ورجال ، جرين برنتن ، ت : محمود محمود مصر ١٩٦٥ م

٤٥ - الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام عبدالله التل ، عمان ٥ رجب ١٣٩١هـ - ١٩٧١/٨/٢٦م

٤٦ - افريقيا القديمة ، تكتشف من جديد ، تأليف (باسيل دافين سون) ت : نبيل بدر وسعد زغلول مراجعة محمود شرفى الكيال .

٤٧ - أفيون الشعوب ، المذاهب الهدامة ، عباس محمود العقاد ط ٦ سنة ١٩٧٧م دار الاعتصام القاهرة فصل قدوة غير صالحة ص ٢٤

٤٨ - اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ط الاولى سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٧م

٤٩ - الامثال في القرآن ، محمود بن الشريف طبعة دار المعارف

٥٠ - الأمم المتحدة وموازين القوى المتحولة في الجمعية العامة ، كميل داغر .

٥١ - الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب مصر ١٩٥٧م

٥٢ - الانسان في القرآن ، عباس محمود العقاد طبعة دار الهلال

٥٣ - الانسان ذلك المجهول ، اليكسس كارل ، ت : شفيق اسعد فريد بيروت

٥٤ - الأناجيل

٥٥ - الانسان بين العلم والدين ، شوقي ابو خليل ط ٢ ١٣٩٧هـ ١٩٧٧ م

٥٦ - أوربا العصور الوسطى ، دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور سنة ١٩٧٦ م

(حرف الباء)

٥٧ - البداية والنهاية لا بن كثير مطبعة السعادة مصر

٥٨ - البداية أو النهاية ، ماركى تاشيلد وزميله ، ت : عادل حامد بيروت

٥٩ - البستانى ، بطرس ، محيط المحيط

٦٠ - بروتوكوت حكماء الصهيون ت : محمد خليفة التونسى الطبعة الخامسة - مصر .

(حرف التاء)

٦١ - التاريخ الاوربي الحديث ، تاليف د . عبدالحميد البطريق وزميله سنة ١٩٧١م

٦٢ - تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على

٦٣ - تاريخ الدعوة الاسلامية آدم ايلورى النجيرى

٦٤ - تاريخ اوربا العصور الوسطى أهـ ت : فشر مصطفى زيادة مصر سنة ١٩٦٦م.

٦٥ - تاريخ اخلاق اوربا تاليف ليكى ، نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابز الحسن الندوى

٦٦ - تاريخ العالم ، جمع جون ا . هـ مرتن ، ت : ادارة الترجمة مصر.

٦٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم

٦٨ - التاريخ الاسلامي وأثره في الفكر التاريخي الاوربي في عصر النهضة د . جمال الدين الشيّال دار الثقافة بيروت ١٩٦٩م ص ٨٠

٦٩ - تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، عملاز فروخ بيروت طبعة دار العلم للملايين لبنان ١٣٩٢م

٧٠ - تدهور الحضارة الغربية ، تأليف اسوالد سبنغلر

٧١ - التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، محمد الغزالى .

٧٢ - التصريف لمن عجز عن التاليف خلف بن عباس الزهراوى

٧٣ - التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب سنة ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م

٧٤ - تطور المجتمع الاميركى ، تاليف كينت لن ، ت : نعيم موسى دار اليقظة سنة ١٩٦٦م

٧٥ - تفسير المحيط ، تاليف محمد بن يوسف

٧٦ - تفسير النسفى

٧٧ - تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوى

٧٨ - التفسير الكبير ، فخر الرازى

٧٩ - تفسير ابن سعود

٨٠ - تفسير الطوسي

٨١ - تفسير ابن كثير سنة ٧٧٤هـ

٨٢ - التفسير الاسلامي للتاريخ د . عماد الدين خليل (الصراع) ص ٢٥١ سنة ١٩٧٥م

٨٣ - التفكير الفلسفى في الاسلام ، عبد الحليم محمود شيخ الازهر سابقا الطبعة الاولى سنة ١٩٧٤م

٨٤ - تكوين العقل الحديث و. هراندال ت : جورج طعمة دار الثقافة

٨٥ - التلمود تاريخه وتعاليمه ، ظفر الدين خان ط ٢ دار النفائس سنة ١٩٧٢م

٨٦ - تهافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل سنة ١٣٩٥هـ

٨٧ - التوراة ، مصطفى محمود الطبعة الاولى سنة ١٩٧٢م

(حرف الجيم)

٨٨ - جامع البيان للشيخ السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسينى الشافعي سنة ٨٣٢ - ٨٩٤

٨٩ - جوهر القاموس ، مطبعة منشورات الكتب

٩٠ - الجفوة المفتعلة بين الدين والعلم ، محمد على يوسف

٩١ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية

٩٢ - جمهورية افلاطون ت : خباز بيروت

٩٣ - جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب دار الشروق سنة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م

(حرف الحاء)

٩٤ - حاضر العالم الاسلامي ، لوثروب ستوادارد ، حواسن شكيب ارسلان ت:عجاج نويهض سنة ١٩٧٤ م

٩٥ - الحجاب لابي الاعلى المودودى دار الفكر للطباعة والنشر

٩٦ - حرية الفكر ، سلامى موسى ، بيروت سنة ١٩٦١م

٩٧ - حقوق الانسان في الاسلام ، مجمع البحوث الاسلامية ورعايته للقيم والمعانى الانسانية ، المؤتمر السادس المحرم ١٣٩١ هـ مارس ١٩٧١م فصل الاعلان العالمى لحقوق الانسان ص ١٢٧

(حرف الخاء)

٩٨ - خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ،سيد قطب ص ٣٢ سنة ١٩٦٥م

٩٩ - خطر التبرج والاختلاط ، عبد الباقي رمضون ، موءسسة الرسالة الطبعة الاولى سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م

١٠٠ - خلق الانسان بين الطب والقرآن د . محمد على البار الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م

(حرف الدال)

١٠١ - الدين ، تاليف محمد عبدالله دراز ، دار القلم سنة ١٩٧٠ م

١٠٢ - دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدى

١٠٣ دائرة معارف البستانى ، المستشرقون ت : محمد ثابت الفندى ، وزملاوءه مصر ١٣٥٢هـ

١٠٤ - الدين ، وحيد الدين خان طبع ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م

١٠٥ - ديانة المستقبل ، تاليف جون الوف بودين ، نقلا عن كتاب عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ، دار الكتب العربي بيروت

١٠٦ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاى ، دار المعارف الطبعة الرابعة سنة ١٩٧٧ م

١٠٧ - دراسات في النفس البشرية محمد قطب دار القلم

١٠٨ - الدين والدولة ، الدكتور البهى

(حرف الذال)

١٠٩ - الذات والغرائز ، سيجموند فرويد ت : محمد عثمان نجاتى القاهرة ١٩٦١ م

(حرف الراء)

١١٠ - رائد الثقافة العامة ، كورنيلوس هيرشبوغ ت : محمد يوسف نجم وزملاؤه ، بيروت ١٩٦٣م

١١١ - الرد على الملحدين ، محمد عبد المنعم الخفاجي

١١٢ - رسالة بولس لأهل رومية ، الاصحاح العاشر الاية ٥

١١٣ - روح الدين الاسلامي عفيف عبد الفتاح طبارة سنة ١٣٨٤هـ

١١٤ - روح المعانى ، للألوسى (التفسير)

١١٥ - (حرف الزاى)

١١٥ - زاد المسير في علم التفسير ، الامام ابن الفرج

١١٦ - زعماء الاصلاح ، احمد امين ، القاهرة ١٩٦٥ م

(حرف السين)

١١٧ - سقوط العلمانية ، انور الجندى ط ١ سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م

١١٨ - السبيل الى عالم افضل ، كارل بيكر ت : عبد العزيز اسماعيل القاهرة ١٩٤٦م

١١٩ - سفر التكوين والخروج والتثنية من التوراة .

١٢٠ - سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الاساتذة ، الهيئة العامة للكتاب مصر .

(حرف الشين)

١٢١ - شمس العرب تسطع على الغرب ، تاليف المستشرقة الالمانية رينفريد هونكة ت : فاروق بيضون وزميله بيروت ١٩٦٩م

١٢٢ - الشيوعية ، نظريا وعمليا كاريو هنت

١٢٣ - الشيوعية والانسانية ، عباس محمود العقاد بيروت ط ٢

١٢٤ - شرح الطحاوية القاضى ابن ابي العز الحنفي ، تحقيق محمود شاكر مصر

١٢٥ - الشعر الجاهلى طه حسين

(حرف الصاد)

١٢٦ - صبح الاعشى - قلقشندى

١٢٧ - صحيح مسلم مع شرح النووى مصر

١٢٨ - صحيح البخارى مع شرح فتح البارى

١٢٩ - صراع مع الملاحدة حتى العظم ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

١٣٠ - الصنم الذى هوى ، ستة من كبار الغرب ت : فواد حمودة

١٣١ - الصحاح في اللغة والعلوم

(حرف الضاد)

١٣٢ - ضد دوهرنغ - دياليكتيك الطبيعية ، كارس ماركس وفردريك انجلس موسكو الطبعة الالمانية ١٩٣٥م

(حرف الطاء)

١٣٣ - الطريق الطويل للانسان ، روبرت ل . كبرمان ت : ثابت جرجس بيروت ١٩٣٠م

١٣٤ - الطريق الى الاسلام ، محمد اسد ت : عفيف بيروت ١٩٦٤م

١٣٥ - الطفولة الجانحة جان شازال ت : انطوان عبده بيروت ١٩٧٢م

١٣٦ - الطبرى ابن جرير (التفسير)

(حرف العين)

١٣٧ - معالم تاريخ الانسانية هـ . و . ويلز ت : عبد العزيز توفيق جاود مصر ١٩٦٧م

١٣٨ - عباقرة العلم ، تاليف يوسف كرم نقلا عن كتاب الاسلام و نظرية دارون احمد باشميل

١٣٩ - عقائد المفكرين في القرن العشرين عباس محمود العقاد دار الكتاب العربي بيروت

١٤٠ - العقل والدين ، وليم جيمس ت : محمود حسب الله مصر ١٣٦٨هـ

١٤١ - العقل والمادة ، تاليف برتراند رسل ت : احمد ابراهيم الشريف القاهرة ١٩٧٥م

١٤٢ - العلمانية واثرها في الحياة الاسلامية (رسالة الماجستير) للزميل صفر ـ جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة

١٤٣ - العلم يدعو للايمان أ. كرسى موريسون ت : صالح محمود الفلكى ط ٥ يونيه سنة ١٩٦٥م

١٤٤ - العلم اسراره وخفاياه مقدمة جـ ٣ ، هارولد شابلى وزميلاه ت : الفندى وزميله مصر ١٩٧١م

١٤٥ - العلم والدين في الفلسفة المعاصرة احمد موسى سالم دار الجيل بيروت سنة ١٩٧٥م

١٤٦ - على مفترق الطرق ، محمد اسد ت : د . عمر فروخ ، دار العلم للملايين

١٤٧ - عندما يحكم الطغاة ، فصل صناعة الزعيم تاليف د . جريشة

١٤٨ - العهد الجديد (الاناجيل والرسائل) مصر ١٩٧٦م

١٤٩ - العهد القديم (التوراة) بيروت ١٩٥١م

(حرف الغين)

١٥٠ - الغارة على العالم الاسلامي ار.ل. شاتلية ت : محب الدين الخطيب ط ٢ مصر

١٥١ - الغزو الصليبي والعالم الاسلامي ، تاليف الدكتور عبد الحليم محمود

١٥٢ - الغزو الفكري ، جلال كشك ط ٣ الكويت

(حرف الفاء)

١٥٣ - في ظلال القرآن (التفسير) سيد قطب

١٥٤ - فتح القدير (التفسير) محمد الشوكاني

١٥٥ - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن حسن ، تحقيق النقي القاهرة ١٣٧٧هـ

١٥٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، الحافظ ابن حجر مصر المطبعة السلفية ١٣٦٠هـ

١٥٧ - الفتاوى للشيخ شلتوت محمود طبعة الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالازهر جمادى الاخرة ١٣٧٩هـ ديسمبر ١٩٥٩م

١٥٨ - فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ، زكريا هاشم زكريا هاشم مصر .

١٥٩ - فرويد وبافلوف هارى ويلز ت : شوقي جلال مصر

١٦٠ - الفضاء الكوني نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين تاليف شوقي ابو خليل

١٦١ - فقه الدعوة ، جمعة احمد حسن من ظلال القرآن لسيد قطب

١٦٢ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د. محمد البهي ط ٦ ١٩٧٣م

١٦٣ ـ الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر د . محمد البهي

١٦٤ ـ فلسفتنا محمد باقر الصدر الطبعة التاسعة سنة ١٣٩٩هـ ١٩٨٩م

١٦٥ ـ فلسفة العلم الطبيعي تاليف (أونجتون) نقلا عن كتاب عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص٩٥

١٦٦ ـ فن البحث العلمي ك . ا . ب بفروج ت : زكريا فهمي الالف كتاب ١٩٦٣م

(حرف القاف)

١٦٧ ـ القرطبي (التفسير) الجامع لاحكام القران عبدالله محمد احمد الانصارى .

١٦٨ ـ قادة الغرب يقولون دمروا الاسلام .. جلال العالم ط ٢ بيروت

١٦٩ ـ القانون لابن سينا طبعة روما سنة ١٥٩٣ م

١٧٠ ـ قذائف الحق ، محمد الغزالي منشورات المكتبة العصرية بيروت

١٧١ ـ قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر مفتي طرابلس الشرقي من منشورات المكتبة الاسلامية ط ٣ ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩م

١٧٢ ـ قصة الحضارة ، ول ديورانت ت : محمد بدران القاهرة ١٩٥٧م

١٧٣ ـ قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار

١٧٤ ـ قواعد المنهج في علم الاجتماع تاليف اميل دوركايم ت : الدكتور محمود قاسم ومراجعة الدكتور محمد بدوى مقدمة الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٧٤م

١٧٥ ـ القومية العربية في ضوء الاسلام ، رسالة ماجستير للزميل صالح العبودى ـ جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

١٧٦ ـ القومية العربية في القرن العشرين ، تاليف دكتور توفيق برو دمشـــق .

(حرف الكاف)

١٧٧ - كارل ماركس ، مساهمة في نقد الاقتصاد السياسى ، المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية

١٧٨ - كتاب ميلاد الشمس وموتها الذى صدر عام ١٩٤٠ م تاليف جون جاموت : نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين شوقي ابو خليل ص ٣٢

١٧٩ - كتاب حياة الارض الذى صدر عام ١٩٤١م للمؤلف نفسه نقلا عن كتاب الانسان .. المذكور

١٨٠ - كفاحى ، يونس الحاج

١٨١ - الكشاف (التفسير) ، زمخشرى

١٨٢ - الكنز المرصود في قواعد التلمود د . روهكنج وزميله ت : يوسف حنا نصر الله بيروت

١٨٣ - كيف نحارب الالحاد تاليف محمد باشميل ط (سنة ١٣٩٧هـ ١٩٦٧م

(حرف اللام)

١٨٤ - لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ ، المكتبة الانكليزية بدمشق تاليف ل . سينفال

(حرف الميم)

١٨٥ - ما يقال عن الاسلام ، العقاد

١٨٦ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابو الحسن الندوى

١٨٧ - مبادئ الاسلام للمودودى

١٨٨ - مجلة الدعوة المصرية العدد ٣٦/١٣٩٨هـ

١٨٩ - مجلة روز اليوسف عدد ١٧/٢/١٩٧٥م ص ٦، ٧، ٨

١٩٠ - المجتمع روم ماليفر وزميله ت : علي احمد عيسى مصر ١٩٦١

١٩١ - محاضرات في النصرانية ابو زهرة ط ٥ الكويت ١٩٧٦

١٩٢ - مختصر دراسة التاريخ ، ارنولد توينبي ت : فواد نبيل القاهرة ١٩٦١م

١٩٣ - مذهب النشوء والارتقاء ، منيرة على الغاياتي تقديم محمد البهي مصر ١٩٦٥م

١٩٤ - مدخل الى علم السياسة هارولد لاسكى ت : عز الدين محمد البهي مصر ١٣٥٥هـ

١٩٥ - المذاهب المعاصرة ، عبد الرحمن عبيرة ص ٧٧

١٩٦ - المرأة في عصر ديمقراطية و اسماعيل مظهر ، مصر ١٩٤٩م

١٩٧ - المرأة بين الفقه والقانون ، مصطفى السباعي المكتبة الاسلامية

١٩٨ - مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام تاليف يوسف كمال محمد ١٩٧٤م

١٩٩ - المستقبل لهذا الدين سيد قطب

٢٠٠ - المسلمون تحت الحكم الشيوعي ، محمد سامى عاشور

٢٠١ - المسلمون تحت السيطرة السيوعية محمد شاكر

٢٠٢ - المشكلة الاخلاقية والفلسفة ، كرسون ت : عبد الحليم محمود ط ٢ القاهرة

٢٠٣ - مصير الانسان ، ليكونت دى نوى ت : خليل الجسر المنشورات العربية .

٢٠٤ - مصطفى كمال الذئب الاغبر ، ارمسترونج دار الهلال ١٩٥٢م

٢٠٥ - المعلقات السبع (ديوان النابغة الذبياني) احمد بن الحسين الزونى المتوفي عام ٤٦٨هـ راجعه الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

٢٠٦ - معجزة القرآن ، محمد متولى الشعراوى (كتاب اليوم) ١٣٥٩ هـ ١٩٧٩م

٢٠٧ - معالم في الطريق ،سيد قطب مصر

٢٠٨ - مع الله ، نظرات في الكون عبد الجواب رجب

٢٠٩ - المفسدون في الارض س. ناجى دمشق ١٩٧٣م

٢١٠ - مقارنة الاديان ، احمد شلبي

٢١١ - مقرر علم التوحيد وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية للصف الثالث الثانوى

٢١٢ - المقدمة عن ستالين ، المادية الديلكتيكية والمادية التاريخية

٢١٣ - مقدمة ابن خلدون

٢١٤ - مقاييس اللغة ،ابن فارس

٢١٥ - مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حبنكة الميداني سنة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤م

٢١٦ - منازع الفكر الحديث ، جود ، ت عباس فضلى حماس سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م العراق

٢١٧ - منهج البحث العلمى عند العرب في العلوم الطبيعية او الكونية جلال محمد عبد الحميد موسى

٢١٨ - المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية ، انوار الجندى دار الاعتصام سنة ١٩٧٧م تحت عنوان الفلسفة المادية ص ١٧٣

٢١٩ - المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ١٣٩٢هـ

٢٢٠ - مناهج الفلسفة ، لى ديورانت ط ١ ص ٦-٧ عن كتاب الموسوعة العربية الميسرة ، صورة طبق الاصل من طبعة ١٩٦٥م

٢٢١ - الموجز في التحليل النفسى لفرويد سيجموند ت : احمد زكى مصر ١٩٦٣م

٢٢٢ - موقف العقل والعلم من رب العالمين وعباد ة المرسلين تاليف مصطفى صبرى شيخ الاسلام للدولة العثمانية سابقا سنة ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠م المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ

٢٢٣ - المنار .. (التفسير) تاليف رشيد رضا

٢٢٤ - الموطأ (السنن) الامام مالك بن انس

(حرف النون)

٢٢٥ - نحن والحضارة الغربية ، ابو الاعلى المودودى

٢٢٦ - نحو التربية الاسلامية الحرة ابو الحسن الندوى مصر ١٣٩١هـ

٢٢٧ - نظام المستشفيات البيمارستانات ، عبدالله بن احمد البيطار المتوفي ٦٤٦ هـ

٢٢٨ - نظم الحكم الحديثة ، ميشيل ستيوارت ت : احمد كامل القاهرة ١٩٦٢م

٢٢٩ - نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها ، قيس القرطاس بيروت ١٣٩١هـ

٢٣٠ - نظام الحكم والسياسة في الولايات المتحدة ، هارولد رينك القاهرة

٢٣١ - نقد الفكر الديني ، تاليف جلال الدين العظم

(حرف الهاء)

٢٣٢ - هل نحن مسلمون ، محمد قطب دار الشروق سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م

٢٣٣ - هزيمة الشيوعية في العالم الاسلامي ، انوار الجندى

(حرف الواو)

٢٣٤ - ابو الجود الحق ، د . حسن هويدى ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م بيروت

(حرف الياء)

٢٣٥ - اليهود في القرآن ، عفيف طبارة .

المراجـــع الأجنبية

أولا - الفرنسية :

1 . VOLTAIRE ESSAI SUR LES MOEUS P.14

2 . POUSSEAU, DISCOURS SUR L'ORIGINE ET LE FONDEMENT DE L'INGALITE , PAMIS LES HOMMES

3 . CHACHOIN , EVOLUTION DES IDEES RELIGIEUES P.158

4 . MAX NORDAU , REPONSE AU MRCREURE DE FRANCE PARIS 1908

5 . SALOMON REINACH, ORPHEUS, P.356
LARESUSSE DU XXEME SIECLE ARTICLE RELIGION

6 . ENRI BERGSON ; LES DEUX SOURCES DE LA MORALE, ET DE LA RELIGION P.105

7 . B.DT, HISTORIE MAHOMET ET LE CORAN P.XXXIV

8 . DURKHEIM , OUV , CITE P. 343

ثانيا - الانكليزية :

9 . UNIVERSAL HISTORY OF THE WORLD .

10 . ENCYCLOPADE DIA OF SCIENCE 1957 VOL 13. P. 233

11 . MAN IN THE MODERN WORLD p.130

12 . LININ , DELECTED WORKS MOSCOW .1947 VOL 11 P. 667

13 . RELIGION , IN THE MIDDEL EAST A.J. ABBER . VOL. 2 P. 606 - 607

14 . ENCY. BRITANNICA VOL IX P. 19

15.. CHALES OWEN , HISTORY OF ENGLAND BEFORE THE NORMAN CONQUEST , 1910

16 . HISBSTANTIMES SUNDAY MAGAZINE , SEPT.24, 1961

17 . CONFLICT OF REGILGIOM AMD SCIENCE.

الفهـــــــارس

رقم الصفحة

الباب الثانـي

رقم الصفحة

الفصل الرابع :

رقم الصفحة

رقم الصفحة

رقم الصفحة

*